المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة
فرع الدراسات العليا



تعظيم الآثار والمشاهد وأثره في الأمة الإسلامية

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب

عبدالعزيز بن عبدالله الجفير

إشراف فضيلة الدكتور

علي بن نفيع العلياني



١٤١٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القـــرى
كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز الجفير كلية : الدعوة وأصول الدين قسم : العقيدة

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الماجستير في تخصص : العقيدة

عنوان الأطروحة : ((تعظيم الآثار والمشاهد وأثره في الأمة الإسلامية))

الحمد لله رب العلمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فبناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه – والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٤١٧/٨/٢٩هـ – بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ، فإن اللجنة بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...

والله الموفق ...

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الداخلي
الاسم : د. علي نفيع العلياني	الاسم : د. أحمد محمد بناني	الاسم : د. عبد الشكور محمد أمان
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع : ....

يعتمد

رئيس قسم العقيدة

الاسم : أحمد عطية الزهراني

التوقيع :

• يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة .


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص رسالة ماجستير بعنوان : تعظيم الآثار والمشاهد وأثره في الأمة الإسلامية – للباحث / عبد العزيز بن عبد الله الجفير .

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيد ولد آدم أجمعين وبعد :

تتكون هذه الرسالة من مقدمة ودراسة تمهيدية وثلاثة أبواب وخاتمة . في المقدمة ذكر فيها الباحث خطة البحث وما يتعلق بذلك ، وفي الدراسة التمهيدية تعريف العنوان .

والباب الأول يعتبر دراسة تاريخية مقسم إلى أربعة فصول : الأول عن تعظيم الآثار والمشاهد عند قوم نوح ، والثاني عند أهل الكتاب ، والثالث عند ديانات أخرى (الهندوسية) و (الزرادشتية) ، والرابع عند فرق تنتسب إلى الإسلام (الرافضة) و(الصوفية) .

والباب الثاني عن تعظيم الآثار والمشاهد في الشرع وهو ثلاثة فصول : الأول في القرآن الكريم ، والثاني في السنة المطهرة ، والثالث عن فعل الصحابة رضوان الله عليهم .

والباب الثالث عن تعظيم الآثار والمشاهد في العصر الحاضر وهو من فصلين : الأول ما يتعلق بذلك من نشأة وكيفية ، والثاني عن آثر ذلك من عودة بعض ما يؤدي إلى الشرك وما قد يتبع ذلك من فساد في ولاء المسلم أو ما قد يحدث من الدعوة إلى العنصريات ونحوها .

ثم خاتمة بين فيها الباحث أهم نتائج البحث وفيها أن تعظيم الآثار والمشاهد لابد فيها من الاتباع وترك الابتداع وأن خلاف ذلك قد يؤدي بصاحبه إلى مالا يجوز وصلى الله وسلم على عبده ورسوله وحبيبه نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه أجمعين ... أمين

الطالب	المشرف	عميد كلية الدعوة واصول الدين
عبد العزيز بن عبد الله الجفير	د. علي بن نفيع العلياني	د. محمد سعيد بن محمد حسن
		١٤٢٧/٥/٣ هـ

بسم ا لله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بـا لله من شـرور أنفسـنا وسيئات أعمالنا ، من يهده ا لله فلامضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا ا لله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ياأيها الذين أمنوا اتقوا ا لله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون﴾(١)

﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا ا لله الذي تساءلون به والأرحام إن ا لله كان عليكم رقيباً﴾(٢) .

﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا ا لله وقولـوا قـولاً سـديداً يصلـح لكـم أعمـالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع ا لله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾(٣) .

ثم أما بعد ...

فإن أصدق الحديث كلام ا لله عز وجل وأحسن الهـدي هـدي محمـد صلـى ا لله عليه وسلم وخير الأمور ماكان خالصـاً لله وإتباعـاً لنبـي ا لله محمـد صلـى ا لله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكـل ضلالـة في النار .

وبعد ...

فإن ا لله عز وجل بعث في كل أمة رسولاً أن أعبدوا ا لله واجتنبوا الطاغوت فاتفقت دعوة الرسل صلـوات ا لله وسـلامه عليهـم أجمعين علـى دعـوة النـاس إلى توحيد ا لله بالعبادة وعلى اجتناب الشرك .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٢.
(٢) سورة النساء آية ١.
(٣) سورة الأحزاب الآيتان ٧٠-٧١.

هذا وأن الشرك غالباً لاينتشر دفعة واحدة بل على مراحل وفترات وأن غالب بداياته تكون بتعظيم شيء وتقديسه على غير هدي من ا لله ولا من رسله سواء في ابتداء التعظيم أو في كيفيته، ثم يزداد ذلك حتى يبلغ دركات الوثنية وأن النبي بأبي هو وأمي صلى ا لله عليه وسلم رؤوف رحيم بأمته، ومن ذلك حجزه أمته عن كل طريق أو درب يوصل إلى الشرك، وجعل كثيراً من تلك الحماية للتوحيد انما هي في طلب الترك وهو أقوى وأقدر وأيسر على تنفيذه من قبل أمته صلى ا لله عليه وسلم من طلب الفعل.

إذ أن الناس إذا طلب منهم أن يعملوا عملاً ما فإنهم يتفاوتون في الإستطاعة والقدرة على التنفيذ.

أما إذا طلب منهم ترك شيء فإن تنفيذ هذا الطلب لايكلفهم شيئاً إلا التوقف عن العمل .

وقد كان عامة ماورد في الكتاب والسنة بخصوص حماية التوحيد إنما هو النهي عن أسباب الشرك مثل النهي عن إتخاذ قبره صلى ا لله عليه وسلم عيداً ، والنهي عن الشرك وأسبابه، وهي أشهر وأكثر من أن تحصر .

وقد تقدمت إلى جامعة أم القرى في كلية الدعوة وأصول الدين في قسم العقيدة باطروحة ماجستير بعنوان .

تعظيم الآثار والمشاهد وأثره في الأمة الإسلامية .

سبب إختيار الموضوع :

قرأت في كتاب : مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ / عبدالعزيز بن عبد الله بن باز الجزء الأول التوحيد ومايلحق به رداً على مقال منشور في جريدة الندوة الصادرة في ١٣٨٠/٦/٢٤هـ بعنوان : آثار المدينة المنورة وعلى رد آخر على مقال منشور في جريدة الندوة أيضاً الصادر في ١٣٨٧/٥/٢٤هـ ، وهذا المقال بعنوان الآثار الإسلامية وقرأت أيضاً فيه جوابه

نفع الله به وغفر له عن سؤال هو : هل يجوز أن يبنى على موضع أهل الكهف مسجد ؟

ثم قرأت حول هذا الموضوع ووجدت أن كثيراً من الشرك يقع فيه الناس بسبب إعطاء أهمية وتعظيم زائدين لبعض الأشياء أو الأشخاص أو المواقع مما يفضي إلى الغلو في محبتها وتقديسها ثم إلى الإنشغال بها وعبادتها من دون الله .

خطة الموضوع :

خطة الموضوع:

تتكون من مقدمة ودراسة تمهيدية وثلاثة أبواب وخاتمة .

ففي المقدمة ذكرت سبب إختيار الموضوع ومايتعلق بذلك .

وفي الدراسة التمهيدية عرفت كلاً من الآثار والمشاهد وبعض المسميات التي تدخل تحتهما والمقصود بالآثار والمشاهد في هذا البحث ، وتكلمت فيها أيضاً عن أهمية الموضوع وصلته بالعقيدة الإسلامية حيث أنه هناك ألصق وأقرب .

وجعلت الباب الأول دراسة تاريخية لتعظيم الآثار والمشاهد في أربعة فصول:

الأول : عن تعظيم الآثار والمشاهد عند قوم نوح وكيف وصل بهم ذلك إلى الشرك وعبادة الأوثان .

الثاني : عن تعظيم الآثار والمشاهد عند أهل الكتاب وفيه مبحثان :

أحدهما عن تعظيم الآثار والمشاهد عند اليهود .

والآخر عن تعظيم الآثار والمشاهد عند النصارى .

الثالث : وفيه مبحثان :

أحدهما عن تعظيم الآثار والمشاهد عند الهنود .

والآخر عن تعظيم الآثار والمشاهد عند الفرس .

الرابع : عن تعظيم الآثار والمشاهد عند فرق تنتسب للإسلام وفيه مبحثان أيضاً .

أحدهما عن تعظيم الآثار والمشاهد عند الشيعة .

والآخر عن تعظيم الآثار والمشاهد عند الصوفية .

أما الباب الثاني فهو تأصيل وتقعيد لمسألة تعظيم الآثار والمشاهد وبيان ماورد في حقها في القرآن والسنة وكيفية تعامل السلف الصالح معها حسب توجيهات الكتاب والسنة وخير من قام بذلك الصحابة رضوان الله عليهم فكان هذا الباب ثلاثة فصول :

الأول : وذكرت فيه نماذج مختلفة من الآثار التي وردت في القرآن الكريم .

الثاني : ذكرت فيه أيضاً نماذج مختلفة من الآثار التي وردت في السنة المطهرة .

أما الثالث فذكرت فيه موقف السلف الصالح – متمثلاً بالصحابة رضي الله عنهم– من الآثار والمشاهد وتطبيقهم الكتاب والسنة على المشاهد والآثار في عصرهم .

وقسمته إلى ثلاثة مباحث :

أ – موقفهم من آثار النبي صلى الله عليه وسلم .

ب – موقفهم من آثار ومشاهد الأنبياء والصالحين .

ج– موقفهم من آثار ومشاهد الأمم البائدة .

أما الباب الثالث فإنه لما كانت مباحث البابين الأولين تركز في الأول على جانب المشاهد وتساوت الآثار والمشاهد في الباب الثاني فإني جعلت الباب الثالث عن الآثار في العصر الحاضر وجعلته على فصلين .

الأول : الدعوة إلى تعظيم الآثار وفيه مبحثان :

أحدهما بداية الدعوة إلى تعظيم الآثار في العصر الحاضر ونشأتها وأسبابها ومدى مصداقيتها.

والآخر عن الوسائل التي استخدمت من نظم وقواعد وطرق في ذلك .

أما الفصل الثاني : فإن الكلام فيه عن أثر تعظيم الآثار على الأمة الإسلامية وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث :

الأول بينت فيه أن ذلك التعظيم يؤدي إلى الشرك با لله تعالى .

والمبحث الثاني بينت فيه أن تعظيم الآثار يفسد الولاء والبراء عند المسلمين .

والمبحث الثالث بينت فيه أن ذلك التعظيم للآثار ينتج من ضمن ماينتج تفتيت المسلمين وتشتيتهم وتفرقهم .

ثم وضعت بعد ذلك خاتمة فيها أهم نتائج البحث . ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع ثم الفهارس وفيها فهارس للآيات والأحاديث والآثار التي وردت في ثنايا البحث وكذلك فهرس محتويات الرسالة.

وقمت بإرجا ع الأقوال إلى أصحابها وأشرت إلى ذلك في الهامش مباشرة وعند ذكر المرجع لأول مرة أعرف به بمعنى أني أذكر اسم الكتاب ثم المؤلف ثم المترجم إن كان هناك مترجم ثم دار النشر ثم بلد النشر ثم سنة النشر ثم الجزء ثم الصفحة حسب ماأجد منها على الكتاب وعزوت الآيات إلى مواضعها في القرآن الكريم .

أما الأحاديث فإني عزوتها إلى مراجعها وهي على قسمين تقريباً أحدهما ما رواه البخاري ومسلم إما معاً أو أحدهما .

أما القسم الآخر فهي مما رواه غيرهما لكني إكتفيت بعزوها إلى مصادرها فقط وقد تأكدت منها جميعها تقريباً من ناحية صحتها تأكداً أولياً وذلك بتصحيح العلامة ابن حجر رحمه ا لله تعالى في كتابه : تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ، تحقيق :د. شعبان محمد اسماعيل ، مكتبة ابن تيميه، القاهرة وبتصحيح الشيخ ناصر الدين الألباني وفقه ا لله في كتابه صحيح الجامع الصغير

وزيادته (الفتح الكبير) المكتب الإسلامي بيروت ودمشق الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م .

وفي الختام لاأنسى أن أقول أن الله عز وجل أبي أن يكون الكمال لكتاب إلا لكتابه – وهذه المقوله قد سبقت بها – وأن مافيه من صواب فهو من توفيق الله عز وجل ومافيه من خطأ فإني أستغفر الله من ذلك وأتوب إليه .

ولايفوتني أن أتقدم شاكراً ومقدراً لكل من ساهم معي في هذا الجهد المتواضع وأول من أبدأ به والداي وأسأل الله أن يجزل لهما المثوبة والأجر ويغفر لهما ذنوبهما ... آمين

كذلك أتقدم شاكراً ومقدراً لجامعة أم القرى إدارة ومدرسين وأخص منهم جميع من درست عليه كذلك أتقدم شاكراً ومقدراً لكلية الدعوة وأصول الدين وأخص منها قسم العقيدة .

كذلك أتقدم شاكراً ومقدراً للمشرف على هذه الرسالة فضيلة الدكتور على بن نفيع العلياني الذي كان له دور مشكور في هذه الرسالة وقد أولاني من إهتمامه ورعايته وفتح لي صدره وبيته فجزاه الله عني خير ماجزى مشرف عن طالب .

كذلك أتقدم شاكراً ومقدراً للمناقشين الكريمين الذين تفضلا واقتطعا جزء مهماً من وقتهما الثمين وقاما مشكورين برتق ما في هذه الأطروحة من شقوق، وتقويم مافيها من اعوجاج وماهذا منهما إلا نصحاً وتوجيهاً يجري عادة مثله بين الأب وابنه .

أسأل الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهما وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وعوناً للجميع على الطاعة ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تمهيد:

تعريف الأثار والمشاهد

أ- تعريف الآثار

تعريف الآثار في اللغة

الآثار : جمع أثر .

والأَثَر بقية الشيء والجمع آثار وأثور .

والأَثَر : بالتحريك مابقي من رسم الشيء .

والأَثَرُ : الأجل وسمي به لأنه يتبع العمر .

وأصله من أثر مشيه في الأرض فإن من مات لايبقى له أثر ولايرى لأقدامه في الأرض أثر .

والأَثَر : الخبر والجمع آثار .

والأَثْرُ: مصدر قولك أثرت الحديث آثره إذا ذكرته عن غيرك.

وسمنت الإبل والناقة على أثارة أي على عتيق شحم كان قبل ذلك؛ ومطلق البقية من الشيء. وسيف مأثور : في متنه أثر أي مفعول به .

وأثر السيف: ضربته

وأُثْر الجرح : أثره يبقى بعد مايبرأ

والتأثـــير : إبقاء الأثر في الشيء

والآثارُ : الأعلام واحده الأثر

والأُثْـــر : خلاصة السمن

والأَثَـــرُ : العلامة المنطبعة مطلقاً(١) .

---

(١) لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، بيروت لبنان ، مادة أثر جـ٤ ، ص٥-٩ ؛ وانظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت، لبنان ، ط٢/١٣٩٩هـ ، مادة آثر ، جـ٢، ص٥٧٥-٥٧٦ ؛ وانظر : تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي ، مكتبة الحياة بيروت لبنان ، مادة أثر ، جـ٣ ، ص٤؛ وأنظر: القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، مادة أثر ٣٧٥/١ .

تعريف الآثار عند الأثريين .

التعاريف للآثار عند أصحاب هذا الفن كثيرة منها :

١- مخلفات الأبنية والعمائر القديمة كالبيوت والقصور والمعابد والتماثيل وما إليها(١) •

٢- كل ماهو الأثر الحقير أو العظيم للصناعة والفن البشريين خلال القرون(٢).

٣- الأشياء التي صنعها الأنسان أو استعملها من مسكن وأثاث وأدوات وفن ثم تخلفت عنه(٣) •

٤- هي مخلفات الأبنية والعمائر القديمة كالمقابر والمعابد وغيرها(٤) •

٥- ماخلفه السابق للاحق(٥) أي ماخلفه الإنسان السابق للإنسان اللاحق،وهو أجمعها وأدقها ، وهذا هو ماوصل إليه الآثاريون من تعريف للآثار بعدما كانت الآثار تشمل الناتج الفكري المكتوب والشفاهي المسمى بالفولكلور(٦) •

والآثار لها علم يختص بها وعرف بأنه :

١- دراسة ماصنع الناس ومافعلوا حتى يمكن فهم كل طريق من طرق حياتهم(٧) •

---

(١) دائرة المعارف الحديثة ، أحمد عطية الله ، مكتبة الانجلو المصرية الطبعة الثانية ، ١٩٧٥م ، ٢٢/١ •

(٢) تاريخ علم الآثار ، جورج ضو ، ترجمة بهيج شعبان ، منشورات عويدات ، بيروت، باريس ، الطبعة الثالثة، ص٧ •

(٣) مدخل إلى الآثار الإسلامية ، حسن الباشا ، دار الاتحاد العربي ، نشردار النهضة العربية ، ١٩٧٩م ، ص٩ •

(٤) معجم المصطلحات الأثرية ، محمد كمال صدقي ، كلية الأداب قسم الآثار والمتحاف ، جامعة الملك سعود ، طبعة أولى ، مطابع جامعة الملك سعود • ، الرياض ١٤٠٨هـ ، ص٤٤ .، ولا فرق بين الأول والرابع إلا بزيادة الأمثلة وفي الأول زيادة التماثيل وفي الرابع زيادة المقابر •

(٥) الموسوعة الأثرية العلمية، اشراف ليونارد كوتريل تأليف ٤٨ عالماً أثرياً، ترجمة د. محمد عبد القادر محمد ود. زكي اسكندر، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٧.

(٦) وسوف يأتي مزيد بسط عند الكلام عن نشأة الآثار •

(٧) رجال الآثار ، د. روبرت ، ج بريد وود ، ترجمة كمال الملاخ ، دار الفكر العربي، مطبعة المدني ، القاهرة ، القاهرة١٩٧٠م ، ص٨ •

٢- دراسة بقايا الماضي(١) .

٣- معرفة بقايا القوم من أبنية وتماثيل ومخنطات ونقود وما شاكل ذلك(٢) .

٤- دراسة الأشياء التي صنعها الإنسان أو استعملها من مسكن وأثاث وأدوات وفن ثم تخلفت عنه(٣) . أي أن هذه الأشياء تخلفت عن الإنسان .

٥- هو العلم الذي يصف الأشياء القديمة ويستمد المعرفة بالعصور الغابرة عن طريق دراسة مخلفاتها القائمة بالإضافة لما يمكن الحصول عليه من علوم الحيوان والنبات القديمة والبيئة المصاحبة(٤) .

٦- علم دراسة مخلفات الأمم السابقة سواء المادية منها أو الفكرية الثابتة أو المنقولة ، الظاهرة منها أو المطمورة وذلك لتحقيق أهداف هامة وحيوية(٥). وهذا التعريف الأخير هو أجمعها وأشملها لكنه باب واسع جداً لذلك عند الأثريين بشكل عام يتركز البحث عن الآثار المادية من ناحية النوع ويمتد إلى حدود عدة آلاف سنة ماضية من ناحية الزمن(٦) .

٧- علم الآثار : مولد حديث في مقابل ARCHEOIOGIC -أركيولوجيا- فرع علمي يعنى بدرس الأبنية والنقوش والتصاوير والكتابات. ويتكون من :

أ- أدبي : وغرضه فك رموز النقوش .

ب- صناعي : وغرضة درس صناعات القدماء

---

(١) الآثار الغارقة ، روبرت سلفر برج ، ترجمة ، د. محمد الشحات نشر مؤسسة سجل العرب القاهرة ، مصر ، ١٩٦٥م ، ص٥ .

(٢) شمال الحجاز (الجزء الأول الآثار) حمود بن ضاوي القشامي، نشر دار البيان العربي،طبعة ثانية، ١٤٠٤هـ ، جدة ، ص١٩-٢٠ .

(٣) مدخل إلىالحضارة الإسلامية ، ص٧ .

(٤) معجم المصطلحات الأثرية ، ص ٤٤.

(٥) علم الآثار، د. جمال عبد الهادي، د. وفاء محمد رفعت، دار الشروق، جدة ، ص٦.

(٦) انظر : مدخل إلى علم الآثار ، السير ليونارد وولي ترجمة ، د. حسن الباشا ،مراجعة عبد المنعم أبو بكر ، الادارة العامة للثقافه بوزارة التربيه والتعليم بمصر، سلسلة الألف كتاب (٩٤) ص : ١٣ .

جـ- معاشي : وغرضه درس أساليب العيش والحياة ونظام الحكم والأدوات(١) .

٨- علم الآثار : هو البحث عن المعرفة وليس مجرد البحث عن الأشياء(٢) .

٩- ولايعنى علم الآثار اليوم مجرد الحفر بحثاً عن الكنوز المدفونة ؛ يبحث عالم الآثار ليعرف كيف يبني الناس بيوتهم والأطعمة التي كانوا يأكلونها والأسلحة التي يستعملونها ،وكيف كانوا يلبسون ، وكيف كانوا يعبدون آلهتهم(٣) .

١٠- ...علم الآثار بمدلولة الحديث يختلف عن ذلك اختلافاً بينا . فهو يتلخص في أمرين يرتبط كل منهما بالأخر كل الإرتباط :

وأولهما : أعمال الحفر والتنقيب واستخلاص الآثار وتسجيل أوصافها وأوضاعها بالنسبة لغيرها والمحافظة عليها وترميمها .

وثانيهما: استخدام هذه الآثار المكتشفة في إلقاء أضواء جديدة على الحضارة الإنسانية الماضية وتطورها واستنباط التاريخ منها(٤) .

١١- علم الآثار : دراسة ماصنع الناس ومافعلوا حتى يمكن فهم كل طريق من طرق حياتهم .

فعلم الآثار : هو الطريق الذي تفهم منه أفعال الناس عن طريق دراسة مافعلوه أكثر من مجرد الإستناد إلى ماقالوه هم عن أنفهسم(٥) .

والأثري والآثاري : عالم الآثار والباحث في الآثار والمتخصص بها والمشتغل بها(٦) .

---

(١) المعجم موسوعة لغوية علمية فنية ، ص٦ .

(٢) دائرة المعارف الحديثة ، ١/٢٢ .

(٣) الآثار الغارقة ، ص٨-٩ .

(٤) مدخل إلى علم الآثار ، مقدمة المترجم ص٥ .

(٥) رجال الآثار ،روبرت . ج. بريد وود، ص٨،٩.

(٦) المعجم موسوعة لغوية علمية فنية ، ص٦ ، دائرة المعارف الحديثة ١/٢٢ ، وشمال الحجاز الجزء الأول الآثار ، ص: ١٩-٢٠ .

والعلاقة بين المعنى في اللغة والمعنى عند أصحاب هذا الفن واضحة جداً وهذه القضية واضحة من إلقاء نظرة على مناهج الدراسة في كليات الآثار وأقسامها .

ب- تعريف المشاهد :

تعريف المشاهد في اللغه

المشاهد : ج مشهد ، المُشَاهَدةُ ، المعاينة وشهده شهوداً أي حضره .

والمَشْهَدُ : المجمع من الناس ، وامرأة مُشْهِد : حاضرة البعل .

والمَشْهَدُ : مَحْضَرُ الناس ومجتمعهم .

ومشَاهِدُ مكة : المواطن التي يجتمعون بها

والمشهد : مكان استشهاد الشهيد(١)

والمشاهد : غزوات النبي صلى الله عليه وسلم .

والمقصودبالمشاهد في الإصطلاح هي : الأمكنة التي فيها آثار الأنبياء والصالحين من غير أن تكون مساجد لهم بين القليل الذي لايتخذونه عيداً والكثير الذي يتخدونه عيداً ،وهي مقامات الأنبياء والصالحين وهي الأماكن التي قاموا فيها أو أقاموا أو عبدوا الله سبحانه لكنهم لم يتخذوها مساجد (٢) .

والمشهد : البناء على الميت(٣) ، وكذلك القبور التي يبنى عليها مساجد تسمى مشاهد(٤).

العلاقة بين المعنى في اللغة وفي الأصطلاح : أن هذه الأماكن

---

(١) لسان العرب ٣/٢٣٩-٢٤١، وتاج العروس ٢/٣٩٣ و القاموس المحيط ١/ ٣١٧ والصحاح تاج اللغه وصحاح العربية ٢/٤٩٤.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الإسلام، أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن تيميه، تحقيق ناصر بن عبد الكريم العقل، الناشر مكتبة الرشد الرياض الطبعة الثانية، ١٤١١هـ - ١٩٩١، جـ٢ ، ص٧٥٠، ٧٥١.

(٣) تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيميه وبهامشه كتاب الرد على الأخنائي لابن تيمية ايضاً المطبعة السلفية ، بمصر ١٣٤٦هـ ، ص٣٥٠ .

(٤) حاشية كتاب التوحيد ، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي ، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ ، ص٣٧٥ في الحاشية .

سواء كانت قبوراً أو آثار صالحين أو أنبياء إنما هي مجمع للناس ومشهد سواء كان على صفة دورية كالأعياد أو كيفما اتفق •

العلاقة بين المشاهد والآثار :

بين الآثار والمشاهد علاقة قوية وهي علاقة عموم وخصوص أو علاقة جزء بكل، فالمشاهد جزء من الآثار فكل مشهد أثر ولاينعكس من حيث المعنى الاصطلاحي، فالقطعة من النقود القديمة آثر لكنها ليست مشهداً وكذلك الآنية القديمة.

ويلحق بالآثار والمشاهد النصب التذكارية وأماكن انطلاق الثورات والزعماء والأماكن الفاصلة في منعطفات تاريخ الغزوات والمعارك وقبر الجندي المجهول والعلم وما يشبه ذلك من المعالم الوطنية

أهمية الموضوع:

سد الذرائع في الدين الإسلامي جانب مهم وصرح حائل بين شرائع الإسلام عموماً وأصوله خصوصاً وبين مايفسدها فكل مايوصل إلىالمفسدة والمحرم ويفضي إليه فهو ممنوع شرعاً سواء كان في ذاته محرماً أو مباحاً ، ومن ذلك" نهى ا لله تعالى عن سب آلهة المشركين قال تعالى ﴿ ولاتسبوا الذين يدعون من دون ا لله فيسبوا ا لله عدواً بغير علم ﴾(١) ، لكونه ذريعة إلى أن يسب المشركون ا لله سبحانه وتعالى عدواً وكفراً على جهة المقابلة والمجازاة بالمثل

وأخبر النبي صلى ا لله عليه وسلم أن "من أكبر الكبائر شتم الرجل والديه قالوا وهل يشتم الرجل والديه؟قال:نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه"(٢).

---

(١) سورة الأنعام آية ١٠٨ •

(٢) الجامع الصحيح (صحيح مسلم) للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (٢٠٦هـ - ٢٦١هـ) : شرح صحيح مسلم لأبي زكريا يحي بن شرف النووي، حققه جماعة من العلماء، دار العلم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. ٤٤٦/٢ كتاب الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها .

وحرم صلى ا لله عليه وسلم القليل من المسكر وإن لم تحصل به مفسدة لئلا يكون داعياً إلى شرب الكثير فقال صلى ا لله عليه وسلم:"ما أسكر كثيره فقليله حرام"(١)

" ونهى صلى ا لله عليه وسلم أن يختلي الرجل بامرأة أجنبية عنه إلا مع ذي محرم قال صلى ا لله عليه وسلم : " لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذي محرم .. الحديث"(٢)

ومن ذلك أيضاً إتفاق الصحابة رضي ا لله عنهم على قتل الجماعة الكثيرة بالواحد لئلا يتخذ ذريعة إلى إهدار الدماء بتعاون الجماعة على قتل المعصوم فيضيع دمه . ومن حماية التوحيد أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه أمر بقطع الشجرة التي كانت تحتها البيعة، وأمر بإخفاء قبر دانيال سداً لذريعة الشرك والفتنة ونهى عن تعمد الصلاة في الأمكنة التي كان رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم ينزل بها في سفره وقال : (أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد ؟ من أدركته الصلاة فليصل وإلا فلا) " (٣)

---

(١) سنن ابن ماجه ، الحافظ أبو عبد ا لله محمد بن يزيد القزويني بن ماجه. تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩١٣م ،٢/ ٢٥٧، ابواب الأشربه، باب ما اسكر كثيره فقليله حرام حديث رقم ٣٤٣٥، ورواه الترمذي تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (١٢٨٣ - ١٣٥٣هـ) راجعه عبد الرحمن محمد عثمان ، نشر محمد عبد المحسن الكتبي، المكتبة السلفية بالمدينة، مطبعة الفجالة، القاهرة، مصر الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤، ٥/٦٠٥ ورقمه ١٩٢٧ وقال عنه الترمذي: حديث حسن غريب من حديث جابر.

(٢) رواه مسلم: شرح صحيح مسلم ١١٧/٩ كتاب الحج باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره .

(٣) انظر عن ما سباق إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تعليق محمد الأنور ، أحمد البلتاجي، نشر دار التراث العربي القاهرة،الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ١/٢٩٦-٣٠٢ .

" ونهى عن البناء على القبور فعن جابر ضي ا لله عنه قال:" نهى رسـول ا لله صلـى ا لله عليه وسلم أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه "(١) وأمر صلـى ا لله عليه وسلم بطمس القبور المرتفعة وطمس التماثيل فعن أبي الهيا ج الأسدي(٢) قـال قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم: " أن لاتدع تمثالا إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته"(٣) .

ونهى صلى ا لله عليه وسلم عن الصلاة إلى القبور وعن الجلوس عليها فعـن أبي مرثد الغنوي قال : سمعت رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يقول : " لاتصلـوا إلى القبور ولاتجلسوا عليها "(٤) ، ولعن صلـى ا لله عليـه وسـلم اليهـود والنصـارى لاتخاذهم قبور الأنبياء مساجد، فعن عائشة رضي ا لله عنها عن النبي صلى ا لله عليه وسلم قال في مرضه الذي مـات فيـه: " لعـن ا لله اليهـود والنصـارى اتخـذوا قبـور أنبيائهم مسجداً " قالت : " ولولا ذلـك لأبـرزوا قـبره غـير أنـي أخشـى أن يتخـذ مسجداً "(٥) .

---

(١) رواه مسلم : ج ٧ ص ٤١ كتاب الجنائز باب النهى عن تجصيص القبر.

(٢) هو حيان بن حصين أبـو الهيـاج الأسـدي الكـوفي ، انظـر تهذيـب الكمـال في أسمـاء الرجال للحافظ يوسف المـزي ٦٥٤-٧٤٢هـ تحقيـق : أحمـد علـي عبيـد، وحسـن أحمد أغا ، دار الفكر بيروت لبنان الطبعة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.٥/٣٠١.

(٣) رواه مسلم : ٧/ ٤٠ ، كتاب الجنائز باب تسويه القبر.

(٤) رواه مسلم : ٧/ ٤٣، كتاب الجنائز باب النهى عن الجلوس على القبر.

(٥) الجامع الصحيح (صحيح البخارى) للإمام أبى عبد ا لله محمد بن إسماعيل بن إبراهيـم البخاري الجعفى (١٩٤هـ - ٢٥٦هـ) فتح الباري شرح صحيـح الأمـام أبـي عبـد ا لله محمـد بـن إسمـاعيل البخـاري، أحمـد بـن علـى بـن حجـر العسـقلاني، المطبعـة السلفية،ومكتبتها، القـاهرة، مصـر ، الطبعـة الثانيـة، ١٤٠٠هـ، جـ٣، ص٢٣٨، كتاب الجنائز، باب مايكره من اتخاذ المساجد على القبور.

وحذر أيضاً صلى ا لله عليه وسلم من البناء على القبور وحذر من الصور ، فعن عائشة رضي ا لله عنها قالت لما اشتكى النبي صلى ا لله عليه وسلم ذكرت بعض نسائه كنيسة رأينها بأرض الحبشة يقال لها مارية وكانت أم سلمة وأم حبيبة رضي ا لله عنهما أتتا أرض الحبشة فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها فرفع رأسه فقال : " أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصورة ،أولئك شرار الخلق عند ا لله " (١) ، وهذا سداً لذريعة اتخاذها أوثانا.

ومن اليقين أن الرسل دعت إلى عبادة ا لله وحده قال تعالى : ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا ا لله واجتنبوا الطاغوت﴾(٢) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾(٣) .

وأمرنا سبحانه وتعالى باتباع الرسل فقال سبحانه وتعالى : ﴿قل إن كنتم تحبون ا لله فاتبعوني يحببكم ا لله﴾(٤) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فآمنوا با لله ورسوله النبي الأمي الذى يؤمن با لله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾ (٥).

وكان مما أمرنا ا لله به من اتباع عبده ورسوله محمد صلى ا لله عليه وسلم إزالة الشرك وأدواته من الأصنام والأضرحة والتماثيل في هدم ذي الخلصة وإزالة التماثيل والأصنام من الكعبة يوم فتح مكة وأن التهاون والتساهل في ذلك إنما هو من خطوات الشيطان التي نهانا ا لله عن اتباعها فكل خطوة صغيرة مهما كانت في الصغر تجر لما بعدها مما هو مثلها أو أكبر منها حتى تخرج المتبع لها من دين ا لله قال تعالى : ﴿ ولاتتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين . إنما يأمركم بالسوء

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب بناء المسجد على القبر، ٢٧٤/٣ .
(٢) سورة النحل آية ٣٦ .
(٣) سورة الأنبياء ، آية ٢٥ .
(٤) سورة آل عمران آية ٣١.
(٥) سورة الاعراف ، آية ١٥٨.

والفحشاء وأن تقولوا على ا لله مالا تعلمون ﴾ (١)، وكما ترى فهي خطوت كل واحدة أكبر مما قبلها الأولى صغيرة والثانية كبيرة والثالثة كفر، وقد أخبر سبحانه وتعالى أن ذلك يؤدي إلى الباطل الذي هو مسلك الكفرة قال تعالى : ﴿ ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل ﴾ (٢) وهذا سيتضح أكثر في قصة قوم نوح وكيفية عبادتهم للأصنام.

ولما كانت الصور والتماثيل والإهتمام بالقبور بذرة الشرك والوثنية وكانت معارضة لأصل التوحيد أو لكماله وجب حماية التوحيد والذود عنه وإغلاق كل طريق ومنفذ يوصل إليه ولو على المدى البعيد فضلاً عن المدى القريب " والحماية تعظم كلما كانت المعصية أعظم وأكبر فإن الشيطان يلقى في قلب الإنسان الوسائل التي توصل إلى هذا الأمر ولهذا تجد أن باب الشرك قد سده النبي صلى ا لله عليه وسلم وسد كل طريق يمكن أن يكون ذريعة إليه ، وأيضاً باب الزنا حُمي حماية عظيمة حتى منعت المرأة من التبرج وكشف الوجه وما أشبه ذلك لئلا يكون ذلك ذريعة إلى الزنا لأن النفوس تطلبه ، وفي باب الربا أيضا حُمي الربا بحماية عظيمة حتى أن الرجل ليعطى الرجل صاعاً طيباً من البر بصاعين قيمتهما واحدة ويكون ذلك رباً محرماً مع أنه ليس فيه ظلم .

فالشرك قد يكون من الأمور التي لاتدعو إليه النفوس كثيراً لكنه أعظم الظلم فالشيطان يحرص على أن يوصل ابن آدم إلى الشرك فحمى النبي

(١) سورة البقرة ، الأيتان ١٦٨ – ١٦٩.

(٢) سورة محمد ، آية ٣ .

صلى الله عليه وسلم جانب التوحيد حماية تامة محكمة حتى لا يدخل الإنسان الشرك"(١).

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد ، شرح محمد بن صالح العثيمين، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ : ٢٧٩/٣ ، بتصرف يسير .

الفصل الأول

تعظيم الآثار والمشاهد عند قوم نوح عليه السلام

نوح عليه الصلاة والسلام أول الرسل(١) صلى ا لله عليهم وسلم أجمعين أرسله ا لله إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى توحيد ا لله عز وجل إلا أنهم مكروا مكراً كباراً " لابطال دعوته واغلاق الطريق في وجهها إلى قلوب الناس "(٢) ٠

واستخدموا حمية الجاهلية وعصبيتها فيما بينهم وحرضوا بعضهم على الاستمساك بتلك الآثار والمشاهد التي أول أمرها كان تذكاراً لقوم صالحين محبوبين حتى تحولت بالتدريج إلى أن يطلبوا منها البركة ، ونما تقديسها وتعظيمها في النفوس بما زينه الشيطان ، فقالوا فيما بينهم كما أخبر ا لله عنهم : ﴿ وقالوا لاتذرن آلهتكم ولاتذرن وداً ولا سواعاً ولايغوث ويعوق ونسراً﴾(٣) ٠

فتذاكروا فيما بينهم جملة الآلهة وخصوا أكبرها بالذكر تهييجاً للحمية في القلوب لهذه الأصنام استكباراً عن الحق وصداً له من أن يصل إلى أفراد الناس ٠

وقد بين المفسرون رحمهم ا لله تعالى كيف وصل الحال بقوم نوح من جراء تعظيم الآثار التي هي صور الصالحين إلى درجة عبادتها من دون ا لله وعلى رأسها ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر ، فقال الطبري (٤) رحمه ا لله تعالى بعد أن روى بسنده : " كانوا قوماً صالحين من بني آدم وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم : لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم ، فصوروهم ، فلما ماتوا وجاءآخرون دب إليهم إبليس فقال إنما

---

(١) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الإنبياء : باب قول ا لله عز وجل هود: ٢٥"﴿ولقد ارسلنا نوحاً إلى قومه﴾ ٤٢٨/٦، حديث رقم ٣٣٤٠ وفيه : يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض .

(٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت القاهرة الطبعة الشرعية العاشرة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، ٣٧١٦/٦ ٠

(٣) سورة نوح ، آية ٢٤ ٠

(٤) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الإمام العلم المجتهد عالم العصر أبو جعفر الطبري، من أهل طبرستان ، ولد ٢٢٤هـ وتوفي ٣١٠هـ ، انظر سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، أشرف على التحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، الطبعة السابعة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ٢٦٧/١٤.

كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر فعبدوهم " (١) .

وقال غيره من المفسرين : ﴿لاتذرن آلهتكم﴾ : أي أصنامكم وهو عام في جميع أصنامهم ثم خصوا بعد أكابر أصنامهم وهو ودّ وما عطف عليه روى أنها أسماء رجال صالحين كانوا في صدر الزمان ماتوا فصورت أشكالهم لتذكر أفعالهم الصالحة ثم هلك من صورهم وخلف من يعظّمها ثم كذلك حتى عبدت ، ثم انتقلت تلك الأصنام بأعيانها وقيل بل الأسماء فقط إلى قبائل من العرب فكان ودّ لكلب بدومة الجندل ، وسواع لهذيل ، ويغوث لمراد ، ويعوق لهمدان ، ونسر لحمير(٢) ولذلك سمت العرب بهذه الأسماء "(٣) أي عبد يغوث ونحو ذلك .

وقال البخاري(٤) رحمه الله تعالى باب (وداً ولا سواعاً ولايغوث ويعوق) عن ابن عباس رضي الله عنهما " صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد ، أما ودّ فكانت لكلب بدومة الجندل . وأما سواع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع . أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت"(٥).

---

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن (تفسير الطبري) محمد بن جرير الطبري ، شركة مكتبة ومطبعة البابلي الحلبي ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٨هـ ، ٩٩/٢٩ .

(٢) كلب وهذيل ومراد وهمدان وحمير أسماء قبائل من العرب .

(٣) تفسير النهر الماد من البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبن حيان الاندلسي الغرناطي ، ٦٥٤-٧٥٤هـ ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ ، ٣٤٠/٨ انظر سير اعلام النبلاء ٣٩١/٢ .

(٤) أبو عبدالله البخاري ، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه وقيل بذدزبه وهي لفظه بخاري معناها الزراع ،ولد سنة ١٩٤هـ ، وتوفي ٢٥٦هـ .سير اعلام النبلاء ٣٩١/١٢.

(٥) فتح الباري ، رواه البخاري ، كتاب التفسير باب وداً وسواعاً ولايغوث ويعوق ، ٥٣٥/٨ .

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه ا لله تعالى : " فلما مات آدم بقي أولاده بعده عشر قرون على دين أبيهم دين الإسلام ثم كفروا بعد ذلك وسبب كفرهم الغلو في حب الصالحين كما ذكر ا لله تعالى في قوله : (٧٠ : ٢٣ وقالوا لاتذرن آلهتكم ولاتذرن وداً ولا سواعاً ولايغوث ويعوق ونسرا) وذلك أن هؤلاء الخمسة قوم صالحون كانوا يأمرونهم وينهونهم فماتوا في شهر فخاف أصحابهم من نقص الدين من بعدهم فصوروا صورة كل رجل في مجلسه لأجل التذكرة بأقوالهم وأعمالهم إذا رأوا صورهم ،ولم يعبدوهم ثم طال الزمان ومات أهل العلم فلما خلت الأرض من العلماء ألقى الشيطان في قلوب الجهال: أن أولئك الصالحين ماصوروا صور مشايخهم إلا ليستشفعوا بهم إلى ا لله فعبدوهم"(١).

ومن النظر في تلك التفاسير والروايات يستخلص منها أن بداية عبادة الأصنام وأصلها لاتتعدى أن تكون بسبب تعظيم مالم يعظمه ا لله من الآثار أو اتباع لما تهواه الأنفس وتميل إليه الأهواء في غير ما هو مشروع ، وأن وضع الشيء للذكرى والتذكر مزلق شنيع يردي بصاحبه في هوة سحيقة من المهالك في الدنيا والآخرة ، وأن الشيطان وأتباعه من شياطين ومتكبري الجن والإنس يستغلون نقطة الضعف هذه وهي حب الذكرى والتذكر في نصب التماثيل التذكارية ويزرعون في نفوس العامة حبها وتعظيمها ومن ثم تقديسها والتتيم بها وطلب البركة منها ومن ثم التقرب إليها والتقريب لها وصرف مالايجوز صرفه لغير ا لله لها وذلك من خوف ورجاء ومحبة وخضوع وتذلل وطلب ورهب ونذر وقصد ، ومعلوم أن معظم النار من مستصغر الشرر .

---

(١) مختصر سيرة الرسول صلى ا لله عليه وسلم ، محمد بن عبدالوهاب ، دار القلم ، بيروت، ص٥ .

الفصل الثاني

تعظيم الآثار والمشاهد عند أهل الكتاب

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : عند اليهود

المبحث الثاني : عند النصارى

المبحث الأول : تعظيم الآثار والمشاهد عند اليهود :

أهل الكتاب لفظ يطلق ويراد به اليهود والنصارى(١) ، فيكون الكلام هنا عن فئتين : اليهود والنصارى

الفئة الأولى : اليهود : -

اليهود هم ورثة إبليس ومقلدوه فإنهم يشتركون معه في أنهم وإياه يعلمون الحق ولايعملون به بل إنهم يعملون بما تمليه عليهم رغائب أنفسهم وأهواؤهم ويشتركون معه بداء الكبر والاستعلاء .

وإن الكبر والجهل هما من ألد أعداء البشر ؛ فمن وجّه العبادة لله على غير مراد الله فإنما دخل من بوابة الجهل ، ومن أنف من عبادة الله واتبع هواه وهو يعلم الحق فقد دخل من بوابة الكبر والاستعلاء .

وهذا الأخير هو ماتمسك به اليهود على غالب فتراتهم وأحوالهم فهم "لايعبدون الله بل يستكبرون عن عبادته ويعبدون الشيطان ، لايعبدون الله ومن قال إن اليهود تعبد الله فقد غلط غلطاً قبيحاً "(٢) .

" وقد اخبر الله عن اليهود بأنهم عبدوا الطاغوت وأنه – سبحانه وتعالى – لعنهم وغضب عليهم وجعل منهم القرده والخنازير وعبد الطاغوت"(٣)

---

(١) انظر : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصاري شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية تحقيق د. أحمد حجازى السقا، المكتبة القيمة ، مدينة نصر، مصر، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ ص٣٠ .

(٢) مجموع فتاوي شيخ الاسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم ، العاصمي النجدي الحنبلي وساعده ابنه محمد ، تطوير الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ ، مطابع دار العربية بيروت لبنان ، جـ١٦ ، ص٥٦٤ .

(٣) المرجع السابق ٥٦٥/١٦ .

قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ... الآية﴾(١) ٠

بل بلغ بهم الكبر أن فضلوا وثنية قريش على الإسلام وذلك لتحقيق أطماعهم وأغراضهم فهم يمجدون أنفسهم ويحاولون أن يلبوا شهواتها ، وتهمهم الغاية بغض النظر عن الوسيلة قال ا لله تعالى في ذلك عنهم : ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنو سبيلا ، أولئك الذين لعنهم ا لله ومن يلعن ا لله فلن تجد له نصيراً﴾(٢) ٠

ومما يجلي صورة الكبر عند اليهود موقفهم من الأنبياء فالنبي عندهم كائن ديني صغير لايداني الكاهن الأعظم في المعبد في أورشليم لذلك قتل اليهود كثيراً من الأنبياء ، واشتهر النبي عندهم أنه زعيم المعارضة لذلك يتآمرون عليه فيقتلونه(٣) قال ا لله تعالى عنهم ﴿أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون ﴾(٤) "فعلم أنهم كانوا كلما جاءهم رسول بما لاتهوى أنفسهم استبكروا فيقتلون فريقاً من الأنبياء ويكذبون فريقا من الأنبياء وهذا حال المستكبر الذي لايقبل مالايهواه"(٥) ، وعقوبة من يتكبر عن آيات ا لله هي كما قال تعالى : ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن

---

(١) سورة النساء آية : ٥١ ٠

(٢) سورة النساء الآيات ٥١-٥٢ ٠وانظر تفسير القرآن العظيم ، اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤هـ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ، ٥١٣/١.

(٣) نقلاً عن الدكتور حسن محمد توفيق ظاظا في اتصال هاتفي أجريته معه وسألته عن عدة نقاط عن اليهودية وهو متخصص في هذا المجا ل وله في ذلك كتب كثيرة٠

(٤) سورة البقرة ، آية ٨٧ ٠

(٥) فتاوي ابن تيمية ، ٦٢٤/٧-٦٢٥ ٠

يروا كل آية لايؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلاً وإن يرو سبيل الغي يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذبو بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾(١) ، فهذا " حال الذي لايعمل بعلمه "(٢) .

ولقد تنوع طغيان اليهود وكثرت نتائج كبرهم حتى بلغت مقام الألوهية فقد قالوا : ﴿ يد ا لله مغلولة ﴾(٣) ورد ا لله عليهم : ﴿غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾(٤) .

وبلغ من شدة غلوهم في أنفسهم واعتدائهم على ربهم أنهم زعموا أن يعقوب صارع الرب وان يعقوب لم يفلت ا للهَ – تعالى ا لله عما يقولون علواً كبيرا– حتى باركه وسماه إسرائيل(٥) .

الغلو عند اليهود :

يتضح الغلو عند اليهود ويظهر تسلسله من خلال معرفة تاريخهم فاليهود كقوم تناسلوا في مصر ومكثوا فيها إلى أن خرجوا مع موسى عليه السلام وكانت مصر تحت حكم الفراعنة والسحر فيها منتشر والوثنية فاشية ، ومن ضمنها عبادة العجل والشمس وإله الخصب و " العجل أبيس وكان للمصريين – الجاهليين – عناية بالغة بعبادة هذا العجل لدرجة أن العجول المؤلهة لديهم كانت إذا ماتت حنطوها كما يحنط الآدمي "(٦) .

---

(١) سورة الاعراف آية : ١٤٦ .

(٢) فتاوي ابن تيمية ٦٢٥/٧ .

(٣) سورة المائدة : آية ٦٤ .

(٤) سورة المائدة آية : ٦٤ .

(٥) انظر : أخلاق اليهود وأثرها في حياتهم المعاصرة، وفا صادق، دار الفرقان ، عمان الاردن، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م ص ١٣ .

(٦) انظر : جنايات بنى اسرائيل على الدين والمجتمع ، محمد ندا ، دار اللواء للنشر والتوزيع الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ، ص٣٨ .

وكذلك السحر فإنه منتشر في الجاهلية الفرعونية(١) قال ا لله تعالى : ﴿قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم . يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون . قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين . يأتوك بكل ساحر عليم . وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين . قال نعم وإنكم لمن المقربين .... الآيات ﴾(٢) . فحب العجل والشغف بالسحر أشربت قلوب كثير منهم .

أما السحر فكانوا يزعمون أنهم به يطلعون على الغيب فلم يكن له ذكر في عهد موسى عليه السلام وهم يستعملون الدم المستنزف من الأطفال النصارى في السحر والشعوذة والتعاويذ والرقي ،وفي معتقد الحاخامات أن هذا الدم مقبول جداً لدى الشياطين إذ يقدمون لهم به البشرية كقرابين لا البهائم(٣) ، ومعلوم أن السحر لا يتم إلا بالشرك با لله والعياذ با لله .

أما من ناحية عبادة العجل فإنهم ما أن أغرق ا لله فرعون وقومه وأنجى ا لله موسى عليه السلام وقومه، فإنهم وجدوا قوماً يعكفون على أصنام لهم فغلبت عليهم الوثنية وتحركت في سويداء قلوبهم رواسب العجل فطلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهاً كما لهؤلاء القوم آلهة وأخبر ا لله عن ذلك بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون علىأصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾ (٤) .

---

(١) انظر المرجع السابق ، ص٣٦ .

(٢) سورة الاعراف الآيات : ١٠٩ - ١١٤ .

(٣) انظر : القرابين البشرية والذبائح التلمودية عند الوثنيين واليهود ، فتحي محمد الزغبي ، مطابع غباشي ، بطنطا ، مصر ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، ص٢٨٨ ، من نص كتاب اظهار سر الدم المكتوم للحاخام ناوفيطوس اليهودي سابقاً .

(٤) سورة الاعراف الآيات : ١٣٨ .

علماً أن موسى عليه السلام مكث في قومه قبل خروجهم من مصر مايقرب من ثلاث وعشرين سنة كما في بعض الروايات ٠

ثم بين لهم موسى عليه السلام وضع هؤلاء العاكفين واستنكر عليهم أن يبغي لهم إلهاً غير الله ،وذكر لهم جملة من فضائل الله عليهم وآلائه فمنها أن الله فضلهم في زمنهم على العالمين ٠

وأن الله أنجاهم من آل فرعون مما كان يسومهم به من سوء العذاب من تقتيل أبنائهم واستحياء نسائهم ٠

قال تعالى : ﴿إن هؤلاء متبر ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين . وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتّلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾(١) ٠

ولم يقف أسلاف يهود عند هذا الحد فإنهم لما ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه جمعوا ذهباً وصنع لهم به السامري عجلاً جسداً له خوار وزعم أنه إلههم وإله موسى يقول سبحانه وتعالى عن ذلك : ﴿وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون﴾ إلى قوله سبحانه وتعالى ﴿وإذ قال موسى لقومه ياقوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم﴾(٢) ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾(٣) ٠

---

(١) سورة الاعراف الآيات : ١٣٩-١٤١ ٠

(٢) سورة البقرة الآيات ٥١-٥٤ ٠

(٣) سورة البقرة آية ٩٣ ٠

وقال سبحانه وتعالى : ﴿واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولايهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين . ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين﴾ (١) ثم إن أولئك تابوا فتاب ا لله عليهم ٠

ثم بعد وفاة نبي ا لله سليمان عليه السلام انقسموا إلى مملكتين وتولى عليهم أربعون ملكاً خمسة منهم على الإسلام وخمسة وثلاثون تقريباً على الشرك وعبادة الأصنام وأعلنوا ذلك ، وأصنامهم متعددة وكثيرة منها العجول الذهبية وقد بنوا لها الهياكل وجعلوا لها سدنه ونسبوا لهما الخلاص من مصر (٢) وكانت عبادة العجل مما أخذوه من وثنية مصر ٠

وعبدوا مع العجل من ضمن ماعبدوا الكبشين(٣) والبعليم وعشتاروت والسواري كوشان وبعل بريث وعجلون ملك مو آب وآلهة آرام وآلهة صيدون وآلهة بني عمون وغيرها(٤) ٠

" ولم تزل بنوا إسرائيل كانوا يعصون ا لله بعبادة صنم " بعلا " وصنم " أستروت " الذي للزهرة "(٥)

(١) سورة الاعراف الآيات : ١٤٨ - ١٤٩ ٠

(٢) انظر الفصل في الملل والاهواء والنحل ، علي بن أحمد بن حزم الظاهري ، ت٤٥٦، المطبعة الادبية ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣١٧هـ : ج١ ، ص١٥٧ ومابعدها ،وانظر هداية الحيارى ، وانظر أطماع اليهود وأسفارهم : فؤاد حسين مزنر، دار الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ص٢٣

(٣) بذل المجهود في إفحام اليهود ، الحكيم السمو أل بن يحيى بن عباس المغربي ، ت٥٧٠هـ قدم له وخرج نصوصه وعلق عليه عبد الوهاب أبو طويلة ، دار القلم ، دمشق ، والدار الشامية ، بيروت ، البطعة الأولى ١٤١٠هـ ، ص٢٠٢ ، وانظر اطماع اليهود واسفارهم ص٢٣ ٠

(٤) انظر جنايات بنى إسرائيل علىالدين والمجتمع ، ص٤٥ ، ومابعدها وانظر أطماع اليهود وأسفارهم ، ص٣٥ ، وانظر اسرائيل والتلمود ، دراسة تحليلية ، ابراهيم خليل أحمد ، الناشر مكتبة الوعي العربي، ١٩٦٧م ، ص٩٤ ٠

(٥) تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذوله ، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني ، عالم الكتب ، بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣-١٩٨٣م، ص٣٠.

واليهود على هذا قد " عبدوا الأصنام وجعلوا لها السدنة لتعظيمها ، وعظموا رسومها وطقوسها وبنوا لها البيع والهياكل وعكفوا على عبادتها(١)

وقد وردت عبادة البعل في كتاب الله منسوبة إلى قوم إلياس وقوم إلياس في أظهر أحد قولى المفسرين هم بنو إسرائيل(٢) قال الله تعالى : ﴿وإن إلياس لمن المرسلين . إذ قال لقومه ألا تتقون . أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين . الله ربكم ورب آبائكم الأولين فكذبوه فإنهم لمحضرون . إلا عباد الله المخلصين﴾(٣)

واليهود لاينكرون ذلك إذ هو موجود في كتبهم من ذلك : "وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم وتركوا الرب إله آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرب"(٤) ... " فعبد بنو إسرائيل كوشان رشعتايم ثماني سنين."(٥) فعبد بنو إسرائيل عجلونَ ملك موآب ثماني عشرة سنة..."(٦)

وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم والعشتاروت وآلهة آرام وآلهة صيدون وآلهة موآب وآلهة بني عمون وآلهة الفلسطنيين وتركوا الرب ولم يعبدوه" (٧) .

" فسكن بنو إسرائيل في وسط الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين ... وعبدوا آلهتهم ... وعبدوا البعليم والسواري ..."(٨) .

---

(١) انظر : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ص٢٠٦ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) ١٩/٤ .

(٣) سورة الصفات الآيات ١٢٣-١٢٨ .

(٤) قضاة : ٢: ١١-١٢ . (٥) قضاة : ٣ : ٨. (٦) قضاة: ٣: ١٤.

(٧) جنايات بني اسرائيل على الدين والمجتمع ص ٤٥ - ٤٦ .

(٨) قضاة : ٣ : ٦-٧ . وانظر التوراة بين الوثنية والتوحيد ، سهيل ديب ، دار النفائس، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ، ص٣١ ، حاشية رقم ١ .

ومما يقدسه اليهود ويعظمونه ويحجون إليه ويدعونه من دون ا لله ويلتمسون منه البركات ويطلبون منه الغفران والحاجات المشاهد ومن المشاهد :

١- في مسجد الخليل أو إبراهيم - وهو مايسمى خطأ الحرم الإبراهيمي - يظنون أن به قبر إبراهيم عليه السلام و قبر زوجته سارة وكذلك ابنه يعقوب وبعض أبنائه ويظنون أنهم مدفونون بقبو تحت المسجد وهذا في فلسطين .

٢- قبر الربدي عمرام - حاخام من حاخاماتهم- موجود في مدينة وزان بالمغرب وعند القبر وسائل للراحة والإقامة من مساكن وفنادق لأجل حجاج قبره.

٣- قبر العزير وهو موجود في العراق قرب الكوفه ويزوره اليهود من جميع انحاء العالم .

٤- قبر أبي حصيرة في دمنهور بمصر.

٥- قبر ومعبد ابن عزرا وهو مزار من مزارات اليهود في الفسطاط قرب مسجد عمرو بن العاص.

٦- قبر راحيل أم يوسف على الطريق بين القدس وبيت لحم في المنتصف عند الكيلو الثامن بينهما في فلسطين .

٧- ولليهود في لتوانيا وبولندا أضرحه ومزارات تنسب إليها ولايات وكرامات ويقصدها اليهود من مختلف العالم .

٨- عندهم تمائم يعملونها من الذهب والفضة والحديد وغير ذلك يقرأون فيها تعاويذ ويذكرون بعض أسماء معظميهم .

٩- طريقة صوفية باسم : بعل شم طوف الذي ظهر في لتوانيا وأسس طريقة صوفية ونسب لنفسه كرامات ومعجزات ثم توارثها أبناؤه من بعده ثم انتقلوا إلى اسرائيل .

١٠- وعندهم - آخر تقليعة كما يقولون - مكاتب في بلدان مختلفة ومتفرقة وخاصة في الدول الأوربية فمن أراد شيئاً أو حاجة أو مغفرة يكتب كل مايريده في ورقة ويقدمها إلى أحد هذه المكاتب ويدفع مبلغاً وقدره ، ثم ترسل الورق بالفاكس إلى المركز بالقدس ،وتؤخذ هذه الصورة التي

ارسلت بالفاكس توضع في شق من الشقوق فيما يسمونه حائط المبكى"(١) .

فهذا شرك ووثنية سببها تعظيم المشاهد والأثار وتعظيمُ ما أنزل ا لله به من سلطان .

ومما عظّمه اليهود من الآثار التلمود والحاخامات، وتعظيم الحاخامات عند اليهود تعظيم ورثه بعضهم عن بعض فالمعظم جنس الحاخام على تجدده وتعظيم اليهود للتلمود متلازم لتعظيمهم للحاخامات إذ أنه من وضع الحاخامات .

تعريف التلمود :

هو كتاب تعليم ديانة اليهود وآدابهم فهو بالنسبة للتوراة عندهم أشبه بالسنة النبوية بالنسبة للقرآن عند المسلمين – من حيث البيان وأشبه بالتفسير وشرح السنة من حيث أنه كلام العلماء حول الوحي المنزل ، والتلمود وضع في الأسر البابلي(٢) على يد الحاخامات .

والحاخامات، والكهنة هم الذين يضعون لليهود شرائعهم ويشرحون لهم التوارة والتعاليم الدينية ويعلقون عليها .

واليهودي العادي ليس أهلاً لذلك فمن هنا جاء تقديس بل وعصمة علماء الدين عند اليهود .

والتلمود هو مجمل القواعد والوصايا والشرئع والتقاليد الدينية والأدبية والشروح والتفاسير والروايات المختلفة المتعلقة بدين وتاريخ جنس بني إسرائيل . والتلمود على قسمين : المشنا والجمارا

---

(١) مصدر هذا هو اتصال هاتفي أجريته مع الدكتور حسن محمد توفيق ظاظا ، باحث كبير ومتخصص باللغة العربية والفكر اليهودي موجود بالرياض في مركز الملك فيصل، وجرى الاتصال يوم الأحد ، ١٤١٦/٢/٤هـ ، بعد الظهر .

(٣) الأسر البابلي حدث لليهود عندما غزاهم نبوخذ نصر سنة ٥٨٦ ق.م وقيل ٥٨٧ ق.م وقتل ملكها ودمر أورشليم ، وأسوارها وهيكلها واحرقها بالناس ونهب خزائنها وقتل ثلث سكنها وسبى ثلثاً ورحل به إلى بابل عاصمته وأبقى الزمنى والشيوخ . انظر : المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، تأليف د. محمد علي البار، دار القلم دمشق . الدار الشامية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م ، ص٩٩ .

فقد كان اليهود حتى كتابة التلمود يتناقلونه مشافهة، فلما كثر عليهم وكبر دونوه وسموه المشنا، ثم زيد عليه متون وحواشي وشروح كثيرة وسميت هذه الزيادات بالجمارا •

والتلمود تلمودان : تلمود بابلي وتلمود أورشليمي ، وهما مختلفان لغة ومحتوى حيث انقسم مُلك سليمان عليه السلام بعد وفاته إلى مملكتين فأصلا ودونا بعد زوال ملك بني إسرائيل بزمن طويل •

ويرجح بأن عملية تدوين التلمود قد بدأت مع بداية عملية تدوين التوراة في بابل في القرن السادس قبل الميلاد وظلت ممتدة بعد رجوع اليهود من الأسر البابلي سنة ٥٣٩ ق . م . في عدة مدن من فلسطين كالقدس وأريحا وطبرية •

وحجم التلمود البابلى أكبر من حجم التلمود الأورشليمي بأربعة أضعاف، والتلمود كما هو الآن بأصوله ومتونه وشروحه وتعليقاته يبلغ ستة وثلاثين مجلداً مطبوعة باللغة الانجليزية ، وهي تشبه فعلاً موسوعة تشمل كل حياة اليهود(١)

ومما يتضح به تعظيم اليهود للتلمود والحاخامات النقاط التالية :

"١- إعلم أن أقوال الحاخامات هي أفضل من أقوال الأنبياء •

٢- أن من يقرأ التوراة بدون المشنا والجمارة (التلمود) فليس له إله •

٣- أن تعاليم الحاخامات لايمكن نقضها ولاتغييرها ولو بأمر ا لله •

٤- أن مخافة الحاخامات هي مخافة ا لله " (٢) •

٥- أن ا لله يستشير الحاخاميين على الأرض عندما توجد مسألة عويصة لايمكن حلها في السماء •

---

(١) انظر : جذور الفكر الصهيوني، داود عبد العفو سنقرط، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان الاردن، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ص٨٨ ومابعدها •

(٢) الاسلام والاديان دراسة مقارنة ، د. مصطفى حلمي ، دار الدعوة ، الاسكندرية، مصر ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ، ١٩٩٠م، ص١٥٨ ، وانظر الكنز المرصود في قواعد التلمود ، ترجمة د. يوسف نصر ا لله ، دار القلم ، دمشق ، دار العلوم ، بيروت طبعة دار القلم الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م ص٥٠ ومابعدها •

٦- اليهود يعتقدون أن لكـل الحاخامات سـلطة إلهيـة وكـل ماقـالوه يعتـبر أنـه صادر من ا لله .

٧- يجب الإلتفات إلى أقوال الحاخامين أكثر من الإلتفات إلى شريعة موسى(١)

وتصور النقطة الثالثة السابقة أن مايريده الحاخامات هو الذي يكون وبلغوا في هذا الأمر من الجرأة على ا لله – تعالى ا لله عما يقولون علـواً كبـيراً – أن ذُكـر عنهم أنه " قد وقع يوماً الإختلاف بين الباري تعالى وبـين علمـاء اليهـود في مسـألة فبعد أن طال الجدال تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الرابيين واضطـر ا لله أن يعترف بغلطه بعد حكم الحاخام المذكور "(٢) .

" وقال الحاخام مناحم في أقـوال الحاخامـات المتناقضـة فيمـا بينهـا : " إنهـا كلام ا لله مهما وجد فيها من التناقض ! فمن لم يعتبرها أو قال إنهـا ليسـت أقـوال ا لله فقد أخطأ في حقه تعالى "

وذكر في كثير من كتب اليهود : " أن أقـوال الحاخامـات المناقضـة لبعضهـا منزلة من السماء ومن يحتقرها فمثواه جهنم وبئس المصير " .

والحاخامات الذين ألفّوا التلمود يأمرون بالطاعـة العميـاء لهـم ويدعـون أن ماجاء في التلمود من التنـاقض بين أقوال الحاخـام "هـلال" والحاخـام " شمـاي " صادر كله من ا لله ،ولو أن هذين الحاخامين لم يتفقا على لفظة مهمة أو غير مهمة ، وقد حصلت مشاحنة يوماً ما بين حاخامين : أحدهما يدعي الرابي " شايا " والثاني " بار كبارة " وحلف كل منهما أن أحد الخامات قال كيت وكيت مما ادعـوه ، ولم يفصـل في الخـلاف الواقـع بينهمـا ، فجـاء الحاخـام " روسـكي " وقـال : " إن الحاخـامين المذكوريـن قـالا الحـق لأن ا لله جعـل الحاخامـات معصومـين مـن الخطأ"...."(٣) .

---

(١) انظر عن : ٥ و٦و٧ : جذور الفكر اليهودي ، ص٩٥ .
(٢) الكنز المرصود في قواعد التلمود ،ص ٥٣ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٥٢ – ٥٣ .

فهذه العصمة للحاخات على أمور متناقضات في جهة وزمـان غـير منفكـين والأدهى والأطم أن " حمار الحاخام لايمكن أن يأكل شيئاً محرماً " (١) وهذا يتمشـى مع المثل القائل كلب الوزير وزيـر الكـلاب ، فكمـا أنـك لـن تجـد مخرجاً لعصمـة الحاخامات فإنك لن تجد مخرجاً لعصمة حمار الحاخام ،

وتعظيم اليهود للتلمود إنما هو تعظيم للآثـار أدى بهـم إلى الاستكبار علـى الله والغلو في حاخامتهم، وتعظيمهم إنما هو تعظيم للآثار مـن حيـث النـوع فنـوع الحاخامات يتوارث اليهود تعظيمهم ،

بقى أن يعلـم أن مـايذكر عـن الحاخامـات مـن الأمـور الخارقـة كـالقول أن الحاخام الفلاني يخلق عجلاً له ثلاث سنين إنما هو ممارسة للسحر حيث أن كثيراً من اليهود مولعون به واشتهروا به وارتبط بهم والتلمود يذكـر ذلـك : " كـان الرابي (يناي) يحول الماء إلى عقارب وقد سحر يوماً ما امرأة وجعلها حمارة وركبها ووصل عليها إلى السوق ... إن أحد مؤسسي ديانة التلمود كان في إمكانه أن يخلـق رجـلاً بعد أن يقتل آخر وكان يخلق كل ليلة عجلا عمره ثلاث سنوات بمسـاعدة حاخـام آخر ، وكانا يأكلان منه معاً وكان أحد الحاخامات ايضاً يحيل القـرع والشـمام إلى غزلان ومعيز ، وقـال معلـم السـحر (إليفـاس ليفـي) اليهـودي : (إن التلمـود أول كتاب سحري) "(١) " والتلمود يمتلئ بطقوس السـحر والشـعوذة والعرافـة"(٢) وهذا الخلق المزعوم والإحالات شرك في توحيد الربوبية ومن ثم في الألوهية ،

بقى أن اذكر ماورد من تعظيم الآثار والمشاهد عند اليهـود في القـرآن قـال تعالى : " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ... " (٣)

---

(١) الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٥٣ ،
(٢) الكنز المرصود في قواعد التلمود ، ص٦٢-٦٣ ،
(٣) التلمود تاريخه وتعاليمه ، ظفر الاسلام خان ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٥ ، ص٧٢ ،
(٤) سورة التوبة : أية ٣١ ،

فالأحبار علماء اليهود والرهبان عباد النصارى ومعنى الآية أنهم لما أطاعوهم فيما يأمرونهم به وينهونهم عنه كانوا بمنزلة المتخذين لهم أرباباً لأنهم أطاعوهم كما تطاع الأرباب(١) .

ومن السنة : عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد "(٢) .

وفي الصحيحين أن عائشة وعبدالله بن عباس – رضي الله عنهم – قالا : لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال –وهو كذلك– "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " يحذر ماصنعوا(٣)

وهذه الأحاديث فيها دلالة على أن اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مشاهد وهي على هذه الحال أدت بهم إلى الشرك بالله .

ويتصف اليهود بالذات بأوصاف شتى فهم " الأمة الغضبية وهي " اليهود " أهل الكذب والبهت والغدر والمكر والحيل قتلة الأنبياء وأكلة السحت – وهو الرشا والربا – أخبث الأمم طوية وأرداهم سجية، وأبعدهم من الرحمة ، وأقربهم من النقمة، عادتهم البغضاء، وديدنهم العداوة والشحناء بيت السحر والكذب والحيل، لايرون لمن خالفهم في كفرهم وتكذيبهم من الأنبياء حرمة ولايرقبون في مؤمن إلاً ولاذمة، ولا لمن وافقهم عندهم حق ولاشفقة ولا لمن شاركم عندهم عدل ولانصفة ، ولا لمن خالطهم طمأنينة ولا أمنة ، ولا لمن استعملهم عندهم نصيحة ، بل أخبثهم أعقلهم وأحذقهم أغشهم وسليم الناصية – وحاشاه أن يوجد بينهم – ليس بيهودي على الحقيقة ، أضيق الخلق صدوراً وأظلمهم بيوتاً ، وأنتنهم

---

(١) فتح القدير ، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، شركة مكتبة ، ومطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٣هـ – ١٩٦٤م ، ٣٥٣/٢ .

(٢) رواه البخاري: ٦٣٤/١ ومسلم : ١٥/٥.

(٣) رواه البخاري : ٦٣٣/١ – ٦٣٤ ، ومسلم بنحوه ١٦/٥

أفنية وأوحشهم سجية ، تحيتهم لعنة ولقاؤهم طيرة شعارهم الغضب ، ودثارهم المقت"(١)

" و اليهود لاينشئون الأحداث كما يزعمون لأنفسهم وكما يتوهم من تبهرهم سيطرة اليهود في الوقت الحاضر ولكنهم يجيدون انتهاز الفرص واستغلالها لتنفيذ مخططاتهم الشريرة ، اليهود طبعوا على الإنحراف فلا تستجيب جبلتهم المنحرفة لدواعي الخير ولاتستقيم على الهدى، جحدوا فضل ا لله عليهم وجحدوا أنبيائهم وحجدوا كل فضل قدمه إليهم أحد من البشر وقابلوا كل ذلك بإنكار الجميل والطمع والجشع وقساوة القلب .

اليهود انطووا على أنفسهم ، بعد أن كرهتهم الأمم لخصالهم السابقة فامتلأت نفوسهم بالحقد الدفين على الأمم كلها ، يريدون أن يقضوا على كل شعوب الأرض ليبقوا هم وحدهم أويريدون أن يسخروا الشعوب لمصالحهم وتحقيق أغراضهم الرخيصة .

اليهود يعتقدون أنهم شعب ا لله المختار المؤهل للسيادةوالزعامة والنبوة ومن ثم ينبغي أن تكون الأمم الأخرى خدماً وعبيداً لهم .

كان اليهود قبل بعثة النبي صلى ا لله عليه وسلم يتنبأون بوجود نبي جديد من اليهود، فإذا قاتلهم المشركون توعدوهم بأنه سيبعث نبي نقاتلكم معه قتل عاد وإرم فلما ظهر النبي الجديد – صلى ا لله عليه وسلم – وكان من غير نسل داود ضاقت صدورهم وتحرك الحقد في قلوبهم وفاضت نفوسهم بالعداوة الشديدة للنبي صلى ا لله عليه وسلم خاصة وللأمة الإسلامية عامة قال تعالى فيهم: ﴿ولما جاءهم كتاب من عند ا لله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة ا لله على الكافرين﴾(٢)

---

(١) هداية الحياري في أجوبه اليهود والنصارى ص ٣٠ – ٣١ .

(٢) سورة البقره آيه ٨٩ وانظر معني الآيه في : تفسير القرآن العظيم ١/ ١٣٤ .

وقد ظل اليهود يحملون هذه العداوة الدينية ويتوارثونها جيلاً بعد جيل ، كما ظلوا يحملون نفسية العلو والاستكبار وأن لهم رسالة خاصة من قبل ا لله تعالى في الارض ، حتى جاء على لسان احد اقطاب اليهودية العالمية وهو "زيف غر ينبرج": (إن علو اليهود على ماعداهم من الأمم يكمن في رسالتهم ألا وهي المراقبة التاريخية على العالم ، ذلك أن الشعب اليهودي هو الشعب الذي اختاره خالق الكون .. شعب له رسالة خاصة ، إليه يرجع حق تعيين الخبيث من الطيب ، إليه يرجع حق تعيين السبيل الذي يجب أن تتبعه الإنسانية وهذا القانون هو القانون الأزلي الذي جاءت به التوارة وليست هذه فلسفة أو فكرة دينية بل إنها حقيقة أزلية) "(١) فلا يزال الخبث والكبر يجري في عروقهم والعنصرية العمياء تفسد قلوبهم •

---

(١) مخاطر الوجود اليهودي على الأمة الاسلامية ، د/ محمد عثمان شبير، دار النفائس، عمان، الاردن، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢، ص١٤، ١٦-١٧ .

المبحث الثاني

تعظيم الآثار والمشاهد عند النصارى

الفئة الثانية : النصارى

النصارى الآن هم الذين يزعمون أنهم أتباع عيسى بن مريم عليهماالسلام ويسمون أنفسهم بالمسيحين نسبة إلى المسيح بن مريم عليه السلام ٠

وعيسى عليه السلام كغيره من الرسل قبله لم يبعث إلا لقومه خاصة، وقومه هم بنو إسرائيل ، ولكن بني اسرائيل انقسموا إزاء دعوته إلىثلاث طوائف :

الطائفة الأولى : كفرت به وكذبته وعادته ٠

الطائفة الثانية : آمنت به واهتدت بهديه ٠

الطائفة الثالثة : غلت فيه وهي فرق :

فريق جعله إلهاً من دون ا لله ٠

فريق جعله وأمه إلهين من دون ا لله ٠

فريق جعله شريكا لله وهم نوعان ٠

نوع جعله شريكا آخر من ا لله ٠

نوع جعله شريكا ثالثاً مع ا لله وهؤلاء قسمان :

قسم يجعل الثلاثة : ا لله وعيسى ومريم ٠

قسم يجعل الثلاثة : ا لله وعيسى وروح القدس(١)

هذا الغلو في عيسى عليه السلام وجد بعضه في عهده عليه السلام كرد فعل لمن عاداه وسبه من اليهود ٠

والذين كفروا بعيسى عليه السلام وعادوه وشوا به عند الحاكم الروماني كي يقتله وجرى ماجرى من الشر والفتنة حتى شبه لهم وصلبوا يهوذا الإسخريوطي ظنا أنه المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ٠

---

(١) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني ، تحقيق د. على بن حسن بن ناصر ، د.عبد العزيز ابراهيم العسكر ، حمدان بن محمد الحمدان ، دار العاصمة ، الرياض ، النشرة الأولى ١٤١٤هـ ، ١٣/٢ ٠

قال تعالى : ﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسـول ا لله ومـاقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علـم إلا اتباع الظن وماقتلوه يقيناً. بل رفعه ا لله إليه﴾(١)

وتعرض اتباع عيسى بن مريم عليه السلام إلى أنواع من الإضطهـاد المتـالي سواء من الحكام الرومانيين أو ممن عاداه وكذبه من بني إسرائيل وهذا هو الأكثر .

وكان وقت مبعث عيسى عليه السلام إبّان سلطة الأمبراطورية الرومانيـة على كثير من بقاع العالم الأوربي والشمال الإفريقي والشام عمومـاً وشمـال غـرب آسيا(٢) .

وكانت شعوب الدولة الرومانية أكثرها وثنيـة وإن كـانت وثنيـات مختلفـة، وكان اليهود لهم جاليات متفرقـة في بلـدان الدولـة الرومانيـة الوثنيـة مثـل : رومـا والاسكندرية وانطاكية وأثينا وهذه المدن كانت مراكز للفلاسفة أيضاً .

وبنو اسرائيل على تفرقهم واختلافهم في عيسى عليـه السـلام وغـيره محسـوبون عند الدولة الرومانية يهـود على السـواء بمعنى أن الدولـة الرومانيـة كـانت تنظـر للعداء بين أتباع عيسى عليه السلام وبين مكذبيه على أنه مشكلة يهودية داخلية .

وانتشر أتباع عيسى عليه السلام في الدولة الرومانية بـين ظهرانـي جاليـات اليهود المتفرقة في بلدان الدولة يدعونهم إلى دين المسيح عليه السلام.

وكان هناك تقارب كبير في الديانة بين أتباع عيسى وأتبـاع موسـى عليهمـا السلام فلما استقل أتباع عيسى بكنيسة مستقلة وانفصلوا عن معـابد اليهـود كـان ذلك عاملا من عوامل اتساع هوة الخلاف والإفتراق .

فقد بدأت الكنيسة المستقلة تمارس طقوسها مخالفة لليهود بل خالفت شعائر عيسـى عليه السلام.

---

(١) سورة النساء الآيتان ١٥٧ – ١٥٨ .

(٢) النصرانية من التوحيد إلى التثليث، د. محمد أحمد الحاج، دار القلم، دمشق، سـوريا، الدار الشامية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، ص٤٨ .

ثم اشتد انحراف اتباع عيسى بدخول بولس(*) اليهودي في ديانة النصارى

ومن العلوم أن اصل شريعة عيسى عليه السلام قريبة جداً من شريعة موسى عليه السلام شرعه ومنهاجا، أو ليس بينهما من فروق إلا ماجاء في شريعة عيسى عليه السلام من تحليل بعض الذي حرم على اليهود في شريعة موسى .

وكان أئمة شريعة عيسى عليه السلام . الأولين من أشراف بني إسرائيل من آل عمران وغيرهم(١) .

أثر اليهود في إدخال الوثانية وإفساد شريعة عيسى عليه السلام :

كان من المواقف الصعبة التي عاشها النصارى الأُول هي عدواة الذين لم يؤمنوا بعيسى عليه السلام من اليهود فقد ضيقوا على النصارى واضطروهم إلى الهرب من بيت المقدس إلى المناطق المجاورة بإستثناء الحواريين .

وكان اليهود يستعينون بالحكام الرومانيين والعوام الوثنيين ما أمكنهم ذلك وحاولوا أن يفتنوا النصارى عن إيمانهم ودينهم بالعنف والقوة من جهة ، وحاولوا إفساد دينهم من جهة أخرى من داخله بنشر البدع والفرق فيهم وخاصة الفرق الباطنية القائلة بألوهية عيسى عليه السلام(٢) ، ثم تلا ذلك ظهور بولس .

ويعتبر بولس هو المؤسس الحقيقي للديانة النصرانية المنحرفة ،وقد طور فكرة المسيح من الناحية اللاهوتية ومن الناحية الإنسانية (الناسوتية) ، وجعلها تتناسب مع فكرة الإنقاذ والمخلص القديمة الموجودة عند كثير من الوثنيات فقدم

(*) بولس : ولد في طرطوس بأسيا الصغرى اسمه الأصلي شاءول روماني الجنسية، نشأ نشأة يهودية متحمساً لأبيه ووطنه كان يضطهد النصارى ثم انخرط في النصرانية وافسدها من داخلها بما ادخل فيها من الوثنية الرومانية وغيرها من الوثنيات . انظر : النصرانية من التوحيد إلى التثليث ص ١٤٢ - ١٥١ .

(١) انظر (مذكره عمر فاروق) دراسات اسلامية ، الملل والنحل : الاديان : اعداد عمر فاروق عبدا لله وعمر فارق عبدا لله كان نصرانياً ثم اسلم وهو استاذ بجامعة الملك عبد العزيز بجدة (مذكرة مكتوبة بخط اليد) بتصرف ص٨٢ . وانظر : المسيحيه، شارل جنيبر، المكتبة العصرية، صيداً، بيروت، لبنان ص١١٢ - ١٤٠ . وانظر النصرانيه من التوحيد إلى التثليث ص ٤٥ - ٤٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص٨٢ .

آداباً مستحدثة من طابع قديم مألوف وبهذا فصل دعوة عيسى عن أصولها في شريعة موسى عليه السلام .

وراسل بولس الجاليات المتفرقة في الدولة الرومانية من بني إسرائيل ودعا غيرها من الوثنيين ، ونشط في ذلك ليدخل في ديانة النصارى طقوس الوثنية بدليل تنازله عن بعض الواجبات في الديانة النصرانية كاسقاط الختان وتسامحه عن بعض معتقدات الوثنيين وتساهله في إباحة لحم الخنزير فيدخل أكبر عدد ممكن من الوثنيين على ما معهم من وثنيات ويفسد بذلك دين عيسى بن مريم عليه السلام وأندمجت بذلك الوثنية الرومانية بشريعة عيسى عليه السلام وغلبت الوثنية وكثر أتباع بولس ونشطوا في ذلك .

ومن الصور التي حقق بها هذا الاندماج ما يأتي :

١- أن جعل عطلة الأسبوع يوم الأحد متبعاً في ذلك تقاليد Mithta ميثرا وأهمل يوم السبت وهو اليوم المقدس عند اليهود .

٢- واقتبس بولس من الوثنيات كذلك أعياد رأس السنة وعيد القيامة وعيد الغطاس وأطلق عليها مسميات جديدة فعيد الربيع عن ostara أصبح عيداً لخروج عيسى من القبر حسب زعهم .

وطقوس السر المقدس أخذت مكان معبد التضحية عند اليهود ، وعيسى أصبح عندهم ابن الله حملت به أمه العذراء حملاً غير طبيعي ، واحتلت صورة العذراء والمسيح مكاناً مقدساً أحتلته قديماً صورتا حوروس وأزويروس وضعتا في كل الكنائس(١) .

وقال بألوهية المسيح وألوهية الروح القدس وأدخل قصة الفداء للتكفير عن خطيئة البشر من الوثنيات القديمة ، وألغى الختان وأباح أكل لحم الخنزير(٢)

---

(١) المسيحية ضمن سلسلة : مقارنة الأديان ، د. أحمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة الطبعة الثامنة ١٩٨٤م بتصرف ص٩٤-٩٥ .

(٢) المسيحية لأحمد شلبي ، بتصرف ص١٢٩ .

وكان بولس ينصح حديثي الإيمان أن يحتفظوا بما كانوا عليه من أحوال قبل إيمانهم بالمسيح(١) .

وحرص بولس على كثرة الأتباع وصار يقبل جميع من يدخل في النصرانية من أبناء جميع الديانات الوثنية علماً أن أغلب هؤلاء الوثنيين يلغون كثيراً من وثنياتهم في الواقع لكنهم يلغونها بالاسم فيكون اسمها النصرانية وهي في الواقع الوثنية السابقة التي عليها ذلك الوافد(٢) ، فالنصرانية لم تستطع مدافعة الوثنيات فإنها إن كانت انتصرت عليها فذلك لأنها قد تحولت هي إلى تأليف ديني تجتمع فيه سائر العقائد والشعائر النابعة من العاطفة الدينية الوثنية المختلفة وقامت الديانة النصرانية بترتيبها وتركيبها وأضفت عليها الإنسجام الذي تفتقر إليه بحيث استطاعت أن تقف بمفردها أمام أشتات من المعتقدات والشعائر التي يؤمن بها أعداؤها دون أن تظهر ضعفاً أو نقصاً عنها(٣) .

وكثر أتباع بولس ونشّطوا دعوته حتى " أنه كان يأتي البترك العظيم منهم إلى كنيسة معينة لصنم من الأصنام يعبده المشركون فيحتال حتى يجعلهم يعبدون مكان الصنم مخلوقاً أعظم منه كملك من الملائكة أو نبي من الأنبياء كما كان بالأسكندرية للمشركين كنيسة فيها صنم أسمه ميكائيل فجعلها النصارى كنيسة باسم ميكائيل الملك وصاروا يعبدون الملك بعد أن كانوا يعبدون الصنم ويذبحون له .

وهذا نقل لهم من الشرك بمخلوق إلى الشرك بمخلوق أعلى منه ، أولئك كانوا يبنون الهياكل ويجعلون فيها الأصنام بأسماء الكواكب كالشمس والزهرة

(١) المسيحية لأحمد شلبي ، بتصرف ص١٣٠ .
(٢) انظر : المسحية نشأتها وتطورها ، شارل جنيبر ، ص١٠٤ .
(٣) انظر المصدر السابق ، ص١٢١ .

وغير ذلك فنقلهم المبتدعون من النصارى إلى عبادة بعض الملائكة أو بعض الأنبياء"(١)

وكان بعد ذلك " مما ساعد على تغلغل الوثنيات في الديانة النصرانية اضطهاد الرومان لليهود – والرومان كانوا يعدون النصارى من فرق اليهود – ثم ثار اليهود على الرومان حوالي عام ١٣٢م من جراء كثرة مالقوه من الإضطهاد ، فما كان من الرومان إلا أن دمروا بيت المقدس والهيكل وطردوا اليهود من بيت المقدس ومنعوهم من الإقتراب منه وأحرقوا كتبهم ، وكثر الاضطهاد على اليهود على فترات متقطعة ، وإحراق الكتب كان من أسباب انفصال النصرانية عن أصولها اليهودية وهو أمر في غاية الخطورة حيث فقدت النصرانية أصولها التوحيدية(٢) ، ومن جراء تدمير بيت المقدس خرج النصارى المقيمون بالقدس وأقاموا في بلاد الوثنية الضالعة مع روما ورحب النصارى بتدمير الهيكل . (٣)

وكانت الجاليات اليهودية المتفرقة في الأمبراطورية الرومانية قد وصلتها الدعوة إلى النصرانية فلما سقطت القدس فقدت النصرانية قبلتها وساعد ذلك كله على ظهور المراكز الاخرى كالإسكندرية وانطاكية ، وروما ، وكانت الإسكندرية بالذات مركز المذاهب النصرانية الهلينية المائلة إلى الإنفصال عن اليهودية وبضياع اللغة والكتب الأصلية ضاعت كثير من معالم رسالة عيسى عليه السلام وفقدت مقوماتها عند النصارى وخاصة بعد استقلال المراكز(٤) .

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ص٤/٣٨٢ .

(٢) مذكرة عمر فاروق ، ص٨٢ .

(٣) النصرانية من التوحيد إلى التثليث ص ٤٧

(٤) انظر مذكرة عمر فاروق عبد الله ، ص٨٣

دور الدولة الرومانية في انحراف النصرانية إلى الوثنية :

بعد تدمير الرومان للقدس والهيكل نهضت كنائس مشربة بالوثنية بالزعامة النصرانية فكان الجدل والنقاش شديداً بين الموحدين من النصارى وبين من يرى التثليث ويقول بالمعتقدات الوثنية الأخرى سواء اليونانية منها أو الإغريقية أو الفرعونية أو الفينيقية وطال النقاش وأخذ فترة من الزمن حتى " جمع قسطنطين امبراطور الروم البطاركة والأساقفة فيما يسمى بمجمع فينيقية سنه ٣٢٥م ، ليضع حداً لهذه الإختلافات وليقرر حقيقة المسيح وكان عدد المجتمعين ٢٠٤٨ وكان رأي قسطنطين أن كل العقبات التي وضعت في وجه الدعوة لم توقف إنطلاقتها فضلاً عن استئصالها فخير للدولة ، والحال هذه أن تترك لها سبيل الظهور لتتنافس مع الأفكار المختلفة فإذا أثبتت صلاحها أخذت سبيلها للإنتشار العلني وإذا كانت الوثنية الرومانية المفلسة هي الأفضل لم تخسر الدولة شيئاً .

ومن هنا أطلق قسطنطين للنصارى حرية التحرك تحت سلطانه فكان عهد الإنفراج الأول في تاريخ النصرانية وتنفست فيه الصعداء ولكن الذي حدث هو أن أناجيل كثيرة قد برزت وكل واحد يدعي أنه الحق وبينها من التناقض مايستحيل معه التوفيق لذلك دعت السلطة الرومانية كبار البطاركة والاساقفه إلى مؤتمر يصفّون فيه خلافاتهم حتى كان مجمع نيقية الآنف الذكر ،وفي هذا الإجتماع دوت الأصوات وتفجرت النظريات المختلفة بل المتباينة في شأن المسيح حتى استقر الأمر على فريقين أحدهما يقول بإنسانية المسيح ، وأنه رسول الله وعلى رأسه آريوس، وقد انضم إليه مايقارب ثلثي المؤتمرين ، يقابله فريق الأقلية القائلين بألوهيته وعلى رأسهم بطريرك الإسكندرية ،وكان طبيعياً أن يتجه قسطنطين إلى تأييد الفريق الأقرب إلى وثنيته إذ كان شديد التشبث بها (١)

(١) انظر الملل والنحل ٢٢٣/١ محمد بن عبدالكريم بن أحمد الشهرستاني (٤٧٩-٥٤٨هـ) تحقيق محمد سيد كيلاني ، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي بمصر ١٣٩٦هـ -١٩٧٦م ، وكتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية لمحمدطاهر التنير ومحمد المجذوب ،دار الشواف،الرياض ، ١٩٩٢م ص ١٧٠

ثم لم تتلبث أن دفعت الأمبراطورية بكل طاقاتها لنصرة هذه الأقلية فاصدرت المراسيم وشهرت سيف العقوبات على كل مخالف لبطرك الأسكندرية حتى تفجرت المجازر الطائفية وغرقت شوارع الأسكندرية بدماء المخالفين(١)

بعد ذلك تعددت المجامع واضطهدت الكنسية أهل التوحيد من النصارى وفشت الوثنية وعظّمت الآثار والمشاهد ،وكان ذلك من أسباب الشرك با لله عند النصارى فكثير من الكنائس تبنى على قبور ويتجهُ إلى هذه القبور بطلب المغفرة وقضاء الحاجات و " كنيسة القديس بطرس – أكبر كنيسة من نوعها في العالم المسيحي – تقوم على مساحة مكرسة للعبادة المسيحية منذ أكثر من سبعة عشر قرناً ؛ إنها قائمة على قبر القديس نفسه – صياد السمك– حواري المسيح وتحت أرضيتها يقع تيه من المقابر الأثرية والخرائب الرومانية القديمة " (٢) .

فبعد أن كانت النصرانية موحدة تؤمن با لله الواحد مالبثت أن نشأت فيها أفكار غريبة نادت بالتثليث والأقانيم والتجسد ، وتقديس الصليب والعشاء الرباني والمشاهد وغيرها .

فالتثليث أو تأليه المسيح سواء بكونه ثالث ثلاثة مع ا لله وروح القدس أو بتأليهه مع ا لله أو مع أمه من دون ا لله غلوّ في المسيح عليه السلام وتعظيم، ففكرة التثليث والأقانيم يعرفها الفكر الوثني منذ غابر العصور، والعلماء والمؤرخون النصارى "كلهم يعلن أن هذا التثليث الذي تقوم عليه نصرانية بولس وبطريرك الاسكندرية إنما هو القدر المشترك بين معظم الوثنيات الضاربة في القدم...

كان لدى أكثر الأمم البائدة تعاليم دينية تقول باللاهوت الثلاثي ... إذا أرجعنا البصر نحو الهند نرى أشهر عباداتهم التثليت ويعبرون عنه بالأقانيم الثلاثة

(١) العقائد الوثنية في الديانةالنصرانية : محمد طاهر ومحمد الجذوب ، ص١٧٠–١٧١

(٢) مجلة المختار ،عدد مايو ، سنة ١٩٥٨م ، مقال : الفاتيكان :المدينة القديمة المقدسة ، بقلم :دونالد كارلوس بيتي ، ص٤٠.

(برهما ، فشنو وسيفا) ويؤمنون بأن هذه الثلاثة إنما تشكل ثلاث هيئات لشيء واحد تماماً كما يقول النصارى (أب وابن وروح قدس إله واحد ..)(١)

وهذه نقولات التثليث عند أمم مختلفة :

"لقد وجدنا بأنقاض هيكل قديم دكته مرور القرون صنماً له ثلاثة رؤوس على جسد واحد والمقصود منه التعبير عن الثالوث ،

والبوذيون الذين هم أكثر سكان الصين واليابان يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم يسمونه فو ومتى ودوا ويصورونه في هياكلهم بشكل الأصنام التي وجدت في الهند.

ويوجد في أحد المعابد المختصة ببوتالا في منشوريا تمثال فو مثلث الأقانيم.

وأنصار لادوكو متذا وهو الفيلسوف الصيني المشهور وكان قبل المسيح عليه السلام بأربع سنين وستمائة يدعون شيعة تاوو ويعبدون إلهاً مثلث الأقانيم .

والمصريون القدماء كانوا يعبدون إلهاً مثلث الاقانيم مصوراً في أقدم هياكلهم ويظن أهل العلم أن الرمز إلذي يصورونه وهو جناح طير ووكر وأفعى إن هو إلا الإشارة عن ذلك الثالوث واختلاف صفاته .

وكان قسيسو هيكل ممفيس بمصر يعبرون عن الثالوث المقدس للمبتدئين بتعلم الدين بقولهم أن الأول خلق الثاني والثاني مع الأول خلقا الثالث وبذلك تم الثالوث المقدس .

وكان اليونانيون القدماء الوثنيون يقولون أن الإله مثلث الأقانيم وإذا شرع قسيسوهم بتقديم الذبائح يرشون المذبح بالماء المقدس ثلاث مرات إشارة إلى الثالوث ويرشون المجتمعين حول المذبح بالماء ثلاث مرات ويأخذون البخور من المبخرة بثلاث أصابع ويعتقدون بأن الحكماء قد صرحوا أن كل الأشياء المقدسة يجب أن تكون مثلثة ولهم اعتناء قام بهذا العدد أي التثليث في كافة أحوالهم الدينية .

وكان الرومانيون الوثنيون القدماء يعتقدون بالتثليث وهو ا لله أولاً ثم الكلمة ثم الروح ،وكان الفرس يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم مثل الهنود تماماً وهم

---

(١) انظر العقائد الوثنية في الديانة النصرانية محمد طاهر التنير ومحمد المجذوب ، نقلاً عن بعض من كتب عن النصارى ، ص١٧٢ .

"اورفرد ومثرات واهرمان " ٠

وكان الاشوريون والفينيقيون يعبدون آلهه مثلثة الأقانيم وكان للفلنديين إله اسمه "تر يكلاف" وقد وجد تمثال له في هرتو بخوبرج له ثلاثة رؤوس على جسد واحد.

وكان السكندنافيون يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم يدعونها " أودين وتورا وفري " ويقولون عن هذه الثلاثة أقانيم إنها إله واحد وقد وجد صنم يمثل هذا الثالوث المقدس بمدينة أو بسالة من أسوج ...

والتتر الوثنيون عبدوا إلهاً مثلث الأقانيم وعلى أحد نقودهم الموجودة صورة هذا الإله المثلث الأقانيم ٠

والمكسيكيون يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم يدعونه " تزكتليبوكا " ولما أرسل النصارى داعياً للنصرانية بين الهندوس المكسكيين أخبر بأنه لا داعي لدعوتهم إذ أنهم يؤمنون بإله كائن في السماء وأنه مثلث الأقانيم وهو الإله الاب والإله الابن والإله روح القدس ويعبدون صنماً اسمه تنكاتنكا يقولون عنه أنه واحد ذو ثلاث أقانيم وأنه ثلاثة أقانيم إله واحد ٠

والهندوس الكنديون يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم ويصورونه بشكل صنم له ثلاثة رؤوس على جسد واحد ٠

وهكذا نرى التشابه بين أديان الوثنيين(١) ، ويتضح بذلك وثنية تثليث النصاري وأساسها الوثني ولاتزال تماثيل المسيح عليه السلام وأمه وصورة حمامة وسط دائرة من نور رمز روح القدس منتشرة في الكنائس وهذا إهتمام منهم بالآثار وتعظيم لها أدى بهم إلى عبادتها (٢) ٠

وقدقال الله تعالى عنهم : ﴿وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل﴾(٣) .

---

(١) انظر العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير تعليق محمد ابراهيم الشيباني، مكتبة ابن تيمية الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م ،ص٣٨-٤٥وانظر أيضاً النصرانية من التوحيد إلى التثليث ، ص١١١ . وانظر المسيح عليه السلام بين الحقائق والاوهام ، د/محمد وصيفي ، دار الفضيلة ،ص١٣٥- ١٤١٥ وانظر المسيحية، احمد شلبي ص١٣٥ ٠

(٢) انظر النصرانية من التوحيد إلى التثليث ، ص١٤٧ - ١٤٨ ٠

(٣) سورة التوبة ، آية ٣٠.

وكان أول ما كان من تقديس أمر الصور والتماثيل للتذكر والتعظيم حينما انعقد " المجمع السابع بأمر الملكة ايريني بمدينة نيقية ويسمى المجمع النيقاوي الثاني سنة ٧٨٧ وكان أعضاؤه ٣٧٧ أسقفاً وأصدروا القرار بتقديس صور المسيح والقديسيين لا لعبادتها وجاء هذا القرار : (إنانحكم بأن توضع الصور ليس في الكنائس والأبنية المقدسة والملابس الكهنوتية فقط ، بل في البيوت وعلى الجدران في الطرقات لأننا إن اطلقنا مشاهدة يسوع المسيح ووالدته القديسة والرسل وسائر القديسيين في صورهم شعرنا بالميل الشديد إلى التفكير فيهم والتكريم لهم فيجب أن تؤدى التحية والإكرام لهذه الصور لا العبادة"(١) .

" وهكذا دخلت هذه العبادة في الكنيسة غير أن الشرقيين لم يقبلوا غير الصور وتمسك الغربيون بالتماثيل والصور جميعاً ومازالت هذه حالهم إلى اليوم"(٢)

إن حركة الإصلاح الكنسي التي حدثت في أول القرن السادس عشر الميلادي كان من أهم مبادئ الاصلاح فيها هو " عدم اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس وعدم السجود لها فذلك للوثنية أقرب "(٣) .

لكن الرهبان أستخدموا الحيل لجرّ العوام إلى تقديسهم فالعوام ينظرون إلى من ظهرت على يديه خوارق على أنه ولي وبلغة النصارى هو قديس عظيم(٤) ، فمن ذلك " الحيلة المحكية عنهم في ارتفاع النخلة وهو أن بعضهم مرّ بدير راهب وأسفل منه نخلة فأراه النخلة صعدت شيئاً فشيئاً حتى حاذت الدير فأخذ من رطبها ثم نزلت حتى عادت كما كانت فكشف الرجل الحيلة فوجد النخلة في سفينة في مكان منخفض إذا أرسل عليه الماء امتلأت حتى تصعد السفينة وإذا صرف الماء

---

(١) محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي القاهرة ، بمصر ، ص١٤٤-١٤٥ .

(٢) المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، ص١٢٣ .

(٣) المسيحية أحمد شلبي ، ص٢٦٠ ، وانظر محاضرات في النصرانية ، ص١٨٧ .

(٤) انظر الجواب الصحيح لمن يدل دين المسيح ٢/٣٣٨ .

إلى موضع آخر هبطت السفينة .

ومثل الحيلة المحكية عنهم في التكحل بدموع السيدة يضعون كحلاً في ماء متحرك حركة لطيفة فيسيل حتى ينزل من تلك الصورة فيخرج من عينها فيظن أنه دموع ،ومثل الحيلة التي صنعوها بالصورة التي يسمونها القونه بصيدنايا وهي أعظم مزاراتهم بعد القمامة(١) وبيت لحم حيث ولد المسيح وحيث قبر – على زعمهم – فإن هذه صورة السيدة مريم وأصلها خشبة نخلة سقيت بالأدهان حتى تنعمت وصار الدهن يخرج منها دهناً مصنوعاً يظن أنه من بركة الصورة "(٢)

وهكذا ادى تعظيم الصور والتماثيل إلى استحباب وضعها في أماكن العبادة وفي الطرقات والبيوت(٣) ، وإن لم يكن بقصد العبادة لكنه مع مرور الوقت أدى إلى عبادتها وتقديسها ودعائها من دون الله .

تقديس الصليب:

" إن فكر الصلب للتكفير ليست من النصارى في شيء ويبدو أنها وردت للنصرانية من عقائد أخرى وبخاصة عقيدة الهنود إذ أننا نجد هذه الفكرة من عقائد الهنود قبل أن يأتي المسيح بمئات السنين . فهم يعتقدون أن كرشنا المولود البكر الذي هو نفس الإله (فشنو) الذي لا ابتداء له ولا انتهاء تحرك حنواً كي يخلص الأرض من ثقل حملها فأتاها وقدم نفسه ذبيحة عن الإنسان ، ويصورونه مصلوبا مثقوب اليدين والرجلين ويصفون كرشنا لذلك بالبطل الوديع المملوء لاهوتاً ، لأنه قدم نفسه ذبيحة من أجل البشر .

وفي بلاد النيبال والتبت يعتقدون أن إلههم (أندرا) سفك دمه بالصلب وثقب بالمسامير لكي يخلص البشرية من ذنوبهم وأن صور الصلب موجودة في كتبهم(٤) .

---

(١) أي كنيسة القيامة .

(٢) الجواب الصحيح لمن يدل دين المسيح ، ٢/٣٣٩-٣٤٠ .

(٣) انظر المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحات ، حاشية رقم ٤ من صفحة ٣٩٩ .

(٤) انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، محمد التنير، ومحمد المجذوب ، ص ٣٣ .

يقول ابن قيم الجوزية – رحمه الله تعالى – تحت عنوان : أول من ابتدع شارة الصليب قسطنطين : " لما سمع أهل رومية بقسطنطين وأنه مبغض للشر محب للخير وأن أهل مملكته معه في هدوء وسلامة كتب رؤساؤهم إليه يسألونه أن يخلصهم من عبودية ملكهم فلما قرأ كتبهم اغتم غماً شديداً وبقي متحيراً لايدري كيف يصنع ... ، فظهر له على مايزعم النصارى نصف النهار في المساء (صليب) من كوكب مكتوباً حوله : (بهذا تغلب) فقال لأصحابه رأيتم مارأيت ؟ قالوا : نعم ، فآمن حينئذ بالنصرانية ، فتجهز لمحاربة قيصر المذكور(١) ،وضع صليباً كبيرا من ذهب وصيره على رأس البند وخرج بأصحابه فأعطي النصر على قيصر فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة وهرب الملك ومن بقي من أصحابه فخرج أهل رومية إلى قسطنطين بالأكليل الذهب وبكل أنواع اللهو واللعب فتلقوه وفرحوا به فرحاً عظيماً فلما دخل المدينة أكرم النصارى وردهم إلى بلادهم بعد النفي والتشريد وأقام أهل رومية سبعة أيام يعيدون للملك وللصليب "(٢).

" والثابت تاريخياً أن النصارى في القرون الأولى قبل الملك قسطنطين لم يعرفوا رسم علامة الصليب على وجوههم بالأصابع وظهر تبرير ذلك برواية تحكى عن هذا الملك أنه رأى في السماء صورة صليب من ذهب وملك يقول له :إن كنت تريد غلبة أعدائك فاجعل هذه الصورة علامة قدامك (وآمن وفعل ما قاله الملك فنصر وهو الذي بحث عن صليب المسيح حتى وجده مدفوناً وعمل من المسامير التي كانت فيه لجاماً لفرسه وزين جبينه بصليب من ذهب فاستمر لنا

---

(١) قيصر المقصود الملك الذي طلب من قسطنطين أن يخلصهم منه ومن عبوديته .

(٢) كتاب هداية الحياري في أجوبة اليهود والنصارى ، شمس الدين محمد بن أبي بكر ، ابن القيم الجوزية ، تحقيق د. أحمد حجازي السقا ، المكتبة القيمة ، مدينة ناصر ، مصر ، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ ص ٢٥٨ .

علامة على النصر والظفر)"(١) .

ثم تذكر النصارى أسباباً لتقديسهم وتعظيمهم الصليب فزعموا أن المسيح عليه السلام قال : " (إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني) ومعنى حمل الصليب عندهم هو الإستهانة بالحياة والاستعداد للموت في أبشع صورة أي صلبا على خشبة كما يفعل بالمجرمين والآثمين .

وقويت فكرة تقديس الصليب بعد صلب عيسى – على حد زعمهم – فاصبح أداة تذكر النصارى بالتضحية الضخمة التي قام بها المسيح من أجل البشر، كذلك من أسباب تعظيم الصليب إعتقاد النصارى أن الصليب يشبه الصليب الذي لمس جسم المسيح عند صلبه على حد زعمهم (٢) .

ومن العجيب أن الكنيسة التي تعلن الحرب على الأصنام هي بذاتها تقدس صليباً مصنوعاً من معدن أو خشب وتوصي بتقديسه"(٣)

وأصبح حمله علامة على أتباع المسيح .(٤)

وفلسفوا ذلك بأنه " إشعار بإنكار النفس واقتفاء أثر المسيح في هذا الإنكار والسير وراء مخلصهم وفاديهم "(٥) .

وأصبح الصليب يعبد ويقدس تقديس عبادة ويدعى ويناجى عند النصارى فمن ذلك قولهم : "السلام عليك أيها الصليب خلص هذا الجمهور المجتمع اليوم لتقديسك أيها الصليب الذي أتى بالخلاص للأشقياء"(٦) .

---

(١) الاسلام والاديان ، دراسة ومقارنة ،ص٢٢٧.
(٢) انظر المسيح عليه السلام بين الحقائق والاوهام ، ص١٢٢ ، حاشية رقم ٢ .
(٣) المسيحية ، احمد شلبي ، ص١٧٤ .
(٤) انظر محاضرات في النصرانية ، ص١١
(٥) محاضرات في النصرانية ، ص١١٠
(٦) المسيح عليه اسلام بين الحقائق ، والاوهام ، ص١٢٢ .

" للثالوث الأقدس ولصليب ناسوت ربنا يسوع المسيح وللعذراء المباركة الدايمة البتولية ولجميع القديسين(١) ليكن الحمد الدائم والكرامة والثناء والمجد في كل الخليقة ولنا مغفرة خطايانا إلى الأبد آمين "(٢) .

فالصليب أثر من الآثار بعد أن كان أداة لقتل المسيح عليه السلام على حسب افتراء أهل الكتاب وماقد شبه لهم ، وكان حقه أن لايعظم ولايقدس لكن أصبح له مكانة وقداسة وارتقى به النصارى حتى بلغوا به درجة الإله وتوجهوا إليه بالعبادة وأصبحت الكنائس مليئة بما يسمونه بالتصاوير والمناظر الدينية وهي تعنى صور القديسين وصوراً للمسيح عليه السلام وأمه وصور الصليب وصوراً تترجم بعض المعجزات التي تنسب للمسيح عليه السلام كما تحتوي الكنيسة غالباً على العديد من الإيقونات(٣) التي تحكي قصة حياة المسيح من البشارة ثم الميلاد ثم العماد بنهر الأردن ثم دخول القبر ثم قيامة اليعازار ، ثم أحد السعف ثم زواج قانه ثم العشاء الأخير، ثم الصلب ، ثم صعود الروح ، ثم التجلي(٤) .

"وأصبح النصراني الذي لايرسم الصليب على وجهه أو لايقبله يعد مرتداً عن النصرانية"(٥)

ومن الآثار التي يحج إليها النصارى ويعظمونها ويقدسونها كنائس وأديرة ومنشآت دينية خاصة في مصر وفلسطين والشام فـ " بالرغم من قصر المدة الزمنية التي سادت فيها المسيحية كديانة رئيسية للمصريين – القرن الرابع حتى السابع الميلادي – إلا أن تلك المدة قد أمدت مصر ببعض أهم آثارها ومعالمها المسيحية من كنائس وأديرة ومنشآت دينية وقد لفتت هذه الآثار نظر معظم الرحالة

---

(١) تنقش جدران أكثر الكنائس ويرسم عليها مناظر للقديس ، أنظر آثار مصر القديمة في كتابات الرحالة العرب والاجانب ، جيلاس عباس الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر ، الطبعة الاولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢ م ص ١٨١

(٢) نفس المرجع السابق .

(٣) الإيقونة كلمة يونانية تعنى صورة ومع انتشار المسيحية اكتسبت هذه التسيمة أهميتها وأصبحت تطلق على صور المسيح والعذراء والقديسين ، انظر آثار مصر. القديمة ص١٨٥ .

(٤) آثار مصر القديمة ، ص١٨٥ .

(٥) انظر : المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ص ١٢١ .

الغربيين الذي عدوا ارتياد تلك المناطق جزءً من زيارتهم للأماكن المقدسة ونوعاً من الحج"(١) .

لكن السبب الرئيس إنما هو المنشآت الدينية والمقصود بها الأماكن التي تنقل بينها المسيح عليه السلام أثناء لجوء العائلة المقدسة كما يقولون(٢) كمنطقة المطرية وبها ثلاث مزارات بستان البلسان والبئر الذي يسقى البستان – ويقال أن أم المسيح غسلت فيه ملابس المسيح وشجرة العذراء .

وبستان البلسان نبت بعد أن صبت أم المسيح ماء غسيل ثياب المسيح على الأرض حسب زعمهم، أما بستان البلسان فإنه يستخرج منه دهن لعلاج المبرودين وللنصارى فيه غلو عظيم فإنه " لايصح عندهم لأحد أن يتنصر إلا إذا انغمس في ماء المعمودية ويعتقدون أنه لابد أن يكون في ماء المعمودية شيء من دهن البلسان"(٣) .

وهم في ذلك شعر:

انظر إلى انوار بشر البلسم فهي سبيل صحتي من سقم

لكونها فيما يقال تنتمي إلى المسيح السيد ابن مريم

وكانت ملوك الفرنج تتغالى في ثمنه ولهم فيه اعتقاد عظيم ولايتم النصر عندهم إلا بدهن البلسان يضعون منه شيئاً في ماء المعمودية وينغمسون فيه وكان يشترى بثقله ذهبا "(٤) .

فصحة الأبدان والنصر على الأعداء يطلبان من دهن شجرة يزعم أنها نبتت من غسالة ملابس عيسى بن مريم عليه السلام .

وقد ورد في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم مايدل على غلوهم في صالحيهم وآثارهم .

---

(١) أثار مصر القديمة ، ص١٦٦ .
(٢) أثار مصر القديمة ، ص١٩٢ .
(٣) اثار مصر القديمة ، ص٢٠٢ .
(٤) آثار مصر القديمة ، ص٢٠٢ .

قال تعالى : ﴿ وقال المسيح يابني إسرائيل اعبدو ا الله ربي وربكم إنه من يشرك با لله فقد حرم ا لله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار . لقد كفر الذين قالوا إن ا لله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحدوإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ فآمنوا با لله ورسله ولاتقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما ا لله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له مافي السموات وما في الأرض وكفى با لله وكيلاً﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون ا لله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون . يريدون أن يطفئوا نور ا لله بأفواههم ويأبى ا لله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾(٣) .

وقال تعالى ﴿ وإذ قال ا لله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون ا لله قال سبحانك مايكون لي أن أقول ماليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب . ماقلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا ا لله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾(٤) .

وقال تعالى : ﴿ وقالت النصارى المسيح ابن ا لله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم ا لله أنى يؤفكون ﴾(٥) .

---

(١) سورة المائدة ، الآيات ، ٧٢ – ٧٣
(٢) سورة النساء ، آية ١٧١ .
(٣) سورة التوبة ، الآيات ٣١-٣٢ .
(٤) سورة المائدة ، الآيات ١١٦ – ١١٧ .
(٥) سورة التوبة ، الآية ٣٠ .

وقال تعالى : ﴿قالوا اتخذ ا لله ولداً سبحانه هو الغني له مافي السموات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على ا لله مالا تعلمون ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون﴾(٢)

وقال سبحانه : ﴿ بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ﴾(٣) ،

وقال سبحانه وتعالى : " وقالوا اتخذ ا لله ولداً سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون . بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾(٤) ،

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيماً . وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول ا لله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ماهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً . بل رفعه ا لله إليه وكان ا لله عزيزاً حكيماً ﴾(٥) ،

وقال تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولاتقولوا على ا لله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول ا لله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا با لله ورسله ولاتقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما ا لله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له مافي السموات ومافي الأرض وكفى با لله وكيلا . لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً . فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليماً ولايجدون

(١) سورة يونس ، آية ٦٨ ،
(٢) سورة الانبياء آية ٢٦ ،
(٣) سورة الانعام آية ١٠١ ،
(٤) سورة البقرة ، الآيات ١١٦-١١٧
(٥) سورة النساء الآيات ١٥٦-١٥٨ ،

هم من دون ا لله ولياً ولانصيراً . ياأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً ﴾ (١) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً * فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً * قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً * قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً * قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً * قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً * فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً * فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً * فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً * وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً * فكلي واشربي وقري عيناً فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً * فأتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيئاً فرياً * ياأخت هارون ماكان أبوك امرأ سوء وماكانت أمك بغياً * فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً * قال إني عبدا لله آتاني الكتاب وجعلني نبياً * وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حياً * وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً * والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً * ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون * ماكان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾(٢) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إذ قالت الملائكة يامريم إن ا لله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين * ويكلم الناس فى المهد وكهلاً ومن الصالحين * قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر

(١) سورة النساء الآيات ١٧١ – ١٧٤ .
(٢) سورة مريم الآيات ١٦–٣٥ .

قال كذلك ا لله يخلق مايشاء إذا قضى أمـراً فإنما يقـول لـه كـن فيكـون * ويعلمـه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل * ورسولاً إلى بنى إسرائيل أني قد جئتكم بآيـة من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فـأنفخ فيـه فيكـون طـيراً بإذن ا لله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن ا لله وأنبئكم بما تأكلون وماتدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين * ومصدقاً لما بـين يـدى مـن التـوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا ا لله وأطيعون * إن ا لله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ إن مثل عيسى عند ا لله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قـال له كن فيكون * الحق من ربك فلا تكن من الممترين * فمـن حـاجك فيـه مـن بعـد ماجاءك من العلم فقل تعـالوا نـدع أبناءنـا وأبنـاءكم ونسـاءنا ونسـاءكم وأنفسـنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنـة ا لله على الكـاذبين * إن هـذا لهـو القصـص الحق ومامن إله إلا ا لله وإن ا لله لهو العزيز الحكيم * فإن تولوا فإن ا لله عليـم بالمفسـدين * قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكـم ألا نعبـد إلا ا لله ولانشـرك به شيئاً ولايتخذ بعضنا بعضاً أربابـاً مـن دون ا لله فـإن تولـوا فقولـوا اشـهدوا بأنـا مسلمون ﴾(٢)

فهذه الآيات واضحة الدلالة والبيان على الأمور الآتية :

الأمر الأول : أن ا لله تعالى خلق عيسى عليه السلام من غير أب .

الأمر الثاني : أن ا لله سبحانه وتعالى ليـس لـه صاحبـة ولا ولـد تعالى عمـا يقول الظالمون علواً كبيرا .

---

(١) سورة آل عمران ، الآيات ٤٥ – ٥١ .

(٢) سورة آل عمران ، الآيات ٥٩ – ٦٤ .

الأمر الثالث : أن ماعند عيسى عليه السلام من المعجزات كإحياء الموتى وشفاء المرضى وخلق الطير كل ذلك بإذن ا لله سبحانه وتعالى .

الأمر الرابع : الدعوة إلى المباهلة : فقد طلب ا لله من نبيه محمد صلى ا لله عليه وسلم دعوة النصارى إلى المباهلة ممن يحاج في عيسى عليه السلام ويدعي غير ماقال ا لله عنه ثم دعاهم إلى نبذ الشرك والدخول في الاسلام .

وعن عائشة أن ام حبيبة وام سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير لرسول ا لله صلى عليه وسلم فقال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم : " أن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند ا لله يوم القيامة "(١)

وعن جندب قال : سمعت النبي صلى ا لله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول : " إني أبرأ إلى ا لله أن يكون لي منكم خليل فإن ا لله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ ابراهيم خليلا ولو كنت متخذاً من امتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد أني أنهاكم عن ذلك " (٢) .

---

(١) رواه مسلم : ١٤/٥ .

(٢) رواه مسلم : ١٧/٥ .

الفصل الثالث

تعظيم الآثار والمشاهد عند أمم أخرى

وفيه مبحثان الأول: تعيظم الآثار والمشاهد عند الهنود ؛

المبحث الثاني: تعظيم الآثار والمشاهد عند الفرس

المبحث الأول : تعظيم الآثار والمشاهد عند الهنود .

بلاد الهند بلاد واسعة وفيها عدة ديانات من أقدمها وأكثرها انتشاراً الديانة الهندوسية .

ويرى بعض علماء الأديان أنها ترجع إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد وهي تنسب إلى برهما ولها أسفار مقدسة عندهم تسمى الفيدا ومعناها المعرفة أو العلم وهي أربعة مجموعات وكل مجموعة تنقسم إلى قسمين- :

أ – قسم للأدعية والصلوات وتسمى منترا

ب – قسم للتعاليم المتعلقة بالعبادات والشرائع ويسمى برهمانا

وهذه المجموعات الأربع هي :

١- الريج فيدا وهي في العبادات والصلوات والأدعية .

٢- ياجورفيدا وهي أوراد وتنزيه وأدعية وصلوات تتلى في بعض المناسبات .

٣- سامان فيدا وهي مجموعة مزامير وأناشيد للمناسبات والعبادات .

٤- آثار فانافيدا وهي مجموعة من أدعية وأوراد ورقي ضد السحر وضد الأرواح الخبيثة(١) وهذا على حد زعم الهندوس .

عقيدة الهندوس في الله

تجمع عقيدة الهندوس في ا لله بين وحدة الوجود وتعدد المعبودات فتقرر الأسفار البرهمية أن ا لله واحد لاشريك له وأنه قد صدرت عنه جميع الكائنات وسرت منه روح في الجماد والنبات والحيوان فالموجود بحق هو ا لله وليست هذه

---

(١) انظر عن ماسبق : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، علي عبدالواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع القاهرة مصر، ص ١٧٥-١٧٨ .

الكائنات إلا مظاهر منه وهذا بعينة وحدة الوجود(١) ثم حصل تغيير في معتقدهم وتحريف على مر الأيام ودخل في اعتقادهم عقيدة التثليث فقد زعموا أن براهما كان قبل الوجود في فضاء لانهاية له ثم خلق العالم بقوة ارادته وبفيض من ذاته وسمى نفسه الخالق .

ثم انبثق الإله المدمر – سيفا – وهو إله الدمار والخراب ولو ترك وشأنه لأفنى كل الموجودات لهذا انبثق من براهما إله ثالث يحفظ ويجدد الكائنات وهذا الإله هو فيشنو .

ويتجه البرهميون بمعظم عباداتهم إلى ذلك الإله الحافظ فشنو(٢).

وعن مبدأ عبادة الأصنام عندهم فإن لذلك قصة وهي أن ملكاً من ملوك الهند نال من الملك مناه فرغب عنه وزهد في الدينا وتخلى للعبادة والتسبيح يريد من وراء ذلك رؤية الرب ثم إن الرب تجلى له ودار بينهما كلام وعند نهاية الكلام خشي هذا الملك أن لايرى الرب وخاف أن ينساه(٣) فأجابه الرب : " فإن غلبك نسيان الانسية فاتخذ تمثالاً كما رأيتني عليه وتقرب بالطيب والأنوار إليه –أي إلى التمثال – واجعله تذكاراً لي لئلا تنساني حتى إن عنيت فبذكري وإن حدثت فباسمي وإن فعلت فمن أجلى قال الملك قد وقفت على الجمل فأكرمني بالبيان والتفصيل قال : قد فعلت وألهمت (بسشت) قاضيك جميع مايحتاج إليه، فعول في المسائل عليه ثم غاب الشخص عن عينيه ورجع الملك إلى مقره وفعل ما أمر به قالوا : فمن وقتئذ تعمل الأصنام بعضها ذوات أربع أبد... الخ (٤).

(١) انظر تحقيق ماللهند من مقولة في العقل أو مرذولة ص٢٣، وانظر الأسفار المقدسة في الأديان قبل الاسلام ، ص١٨٢ .

(٢) انظر أديان الهند الكبرى، سلسلة : مقارنة الأديان أحمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، الطبعة التاسعة ، ١٩٩٠م ، ص ٥٢-٥٤ .

(٣) انظر تحقيق ماللهند ، ص ٧٩-٨٠ .

(٤) تحقيق ماللهند ص ٨٠-٨١ .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه ا لله تعالى : " ومثل هذا قد جرى لخلق عظيم في زماننا وقبل زماننا كناس كانوا بـ (تدمر) فرأوا شخصاً عظيماً طائراً في الهواء وظهر لهم مرات بأنواع من اللباس وقال لهم : أنا المسيح ابن مريم وأمرهم بأمور يمتنع أن يأمر بها المسيح – عليه السلام – وحضروا إلى عند الناس وبينوا لهم أن ذلك شيطان أراد أن يضلهم .

وآخرون يأتي أحدهم إلى قبر من يعظمه ويحسن به الظن من الصالحين وغيرهم فتارة يرى القبر قد انشق وخرج منه إنسان على صورة ذلك الرجل ، وتارة يرى ذلك الإنسان قد دخل في القبر وتارة يراه إما راكباً وإما ماشياً داخلاً إلى مكان ذلك الميت كالقبة المبينة على القبر وتارة يراه خارجاً من ذلك المكان ويظن أن ذلك هو ذلك الرجل الصالح وقد يظن أن قوماً استغاثوا به فذهب إليهم ويكون ذلك شيطاناً تصور بصورته وهذا جرى لغير واحد ممن أعرفهم ، وتارة يستغيث أقوام بشخص يحسنون به الظن إما ميت وإما غائب فيرونه بعيونهم قد جاء وقد يكلمهم وقد يقضي بعض حاجاتهم فيظنونه ذلك الشخص الميت وإنما هو شيطان زعم أنه هو وليس هو إياه ، وكثيراً مايأتي الشخص بعد الموت في صورة الميت فيحدثهم ويقضي ديونا ويرد ودائعاً ويخبرهم عن الموتى ويظنون أنه هو الميت نفسه قد جاء إليهم وإنما هو شيطان تصور بصورته .

وهذا كثير جداً لاسيما في بلاد الشرك كبلاد الهند ونحوها"(١)، وقال بعض حكماء الهندوس : أن " الأفلاك والكواكب أقرب الأجسام المرئية إلى ا لله تعالى وأنها حية ناطقة وأن الملائكة تختلف فيما بينها وبين ا لله وأن كل مايحدث في هذا العالم فإنما هو على قدر ماتجري به الكواكب عن أمر ا لله فعظموها وقربوا لها القرابين لتنفعهم فمكثوا على ذلك دهراً فلما رأوا الكواكب تخفى بالنهار وفي

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/٣١٨-٣١٩ .

بعض أوقات الليل .. أمرهم بعض من كان من حكمائهم أن يجعلوا لها أصناماً وتماثيل على صورها وأشكالها فجعلوا لها أصناماً وتماثيل .. وبنوا لكل صنم بيتاً وهيكلاً مفرداً وسموا تلك الهياكل باسماء تلك الكواكب ... ثم إن الهند لم تزل على ذلك حتى طال العهد فعبد الهنود الأصنام على أنها تقربهم إلى ا لله "(١) .

وسرت في البراهمة عبادة الأصنام التي ترمز إلى الآلهة أو إلى الملائكة أو إلى الكواكب أو القديسيين وتفننوا في صنعها ووضعوا لنحتها قواعد ومقاييس مضبوطة تختلف باختلاف ماترمز إليه وأعطوا لكل منها اسماً خاصاً وتقربوا إليها بالصدقات والقرابيين(٢) .

والجهل أساس الضلال فإن : " هؤلاء الجهال إذا وجدوا نجاحاً بالإتفاق أو العزيمة وانضاف إلى ذلك شيء من مخاريق السدنة بالمواطأة قويت غاياتهم لابصائرهم وتهافتوا على تلك الصور يفسدون عندها صورهم بإراقة دمائهم والمثلة بأنفسهم بين أيديها"(٣).

قال أحد زعماء الهند(٤) : "إن قدامى الهنود قد علقوا أهمية كبيرة على الزراعة ومن ثم عظموا كل شيء من شأنه أن ينهض بها ، فرأوا الأنهار الكبرى يتوقف على مائها نمو النبات ، فنظروا إليها نظرة إكبار ، ورأوا مايقدم إليهم البقر من مساعدة جليلة في شئون الحرث والزراعة على العموم فعظم شأنه لديهم ومع تقادم العهد نسي الناس السبب في تعظيم قدمائهم للأنهار والبقر وأخذت صفة القداسة تسري إليها فاعتبروها بمثابة الآلهة وعبدوها"(٥) .

---

(١) انظر منهج المسعودي في بحث العقائد والفرق الدينية، هادي حسين حمود ، الناشر دار القادسي للطباعة طبع في مطبعة عصام، بغداد، الطبعة الأولى حزيران ، سنة ١٩٨٤،ص ١٢٣-١٢٤.

(٢) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة الاسلام ص ١٨٦، وانظر أديان الهند الكبرى ص٥٥ .

(٣) تحقيق ماللهند ، ص٨٦ .

(٤) هو جواهر لال نهرو أحد رؤساء الوزارة بالهند .

(٥) الأسفار المقدسة في الأديان قبل الإسلام ، ص١٨٦ .

" وقد بلغت الوثنية أوجها في القرن السادس فقد كان عدد الآلهة في (ويد) ثلاثة وثلاثين ، وقد أصبحت في هذا القرن ٣٣٠مليون وقد أصبح كل شيء رائع وكل شيء جذاب وكل مرفق من مرافق الحياة إلهاً يعبد ، وهكذا جاوزت الأصنام والتماثيل والآلهة والإلاهات الحصر وأربت على العد فمنها أشخاص تاريخية وأبطال تمثل فيهم ا لله - على زعمهم الباطل - في عهود وحوادث معروفة ، ومنها جبال تجلى عليها بعض آلهتهم ، ومنها معادن كالذهب والفضة تجلى فيها إله ومنها نهر الكنج الذي خرج من رأس (مهاديو) الإلة ومنها آلات الحرب وآلات الكتابة وآلات التناسل وحيوانات أعظمها البقرة، والأجرام الفلكية وغير ذلك وأصبحت الديانة نسيجاً من خرافات وأساطير وأناشيد وعقائد وعبادات ماأنزل ا لله بها من سلطان ولم يستسغها العقل السليم في زمن من الأزمان .

وقد ارتفعت صناعة نحت التماثيل ... وبلغت أوجها في القرن السادس والسابع حتى فاق هذا العصر في ذلك العصور الماضية وقد عكفت الطبقات كلها وعكف أهل البلاد من الملك إلى الصعلوك على عبادة الأصنام"(١) .

فعدم القناعة بالمحسوس جعلهم يجسدون المعبود وإن لم يقدموا العبادة لذلك الجسد المنحوت أو المرسوم سواء كان تمثالاً أو صورة ومع تقادم العهد وتعظيم الآثار والمشاهد تحولت العبادة إلى ذات التماثيل والصور فإن رسم ونحت صور وتماثيل العظماء والزعماء ومايتوهم أن له قدرة في مجريات الكون كالكواكب والملائكة ثم ابراز تلك الصور والتماثيل على اعتبار أن المراد به تذكير بأصحابها وبماهم من الهيبة والقداسة والمكانة قد أدى إلى عبادتها.

لأن القلب يتصاغر أمامها ويشعر أن لتلك الصور والتماثيل قيمة ومكانة

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبوالحسن على الحسينى الندوي ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان الطبعة الثامنة ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م ، ص٤٧ .

عالية تستحق الإنكسار أمامها ممايعنى بداية الخضوع لها وتقديس أقوالها وإعطائها قدراً أكبر مما تستحقه .

ثم يتدرج الخضوع والإنكسار في النفس التي تشاهد هذه الصور والتماثيل ويتدرج التعظيم لها إلى أن يرجى نفعها ويخشى ضرها عندهم ومن ثم يطلب منها جلب النفع ودفع الضر وهذا محوج إلى تقديم قرابيين تسمى في أول أمرها هدايا وسواء كانت هذه الهدايا تقدم إلى الصورة أو التمثال بنفسها أصالة أو إليها وكالة عن من تمثله مع أنه غالباً ما ينسى أنها نائبة فتعتبر صاحبة حق " وإن العامي ينزع إلى المحسوس ولسكونه إلى المثال عدل كثير من أهل الملل إلى التصوير وهذا هو السبب الباعث على إيجاد الأصنام بأسامي الأشخاص المعظمة من الأنبياء والعلماء والزعماء والفاتحين وغير ذلك من الملائكة والكواكب مذكرة- أي هذه الصورة- أمرهم عند الغيبة والموت مبقية آثار تعظيمهم في القلوب لدى الفوت إلى أن طال العهد بعامليها ودارت القرون والأحقاب عليها ونسيت أسبابها ودواعيها وصارت رسماً وسنة مستعملة ثم داخلهم أصحاب النواميس من بابها إذ كان ذلك أشد انطباعاً فيهم فاوجبوه عليهم" (١) .

(١) انظر تحقيق ماللهند ، ص ٧٨ .

المبحث الثانى
تعظيم الآثار والمشاهد عند الفرس

ديانة الفرس غالباً هي المجوسية .

والزرادشتية علماً عليها(١) .

والزرادشتيون هم : " أصحاب زرادشت بن يورشب الذي ظهر في زمان كشتاسب بن لهراسب الملك وأبوه من أذربيجان وأمه من الري واسمها دغدوية"(٢)، "والراجح أنه ولد سنة ٦٦٠ قبل الميلاد باذربيجان"(٣) .

ديانته :

" وكان دينه عبادة الله والكفر بالشيطان والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجتناب الخبائث .

وقال : النور والظلمة أصلان متضادان ، وكذلك يزدان وأهرمن وهما مبدأ موجودات العالم وحصلت التراكيب من امتزاجهما وحدثت الصور من التراكيب المختلفة والباري تعالى خالق النور والظلمة ومبدعهما وهو واحد لاشريك له ولاضد ولاند ولايجوز أن ينسب إليه وجود الظلمة(٤)... لكن الخير والشر والصلاح والفساد والطهارة والخبث إنما حصلت من امتزاج النور والظلمة ولو لم يمتزجا لما كان وجود العالم ، وهما يتقاومان ويتغالبان إلى أن يغلب النور الظلمة والخير الشر ثم يتخلص الخير إلى عالمه والشر ينحط إلى عالمه وذلك هو

---

(١) انظر الديانات والعقائد في مختلف العصور، احمد عبدالغفور عطار، مكة، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ جـ١ ص ٢٤٠-٢٤١ .

(٢) الملل والنحل ، محمد بن عبدالكريم بن أحمد الشهرستاني ١٣٦/١، وانظر الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص ١٤٧ .

(٣) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص ١٥٠ .

(٤) وهذا يمثل بداية انحراف في الديانة الزرادشتية في توحيد الربوبية حيث يلزم أن يكون خالق غير الله للظلمة .

سبب الخلاص ، والباري تعالى هو الذي مزجهما وخلطهما لحكمة رآها في التركيب – هذا قولهم – وربما جعل النور أصلاً وقال : وجوده وجود حقيقي وأما الظلمة فتبع كالظل بالنسبة إلى الشخص فإنه يرى أنه موجود وليس بموجود حقيقة فأبدع النور وحصل الظلام تبعاً لأن من ضرورة الوجود التضاد"(١) والزرادشتية يقسمون القوى إلى قسمين متضادين متصارعين يرمى كل منهما إلى السيطرة على العالم أحدهما : " قوى الخير والنور والحق والحياة ويمثلها أهورامزدا ويعمل على تحقيق أغراضها سبعة ملائكة قدسيون يمثلون الفضائل السبع العليا وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والإخلاص والأمانة والكرم ، والأخرى قوى الشر والظلام والموت والخداع ومرجع هذه القوى إهريمان ويقوم على تحقيق مقاصدها الآثمة سبعة شياطين خبيثة تمثل الرذائل الإنسانية الرئيسة وهي النفاق والخديعة والخيانة والجبن والبخل والظلم وإزهاق الأرواح"(٢) ، وهذه النظرية دخلها التحريف حتى أصبحت الديانة ثنوية تعتقد بوجود خالقين وإلهين إحدهما أهورامزدا وتجعله خالقاً للخير وإلهاً للخير والآخر إهريمان وتجعله خالقاً للشر وإلهاً للشر(٣).

كتاب زرادشت.

" وله كتاب قد صنفه وقيل أنزل عليه وهو زنداوستا يقسم العالم إلى قسمين : مينة، وكيتي ، يعنى الروحاني والجسماني أو الروح والشخص ، وقسم الخلق إلى عالمين يقول : إن مافي العالم ينقسم إلى قسمين : بخشش، وكنش يريد به التقدير والفعل ، وكل واحد مقدر على الثاني .

ثم يتكلم في موارد التكليف وهي حركات الإنسان فيقسمها ثلاثة أقسام

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١/٢٣٧-٢٣٨ .
(٢) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام بتصرف ، ص١٦٤-١٦٥ .
(٣) انظر المصدر السابق ص ١٦٤ .

منش ، وكويش وكنش ، يعني بذلك : الإعتقاد ، والقول ، والعمل وبالثلاثة يتم التكليف فإذا قصر الإنسان فيها خرج عن الدين والطاعة وإذا جرى في هذه الحركات على مقتضى الأمر والشريعة فاز الفوز الأكبر"(١) ، ويطلق على الأسفار المقدسة للديانة الزرادشتية اسم " الأبستاق" وهو تعريب لكلمة " الأفستا" ومعناها الاساس أو الأصل أو المتن أو السند"(٢) .

"وكان الأبستاق يشتمل على واحد وعشرين سفراً وكان مجموع الفصول التى تشتمل عليها هذه الأسفار ألف فصل ويحوى تفصيلاً لعقائد الديانة الزرادشتية وعباداتها وشرائعها وتاريخها وما اجتازته من مراحل وتاريخ نبيها زرادشت من قبل رسالته ومن بعدها"(٣) .

"وقد فقد جميع نسخ الأبستاق بعد غزو الاسكندر لفارس سنة ٣٣٠قبل الميلاد وفقدت معها تفاسيره والمؤلفات التى كانت تشتمل على شيء من أجزائه"(٤) ، وقد جاء زرادشت بتقديس الشمس والنار بحجة أن " ذات أهورامزدا روحانية خالصة مجردة من شوائب المادة لاتدركها الأبصار ولاتحيط بكنهها العقول ، ولما كان كثير من الناس لايستطيعون تصويرها فقد رمزت الديانة الزرادشتية إلى الذات العلية برمزين ماديين مشاهدين تقوى عقول الجماهير على إدراكها ويشتمل كلاهما على بعض مظاهر من صفات الخالق – حسب زعمهم وافترائهم – فيستطيع الناس بالتأمل في صفاتها تصور شيء من صفات أهورامزدا على وجه التقريب والتمثيل وهذان الرمزان أحدهما سماوي وهو الشمس

(١) الملل والنحل للشهرستاني ٢٣٨/١ .
(٢) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص ١٥٦ .
(٣) الأسفار المقدسة في الأديان ، ص١٥٦ .
(٤) المرجع السابق ، ونفس الصفحة ، وانظر الفصل في الملل والاهواء والنحل ، على بن احمد بن حزم الظاهري ، ت ٤٥٦هـ، المطبعة الادبية بمصر ، الطبعة الاولى سنة ١٣٦٧هـ، ص٢١٥ .

والآخر أرضي وهو النار"(١) فهما رمز للإله(٢) .

ومن هذا المنطلق اهتم زرادشت والزرادشتية ببيوت النار وجعلوها قبلة لهم في صلواتهم فتكون بينهم وبين الشمس عند السجود ، وزرادشت عندما قتل كان في بيت من بيوت النار فقتل وهو راكع أمام النار(٣) ، علماً أن الفرس كانوا يعظمون النار قبل زرادشت(٤) .

وقد جدد زرادشت عدة بيوت للنار مثل بيت نار بنيسابور وآخر بنسا، وأمر كشتاسب(٥) أن يطلب ناراً كان يعظمها "جم" فوجدها بمدينة خوارزم فنقلها إلى دار "بجرد" وتسمى آذرخره والمجوس يعظمونها أكثر من غيرها"(٦) ، وهذا التعظيم راجع إلى قدمها .

ثم بدل الأتباع وغيروا فبعد أن كانت الشمس والنار تعظمان أصبحتا تعبدان ويسجد لهما وأصبح للنار من القداسة أكثر مما كان ، فهذه النار التى يسمونها آذرخرة قديمة جداً وكيخسرو لما خرج إلى غزو أفراسياب عظمها وسجد لها (٧) .

وقد حرصت " الزرادشتية على أن يوقد في كل هيكل من هياكلها شعلة من النار وأن تظل هذه الشعلة متوهجة مضيئة يتعهدها الموابذة(٨) والهرابذة(٩)... فيقدمون لها خمس مرات في اليوم وقوداً من خشب الصندل وماإليه من الأعشاب والمواد العطرية ... وترتل حولها الأدعية وتقام الصلوات .

(١) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص ١٦٥ .
(٢) المصدر السابق ص١٦٥ .
(٣) قصة الديانات ، ص٣١١ .
(٤) انظر الملل والنحل للشهرستاني ٢٥٤/١ .
(٥) ملك من ملوك الفرس في عهد زرادشت ، انظر الملل والنحل للشهرستاني ٢٣٧/١.
(٦) الملل والنحل ، للشهرستاني ، ٢٥٤/١ .
(٧) المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .
(٨) هم كبار رجال الدين، انظر الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام،ص ١٦٥ .
(٩) هم صغار رجال الدين ، انظر المصدر السابق ، نفس الصفحة .

وكان من عادة الزرادشتيين إذا أقاموا هيكلاً جديداً للنار أن يحملوا إليه من كافة النواحي شعلات موقدة وأن يبالغوا في تطهير هذه الشعلات فيقتبسوا من الشعلة الأولى شعلة ثانية ومن الثانية ثالثة وهكذا حتى يصلوا إلى التاسعة فيعتقدون أنها وصلت إلى أرقى درجات الطهارة فيوقدون بها نار الهيكل الجديد"(١).

ومن مبالغتهم في تقديس النار أنهم " أوجبوا على رجل الدين أن يتلثم عند اقترابه من النار خشية أن يصل زفيره إليها فيلوثها"(٢) ، وحيث " أن كهنة إيران وشعبها كانوا من عبده الأوثان وإن كانوا قد قبلوا تعاليم زرادشت إلا أن عقولهم كانت لاتزال عقول عبدة أوثان"(٣) ، فكان أن " حرف خلف زرادشت دينه فعبدوا الأوثان القديمة بعد أن غيروا أسماءها بأسماء جديدة"(٤) ، فكان من ذلك أن " صنع الفرس التماثيل لآلهتهم من ذلك تمثال على شكل قرص مجنح يبرز منه رأس وكتفي الإله أهورامزدا"(٥) .

فتقديس الفرس للنار التقديس الذي يجعلهم يتلثمون عند القرب منها حتى لايلوثوها وتصورهم تطهير النار بإشعال بعضها من بعض حتى البطن التاسع من الشعل وكون النار القديمة ذات شأن وقداسة أعلى من غيرها مماليست في قدمها بل إنهم عند الإشعال يحاولون أن يكون مصدر الشعلة من أقدم مايكون من النار وهذا اهتمام بالآثار وبماخلفه الآباء وهو عين الإهتمام بالتماثيل وكلاهما ابتدأ بأن رمز عن المعبود وكلاهما أوصلا بتعظيم الآثار إلى نتيجة واحدة ألا وهى عبادتها واتخاذها آلهة من دون الله أو مع الله .

والنار سواء عبدت إما لأنها ترمز للإله أو لأنها الإله فإن نتيجة ذلك كله وثنية وشرك .

---

(١) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص١٦٥-١٦٦، بتصرف .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٦٦ .
(٣) قصة الديانات ، ص ٣١٦ .
(٤) المرجع السابق ص ٣١٧ .
(٥) انظر معالم حضارات الشرق الاولى القديمة ، د. محمد أبوالمحاسن عصفور ، دار النهضة العربية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٧٩م ، ص ٢٧٩ .

الفصل الرابع

تعظيم الآثار والمشاهد عند فرق تنتسب للاسلام

" الشيعة والصوفية "

وفيه مبحثان

الأول : عند الشيعة .

الثاني : عند الصوفية .

المبحث الأول : تعظيم الآثار والمشاهد عند الشيعة

الشيعة لغة : القوم الذين يجتمعون على الأمر وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة ، والشيعة أتباع الرجل وأنصاره وجمعها شيع ، وأشياع جمع الجمع، وأصل الشيعة الفرقة من الناس ويقع على الواحد والإثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد وأصل ذلك من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة ومعنى شيعت: اتبعت، وشيعه على رأيه وتابعه كلاهما تابعه وقواه ، ويقال: فلان يشيعه على ذلك أي يقويه ومنه تشييع النار بالقاء الحطب عليها يقويها ، والمشيعة من الغنم : هي التى لاتزال تتبع الغنم عجفاً أي لاتلحقها فهي أبداً تشيعها أي تمشي وراءها هذا إن كسرت الياء وإن فتحتها فهي التى تحتاج إلى من يشيعها أي يسوقها لتأخرها عن الغنم حتى يتبعها لأنها لاتقدر على ذلك(١).

الشيعة في الإصطلاح :

أجمع تعريف للشيعة اطلعت عليه هو : " الشيعة هم الذين شايعوا علياً رضى الله عنه على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية إما جليا وإما خفياً واعتقدوا أن الإمامة لاتخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده"(٢) .

بداية التشيع :

أشبه ماتكون لفظة شيعة باللفظ المشترك الذي له عدة معاني لكن وقوعها على هذه المعاني لم يكن دفعة واحدة بل على فترات فأول ماوقعت كانت مقيدة وتدل على أتباع علي وأتباع معاوية رضى الله عنهما بعد مقتل عثمان رضي الله عنه فكان يقال :

---

(١) لسان العرب، مادة شيع ، ١٨٨/٨-١٨٩ .
(٢) الملل والنحل ، ١٤٦/١ .

شيعة علي ، وشيعة معاوية لكنه في شيعة علي أظهر علماً لأن صف علي في ذلك الوقت كان يضم مئات الصحابة والتابعين، وأغلبهم رضوان ا لله عليهم ممن يكفرهم الشيعة المتأخرون، وكانت كلمة الشيعة أيضاً تعني الموالاة والنصرة ، ثم لما آل الأمر إلى معاوية رضى ا لله عنه وبدأ الغلو يزداد بدأ يجري خلاف في أفضلية علي على عثمان صار المعنى للشيعة منصرفاً إلى أتباع علي مقابلاً لمن يفضلون عثمان عليه رضي ا لله عنهما ثم استمر الحال لهذا المعنى واقفا على أنصار علي رضى ا لله عنه واندثر عمن يفضلون عثمان رضي ا لله عنه ثم صار مقابلاً للنواصب وهم الذين يسبون علياً وخاصة من أهل الشام ثم بعد أن تسلسل الحكم في بني امية بعد معاوية رضي ا لله عنه ظهر التشيع لآل محمد ومعناه بنو علي وبنو العباس، فلما تولى الخلافة بنو العباس استقر لفظ التشيع في علي وذريته ثم أنه كان يستبد به الغلو في تلك الفترات بالتدريج وأصبح مقابلاً لأهل السنة عموماً ، وأصبح الحال أن الشيعة يقدمون علياً على جميع الخلفاء قبله مع سبهم للخلفاء الثلاثة السابقين عليه واعتبارهم معتدين على علي في الإمامة(١) .

ويعتبر مقتل الحسين بن علي رضي ا لله عنه ثم ماجرى من بعده من ثارات ثم خلاف الشيعة ورفضهم زيد بن علي بن الحسين تدرج لنمو فرقة الشيعة .

(١) انظر منهاج السنة النبوية ، أحمد بن عبدالحليم ، تحقيق / د . محمد رشاد سالم ، الناشر مكتبة ابن تيمية ، القاهرة بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩هـ،-١٩٨٩م،ص ١١-١٤ وفي اماكن اخرى منتشرة في الكتاب: وانظر : دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين " الشيعة والخوارج" أحمد محمد احمد جلي ،مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية ، الرياض ، ط٢، سنة ١٤٠٨هـ ص ١٥٨-١٦٣-وانظر: مسالة التقريب بين أهل السنة والشيعة، د. ناصر بن عبدا لله بن علي القفاري ، دار طيبة للنشر، الرياض، ط٢، سنة ١٤١٣هـ ١/١٢٦-١٣٠،١٤٠،١٤٢ .
ووأنظر : شرح صحيح مسلم، محيالدين ابي زكريا يحى بن شرف النووى الشافعي، ٦٣١-٦٧٦هـ راجعه خليل الميس دار القلم بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ٦/٢٧١.

وبذرة الغلو عند الشيعة بدأت عندما لبس ثوب الإسلام رجل يهودي اسمه عبدا لله ابن سبأ أراد أن يفعل بالإسلام مافعل بولس بالنصرانية من الإنحراف بها من الداخل(١) ، وقد فعل لكن انحرافه أفسد جزء من المسلمين وكان له اليد الطولى في فتنة مقتل عثمان رضي ا لله عنه ثم كان من ضمن الصف الموالى لعلي رضي ا لله عنه ، فكان أول من بدأ الغلو في علي رضي ا لله عنه وقال له : أنت أنت بمعنى انت ا لله فنفاه علي رضي ا لله عنه إلى المدائن بعد أن ثني عن قتله، ولمابلغه مقتل علي رضي ا لله عنه قال للمخبر " كذبت ياعدو ا لله ولو جئتنا بدماغه في سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلاً ماصدقناك ولعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل وأنه لايموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملك الأرض"(٢) "وهو أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي رضي ا لله عنه ومنه انشعبت أصناف الغلاة"(٣) ، " وكان أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم وقال إن علياً عليه السلام أمره بذلك "(٤) افتراءاً عليه وكذباً، والفرقة المنتسبة إليه تعتبر من غلاة الشيعة(٥) ، وتطور الغلو من جهة أخرى عند عموم الشيعة وهو أنه بدىء بتفضيل علي على عثمان ثم ازداد وأصبح علي يفضل على أبي بكر وعمر وقد حدث ذلك في أواخر عهده رضي ا لله عنه حتى إنه قال : " لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري"(٦) .

وقد كانت الشيعة متفقة على تقديم أبي بكر وعمر رضي ا لله عنهما"قيل لشريك

---

(١) فتاوى ابن تيمية ، ٥١٨/٤ .

(٢) فرق الشيعة ، للحسن بن موسى النوبختي وسعد بن عبدا لله القمي تحقيق د . عبدالمنعم الحفني دارالرشاد، القاهرة مصر، ط١، سنة١٤١٢هـ-١٩٩٢م، ص٣٣ .

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ١٧٤/١

(٤) فرق الشيعة ، ص ٣٢ .

(٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٦) كتاب النبوات ، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، ت٧٢٨، دار الفكر ، ص١٣٢ .

بن عبدا لله القاضي أنت من شيعة علي وأنت تفضل أبابكر وعمر فقال : كل شيعة علي على هذا ، هو يقول على أعواد هذا المنبر : خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر ثم عمر أفكنا نكذبه ؟! وا لله ماكان كذاباً"(١) ، ثم ازداد الغلو حتى وصل القول بإمامة علي وعصمته والأئمة من بعده والعلم اللدني للأئمه إلى غير ذلك من الأوصاف .

فرق الشيعة :

أوصل كتّاب الفرق من الشيعة فرق الشيعة إلى مئة وثلاث وتسعين فرقة(٢) وفي الملل والنحل خمسة فرق كبار وتتفرع من هذه الخمسة الكبار فروع كثيرة، أما الفرق الكبار فهي الكيسانية والزيدية والغلاة والإسماعيلية والإمامية الاثنا عشرية (٣) ، وأغلب الفرق ليس لها أتباع اليوم إلاالنزر اليسير لكن الإمامية الإثنى عشرية هي المنتشرة والأكثر أتباعاً وقوة وهي التى تحاول في هذا العصر أن تمثل الإسلام على حد زعمها وتتكلم باسمه علماً أنه لايكاد يوجد شيعة ليسو بغلاة لأن من ادعى العصمة للإمام والعلم اللدني والفضل على الخلق ونحو ذلك مما تقول به الشيعة فقد توسد الغلو .

الإمامية الإثنا عشرية :

ويسمون الجعفرية والإمامية ويسمون الرافضة ويرى بعض الباحثين أن مصطلح (الشيعة) إذا إطلق فلا ينصرف إلا إليهم، وغيرهم إما اسماعيلية أو زيدية" وتسميتهم بالرافضة لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لما خرج بالكوفة أيام هشام بن عبدالملك بن مروان" (٤) .

ويسمون بالإمامية لأنهم قالوا بوجوب الإمامة ووجودها في كل زمان

---

(١) كتاب النبوات ص ١٣٢.
(٢) انظر كتاب فرق الشيعة .
(٣) أنظر كتاب الملل والنحل ١٤٧/١.
(٤) مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة ، ١٧١/١،
(٥) انظر ، فتاوى ابن تيمية ٣٥/١٣-٣٦ .

وباجلعفرية نسبة إلى جعفر الصادق – إمامهم السادس كما يقولون وهو من باب تسمية العام باسم الخاص .

ويسمون بالإثنى عشرية لأنهم يقولون بأن الأئمة بعد النبي صلى ا لله عليه وسلم اثنا عشر إماماً وهم مرتبون تاريخياً كالآتي :

١- علي بن أبي طالب ٢٣ق.هـ -٤٠هـ

٢- الحسن بن على ٣هـ - ٥٠هـ

٣- الحسين بن علي ٤هـ - ٦١هـ

٤- علي زين العابدين بن الحسين ٣٨-٩٥هـ .

٥- محمد الباقر بن علي ٥٧-١١٤هـ .

٦- جعفر الصادق بن محمد ٨٣-١٤٨هـ .

٧- موسى الكاظم بن جعفر ١٢٨-١٨٣هـ .

٨- علي الرضا بن موسى ١٤٨-٢٠٣هـ .

٩- محمد الجواد بن علي ١٩٥-٢٢٠هـ .

١٠- علي الهادي بن محمد ٢١٢-٢٥٤هـ .

١١- الحسن العسكري بن علي ٢٣٢-٢٦٠هـ .

١٢- محمد المهدي بن الحسن ٢٥٦....(١) .

ومن مظاهر الغلو المركزة عند الشيعة غلوهم في أئمتهم واعتبار الإمامة ركن الدين الأعظم ، فهم يعتبرون "الإمامة منصباً إلهياً كالنبوة فكما أن ا لله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيده بالمعجزة التى هي كنص من ا لله عليه .. فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه وأن ينصبه إماماً للناس من بعده"(٢) .

(١) انظر مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة ، ١/١٧١-١٧٢، ودراسة عن الفرق، ص١٧٩-١٨٠ .
(٢) أصل الشيعة وأصولها ، محمد حسين آل كاشف الغطا ص ٥٨ نقلته من كتاب : مسألة لتقريب،١/٢٨٨ .

ويصف كثير من الشيعة أئمتهم بصفات إلهية أحياناً وبصفات النبوة أحياناً أخرى .

واتفق الشيعة على أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم نص على إمامة علي بن أبي طالب رضي ا لله عنه من بعده(١)، وهكذا علي نص على من بعده ثم الحسن ثم الحسين رضي ا لله عنهما ثم علي بن الحسين واختلفوا بعد ذلك في ذرية الحسين ولو أن هناك من رأى إمامه محمد بن علي بن أبي طالب إلا أنه قليل لكن المعروف أن الحسين زوجته ابنة كسرى والشيعة غالبهم من الفرس والموالي وهذا يفسر تسلسل الأئمة من ذرية الحسين على اختلاف في التسلسل إلا أنه يقف عند محمد بن الحسن العسكري الذي دخل السرداب ، على حد زعم الشيعة – سنة ٢٦٠هـ وهو طفل إن صح أن لوالده عقب أو صح أنه لم يمت عقبه – وأنه سيظهر آخر الزمان إذا فسد الناس وأنه سيفعل ويفعل من الترهات وأنه الآن في السرداب غائب الغيبة الكبرى أما غيبته الصغرى فقد انتهت سنه ٣٢٩هـ(٢) على حسب افتراء الشيعة .

وهذه خطوات تقديس الأئمة والغلو فيهم :

١- عصمة الأئمة .

هناك خلاف بين الشيعة حول عصمة الرسول فمنهم من أجاز وقوع المعصية من الرسول لكنهم أجمعوا على عصمة أئمتهم وعللوا جواز وقوع المعصية من الرسول بأن الرسول إذا عصى يأتيه الوحي من ا لله فيصحح عمله أما أئمتهم فمنعوا وقوع المعصية منهم بحجة أنهم لايوحى إليهم فلو لم يكونوا معصومين لوقعت منهم معاصي وأخطاء ونحن مأمورون باتباعهم فيكون اتباعنا لهم على الخطأ وهذا لايمكن .

---

(١) الملل والنحل ، ١٤٦/١ .

(٢) انظر دراسة عن الفرق ، ص ١٧-١٨٠، وانظر منهاج السنة النبوية ، ١٠٢/١ .

وهذه نماذج من ادعائهم العصمة لأئمتهم :

" إعلم أن إجماع علماء الإمامية قد انعقد على أن الإمام معصوم من جميع الذنوب صغيرة كانت أم كبيرة من أول العمر إلى أخره فلايقع منهم ذنب أصلاً لاعمدا ولانسياناً ولاسهواً ولاغير ذلك"(١) .

" لابد أن يكون الإمام معصوماً من جميع الرذائل والفواحش ماظهر منها ومابطن من سن الطفولة إلى الموت عمداً وسهواً كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان لأن الأئمة حفظة للشرع قوامون عليه"(٢) ، ونراهم يجعلون سبب العصمة إنما هو حفظاً للشرع، والحق أن سبب العصمة يكسب نواب الأئمة قداسة مثل قداسة الأئمة عندهم وبعداً عن الخطأ لكنه بطريق غير مباشر ثم إن هذه العصمة تمتد وتعم طائفة الشيعة الإمامية كلها(٣) .

أما من ناحية وقوع الخطأ فإن الأئمة من بني آدم وقد قال صلى ا لله عليه وسلم " كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون"(٤) .

وأين العصمة من الخطأ عند الأئمة وقد قال علي بن أبي طالب رضي ا لله عنه : " لاتكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل فإني لست آمن من أن أخطيء"(٥)، وكره الحسين بن علي صلح أخيه الحسن مع معاوية بن أبي سفيان

(١) حياة القلوب لمحمد باقر المجلسي ، توفي سنة ١١١٠هـ أحد علماء الشيعة ٢٧/٧، نقلته من:دراسة عن الفرق لأحمد جلي ص٢٠٣ ونقله أحمد جلي عن عقيدة الشيعة لدونلد سن ص٣١٧ وعن ظهر الإسلام لأحمد أمين للمزيد أنظر كتاب:الشيعة وأهل البيت، احسان إلهى ظهير، إدارة ترجمان القرآن، لاهور باكستان ، ط٣، سنة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م،ص١٣٧، هامش ٣٤٢ .

(٢) توحيد الألوهية والفرق الضالة فيه (الشيعة، الصوفية، الباطنية)، سارة بنت فراج ابن علي العقلا، كلية التربية للبنات-مكةالمكرمة-رسالة دكتوراة مطبوعة على الآلة الكاتبة، ١٤١٣هـ١٩٩٣-م، ١٦٦/١ .

(٣) مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة ٣٢٨/١ .

(٤) سنن الحافظ محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة (٢٠٩-٢٧٣هـ) تحقيق محمد مصطفى الاعظمي ، شركة الطباعة العربية ، السعودية ، الرياض ، ط١، سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ٤٣٨/٢، عن أنس رضي ا لله عنه

(٥) شرح نهج البلاغة، عبدالحميد بن أبي الحديد، تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الثانية /١٣٨٧هـ-١٩٦٧م ،١٠٢/١١.

رضي ا لله عنهم فيكون أحدهما من هذه الحادثة غير معصوم ، ومن آثار دعوى العصمة " اعتبارهم أن مايصدر عن أئمتهم الإثنى عشر هو كقول ا لله ورسوله صلى ا لله عليه وسلم ولذلك فإن مصادرهم في الحديث تنتهي معظم أسانيدها إلى أحد الأئمة ولاتصل إلى رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم"(١) .

وقد تنبه الشيعة لوجود تعارض بين ادعاء العصمة للأئمة وبين مايوجد من أخبار تنقض العصمة كالسهو والخطأ عن الأئمة لذا قالوا : " المسألة في غاية الإشكال لدلالة كثير من الأخبار والآيات على صدور السهو عنهم وإطباق الأصحاب إلا من شذ منهم على عدم الجواز"(٢).

وعن علم أئمتهم وغلوهم في ذلك روى الكليني عن أبي محمد قال دخلت على أبي عبدا لله "ع" فقلت له : جعلت فداك إني أسألك عن مسألة، ههنا أحد يسمع كلامي؟ قال: فرفع أبو عبدا لله "ع" ستراً بينه وبين بيت آخر فاطلع فيه ثم قال : سل عما بدا لك فقلت: جعلت فداك إن شيعتك يتحدثون أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وآله علم علياً عليه السلام باباً يفتح له منه ألف باب؟ قال : يا أبا محمد علم رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم وآله علياً عليه السلام ألف باب يفتح من كل باب ألف باب قال : قلت هذا وا لله العلم : قال فنكت ساعة في الأرض ثم قال إنه لعلم وماهو بذاك .

قال : ثم قال : يا أبا محمد وإن عندنا الجامعة ومايدريهم ماالجامعة قال : قلت : جعلت فداك وماالجامعة قا ل: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول ا لله صلى ا لله عليه وآله وإملائه من فلق فيه وخط علي بيمينه فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الإرش في الخدش وضرب بيده إلي فقال : تأذن لي يا أبامحمد قال : قلت جعلت فداك إنما أنا لك فاصنع ماشئت قال: فغمزني بيده وقال : حتى أرش هذا كأنه مغضب – قال : قلت : هذا وا لله العلم قال إنه لعلم وليس بذاك .

---

(١) مسألة التقريب ١/٣٢٤ .

(٢) المصدر السابق ، ١/ ٣٢٩–٣٣٠، وانظر دراسة عن الفرق ٢٠٦–٢٠٧ .

ثم سكت ساعة ثم قال : وإن عندنا الجفر ومايدريهم ما الجفر ؟ قال : قلت وما الجفر ؟ قال وعاء من أدم فيه علم النبيين والوصيين وعلم علماء الذين مضوا من بني إسرائيل قال : قلت إن هذا هو العلم قال : إنه لعلم وليس بذاك.

ثم سكت ساعة ثم قال : وإن عندنا لمصحف فاطمة "ع" ومايدريهم مامصحف فاطمة "ع" قال : قلت : وما مصحف فاطمة " ع" قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات وا لله مافيه من قرآنكم حرف واحد قال : قلت : هذا وا لله العلم قال إنه لعلم وماهو بذاك .

ثم سكت ساعة ثم قال : إن عندنا علم ماكان وعلم ماهو كائن إلى أن تقوم الساعة قال : قلت جعلت فداك هذا وا لله هو العلم قال إنه لعلم وليس بذاك.

قال : قلت جعلت فداك فأي شيء العلم ؟ قال : مايحدث بالليل والنهار الأمر من بعد الأمر والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة"(١) .

وماهذه العلوم التي يدعون إلا وهماً وافتراءاً فا لله سبحانه وتعالى أكمل للمسلمين دينهم قال تعالى : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾(٢) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾(٣) .

وقال سبحانه وتعالى ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم﴾(٤).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ياأيها الرسول بلغ ماأنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾(٥) .

---

(١) الكافي للكليني ١/٢٣٨-٢٤٠ ، نقلاً عن مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة. ٢٥٩-١/٢٥٨

(٢) سورة المائدة آية ٣ .

(٣) سورة النحل آية ٨٩ .

(٤) سورة النحل آية ٤٤ .

(٥) سورة المائدة آية ٦٧ .

وعن أبي جحيفة رضي ا لله عنه قال : " قلت لعلي هل عندكم كتاب قال : لا إلا كتاب ا لله أو فهم أعطيه رجل مسلم أو مافي هذه الصحيفة قال : قلت وما في هذه الصحيفة قال: العقل وفكاك الأسير ولايقتل مسلم بكافر"(١) .

ولقد اعتقد الشيعة أن لأئمتهم علماً أكثر من علم الملائكة والرسل فقد روى الكليني : " عن أبي عبدا لله أنه قال : إن لله تبارك وتعالى علمين علماً أظهر عليه ملائكته وأنبياءه ورسله فما أظهر عليه ملائكته ورسله وأنبياءه فقد علمناه ، وعلماً استأثر به فإذا بدا لله في شيء منه أعلمنا ذلك وعرض على الأئمة الذين كانوا قبلنا"(٢) وما اشبه هذا الكلام بكلام واضعي التلمود من أحبار اليهود ؟! .

"وإذا كان الأئمة على هذه الدرجة من العلم فمن نافلة القول أنهم يعلمون جميع الصنائع وسائر اللغات"(٣) وأين هذا الادعاء من قوله تعالى : ﴿قل لايعلم من في السموات والارض الغيب إلا ا لله﴾(٤).

وقوله تعالى : ﴿عالم الغيب فلايظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾(٥) .

وقوله صلى ا لله عليه وسلم ؛ " إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه شيئاً فلايأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار"(٦) .

ويرى الشيعة " أن للإمام مقاماً محمودا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع

---

(١) رواه البخاري ١/٢٤٦، كتاب العلم باب كتابة العلم.
(٢) توحيد الالوهية والفرق الضالة فيه ١/٢٧٣ نقلا عن الأصول من الكافي للكليني كتاب الحجة ١/٢٥٥
(٣) توحيد الألوهية والفرق الضالة فيه ١/٢٧٣ نقلاً عن المفيد: أوائل المقالات ص٣٧
(٤) سورة النحل ، آية ٦٥ .
(٥) سورة الجن ، الآيات ، ٢٦-٢٧ .
(٦) رواه البخارى : ١٣/١٦٨، كتاب الأحكام باب موعظة الإمام للخصوم ، حديث رقم٧١٦٩، وروواه مسلم شرح صحيح مسلم ١٤/٢٤٥، كتاب الاقضية باب الحكم بالظاهر واللحن [الحجة] حديث رقم١٧١٣، عن ام سلمة رضي ا لله عنها.

لولايتها وسيطرتها جميع ذرات الكون(١) ، وأين هذا من قوله تعالى : ﴿و لله يسجد مافي السموات والأرض من دابة والملائكة وهم لايستكبرون﴾(٢)، وقوله تعالى ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾(٣) وقال سبحانه وتعالى ﴿سبح لله مافي السموات ومافي الأرض وهو العزيز الحكيم﴾(٤) ، وقال سبحانه وتعالى ﴿يسبح لله مافي السموات ومافي الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم﴾(٥) .

ولاشك أن ادعاء الشيعة العصمة والعلم وعلو المقام لأئمتهم يحيطهم بالإجلال والإعظام ويرفع مكانتهم ويجعل الناس يقدسونهم وحيث أن آخر الأئمة مختفي في الغيبة الكبرى الآن ولايعلم متى يخرج فلابد من أحد ينوب عنه ويقوم مقامه وهو المجتهد من الشيعة وهذا المجتهد امتص كثيراً من خصائص الأئمة لذلك يقولون : " عقيدتنا في المجتهد أنه نائب للإمام عليه السلام في حال غيبته وهو الحاكم والرئيس المطلق ...

والراد عليه راد على الإمام والراد على الإمام راد على ا لله تعالى وهو على حد الشرك با لله"(٦) وهذا على حد زعمهم .

وورد عنهم أيضاً : " وعقيدتنا في المجتهد أنه نائب للإمام عليه السلام في حال غيبته ، له ماللإمام والراد عليه راد على الإمام والراد على الإمام راد على ا لله تعالى وهو على حد الشرك با لله تعالى"(٧) .

ويقولون:" إن معظم فقهائنا في هذا العصر تتوفر فيهم الخصائص التي تؤهلهم للنيابة عن الإمام المعصوم"(٨) .

(١) توحيد الألوهية والفرق الضالة ، ص١/٣٧٩، نقلاً عن الحكومة الإسلامية للخميني ، ص٥٢ .
(٢) سورة النحل ، آية ٤٩،
(٣) سورة الأعراف ، آية ٥٤ .
(٤) سورة الحشر ، آية ١،
(٥) سورة الجمعة ، آية ، ١ .
(٦) مسألة التقريب ١/٣٠٧، ونقله عن عقائد الإمامية محمد رضا المظفر ص٣٤ .
(٧) وجاء دور المجوس ، عبدا لله محمد الغريب ، ط٦، سنة ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م ، ص١/١٩٤. نقلاً عن: تحرير الوسيلة للخميني ص ٣٦٥
(٨) مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة ١/٣٠٧، نقلا من الحكومة الإسلامية ، ص١١٣ .

وقالوا أيضاً " والفقية هو وصي النبي وفي عصر الغيبة يكون إماماً للمسلمين وقائدهم"(١) .

ثم ربطوا باقي الشيعة بهذه السلسلة حتى يحكموا التلاعب بهم حسب أهوائهم فقالوا : " أن من لم يصل رتبة الإجتهاد يجب عليه أن يقلد مجتهداً معيناً وإلا فجميع عباداته باطلة لاتقبل منه وإن صلى وصام وتعبد طول عمره إلا إذا وافق عمله رأي من يقلده بعد ذلك"(٢) ، وحتى يتضح لعبهم بعوامهم " أنه عندما مرض مجتهد في النجف استمر صيام مقلديه على الرغم من إفطار الآخرين من الشيعة من أجل أن مرض ذلك المجتهد حال دون سماع شهادة شهود الرؤية"(٣) أي لم يسمع شهادة شهود رؤية هلال شوال ، وهذا من المخزيات المضحكات.

وبهذا الأنقياد للعالم المعصوم – على زعمهم – ساقوا العوام واستغلوهم ونهبوا أموالهم بما فرضوه عليهم من الخمس وبما يجبونه منهم عند القبور من النذور فقد سنوا فيهم سنة الشرك والوثنية ونطق هؤلاء الدعيون بالأجر العظيم والفوز بالنعيم وشفاء السقيم لمن زار الأضرحة والتمس منها الصحة والمغفرة وأقاموا صروح الشرك ووضعوا الأحاديث والكتب في فضلها وشعائر الزيارة فمن ذلك ما قاله آيتهم وحجتهم عبد الله الممقاني في كتابه مرآة الرشاد: " وعليك بني بالتوسل بالنبي وآله صلى الله عليهم أجمعين فإني قد استقصيت الأخبار فوجدت أنه ماتاب الله على نبي من أنبيائه من الزلة : إلابالتوسل بهم وقد ورد – أي من طرقهم – أن الله تعالى لماخلق آدم عليه السلام نقل أشباح محمد وآله المعصومين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين من ذروة العرش إلى ظهره وكان أمره للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام إذ كان دعاء تلك الأشباح .. وأنه قال لآدم عليه السلام لما سأله

(١) المصدر السابق ٣٠٩/١، نقلاً من الحكومة الإسلامية ، ص٦٧ .
(٢) مسألة التقريب ٣٠٩/١ نقلاً عن العقائد الامامية ص ٥٥ .
(٣) المصدر السابق ، ٣٠٩/١، حاشية رقم ٣ .

عنهم : أن هؤلاء خيار خليقتي وكرام بريتي بهم آخذ وبهم أعطي وبهم أعاقب وبهم أثيب فتوسل بهم ياآدم وإذا دهتك داهية فاجعلهم لي شفعاءك فإني آليت على نفسي قسماً حقاً أن لاأخيب بهم آملاً ولا أرد بهم سائلاً ... وعليك بني بزيارته - يعنى الحسين - في كل يوم من البعد مرة والمضي إليه في كل شهر مرة ولا أقل من زيارته في الوقفات السبع(١) وإن كنت في بلدة بعيدة ففي السنة مرة"(٢) .

وهذا توجيه لعوامهم وخاصتهم بالتوسل بالمقبورين .

وأين هذا من قوله سبحانه قال تعالى : ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾(٣).

ويقول آيتهم محمد الشيرازي في كتابه : مقالة الشيعة : " ونعتقد أن النبي صلى ا لله عليه وآله والأئمة الطاهرين أحياء عند ربهم يرزقون ولذا فإننا نزور قبورهم ونتبرك بآثارهم ونقبل أضرحتهم كما نقبل الحجر الأسود وكما نقبل جلد القرآن" (٤) ، وهذا تبرك بآثار المقبورين أي أن البركة ترجى من القبور والنفع ودفع الضر يطلب منها عندهم .

ويقول د. عبد الجواد آل طعمة في كتاب له يسمى : تاريخ كربلاء وهو موثق - على طرقهم الكاذبة - من عدد من آياتهم وحججهم : " أعطيت كربلاء حسب النصوص الواردة - عن طريقهم - بأكثر مما أعطي لأي أرض أو بقعة أخرى من المزية والشرف في الإسلام فكانت أرض ا لله المختارة وأرض ا لله المقدسة المباركة وحرماً آمناً مباركاً وحرماً من حرم ا لله وحرم رسوله وقبة الإسلام ومن المواضع التي يحب ا لله أن يعبد ويدعى فيها وأرض ا لله التي في تربتها الشفا فإن

---

(١) الوقفات السبع عندهم :١ - زيارة ليلة عاشوراء ويومها -٢- زيارة الاربعين ٣زيارة أول يوم من رجب ٤- زيارة النصف من رجب ٥- زيارة النصف من شعبان ٦ - زيارة ليلة عيد الفطر ٧- زيارة يوم عرفة ، عن مسألة التقريب ٧٧/٢، حاشية ١ .

(٢) مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة ٧٧/٢ وإلى مثل هذا وأبعد ذهبت غلاة الصوفية وسيأتي الحديث عن ذلك عند الصوفية .

(٣) سورة البقرة آية الكرسي ٢٥٥ .

(٤) مسألة التقريب ٧٦/٢ .

هذه المزايا وأمثالها التى اجتمعت لكربلاء لم تجتمع لأي بقعة من بقاع الأرض حتى الكعبة"(١)، ويؤكد ذلك قول آيتهم مرزا حسين الحائري في كتابه أحكام الشريعة: " كربلاء تلك التربة الطيبة الطاهرة والأرض المقدسة التى قال في حقها رب السموات والأرضين مخاطباً للكعبة حينما افتخرت على سائر البقاع : قري واستقري لولا أرض كربلاء وماضمنته لما خلقتك،ثم يقول هذا الرافضي: وكذلك أصبحت هذه البقعة المباركة بعدما صارت مدفناً للإمام "ع" مزاراً للمسلمين وكعبة للموحدين ومطافاً للملوك والسلاطين فمسجداً للمصليين"(٢) .

وقد روى الشيعة فيما يروون بأسانيدهم من الكذب والبهتان في فضل زيارة قبور الأئمة سواء من الأجر العظيم والثواب الجزيل أو مافيها من الشفاء أو المعجزات الباهرات الشيء الكثير ومن ذلك قول صاحب الكافي فيما نقله صاحب الوافي عنه جـ ٨ ص٢١٩ :" أتى رجل أباعبدا لله فقال له : إني قد حججت تسع عشرة حجة فادع ا لله أن يرزقني تمام العشرين قال هل زرت قبر الحسين "ع" قال: لا قال : لزيارته خير من عشرين حجة"(٣)

وعن ابن أبي يعفور قال : سمعت أبا عبدا لله يقول : " وا لله لوأني حدثتكم بفضل زيارته وبفضل قبره لتركتم الحج رأساً وماحج منكم أحد ، ويحك أما علمت أن ا لله اتخذ كربلاء حرماً آمنا مباركاً قبل أن يتخذ مكة حرماً ، قال : ابن أبي يعفور فقلت له : قد فرض ا لله على الناس حج البيت ولم يذكر زيارة قبر الحسين "ع" فقال : إن كان كذلك فإن هذا شيء جعله ا لله هكذا"(٤) ذكره المجلسي في البحار ،جـ١٠١،ص٣٣ .

(١) مسألة التقريب ٧٦/٢ .
(٢) المصدر السابق ٧٥/٢-٧٦ .
(٣) مسألة التقريب ٣٠٢/١ .
(٤) المصدر السابق ٣٠٢/١-٣٠٣ .

وعن أبي عبدا لله : " إن ا لله يبدأ بالنظر إلى زوار قبر الحسين بن علي"ع" عشية عرفه قبل نظره إلى أهل الموقف قال الرواي : وكيف ذلك؟ قال أبوعبدا لله- كما يزعمون – لأن في أولئك أولاد زنا وليس في هؤلاء أولاد زنا"(١).

" وكذبوا على رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم أنه قال : من زار الحسين بعد موته فله الجنة"(٢) .

ورووا "عن باقر بن زين العابدين أنه قال : لايخرج قطرة ماء بكاءً على الحسين إلا ويغفر ا لله ذنوبه ولوكانت مثل زبد البحر" " ووجبت له الجنة"(٣) .

وينقلون عن " موسى بن جعفر الإمام السابع عندهم – أنه قال : من زار قبر ولدي علي كان له عند ا لله سبعون حجة مبرورة قلت – أي الراوي- سبعون حجة ؟ قال : نعم وسبعون ألف حجة ثم قال : رب حجة لاتقبل، ومن زاره أو بات عنده كان كمن زار ا لله تعالى في عرشه – استغفر ا لله عن نقل هذه الخرافة – قلت كمن زار ا لله في عرشه ؟ قال نعم"(٤) .

وعن الصادق " من زار قبر الحسين يوم عرفة كتب ا لله له ألف ألف حجة مع القائم "ع" وألف ألف عمرة مع رسول ا لله صلى ا لله عليه وآله وعتق ألف ألف نسمة وحمل ألف ألف فرس في سبيل ا لله وسماه ا لله عز وجل عبدي الصديق آمن بوعدي وقالت الملائكة فلان الصديق وزكاه ا لله من فوق عرشه.."(٥).

" ونقلوا عن علي الرضا أنه قال : سيأتي عليكم يوم تزورون فيه تربتي بطوس ألا فمن زارني وهو على غسل خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه"(٦) .

" هذا ومن زار أخته فاطمة بنت موسى فله الجنة"(٧) .

(١) مسألة التقريب ،٣٠٣/١ ، نقلاً عن الفيض الكاشاني في كتابه الوافي ، المجلد الثاني جـ٨، ص٢٢٢ ،
(٢) الشيعة وأهل البيت ، ص ٢٣٩
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٣٩ .
(٤) الشيعة واهل البيت ، ص ٢٤٠ .
(٥) مسألة التقريب ، ٣٠٣/١-٣٠٤.
(٦) الشيعة وأهل البيت ، ص ٢٤٠ .
(٧) الشيعة وأهل البيت ، ص ٢٤١ .

وقالوا عنها أيضاً وعن الحرم كذباً رواية عن جعفر الصادق :" إن الله حرماً هو مكة ولرسوله حرماً وهو المدينة ولأمير المؤمنين حرماً وهو الكوفة ولنا حرماً وهو قم ستدفن فيه امرأة من ولدي تسمى فاطمة من زارها وجبت له الجنة"(١) ، هذا عن شد الرحال إلى هذه القبور وعن جعل تربتها حرماً آمنا افتراء على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى الصادقين من أهل البيت.

أما عن الصلاة عند القبور فإنهم يروون :

" الصلاة في حرم الحسين لك بكل ركعة تركعها عنده كثواب من حج ألف حجة واعتمر ألف عمرة وأعتق ألف رقبة وكأنما وقف في سبيل الله ألف مرة مع نبي مرسل"(٢) .

أما عن المعجزات والشفاء فقد ورد:" أن رجلاً سأل جعفر الصادق: يأخذ الإنسان من طين قبر الحسين فينتفع به ويأخذه غيره ولاينتفع به؟ فقال : لاوالله الذي لاإله إلا هو مايأخذه أحد وهو يرى أن الله ينفعه به إلا نفعه به "(٣) .

و" عن جعفر أنه قال : إن عند رأس الحسين لتربة حمراء فيها شفاء من كل داء إلا السام"(٤) .

و" عن أبي عبدالله أنه قال : إذ فرغت من الدعاء عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فأت المنبر فامسحه بيدك وخذ برمانتيه وهما السفلاوان وامسح عينيك ووجهك به فإنه يقال : إنه شفاء العين وقم عنده فاحمد الله"(٥) .

بقي أن يعلم أن الشيعة تجاوزوا في الغلو من الخطوط الحمراء والدركات السفلى في مجاهيل الشرك والوثنية الشيء الكثير فقد رووا فيما يروون من كذبهم:

(١) مسألة التقريب ١/ ٣٠١-٣٠٢.
(٢) مسألة التقريب ٣٠٤/١ .
(٣) توحيد الالوهية والفرق الضالة فيه ٢٩٧/١ ، نقلاً عن الفروع من الكافي للكليني كتاب الحجج، ٥٨٨/٤ .
(٤) المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .
(٥) توحيد الالوهية والفرق الضالة فيه ٢٩٧/١-٢٩٨ ، نقلاً عن الفروع من الكافي للكليني ، كتاب الحجج٥٥٣/٤ .

" أن قبر أمير المؤمنين يزوره ا لله مع الملائكة ويزوره الأنبياء ويـزوره المؤمنـون"(١)

وإن شئت أن تضحك فإن الشيعة كذبوا علـى رسـول ا لله صلـى ا لله عليـه وسلم وقالوا أنه قال : " إن حلقة باب الجنة من ياقوته حمراء على صفائح الذهب فإذا دقت الحلقة على الصفيحة طنت وقالت : يا علي "(٢)

وافتروا على نـبي ا لله أنـه قـال لعلـي : " إن ا لله حملنـى ذنـوب شيعتك ثـم غفرها لي"(٣) .

مشاهد للشيعة

ومن منكراتهم ماهو رايج منهم من عبادة القبب فقد شادوا علـى قـبر كـل واحد من أئمتهم في خراسان أو في الحجاز(٤) قبة من الذهب والفضة.

ووصل الحال بالشيعة في مشـاهدهم وقبورهـم أن نفعهـا مثلمـا يصـل للأحيـاء والزوار فإنه يصل أيضـاً إلى الأمـوات فذكـروا أن هنـاك أمـوراً يجـوز عندهـا نـبش القبور " منها : أن يكون ذلك لإيصالـه إلى محـل يرجـى فـوزه بـالثواب ونجاتـه مـن العذاب كالنقل إلى المشاهد المشرفة أو مقابر مطلق الأوليـاء والشـهداء والصلحـاء والعلماء ..."(٥)، وقد أصل الشيعة للشرك في القبور وألبسوا الباطل ثـوب الحق وزخرفوه بالإغراءات المتنوعة فمن لم ينفـع بـه بـاب التديـن والأجـر نفـع بـه بـاب الحاجة إلى الشفاء والعكس صحيح ، وألفوا وجمعوا الشيء الكثير في كتبهم : ففـي كتاب" البحار" للمجلسي كتاب المـزار وقـد اسـتغرق ثـلاث مجلـدات مـن كتـاب البحار .

وفي "وسائل الشيعة " للحر العاملي أبواب المزار وبلغـت مائـة وسـتة أبـواب.

---

(١) مسألة التقريب بين أهـل السنة والشيعة ١/ ٣٠٤، ونقلـه عـن المجلسـى " البحـار"، ١٠٠/ ٢٥٨ .

(٢) الشيعة وأهل البيت ٢٥٣.

(٣) المصدر السابق ٢٥٤.

(٤) في وقت الكسروي ت ١٣٢٤هـ ، والآن و لله الحمد ليس لهم ذلك في الحجاز .

(٥) توصية الألوهية والفرق الضالة فيه ١/ ٢٩٩ .

(٦) توحيد الألوهية والفرق الضالة فيه ١/ ٣٠٠.

وفي " الوافي " أبواب المزارات والمشاهد وعددها ثلاثة وثلاثون باباً .

وفي كتاب" تهذيب الأحكام" أبواب كثيرة تتعلق بتعظيم المشاهد والقبور ومناجاة الأئمة بأدعية تتضمن تأليههم، وألفوا كتباً مستقلة للزيارات منها كتاب مناسك الزيارات للمفيد وكتاب المزار لمحمد بن على الفضل ، وكتاب المزار لمحمد بن المستهدي ، وكتاب المزار لمحمد بن همام، وكتاب المزار لمحمد بن أحمد بن داود(١) ، وكتاب مناسك حج المشاهد للمفيد(٢) ، وكتاب مفاتيح الجنان وهو كتاب يحتوي على مئات من الزيارات للأئمة وأولادهم ويجمع بين طياته مدحاً للأئمة والثناء عليهم والتنديد بأعدائهم ثم قليل من الدعاء ، وقلما يوجد بيت للشيعة لايتوفر فيه هذا الكتاب(٣) .

ماسبق من النقول يعتبر من باب التقعيد والتشريع والترغيب للشركيات والوثنيات ويبقى عامل أخر لهذا الإنحراف وهو ضعف السلطة الحاكمة والخلافة فإن الشيعة لم يبنوا مشاهداً على قبور أئمتهم في العصور المفضلة وإنما "كان ظهورها وانتشارها حين ضعفت خلافة بني العباس وذلك في أواخر المئة الثالثة"(٤).

ونتج عن هذا أن الشيعة انحرفوا بأتباعهم إلى الوثنية وصاروا يطلبون من الأموات مالا يقدر عليه إلا الله يقول الكسروي : " ومما يوجب الخجل أنهم يجعلون لتلك القبب معجزات من شفاء المرضى وإبراء الأكمه والأعرج وغير ذلك، وغير مرة سمعنا وقوع المعجزة الفلانية في المشهد أو في كربلاء وادعى كثيرون مشاهدتها بأعينهم أو العلم بها من قريب والحقيقة أنهم لكونهم يحسبون أئمتهم أحياء لم يموتوا ويحسبونهم قادرين على كل شيء يرجون من قبورهم

---

(١) انظر مسالة التقريب بين أهل السنة والشيعة ١/٣٠٠-٣٠١، وحاشية رقم ٤، ص٣٠١ من نفس الكتاب .

(٢) انظر الفتاوى ، ١٦٢/٢٧ .

(٣) انظر : الشيعة والتصحيح : الصراع بين الشيعة والتشيع ، د. موسى الموسوي ، الطبعة عام ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، ص ٩١ .

(٤) انظر فتاوى ابن تيمية ١٦٧/٢٧،٤٦٦ .

المعجزات بل ينتظرونهم ويحملهم هذا الإنتظار على جعل المعجزات لها ، وهذا الجعل لاقباحة له عندهم بل يستحسنونه لأنهم يحسبونه سبب استحكام إيمان العامة من الناس"(١)، وقال : " وآخر من منكراتهم ماهو رائج فيهم من عبادة القبب فقد شادوا على قبر كل واحد من أئمتهم قبة من الذهب أو الفضة وبنوا مباني ونصبوا خداماً فيقصدها الزائرون من كل فج عميق فيقفون أمام الباب متواضعين ويستأذنون متضرعين ثم يدخلون فيقبلون القبر ويطوفون حوله ويبكون ويبتهلون ويسألون حاجات لهم فهل هذا إلا العبادة ؟!"(٢) .

ويقول مختصر التحفة الإثنى عشرية شاه عبدالعزيز غلام حكيم الدهلوي : " وأما مشابهتهم للمشركين فلأنهم يعظمون قبور الأئمة ويطوفون حولها بل ويصلون إليها مستدبرين القبلة إلى غير ذلك من الأمور التى يستقل لديها فعل المشركين مع أصنامهم وإن حصل لك ريب من ذلك فاذهب يوم السبت إلى مرقدي موسى الكاظم ومحمد الجواد .. فانظر ماذا ترى ومع ذلك فهذا معشار مايصنعون عند قبر الأمير- أي علي بن أبي طالب - ومرقد الحسين رضي ا لله تعالى عنه ممالايشك ذو عقل في إشراكهم والعياذ با لله تعالى"(٣) .

وقد اتخذوا صوراً للأئمة يعظمونها ويسجدون لها ولقبورهم " والنصارى يصورون صورة عيسى ومريم ويضعون ذلك في كنسائهم ويعظمونها ويسجدون لها فكذلك الرافضة فإنهم يصورون صور الأئمة ويعظمونها بل ويسجدون لها ولقبورهم وماجرى مجرى ذلك "(٤) .

---

(١) توحيد الألوهية والفرق الضالة فيه ٢٩٨/١ .

(٢) مسألة التقريب بين أهل السنة والجماعة ، نقلاً عن الشيعة والتشبع ، أحمد مير قاسم بن مير أحمد الكسروي، وكان شيعياً ثم ترك التشيع وكان استاذاً في جامعة طهران وتولى مناصب قضائية ورأس بعض المحاكم في ايران ، انظر مسألة التقريب ٢١٨/١-٢١٩.

(٣) مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ص٣٠٠وانظر مسألة التقريب ٣٠٥/١.

(٤) مختصر التحففة الاثنى عشرية ، ص ٢٩٩، وانظر الشيعة والتصحيح ، ص٨٥ .

فهذا عمل المشاهد والآثار ونتاجها تبدأ خفيفة ومعقولة إلى حد ما ثم تكون أشبه ماتكون بكرة الثلج المنحدرة من علو جبل مكسو بالثلج لابد لها من التدحرج وكلما تدحرجت زادت ضخامة أو مثل كرة الطين .

فتعظيم الآثار والمشاهد عند الشيعة أثمر الشرك والوثنية بينهم كما اتضح من النقولات السابقة علماً أن ماأوردته إنما هو غيض من فيض..

المبحث الثاني
تعظيم الآثار والمشاهد عند الصوفية

معنى الصوفية:

الصوفية في اللغة لها عدة تعاريف حيث أنه لم يتفق على أصل اشتقاقها تقريباً حتى عند الصوفية .

منها- :

١- نسبة إلى أهل الصفة وهو غلط لأنه لوكان كذلك لقيل صُفي .

٢- وقيل نسبة إلى الصف المقدم بين يدي ا لله ، وهو أيضاً غلط فإنه لوكان كذلك لقيل صَفي .

٣- وقيل نسبة إلى الصفوة من خلق ا لله وهو غلط لأنه لوكان كذلك لقيل صفوي .

٤- وقيل نسبة إلى صوفة بن بشر بن أدين طابخة قبيلة من العرب كانوا يجاورون بمكة من الزمن القديم ينسب إليهم النساك(١) ، وهذا وإن كان موافقاً للنسب من جهة اللفظ فإنه ضعيف أيضاً لأن هؤلاء غير مشهورين ولامعروفين عند أكثر النساك ، ولأنه لو نسب النساك إلى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى ولأن غالب من تكلم باسم "الصوفي " لايعرف هذه القبيلة ولايرضى أن يكون مضافاً إلى قبيلة في الجاهلية لاوجود لها في الإسلام .

٥- وقيل – وهو المعروف – أنه نسبة إلى لبس الصوف وأن له ارتباطاً وتشبهاً بالنصارى فعن محمد بن سيرين أنه بلغه أن قوماً يفضلون لباس الصوف فقال : إن قوماً يتخيرون الصوف يقولون : أنهم متشبهون بالمسيح بن مريم وهدي نبينا أحب إلينا(٢) .

---

(١) المقصود بالنساك أي الصوفية .

(٢) انظر فيما سبق فتاوي ابن تيمية ١١/٦-٧ .

وهذا مناسب من حيث الإشتقاق لأنه يقال تصوف إذا لبس الصوف ولأن لبس الصوف كان غالباً على أوائل المنسوبين إلى التصوف (١) .

٦- وقيل منسوب إلى الصفاء وهو غلط لأن النسبة إليه : صفائي وإلى سوفيا بمعنى الحكماء وهو غلط لأن النسبة إليه : سوفيائي أو الحكمة وإلى صوفي- لفظة يهودية بمعنى المرشد في حلقات العارف السرية أو بمعنى المسلّك – وإلى صوفة القفا أو إلى الصفوة من الخلق .

وقيل إنها علم على هذه الطائفة من غير اشتقاق ولاقياس .

أما في الإصطلاح :

"هي رياضات يقوم بها السالك حتى يصل إلى الجذبة حيث يرى بتأثير إيحاءات شيخه المُؤَلّه – رؤى يتوهم في بعضها أنها تَحقُقٌ بالالوهية وبالتالي استشعار لوحدة الوجود"(٢) .

تعريف آخر " التصوف مجموعة من الأفكار الإسلامية والنصرانية واليهودية أو هو الخلاصة الروحية من تلك الديانات الثلاث"(٣) . ويقول عبد الرحمن الوكيل : " للصوفية مدد من كل نحلة ودين إلا دين الإسلام"(٤) .

---

(١) انظر التعرف لمذهب التصوف ، أبي بكر محمد بن اسحاق الكلاباذي ، ت٣٨٠ هـ وتعليق أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط١، سنة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م ، ص ١٠، هامش ٣ .

(٢) الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ، محمود عبدالرؤوف القاسم ، توزيع دار الصحابة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص٧٣٦ .

(٣) التصوف بين الحق والخلق ، محمد فهر شقفة ، الدار السلفية الكويت ، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م ، ص ٧، نقله من التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ١/١٦٠ .

(٤) هذه هي الصوفية ، عبدالرحمن الوكيل ، مكتبة اسامة الرياض ، ص١٩ .

تعريف آخر : " طريقة زهدية في التربية النفسية يعتمد على جملة من العقائد الغيبية (الميتا فيزيكيه) ممالم يقم على صحتها دليل في الشرع ولا في العقل"(١) .

سبب نشأة التصوف :

اختلف في سبب التصوف إلى عدة آراء :

١- نظراً للرخاء والبذخ الذي ساد في العالم الإسلامي وحياة الترف التى بدأ يعيشها كثير من المسلمين فإن لبس الصوف والزهد في الدنيا كان رد فعل لهذه الحالة (٢) .

لكن هذا لايصلح أن يكون سبباً للتصوف وإنما يصلح هذا أن يكون رد فعله هو الإنطواء والزهد ومحبة الفقر والإنقطاع عن الدنيا .

٢- أن التصوف كالتشيع رد فعل الفرس المقهورين منهم بتسلم الإسلام زمام الأمور في بلادهم وهزيمتهم أمامه بدليل : أن أغلب رجالات الصوفية

---

(١) التصوف بين الحق والخلق ، ص ٧ – وللتوسع في معرفة الصوفية وأقسامها ، انظر رسالة : (الصوفية والفقراء) لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وانظر رسالة : (موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية) للدكتور / أحمد محمد بناني

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ص٣٤١ .

ومنظريها الكبار من الفرس وخاصة في أوج قوتها في القرن الرابع(١) .

لكن وا لله أعلم : أن التصوف رد فعل لعلم الكلام .

فالأعمال قسمان :

أعمال القلوب ، وأعمال الجوارح .

ففي حال التوازن يكون هناك علاقة اتصال واستمرارية بين عمل القلب وعمل الجوارح وكل منهما مستلزم للآخر .

فالقلب لايكتفي بإيمانه با لله وخشيته من ا لله وذله وخضوعه وعبوديته لله الذي لاإله إلا هو عالم الغيب والشهادة العزيز الجبار المتكبر الملك القدوس المؤمن المهيمن الخالق البارىء المصور العليم الخبير الفعال لمايريد ورجائه ومحبته له الرحمن السلام الرؤوف اللطيف بل إنه يحتاج إلى عمل الجوارح وأن تكون مستجيبة لطلب خالقهاسواء طلب الفعل أو طلب الترك مؤلهة ا لله وحده مثل القلب تماماً.

وكذلك الجوارح التى تستجيب لأوامر ا لله والتى تنتهى عما نهى ا لله عنه تحتاج في تقوية عملها وتحسينه والتلذذ به والسعادة بأدائه والعيش عيشة راضية إلى قلب يخشى ا لله ويحب ا لله ويرجو ا لله ومستند على ا لله ومتوكل على ا لله ومستعين با لله سبحانه وتعالى ومتذلل لله راج ا لله .

لكن عند الذين أثبتوا توحيد الربوبية بمقدمات منطقية واستدلالات عقلية هم أنفسهم يوردون شبهاً يقفون عندها تقطع عليهم يقينهم الذي ينشدون ويدّعون .

(١) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ، عبدالرحمن عبدالخالق ، مكتبة ابن تيمية الكويت الطبعة الثانية ، ص٤٢٢، وانظر التصوف بين الحق والخلق، ص٣٤ .

وهم يثبتون الرب ويسمونه في اصطلاحهم " واجب الوجود " لكنه لايحدث في القلب تأثير الخشية والخوف ولاتأثير الرجاء والمحبة وتعظيم ا لله ولاينادي القلب لأعمال الخير وينهاه عن أعمال الشر، فلايذكر واجب الوجود وتقشعر الجلود، ولابذكره عندهم تطمئن القلوب ولاتخشاه القلوب في الغيب ولا تحيه القلوب حتى تطيعه وتتبع رسوله ولاتأله القلوب بالذل والخضوع والمحبة والخوف والرجاء لأن الاستدلالات جافة وعقيمة والقلوب عندما بحثت فيها دخلت في منطقة محظورة عليها وتركت صفة من أخص صفات المؤمنين ألا وهي صفة الإيمان بالغيب قال تعالى : ﴿ألم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين. الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون. أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾(١) ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر ا لله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾(٢) ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر ا لله ألا بذكر ا لله تطمئن القلوب﴾(٣) ، وا لله سبحانه وتعالى قد فطر المولود على الإسلام لله وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، والناس على اختلافهم في الأديان حتى الملحدين منهم عند الأزمات والشدائد ترتفع أكف الضراعة منهم وتعلو أبصارهم وتهفو قلوبهم تجاه ربهم وخالقهم وهم مستيقنون أن لاينفع إلا هو ولامخلص إلا هو فيدعونه رغباً في الخلاص ورهباً من الهلاك يسألونه النجاة والفكاك .

فلما كثر وطغى علم الكلام وزاد عن حده وبلغ قمة الخلافة العباسية واستهان الناس بأعمال الجوارح وجفت القلوب من خشية ا لله جاراه رد فعل

---

(١) سورة البقرة ، الآيات ١-٥.

(٢) سورة الانفال ، آية ٢ .

(٣) سورة الرعد ، آية ٢٨ .

معاكس له في الإتجاه مساوٍ له في القوة ألا وهو الإتجاه جهة التصوف والروحانيات وربط القلب با لله ربطاً مبنياً على جهل ، مما أنتج أعمالاً ضالة سواء في الجوارح أو القلوب ثم زاد التصوف وانتشر ودخل في مجاهيل العشق والهيام والفناء وشهود الحق والإتحاد ووحدة الوجود مما هو متوافر عند أصحاب الوثنيات كالهندية والنصرانية، وتعددت الطرق الصوفية فيما يسمونه الوصول إلى ا لله ، لكنها انتشرت بين المسلمين لأنها سهلة المنال ثياب بالية وعصابة وتقلل من متاع الدنيا فكثرت الصوفية لأن كثيراً من المسلمين عوام أو أشباه عوام .

والأدهى من ذلك أن كثيراً من أصحاب علم الكلام يشعرون بجفاف علومهم ويتضجرون من ذلك وهم يشربون من قدح التصوف غالباً لكنهم يشربون من القدح حتى الحثالة ، فالذي يرفض الأحاديث الصحيحة بحجة أنها أخبار آحاد أو يؤولها إذا كانت متواترة هو في الجانب الصوفي يتشبث ويعض بالنواجذ على أحاديث ضعيفة بل وموضوعة أحياناً وقصص خرافية ومنامات وأضغاث أحلام ويقبل بها عقله ولايناقش فيها أصلاً فأين هذه من تلك ؟

ثم إن هذه الصوفية دخلها مغرضون وحملها مفسدون ونادى بها مستغلون فهي أولاً على ضلال، ثم نشرها ودعاها متمردون فاجتمع فيها نوع من الضالين ونوع من المغضوب عليهم .

نشأة التصوف

يرى الصوفية أن أصحاب الصفة في عهد رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم هم سلفهم والخلفاء الراشدين وكثير من التابعين وتابعيهم هم سلسلة أوائلهم ويترجمون لهم في طبقاتهم.

والسبب في ذلك أنهم يريدون أن يكسروا حاجز النفرة عنهم ويعطوا لأنفسهم سنداً وظهراً وسلفاً مقبولاً عند المسلمين وجواز سفر يمرون به بينهم ،

وهذا التأصيل منهم لم ينفردوا به بل أغلب الفرق تدعي أن أساس فرقتهم وقولهم موجود عند فلان من الصحابة أو يزعمون أن الرسول صلى ا لله عليه وسلم بذر بذرته ولابد أنهم في ذلك جميعاً إما يؤولون كلامهم أو ينتحلون عليهم أو يستندون إلى آثار ضعيفة ٠

والصوفية استغلوا نقطة مشتركة بينهم ظاهراً وبين أولئك السلف ألا وهي نقطة الزهد في الدنيا والإعراض عن ملذاتها وعدم الإنشغال بها والرغبة في نعيم الآخرة ٠

والحقيقة أن الزهد يختلف عن التصوف إذ أن " الزهد ضد الرغبة والحرص على الدنيا، والزهادة في الأشياء كلها ضد الرغبة"(١) والمتصوفة لبسوا ثوب الزهد وتظاهروا به وبين الزهد والتصوف قدر مشترك إلى حد وهو التنازل عن كثير من ملاذ الحياة الدنيا إلا أنه في الزهد لئلا ينشغل الزاهد عن العبادة ولابتغاء الأجر بالتصدق بما يقع في اليد من مال أو متاع وهو على السنة .

أما عند الصوفية فالزهد على اعتبار أنه ترويض للنفس على الجوع والفقر لتصفيتها وزجها في بداية طريق الوصول إلى الغيب على اعتقادهم.

وأوائل الصوفية ومنظروها – الذين دخلوا في متاهات الغيبة والفناء والسكر– كلهم تقريباً من غير العرب ومعنى هذا أن أهل الكشف المؤدي إلى الإلحاد والإتحاد ووحدة الوجود إنما هم أصحاب أفكار استغلوا ذاك القدر المشترك الذي بين أول درجاتهم وبين الزهد وأدخلوا منه بعد ذلك في الإسلام كل مايؤمنون به من خرافات وأساطير ثم اعتذروا عن ترهاتهم بأن " جميع من شطح

---

(١) لسان العرب مادة زهد ١٩٦/٣.

عن ظاهر الشريعة إنما هو دخيل فيهم أو غلب عليه حال أو كان مبتدئاً في الطريق"(١) فهم كالشيعة لبسوا حب آل البيت وأدخلوا عن طريقه معتقداتهم من حلول ورجعة وعصمة وركبوا دابة التقية .

ثم إن دائرة التصوف كانت واسعة في أول أمرها تضم العديد من الزهاد في العالم الإسلامي وكانوا يسمون النساك والعباد ولمادخلها أولئك الذين سلكوا بها مسلك الإلحاد سموها الصوفية وكانوا يخفون أمرهم ولايظهرون إلا الزهد

وقد كان يطلق عليهم المتصوفة وأحياناً الزنادقة(٢) ، فهؤلاء الزنادقة شملوا أنفسهم مع من فيه تزهد بهذا الإسم حتى يتمكنوا من البقاء ثم بعد ذلك انصرف معنى الصوفية وانحصر في أولئك الذين سلكوا به مسلك الإلحاد ووحدة الوجود واستخدموا الكشف والسكر والفناء في ادعاء الوصول والإتحاد بالربوبية والألوهية .

ثم عمم هذا المعنى الباطل منهم على جميع أصحاب الدائرة الأولى التى تضم الصوفية والزهاد .

ولذلك صح أن يقال : أن الصوفية وجه آخر للتشيع إلا أن سير التشيع مسافته أطول وأعسر بعكس التصوف فإنه يجد قبولاً أكثر حيث يلبس ثوب الزهد وكثير من المسلمين فقراء .

ولاشك أن من الصوفية غلاة ومنهم دون ذلك ومنهم منظرون ورؤوس ومنهم عوام ٠

---

(١) اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الاكابر، عبدالوهاب الشعراني، دار الفكر ٩٣/٢ .

(٢) الفكر الصوفي ص٣٣ .

معنى لا إله إلا الله محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم- عند الصوفية .

الشهادتان لا إله إلا الله محمد رسول الله هما كلمة التوحيد وعليهما مدار الإسلام فلا إله إلا الله للإخلاص ومحمد رسول الله للإتباع :

فمعنى : لا إله إلا الله : لايعبد بحق إلا الله أو اخلاص عبودية العبد لله أو توحيد الله بافعال العباد قال تعالى: ﴿ألا لله الدين الخالص﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون﴾(٢) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾(٤) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾(٥) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً﴾(٦) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾(٧) .

---

(١) سورة الزمر ، أية ٣ .
(٢) سورة غافر أية ١٤ .
(٣) سورة البينة آية ٥.
(٤) سورة الانبياء آية ٢٥ .
(٥) سورة النحل آية ٣٦ .
(٦) سورة النساء آية ٣٦ .
(٧) سورة الذاريات آية ٥٦ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾(١) . وقال تعالى : ﴿ قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين . قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم . قل الله أعبد مخلصاً له ديني فاعبدوا ماشئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين ﴾(٢) . وقال تعالى ﴿إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء﴾(٣) ، وقال تعالى : ﴿قل ياأيها الكافرون لاأعبد ماتعبدون ولاأنتم عابدون ماأعبد ولا أنا عابد ماعبدتم ولاأنتم عابدون ماأعبد لكم دينكم ولي دين﴾(٤) .

وقال تعالى ﴿واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً ﴾(٥) . وقال تعالى ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لابرهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لايفلح الكافرون﴾(٦).

وعن عبدالله – رضي الله عنه – قال : " سألت – أو سئل – رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب عند الله أكبر ؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك . قلت ثم أي ؟ قال : ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قلت ثم أي؟ قال : أن تزاني بحليلة جارك قال ونزلت هذه الآية تصديقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ولايقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولايزنون﴾(٧) (٨) .

(١) سورة البقرة الآيات ٢١-٢٢ .
(٢) سورة الزمر الآيات ١١-١٥.
(٣) سورة النساء آية ٤٨، ١١٦ .
(٤) سورة الكافرون .
(٥) سورة النساء آية ٣٦ .
(٦) سورة المؤمنون آية ١١٧ . (٧) سورة الفرقان آية ٦٨ .
(٨) رواه البخاري ٨/٣٥٠-٣٥١، ورواه مسلم ٢/٤٤٠-٤٤١ بنحوه .

قوله " نداً: بكسر النون أي نظيراً" أي مماثل ومشارك.

وعن أبي مالك عن أبيه سمعت رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يقول : "من قال لا إله إلا ا لله وكفر بما يعبد من دون ا لله حرم ماله ودمه وحسابه على ا لله"(١) وعن عبدا لله رضي ا لله عنه قال : قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم : " من مات يشرك با لله شيئاً دخل النار"(٢) ، فلابد من إفراد ا لله بالعبادة وتخصيصها له وحده والكفر بما سواه ممايعبد من دون ا لله .

والإله بمعنى المعبود :

" وجميع العلماء من المفسرين وشراح الحديث والفقة وغيرهم يفسرون الإله بأنه المعبود وإنما غلط في ذلك بعض أئمة المتكلمين فظن أن الإله هو القادر على الإختراع وهذه زلة عظيمة وغلط فاحش إذا تصوره العامي العاقل تبين له بطلانه وكأن هذا القائل لم يستحضر ماحكاه ا لله عن المشركين في مواضع من كتابه ولم يعلم أن مشركي العرب وغيرهم يقرون بأن ا لله هو القادر على الإختراع وهم مع ذلك مشركون إلى أن قال : قال أبوالعباس(٣) رحمه ا لله تعالى : وليس المراد بالإله هو القادر على الإختراع كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين حيث ظن أن الألوهية هي القدرة على الإختراع وأن من أقر بأن ا لله هو القادر على الإختراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا ا لله فإن المشركين كانوا يقرون بهذا التوحيد كما قال تعالى ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن ا لله﴾(٤) .

إلى أن قال : قال ابن عباس رضي ا لله عنهما : تسألهم من خلق السموات والارض فيقولون ا لله وهم مع هذا يعبدون غيره!

(١) رواه مسلم : ١/٣٢٥-٣٢٦.

(٢) رواه البخاري ٣/١٣٣ كتاب الجنائز ، الباب الأول .

(٣) هو ابن تيمية رحمه ا لله تعالى . (٤) سورة لقمان آية ٢٥ .

وهذا التوحيد من التوحيد الواجب لكن لايحصل به الواجب ولايخلص بمجرده عن الإشراك الذي هو أكبر الكبائر الذي لايغفره الله ، بل لابد أن يخلص لله الدين فلايعبد إلا إياه فيكون دينه لله والإله هو المألوه الذي تأهله القلوب فهو إله بمعنى مألوه"(١) .

ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله – صلى الله عليه وسلم : – أي " أن محمداً هو رسوله المبلغ عنه فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره ، وقد بين صلى الله عليه وسلم مانعبد الله به ونهانا عن محدثات الأمور وأخبر أنها ضلالة ...

وكما أننا مأمورون أن لانخاف إلا الله ولانتوكل إلا على الله ولانرغب إلا إلى الله ولانستعين إلا بالله وأن لاتكون عبادتنا إلا لله فكذلك نحن مأمورون أن نتبع الرسول – صلى الله عليه وسلم– ونطيعه ونتأسى به .

فالحلال ماحلله صلى الله عليه وسلم والحرام ماحرمه والدين ماشرعه قال تعالى : ﴿ولو أنهم رضوا ماآتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيئوتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون﴾(٢) فجعل الإيتاء لله وللرسول وقدم له الفضل على رسوله وعلى المؤمنين، (وقالوا حسبنا الله) ولم يقل ورسوله وقال : (إنا إلى الله راغبون) فجعل الرغبة إلى الله وحده .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا﴾(٣) ، وجعل العبادة والخشية والتقوى لله وجعل الطاعة لله ولرسوله

(١) مجموعة التوحيد تحقيق بشير محمد عيون ، مراجعة عبد القادر الاناؤوط الناشر مكتبة دار البيان دمشق ، سوريا ، التوزيع مكتبة المؤيد الطائف ، ١٤٠٧هـ –١٩٨٧م، ١/ ١٦٩–١٧٠. من معنى العبادة والإخلاص للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن المعروف بأبي بطين.

(٢) سورة التوبة آية ٦٠ .

(٣) سورة الحشر ، آية ٧ .

قـال تعـالى : ﴿ومـن يطـع الله ورسـوله ويخشـى الله ويتقـه فـأولئك هـم الفائزون﴾(١)"(٢) .

وقال سبحانه وتعالى ﴿قل إن كنتم تحبون الله فـاتبعوني يحببكـم الله ويغفـر لكم ذنوبكم والله غفـور رحيم . قـل أطيعـوا الله والرسـول فـإن تولـوا فـإن الله لايحب الكافرين﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿الذيـن يتبعـون الرسـول النبي الأمـي الـذي يجدونـه مكتوبـاً عندهم في التوارة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبـات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهـم والأغـلال التـى كـانت عليهـم فـالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون"(٤).

فأمر سبحانه وتعالى باتباع نبيه صلى الله عليه وسلم فيما يحـل وفيمـا يحـرم وأمرنا الله بطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم فيما يـأمر نبيـه صلـى الله عليـه وسـلم وفيما ينهى " فإن الرسول صلى الله عليه وسلم – لايأمر إلا بما يحب الله ولا ينهى إلا عما يبغضه الله ولايفعل إلا مايحبـه الله ولا يخبر إلا بمـا يحـب الله التصديـق بـه فمن كان محباً لله لزم أن يتبع الرسول صلى الله عليـه وسـلم فيصدقـه فيمـا أخـبر ويطيعه فيما أمر ويتأسى به فيما فعل ومـن فعـل هـذا فقـد فعـل مايحبـه الله فيحبـه الله .

وقد جعل الله لأهل محبته علامتين : اتباع الرسول والجهاد في سبيله وذلك لأن الجهاد حقيقته الإجتهاد في حصول مايحبه الله من الإيمان والعمل الصالح وفي دفع مايبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان قال تعالى : ﴿قل إن كان آباؤكم

(١) سورة النور آية ٥٢ .
(٢) مجموعة التوحيد ٢/٥٣٣-٥٣٤بتصرف .
(٣) سورة آل عمران الآيات ٣١-٣٢ .
(٤) سورة الاعراف آية ١٥٧ .

وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من ا لله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي ا لله بأمره﴾(١) فتوعد من كان أهله وماله أحب إليه من ا لله ورسوله وجهاد في سبيله بهذا الوعيد الشديد"(٢).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فلاوربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما﴾(٣).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وماكان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى ا لله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص ا لله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾(٤) ، فلايسع المؤمن ولا المؤمنة أمام أمره ونهيه وخبره إلا التسليم والتصديق والطاعة والإتباع .

وعن أبي هريرة رضي ا لله عنه أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم قال : " فوالذي نفسي بيده لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده"(٥).

وفى الصحيح " كنا مع النبي صلى ا لله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول ا لله لأنت أحب إلى من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي صلى ا لله عليه وسلم : لا والذي نفسي بيده ، حتى أكون أحب إليك من نفسك . فقال له عمر: فإنه الآن وا لله لأنت أحب إلي من نفسي فقال النبي

---

(١) سورة التوبة آية ٢٥ .
(٢) مجموعة التوحيد ٢/٤٩٢-٤٩٣ .
(٣) سورة النساء آية ٦٥ .
(٤) سورة الاحزاب آية ٣٦ .
(٥) رواه البخاري : ١/٧٤-٧٥ كتاب الايمان باب حب رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم من الايمان ، ورواه مسلم بنحوه : ٢/٣٧٤-٣٧٥ كتاب الايمان ، باب وجوب محبة رسول ا لله صلى الله عليه وسلم .

صلى ا لله عليه وسلم : الآن يا عمر"(١) ، " فحسب الإنسان نفسه طبع وحب غيره اختيار بتوسط الأسباب وعلى هذا كان جواب عمر رضي ا لله عنه .

أولاً كان بحسب الطبع ثم تأمل فعرف بالإستدلال أن النبي صلى ا لله عليه وسلم أحب إليه من نفسه لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والأخرى فأخبر بما اقتضاه الإختيار ولذلك حصل الجواب بقوله " الآن ياعمر" أي الآن عرفت فنطقت بما يجب "(٢) .

وهذان الأمران المأخوذان من الشهادتين وهما الإخلاص لله ومتابعة الرسول هما الشرطان الرئيسان لقبول ا لله لعمل ابن آدم قال ا لله تعالى : ﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً﴾(٣) .

*فالعمل الصالح : هو الإحسان وهو فعل الحسنات ، والحسنات : هي ماأحبه ا لله ورسوله وهو ما أمر به أمر إيجاب واستحباب "(٤)، وكذلك مما أمر ا لله ورسوله به ترك السيئات والمعاصي والمحرمات عموماً .

أما قوله تعالى في الآية السابقة : ﴿أسلم وجهه لله﴾ فهو إخلاص الدين لله وحده وكان عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه يقول : اللهم اجعل عملي كله صالحاً واجعله لوجهك خالصاً ، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾(٥) .

---

(١) رواه البخاري : ٥٣٢/١١، كتاب الإيمان والنذور ، باب كيف كانت يمين النبيى صلى ا لله عليه وسلم .
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخارى ٥٣٦/١١بتصرف .
(٣) سورة النساء آية ١٢٥ .
(٤) مجموعة التوحيد ٤٥٧/٢ .
(٥) سورة الملك الآيتان ١-٢ .

فتفسير قوله تعالى ﴿أحسن عملاً﴾ أنه أخلصه وأصوبه بمعنى أن العمل لابد أن يكون خالصاً لله لاشريك له لاوثن ولاقبر ولاولي ولانبي ولاملك، لله فقط ، ولابد أن يجتمع مع هذا الشرط في العمل شرط آخر وهو أن يكون هذا العمل صواباً أي أن يكون عملاً مؤدى عن اتباع وله دليل من كتاب ا لله أو سنة رسوله صلى ا لله عليه وسلم فالخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة النبوية(١) .

ومعلوم أن الدين قد أكمله ا لله للناس قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾(٢) .

وبما أنه قد عُلم تمام الإسلام وكماله وأن ا لله ارتضاه للمسلمين فإن ا لله قد ضمن بقاءه وحفظه قال تعالى : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾(٣) وعلى هذا فالدين تام وكامل ومحفوظ.

إذن إنما تكون الزيادة عليه ليست منه إنما هي غيره وقد قال تعال : ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾(٤) والزيادة المردودة تشمل السابقة كالوثنيات وديانات أهل الكتاب السابقة، واللاحق من البدع والخرافات والنحل المستحدثة ، وعن عائشة رضي ا لله عنها – قالت قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم : " من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد" وفي رواية اخرى : " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" (٥) .

(١) انظر مجموعة التوحيد ٢/٤٧٥-٤٧٦ .
(٢) سورة المائدة آية ٣ .
(٣) سورة الحجر أية ٩ .
(٤) سورة آل عمران آية ٨٥ .
(٥) الحديثان رواهما مسلم : كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ٢/٢٥٧-٢٥٨ .

ومعنى فهو رد : أي مردود وباطل وغير معتد به وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وهو من جوامع كلمه صلى ا لله عليه وسلم فإنه صريح في رد كل البدع(١) .

لكن شهادة أن لاإله إلا ا لله وأن محمداً رسول ا لله – صلى ا لله عليه وسلم– لهما معنى مختلف عند الصوفية .

فإن تفسير لا إله إلا ا لله عندهم : " يعني الإلهية والمعبود ليست إلا أنا فأنا الظاهر في تلك الأوثان والأفلاك والطبائع وفي كل مايعبده أهل كل ملة ونحلة فما تلك الآلهة كلها إلا أنا ، ولهذا أثبت لهم لفظ الآلهة وتسميته لهم بهذا اللفظ من جهة ماهم عليه في الحقيقة تسمية حقيقية لامجازية ... إن أراد أن يبين لهم أن تلك الآلهة مظاهر وأن حكم الألوهية فيهم حقيقة وأنهم ماعبدوا في جميع ذلك إلا هو فقال : لا إله إلا أنا أي ماثم من يطلق عليه اسم الإله إلا وهو أنا .. لا إله إلا أنا أي ماثم إلا أنا وكل ما أطلقوا عليه اسم الإله فهو أنا"(٢) تعالى ا لله عما يقولون علواً كبيراً .

ويفهم من هذا التفسير في النص السابق أن الأديان كلها واحدة فأي ملة انتحلها منتحل فلا فرق ولاخلاف، وكذلك أي عبادة لأي معبود إنما هي متساوية وليس هناك عبادة صحيحة وعبادة فاسدة وبمعنى أدق فليس هناك معبود باطل في الوجود بل كل ماعبد ومن عبد فعبادته على صواب لأنه إنما هو ا لله يتجلى في تلك المعبودات – تعالى ا لله عما يقولون علواً كبيراً

ويقول آخر زيادة في التعريف : " والعارف المكمل من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد فيه ولذلك سموه كلهم إلهاً .

---

(١) انظر شرح صحيح مسلم ٢٥٧/١٢ .

(٢) هذه هي الصوفية ، ص٩٦، وانظر شرح فصوص الحكم من كلام محي الدين ابن عربي تحقيق محمود محمود الغراب ، مطبعة زيد بن ثابت ، سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م ، ص ٨٤، ٢٣٧، ٣٤٩.

مع اسمه الخاص بحجر أو شجر أو حيوان أو إنسان أو كوكب أو ملك"(١)وتعديده هذا يشير إلى توحيد الأديان والملل أو وحدة وجود مصغرة وعلى نطاق ضيق.

لكن التفسير الأوسع هو أن معناها عندهم أنه : لاموجود إلا الله على أساس أن " جميع الموجودات لاحقيقة لوجودها غير وجود الله فكل شيء هو الله"(٢) "وأن العالم ليس إلا تجليه في صور أعيانهم الثابتة التى يستحيل وجودها بدونه وأنه يتنوع ويتصور بحسب حقائق هذه الأعيان وأحوالها وهذا بعد العلم به منا أنه إله لنا "(٣).

وشرح ذلك هو : " إنما الموجود حقيقة هو ذات الحق تعالى وتقدس وليس لتلك الأعيان والماهيات الظاهرة وجود حقيقي ذاتي لها وإنما المشاهد فيها انصباغها بنور الوجود الحق على نحو من أنحاء الظهور وطور من أطوار التجلي الخفي فهو الظاهر في جميع المظاهر المشهودة في كل التعينات بحسب استعداداتها وتعدد شؤونه بتكثر حيثياتها .."(٤) .

قال أحد المتصوفة عن شيخه : " ذكر شيخ شيوخنا سيدي علي في كتابه أن طائفة من المريدين خدموا شيخنا ثلاثين سنة ثم قالوا له : ياسيدنا أردنا أن تعرفنا بربنا فقال لهم : نعم غداً إئتوني لداري فلما أتوه أخرج لهم صبياً صغيراً فوجهه إليهم ثم دخل فانظر هذه الاشارة ماألطفها وأخفها"(٥) يعنى أنه يقول : إن هذا الطفل ربهم فتعالى الله وتقدس سبحانه عما يقولون علواً كبيراً وأشهد أن لا إله إلا الله لامعبود بحق إلا الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

---

(١) هذه هي الصوفية ، ص٣٨ .
(٢) التصوف بين الحق والخلق، ص ٦٤ .
(٣) شرح فصوص الحكم ، تحقيق محمود الغراب ص ٨٤ .
(٤) التصوف بين الحق والخلق ، ص ٦٤، وانظر شرح فصوص الحكم ، تحقيق الغراب ص٨٤ .
(٥) ايقاظ الهمم في شرح الحكم ، أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني ، مراجعة ، محمد أحمد حسب الله ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ص٤٠٧ .

"وقال بعض شيوخهم لمريده : من قال لك إن في هذا الكون سوى ا لله فقد كذب فقال له مريده : فمن هو الذي يكذب"(١) .

فالمريد يقول لشيخه إذا كان ليس في الكون سوى ا لله فإن الناس أيضاً هم ا لله والذي يقول بخلاف كلام الشيخ منهم يكون كاذباً وهو إله على حد زعم الشيخ فبهت شيخه.

فعلى هذا المعنى الذي يذهب إليه الصوفية لكلمة التوحيد لا إله إلا ا لله يفقد الإسلام معناه ويصبح اسماً على غير مسمى صحيح ويقضي به على معالم الإسلام وأبرز مافيه وهو التوحيد(٢) .

أما معنى شهادة أن محمداً رسول الله فهو مايسمونه بالحقيقة المحمدية " حكمة فردية لانفراده صلى ا لله عليه وسلم بمقام الجمعية الإلهية الذي مافوقه إلا مرتبة الذات الأحدية لأنه صلى ا لله عليه وسلم مظهر الاسم ا لله الأعظم الجامع للأسماء كلها ولأن أول ما أفاض بالفيض الأقدس من الأعيان عينه الذاتية وأول ماوجد بالفيض الأقدس من الأكوان روحه الشريفة فحصل بالذات الأحدية والمرتبة الإلهية وعينه الثابتة الفردية الأولى واعلم أن أول الافراد الثلاثة ومازاد عليها فهو صادر منها وهذه الثلاثة المشار إليها في الموجودات هي " الذات الأحدية والمرتبة الإلهية والحقيقة المحمدية المسماة بالعقل الأول"(٣) .

---

(١) فقة التصوف لابن تيمية ، تهذيب وتعليق ، زهير شفيق الكبي دار الفكر العربي ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٩٣م ، ص١٤٢ .

(٢) انظر أبوحامد الغزالى والتصوف عبدالرحمن دمشقية ، دار الرياض الطبعة الأولى سنة١٤٠٦هـ ، ص ٣٤١ .

(٣) شرح فصوص الحكم لابن عربي، محمود غراب ، فص حكمة محمدية ص ٤٢٣ .

ويقول شارح آخر للفصوص : " فص حكمة فردية في كلمة محمدية وفي بعض النسخ إنما كانت حكمه فردية لانفراده بمقام الجمعية الإلهية الذي مافوقه إلا مرتبة الذات الأحدية لأنه مظهر الاسم : ا لله وهو الاسم الجامع للأسماء والنعوت كلها ... لأنه لاجامع لجميع الكليات والجزئيات للأسماء إلاّ وذلك تحت كماله ، ولامظهر إلا وهو ظاهر بكلمته، وأيضاً أول ماحصل به الفردية إنما هو بعينه الثابتة لأن أول مافاض بالفيض الأقدس من الأعيان هو عينه الثابتة وأول ماوجد بالفيض المقدس في الخارج من الأكوان روحه المقدس كما قال : أول ماخلق ا لله نوري فحصل بالذات الأحدية والمرتبة الإلهية وعينه الثابتة الفرديه ... ويفهم هذا السر من يفهم سر الختمية فلنكشف بالتعريض عن التصريح وا لله هو الولي الحميد. م - أي متن - وأول الفراد الثلاثة ومازاد على هذه الأولية ، ش - أي شرح - أي على هذه الفردية الأولية هي الذات الأحدية والمرتبة الإلهية والحقيقة الروحانية المحمدية المسماة بالعقل الأول ومازاد عليها فهو صادر منها كما تقرر أيضاً عند أصحاب النظر أن أول ماوجد هو العقل الأول "(١) .

ويظهر من هذا النص صله التصوف بالعقائد الوثنية اليونانية وصله التصوف بالتثليث سواء الموجود في النصرانية أم في الوثنيات قبلها .

أما تأثير الحقيقة المحمدية عندهم " فكان الحكم له باطناً أولاً في جميع ماظهر من الشرائع على أيدي الأنبياء والرسل سلام ا لله عليهم أجمعين فكان روح محمد صلى ا لله عليه وسلم هو الممد لجميع الانبياء والرسل والأقطاب من حين النشىء الإنساني إلى يوم القيامة"(٢) .

وقال آخر : " إعلم حفظك ا لله أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور

---

(١) شرح فصوص الحكم ، داود محمد القيصري، ويسمى الكتاب أيضاً مطلع خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم ، تولى طبعه ميرزا محمد ملك، الكتاب شيرازي ١٣٠٠هـ بومبي ص ٢٩٢-٢٩٣.

(٢) شرح فصوص الحكم لابن عربي ، تحقيق الغراب ص٤٢٥ .

عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين ثم له تنوع في ملابس ويظهر في كنائس فيسمى به باعتبار لباس ولايسمى به باعتبار لباس آخر فاسمه الأصلي الذي هو له محمد وكنيته أبوالقاسم ووصفه عبدا لله ولقبه شمس الدين .... واعلم أن الإنسان الكامل مقابل لجميع الحقائق الوجودية بنفسه فيقابل الحقائق العلوية بلطافته ويقابل الحقائق السفلية بكثافته... ثم أعلم أن الإنسان الكامل هو الذي يستحق الأسماء الذاتية والصفات الإلهية استحقاق الأصالة والملك بحكم المقتضى الذاتي فإنه المعبر عنه حقيقة بتلك العبارات والمشار إلى لطيفته بتلك الإشارات ليس لها مستند في الوجود إلا الإنسان الكامل"(١) ، ويقول آخر : " حقيقة الحقائق هي المرتبة الإنسانية الكمالية الإلهية الجامعة لسائر المراتب كلها وهي المسماة بحضرة الجمع وبأحديه الجمع وبها تتم الدائرة وهي أول مرتبة تعينت في غيب الذات وهي الحقيقة المحمدية"(٢) .

وقال آخر : " لما خلق النور المحمدي جمع في هذا النور المحمدي جميع أرواح الأنبياء والأولياء جميعاً جمعاًأحديا قبل التفصيل في الوجود العيني وذلك في مرتبة العقل الأول "(٣)

وفي كتاب الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبد الرحمن عبدالخالق من ص ١٠٨ ومابعدها من الحقيقة المحمدية كلام خرافي وكأنما هي جداول كذب من أودية شتى مجمعها نهر كبير يطلقون عليه اسم الحقيقة المحمدية منها خلقت السماوات والارضون وخذ من تعديد المخلوقات وخلاصة القول " أن ا لله- سبحانه وتعالى عما يصفون ويقولون علواً كبيراً - عندما أراد أن يجعل قسماً من ذاته متعينا بشكل مخلوقات كان أول شيء فعله هو أن قبض قبضة من نور وجهه

(١) الكشف عن الصوفية لأول مرة في التاريخ ، ص ٢٦٦. وانظر شرح فصوص الحكم تحقيق الغراب ص٢٥.
(٢) الفكر الصوفي ، ص ١٠٨ .
(٣) هذه هي الصوفية ، ص٨٧.

وقال لها كوني محمداً فكان محمد هو أول التعينات وهذه القبضة من النور هي التى يطلقون عليها اسم " الذات المحمدية" ومن هذه الذات المحمدية انبثقت السماوات والأرض والدنيا والآخرة التى يسمونها فيما يسمونها " تعينات" فهى كلها تصدر عن الذات المحمدية ثم تعود إليها وهذا مايسمونه " الحقيقة المحمدية"(١) .

لكننا نجد في كتاب ربنا سبحانه وتعالى قوله الكريم ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفوراً وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي با لله والملائكة قبيلاً. أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾(٣).

وقال تعالى : ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي ﴾(٤) .

وقال تعالى : ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد﴾(٥).

وعن ابن عباس – رضي ا لله عنهما– أن عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه قال: إن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم قال : لاتطروني كما أُطري عيسى ابن مريم وقولوا عبدا لله ورسوله"(٦) .

---

(١) الكشف عن الصوفية أول مرة ، ص ٢٨٠-٢٨١ .

(٢) سورة الاسراء آية ١ .

(٣) سورة الاسراء الآيات ٨٩-٩٣ .

(٤) سورة الكهف آية ١١٠ .

(٥) سورة فصلت آية ٦ .

(٦) رواه البخاري : ١٤٨/١٢ .

فقد وصف ا لله نبيه محمد صلى ا لله عليه وسلم بأنه عبد ا لله وبأنه بشر وأنه في بشريته مثل البشر إلا أنه متميز عليهم بالوحي والرسالة ، وأمر صلى ا لله عليه وسلم أن نقول عنه بأنه عبد ا لله ورسوله فقد اختار لنفسه ما اختاره له ا لله من العبودية لله ووصف الرسالة ولم يرد عن ا لله ولا عن رسوله صلى ا لله عليه وسلم خلاف ذلك وما ورد خلاف ذلك فمردود على أصحابه .

غلو الصوفية في أوليائهم ومشايخهم وأنه يؤدي إلى عبادة قبورهم

أضفى كبار الصوفية والواصليين منهم – بزعمهم – على أنفسهم هالة عظيمة من القداسة والتبجيل وادعوا لأنفسهم مقاماً عند ا لله وزعموا أنهم يملكون كشف الضر وإجابة المضطر وصرفوا لأنفسهم بعض خصائص الربوبية والألوهية فزعموا علم الغيب وادعوا العلم اللدني وزعموا أنهم يتلقون عن ا لله مناماً أو مكاشفة ويأخذون من رسول ا لله مدداً ولم يكن ذلك حال الحياة فقط بل امتد ذلك لهم حتى بعد أن يدفنوا فصنع لهم مريدوهم القباب وقصدهم أناس شتى من جهات شتى طلباً للشفاء أو غيره من المقاصد الدينية أو الدنيوية كطلب الولد والزوج وسؤال النجاح والتوفيق وطلب الزلفى وإفاضة البركة ورجاء الرحمة عند أضرحتهم .

فمما زعموه لأنفسهم أن لهم كرامات و" أن الكرامات أنواع : منها إحياء الموتى وكلامهم وانفلاق البحر وجفافه والمشي على الماء وانقلاب الأعيان وانزواء الأرض وإبراء العليل وكلام الحيوانات وطاعتها وطي الزمان ونشره واستجابة الدعاء وإمساك اللسان عن الكلام وإطلاقه وجذب القلوب ، والإخبار بالمغيبات ومقام التصريف – كما حكي عن بعضهم أنه يتبعه المطر – والقدرة على تناول الكثير من الغذاء ، والحفظ عن أكل الحرام ، ورؤية البعيد من وراء الحجب ، والهيبة بحيث مات من يشاهده – وكفاية شر من يريد بأحد شراً، والإطلاع على ذخائر الأرض ، وتسهيل التصانيف في زمن يسير والتطور بأطوار مختلفة"(١) .

(١) جامع كرامات الأولياء، يوسف بن إسماعيل النبهاني، تحقيق ابراهيم عطوه عوض، دار الفكر بيروت،لبنان، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩ م ، ٢٥٧/٢ .

وحتى يتبين دجلهم فهذه نماذج من تراجمهم وطبقاتهم ومايتمتعون به من إمتيازات وكرامات حسب ادعائهم الكاذب وبهتانهم الشاحب فهذه بعض تراجمهم تبين ذلك:

" ومنهم أبومحمد عبدالرحيم المغربي القناوي ... هو من أجلاء مشايخ مصر المشهورين وعظماء العارفين صاحب الكرامات الخارقة والأنفاس الصادقة .. حكي أنه نزل يوماً في حلقة الشيخ شبح من الجو لايدري الحاضرون ماهو فأطرق الشيخ ساعة ثم ارتفع الشبح إلى السماء فسألوه عنه فقال : هذا ملك وقعت منه هفوة فسقط علينا يستشفع بنا فقبل ا لله شفاعتنا فيه فارتفع ... توفي ... بقنا بصعيد مصر وقبره بها مشهور يزار"(١) .

وهذا افتراء آخر: " ومنهم الشيخ محمد الشربيني ... شيخ طائفة الفقراء كان من أرباب الأحوال والمكاشفات ... ولما ضعف ولده أحمد وأشرف على الموت وحضر عزرائيل لقبض روحه قال له الشيخ : ارجع إلى ربك فراجعه فإن الأمر نسخ فرجع عزرائيل وشفي أحمد من تلك الضعفة وعاش بعدها ثلاثين عاماً وكان ... يقول للعصا التي كانت معه كوني إنساناً فتكون إنسانا ويرسلها تقضي الحوائج ثم تعود كما كانت .. وكان يقبض من الهواء كل شيء يحتاجون إليه للبيت وغيره ويعطيه لهم "(٢) .

وأقول لاداعي لإرسال العصا إذا كان يقبض من الهواء كل شيء يحتاجون إليه .

وهذا افتراء آخر: " ومنهم بركات الخياط .. إذا قدموا له لحم الضاني واشتهى لحم حمام ينقلب في الحال إلى حمام وله وقائع مشهورة"(٣).

(١) الطبقات الكبرى المسماة لواقح الانوارفي طبقات الأخبار ، عبدالوهاب بن أحمد المعروف بالشعراني ، دار العلم للجميع ١/١٥٦-١٥٧ .
(٢) الطبقات الكبرى ٢/١٣٥-١٣٦ .
(٣) المصدر السابق ٢/١٤٤ .

وهذا افتراء آخر : " ومنهم أمين الدين ... كان من الراسخين في العلم وانتهت إليه الرياسة في علم السند بالكتب الستة وغيرها .. ومما وقع لي معه أنني كنت أقابل معه في شرح البخاري في جزاء الصيد فذكر جزاء التيتل فقلت: ماهو التيتل فقال : هذا الوقت تنظره فخرج التيتل من المحراب فوقف على كتفي فرأيته دون الحمار وفوق تيس المعز وله لحية صغيرة فقال : هاهو ثم دخل الحائط فقبلت رجله فقال: اكتم حتى أموت"(١) .

ومنهم " صدر الدين البكري ... ولما حج وزار النبي صلى ا لله عليه وسلم سمع رد السلام من رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم "(٢) وأعوذ با لله من الكذب على رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم .

وفي ترجمة ... قال : منهم " على الخواص البرلسي .. كان ... أمياً لايكتب ولايقرأ وكان يتكلم على معاني القرآن العظيم والسنة المشرفة كلاماً نفيساً تحير فيه العلماء وكان محل كشفه اللوح المحفوظ عن المحو والإثبات ، فكان إذا قال قولاً لابد أن يقع على الصفة التي قال ، وكنت أرسل له الناس يشاورونه عن أحوالهم فماكان قط يحوجهم إلى كلام بل كان يخبر الشخص بواقعته التي أتى لأجلها قبل أن يتكلم فيقول : طلق مثلاً أو شارك أو فارق أو اصبر أو سافر أو لاتسافر فيتحير الشخص ويقول : من علم هذا بأمري ، وكان له طب غريب يداوي به أهل الاستسقاء والجذام والفالج والأمراض المزمنة فكل شيء أشار باستعماله يكون الشفاء فيه ...وأعطي التصريف في ثلاثة أرباع مصر وقراها...

وكان يقال : إن خدمة النيل كانت عليه وأمر طلوع النيل ونزوله وري البلاد وختام الزرع كل ذلك كان بتوجهه فيه إلى ا لله تعالى ... ، وكان يملأ أوعية الكلاب دائماً في حاراته وغيرها وكان لايراه أحد قط يصلى الظهر في جماعة ولاغيرها بل كان يرد باب حانوته وقت الأذان فيغيب ساعة ثم يخرج فصادفوه

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/١٤٥-١٤٦ .

(٢) الطبقات الكبرى ٢/١٤٧.

في الجامع الأبيض برملة لد-" في فلسطين- صلاة الظهر وأخبر الخادم أنه دائما يصلي الظهر عندهم .."(١) .

وقول أحمد التيجاني: " ليس لأحد من الأولياء أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولاعقاب إلا أنا وحدي ولو بلغوا مابلغوا من الذنوب وعملوا ماعملوا من المعاصي وأما سائر سادتنا الأولياء فيدخلون الجنة أصحابهم بعد الحساب والمناقشة"(٢) .

ودجال آخر قريب منه : " الشيخ عثمان السالم أبادي .. يصعد كل يوم عند غروب الشمس إلى ديوان الربوبية - كذب أخزاه الله - وينظر ديوان ذريته فما يجد من سيئة يمحها ويكتب عوضها بلا معارضة "(٣) .

ويقول ابو العباس أحمد بن أبي الخير الصياد : " والله إني لأعرف الجنة قصراً قصراً وأعرف النار حانوتاً حانوتاً وأعرف أصحابها في الدنيا واحداً واحداً"(٤) .

ويقول عبيد أحد أصحاب الشيخ حسين أبي علي : " كان له خوارق مدهشة ومن كراماته أنه كان يأمر السحاب أن يمطر فيمطر لوقته وكل من تعرض له بسوء قتله بالحال في الحال ؛ دخل مرة الجعفرية فتبعه نحو خمسين طفلاً يضحكون عليه فقال ياعزرائيل إن لم تقبض أرواحهم لاعزلنك من ديوان الملائكة فأصبحوا موتى أجمعين، وقال له بعض القضاة : اسكت قال له : اسكت أنت ، فخرس وعمي وصم، وسافر في سفينة فوحلت(٥) ولم يمكن تعويمها فقال : اربطوها بخيط في بيضي

(١) الطبقات الكبرى ٢/١٥٠، ١٥١،١٥٢ .
(٢) الكشف عن حقيقة الصوفية : ٥٣١ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٥٠٩ .
(٤) الكشف عن حقيقة الصوفية ، ص ٤٧٤ .
(٥) اي أن السفينة في ماء ضحل قليل فتكون متكئة على قاع ماء البحر أو النهر فلاتسير فوق الماء .

ففعلوا فجرها حتى خلصها من الوحل "(١) .

وهذا مثبط عن طلب العلم وداعية كسل ومفسد للأخلاق يقول : " إذا طلب الرجل الحديث أوسافر في طلب المعاش أو تزوج فقد ركن إلى الدنيا . "

وبعض الكذب لاشك أكبر من بعض وقد ذكر في ترجمة إبراهيم الدسوقي أنه كان " يقول : أعرف تلامذتي من يوم (ألست بربكم) وأعرف من كان في ذلك الموقف عن يميني ومن كان عن شمالي ولم أزل من ذلك اليوم أربي تلامذتي وهم في الأصلاب لم يحجبوا عني إلى وقتي هذا ....

ويقول : أشهدني ا لله تعالى مافي العلى وأنا ابن ست سنين ونظرت في اللوح المحفوظ وأنا ابن ثمان سنين وفككت طلسم السماء وأنا ابن تسع سنين ورأيت في السبع المثاني حرفاً معجماً حار فيه الجن والإنس ففهمته وحمدت ا لله تعالى على معرفته وحركت ماسكن وسكنت ماتحرك بإذن ا لله تعالى وأنا ابن أربع عشرة سنة"(٣) .

وزيادة في الإفتراء " وأجرى ا لله على يدي سيدي إسماعيل الكرامات وكلمته البهائم وكان يخبر أنه يرى اللوح المحفوظ ويقول : يقع كذا وكذا لفلان فيجيء الأمر كما قال"(٤) .

وآخر يزعم لنفسه ويدعو لتقديسه : " قال : وا لله لو علمت علماء العراق والشام ماتحت هذه الشعرات وأمسك على لحيته – لأتوها ولوحبواً على وجوههم ... ويقول: إذا كمل الرجل نطق بجميع اللغات وعرف جميع الألسن إلهاما من ا لله عز وجل .. وكان يفتري ويقول : من لم يصلح للدنيا ولا للآخرة يصلح لله ..

(١) الكشف عن حقيقة الصوفية ٤٦٧-٤٦٨ .
(٢) المصدر السابق ٦١-٦٢.
(٣) الطبقات الكبرى ١٨٣/١ .
(٤) المصدر السابق ١٨٥/١ .

وكان إذا سمع أحداً يقول : هذه ليلة القدر يقول : نحن بحمد الله أوقاتنا كلها ليلة قدر(١) .

وهناك افتراء أعظم مماسبق فقد نسب الصوفية هذا الكذب " وأُعطِيتُ حرف " كن" وأنا سائح في البرية فكنت أجد الموائد المنصوبة فآكل منها ماأشتهي وأقطع من الجبل الحلوى وآكل وكنت أشرب من الرمل السكر فأضع الرمل وأصب عليه من البحر الملح وأشربه حلواً ثم تركت ذلك أدباً مع الله تعالى"(٢)، وحرف كن ادعاه غير هذا "... وفوقها – أي المقامات التى ذكرها عنه قبل هذا الكلام – مالا يصلح رسمه في كتاب من مكاشفات الصديقين ومشاهدات العارفين منها أنه أعطاهم " كن" باطلاعه إياهم على الاسم ، فزهدوا في كون " كن" لأجل " كان" توكلاً عليه وحياء أن يعارضوه في قدرته ويرغبوا عن تقديره أو يضاهوه في تكوينه "(٣) .

ومن شعرهم الكفري :

وقلدني تصريف ديناه كلها   فصرت على الاكوان في الأرض ناظراً
وأمري بأمر الله إن قلت كن يكن   ووعدي بإذن الله ماشئت حاضراً(٤)
و تجلى لي المحبوب في كل وجهة   فشاهدته في كل معنى وصورة
وخاطبني مني بكشف سرائري   فقال أتدري من أنا قلت منيتي
فأنت مناي بل أنا أنت دائما   إذا كنت أنت اليوم عين حقيقتي
فقال كذاك الأمر لكنه إذا   تعينت الأشياء كنت كنسختي
فأوصلت ذاتي باتحادي بذاته   بغير حلول بل بتحقيق نسبتي
فصرت فناء في بقاء مؤبد   لذات بديمومة سر مدية

ثم يقول : وما شهدت عيني سوى عين ذاتها   وإن سواها لايلم بفكرتي
بذاتي تقوم الذات في كل ذروة   أجدد فيها حلة بعد حلة
فليلى وهند والرباب وزينب   وعلوى وسلمى بعدها وبثينة
عبارات أسماء بغيرحقيقة   ومالوّحوا بالقصد إلا لصورتي(٥).

---

(١) انظر الطبقات الكبرى ١٣/٢-١٦ .

(٢) جامع كرامات الأولياء للنبهاني ٢٠/٢ ٢-٢٠٣.

(٣) الكشف عن حقيقة الصوفية ، ص ٥٣٤ .

(٤) توحيد الألوهيه والفرق الضالة فيه ، ص٥٤١/٢. (٥) الطبقات الكبرى ١٨٢/١ .

أما خطيبهم :

"ومنهم إبراهيم العريان كان يطلع المنبر ويخطب عرياناً فيقول : السلطان ودمياط باب اللوق بين القصرين وجامع طيلون الحمد لله رب العالمين ، فيحصل للناس بسط عظيم ... وكان يخرج الريح بحضرة الأكابر ثم يقول : هذه ضرطة فلان ويحلف على ذلك فيخجل ذلك الكبير منه"(١) .

أما صاحب التراجم عبدالوهاب بن أحمد الشعراني فيروى أكاذيب دجلاً عن نفسه مع أحمد البدوي يقول : " أن شيخه محمد الشناوي قد كان أخذ علي العهد في القبة تجاه أحمد - أي البدوي - وسلمني إليه بيده فخرجت اليد الشريفة من الضريح وقبضت على يدي ، وقال - أي الشناوي - يكون خاطرك عليه واجعله تحت نظرك فسمعت أحمد من القبر يقول نعم .. ولما دخلت بزوجتي وهي بكر مكثت خمسة شهور لم أقرب منها فجاءني - أي أحمد البدوي - وأخذني وهي معي وفرش لي فرشاً فوق ركن القبة التي على يسار الداخل وطبخ لي حلوى ودعا الأحياء والأموات إليه وقال : أزل بكارتها هنا فكان الأمر تلك الليلة .

وتخلفت عن ميعاد حضوري للمولد سنة ثمان وأربعين وتسعمائة وكان هناك بعض الأولياء فأخبرني أن أحمد كان ذلك اليوم يكشف الستر عن الضريح ويقول : أبطأ عبدالوهاب ماجاء .

وأردت التخلف سنة من السنين فرأيت أحمد ومعه جريدة خضراء وهو يدعو الناس من سائر الأقطار والناس خلفه ويمينه وشماله أمم وخلائق لايحصون فمر علي وأنا بمصر فقال أما تذهب فقلت بي وجع فقال الوجع لايمنع المحب ثم أراني

(١) الطبقات الكبرى ١٤٢/٢ .

خلقاً من الأولياء وغيرهم الأحياء والأموات من الشيوخ والزمنى بأكفانهم يمشون ويزحفون معه يحضرون المولد"(١) .

هذه النقولات وأمثالها غيظ من فيض وتعتبر من الأشياء القليلة وإلا فهناك طوام وخزعبلات وأنواع من الدجل وصنوف من الإفتراء وألوان من الإعتداء على الله وعلى رسله وعلى ملائكته مماتطفح به كتبهم وتراجمهم ، فأين هم وقوله تعالى : ﴿ألا له الخلق والأمر﴾(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ ولايحيطون بشيء من علمه إلا بماشاء ﴾(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو﴾(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾(٥) .

وقال سبحانه : ﴿ والذين تدعون من دونه لايملكون من قطمير﴾(٦) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وله من في السموات والأرض ومن عنده لايستكبرون عن عبادته ولايستحسرون ﴾(٧) .

وقال سبحانه : ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلاكاشف له إلا هو﴾(٨).

وقوله تعالى : ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ﴾(٩) .

---

(١) المصدر السابق ١٨٦/٢ بتصرف .
(٢) سورة الأعراف آية ٥٤ .
(٣) سورة البقرة آية ٢٥٥ .
(٤) سورة الأنعام آية ٥٩ .
(٥) سورة آل عمران آية ١٢٨ .
(٦) سورة فاطر آية ١٣ .
(٧) سورة الأنبياء آية ١٩.
(٨) سورة يونس آية ١٠٧ .
(٩) سورة الأحقاف آية ٥ .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وماكان ا لله ليطلعكم على الغيب ﴾(١) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قل لاأقول لكم عندي خزائن ا لله ولاأعلم الغيب﴾(٢) .

وقال سبحانه : ﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير﴾(٣) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا ا لله ﴾(٤) .

وقال تعالى : ﴿ إن ا لله عالم غيب السموات والأرض إنه عليم بذات الصدور﴾(٥) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً. إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾(٦) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وأن ا لله قد أحاط بكل شيء علماً﴾(٧) .

وعن أم سلمة رضي ا لله عنها أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم قال : " إنكم تختصمون إلى ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً بقوله فإنما أقطع له من النار فلا يأخذها" (٨) .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٧٩ .
(٢) سورة الانعام آية ٥٠ .
(٣) سورة الاعراف آية ١٨٨ .
(٤) سورة النمل آية ٦٥ .
(٥) سورة فاطر آية ٣٨ .
(٦) سورة الجن الآيات ٢٦-٢٧ .
(٧) سورة الطلاق آية ١٢ .
(٨) رواه البخاري : ٣٤٠/٥ كتاب الشهادات باب من اقام البينة بعد اليمين، رواه مسلم : ٢٤٥/١٢ بنحوه كتاب الأقضية باب الحكم بالظاهر واللحن [الحجة].

فالرسول صلى ا لله عليه وسلم لايعلم مافي الصدور ولاالغيب إلا ماأعلمه ا لله إياه من ذلك فغيره من البشر من باب أولى .

وعن عبدا لله رضي ا لله عنه قال : بينا أنا مع النبي صلى ا لله عليه وسلم في حرث – وهو متكيء على عسيب – إذ مرّ اليهود ، فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، فقال مارابكم إليه – وقال بعضهم لايستقبلكم بشيء تكرهونه– فقالوا: سلوه ، فسألوه عن الروح فأمسك النبي صلى ا لله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئاً فعلمت أنه يوحى إليه فقمت مقامي فلما نزل الوحي قال : ﴿ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي وماأوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾(١) (٢) .

فالرسول صلى ا لله عليه وسلم لم يجبهم بل انتظر الجواب من الوحي فلما جاءه أجابهم به وقد خاطب ا لله عبده ورسوله صلى ا لله عليه وسلم بقوله:﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ماكنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم . صراط ا لله الذي له مافي السموات ومافي الأرض ألا إلى ا لله تصير الأمور﴾(٣).

غلاة الصوفية يدعون إلى تعظيم القبور والمشاهد .

إن من يقرأ تراجم الصوفية سيجد في آخر بعض المترجم لهم عبارة " وقبره ظاهر يزار " أو تربته أو قبره ترياق مجرب" أو نحو ذلك .

وقد اهتم الصوفية بالقبور وبنوا عليها الأضرحة والقباب وعمروا كثيراً من المشاهد على القبور وبنوا كثيراً من المساجد على قبور تكون أحياناً في قبلة المسجد وأحياناً في وسط المسجد بل إن بعض الصوفية له مشهدان بل إن كثيراً من القبور ليس فيها أحد يسمى القبر الذكرى .

---

(١) سورة الاسراء آية ٨٥ .
(٢) رواه البخاري : ٢٥٣/٨، كتاب التفسير باب ويسألونك عن الروح .
(٣) سورة الشوري الآيات ٥٢-٥٣ .

ومن المعلوم المشهور أن للحسين بن علي رضي الله عنه ثلاثة قبور أو أكثر بعضها لجسده وبعضها لرأسه، وكما قال أحد الدعاة: أجمع أهل السنة والجماعة أن الحسين ليس له إلا رأس واحد، وأحاطوا القبور بهالة من القداسة والقيمة النفعية سواء المادية منها أو المعنوية وسواء الدنيوية منها أو الأخروية فمن ذلك قول أحدهم : " إذا صدق المريد مع شيخه ونادى شيخه من مسيرة ألف عام أجابه حياً كان الشيخ أوميتاً فليتوجه الصادق بقلبه إلى شيخه في كل أمر دهمه في دار الدنيا فإنه يسمع صوت شيخه ويغيثه مما هو فيه ، ومهما ورد عليه من مشكلات يطبق عينيه ويفتح عين قلبه فإنه يرى شيخه جهاراً فإذا رآه فليسأله عما شاء وأراد"(١) .

وقال الشعراني : "قال سيد محمد الحنفي : من كان له حاجة فليأت إلى قبري ويطلب حاجته أقضها له ، فإن مابيني وبينكم غير ذراع من تراب وكل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب فليس برجل "(٢) .

وهذا محمد بن أحمد الفرغل يقول : " أنا من المتصرفين في قبورهم فمن كانت له حاجة فليأت إلي قبالة وجهي ويذكرها لي أقضها له ... وقبره – أي بالصعيد – بها ملجأ لأهل تلك البلاد ولزيارته آثار لاينكرها إلا محروم "(٣) .

ومثله ما ذُكر عن أبي الحسن علي بن عمر أن " تربته من الترب المشهورة بالبركة واستجابة الدعاء.... ومن أعجب بركتها... أنه كان على قبره شجرة سدر يأخذ أصحاب الحميات من ورقها يطلون به رؤوسهم فيبرأون من الحمى واستفاض ذلك حتى كان يؤتى لها من الأماكن البعيدة"(٤) .

---

(١) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ، عبدالوهاب الشعراني تحقيق طه عبدالباقي سرور ، محمد عبدالشافعي مكتبة المعارف بيروت ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.ص/١٨٩.

(٢) جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٧٠ .

(٣) المصدر السابق ١/ ٢٧٤ .

(٤) المصدر السابق ٢/ ٣٢٨.

ومن الكذب الفاضح والدجل قول النبهاني عن يوسف بن عبد الله بن عمر العجمي : " وجاء رجل إلى زيارة قبره فأوقف حمارته بباب الزاوية ودخل فزار وخرج فلم يجدها فعاد إليه وقال : جئتك للزيارة فتضيع علي الحمارة ، فانشق القبر وخرج منه إلى البرية وعاد ومعه الحمارة وقال : إذا جئتنا بعد اليوم فقيد حمارتك ولاتتعبنا وإلا فلا تأتنا"(١) .

لكن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿والذين تدعون من دونه لايملكون من قطمير﴾(٢) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير﴾(٣) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له إلى يوم القيامة﴾(٤) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلايملكون كشف الضر عنكم ولاتحويلاً﴾(٥) .

وقال تعالى : ﴿ قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾(٦) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قل أفاتخذتم من دونه أولياء لايملكون لأنفسهم

---

(١) جامع كرامات الأولياء ٢/ ٥٣٦ .
(٢) سورة فاطر آية ٣ .
(٣) سورة الأنعام آية ١٧ .
(٤) سورة الأحقاف آية ٥ .
(٥) سورة الاسراء آية ٥٦ .
(٦) سورة الزمر آية ٣٨ .

نفعاً ولاضراً ﴾(١) . ففاقد الشيء لايعطيه فهم لايستطيعون النفع والضر لأحد، وفي الصحيح أن أباهريرة رضي الله عنه قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله عز وجل ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربيين ﴾(٢) قال : يا معشر قريش – أو كلمة نحوها – اشتروا أنفسكم لاأغني عنكم من الله شيئا." يابني عبد مناف لاأغني عنكم من الله شيئاً. يا عباس بن عبدالمطلب لاأغني عنك من الله شيئاً وياصفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاأغني عنك من الله شيئاً ويافاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم سليني ماشئتِ من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً"(٣) .

فقوله صلى الله عليه وسلم للأبعد والأقرب من عشيرته : "لاأغني عنك من الله شيئاً" حتى قال : " يا فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم " فإنه صرح صلى الله عليه وسلم وهو سيد ولد آدم أجمعين وسيد المرسلين أنه لايغني عن سيدة نساء العالمين ابنته فاطمة فكيف بمن عداهم من الناس فلن يغني عنهم من الله شيئاً ويستثنى من ذلك ماورد من أحاديث الشفاعة، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى فإنه إذا كان وهو سيد البشر لن يغني عن أحد شيئاً فمن باب أولى لن يغني غيره من الخلق شيئاً عن أحد إلالمن يأذن الله لمن يشاء ويرضى.

نتيجة دعاوى المتصوفة في مشائخهم وأوليائهم وقبورهم :

بعد أن ذكر المتصوفة عن أنفسهم وأشياخهم الأحياء منهم والأموات من النفع والضر والتدبير ، وطلب التقديس لهم والتعظيم ، وطلب العون منهم والإمداد والإغاثة وسنوا بهم الإستغاثة والإستعانة وطلب البركة فكان من

(١) سورة الرعد آية ١٦ .
(٢) سورة الشعراء آية ٢١٤ .
(٣) رواه البخاري : ٣٦٠/٨ كتاب التفسير باب وأنذر عشيرتك الاقربين.

نتيجة ذلك أن عظم الأتباع والمريدون والسذج من الناس تلك الرفات وأقاموا عليها القباب وعمروا المشاهد وعظموها فاعادوا الوثنية جذعة في بلاد المسلمين ونشروها بينهم وكثرت المشاهد المعظمة والآثار حتى أن بعض المقبورين توضع بعض حاجاتهم من ملابس وأواني في ناحية من الضريح ولها من القيمة وفيها من البركة على زعمهم مافيها ، وأصبحت ترى الناس يرتادونها ويطوفون عليها كما يطاف على الكعبة ويطلبون منها المال والولد والزوج ويقدمون لها النذور ويوقفون لها الأوقاف ويسألونها أو يسألون رممها الحاجات وشفاء المرضى ورد الضائعات: " ضاعت ناقة بدوى فبحث عنها ولم يجدها ، لجأ إلى قبر معروف في البادية وأخذ يبكى ويصرخ ويصيح ثلاثة أيام متوالية من الصباح حتى المساء وهو يردد قائلاً : ياسعد ياسعد هات لي ناقتي وهكذا كان يطلب المدد من سعد وكان هناك شخص عربي في عشيرة عربية تقيم بالقرب من هذا القبر يتألم لما وصلت إليه حالة هذا البدوي الذي يندب حظه ويطلب من الميت في القبر أن يوجد له ضالته .

وفي اليوم الثالث جاء هذا الشخص – وهو محمد بن عبدالوهات – وسأل البدوي قائلاً : ماهي مشكلتك ؟ فقال له البدوي : لقد فقدت ناقتي فجئت إلى قبر شيخي وأن الشيخ سعد لابد وأن يجدها لي ، فسأله محمد بن عبدالوهات قائلاً : ومن هو شيخك فقال البدوي : هذا الذي يرقد في هذا القبر قال له محمد بن عبدالوهاب : يا شيخ إنك أنت وأنت حي تعجز أن تجد ناقتك فما بالك بشيخك وهو ميت ؟ كيف يستطيع الخروج من قبره ليجد لك ماتعجز أنت في العثور عليه دعك من هذا الميت واطلب العون والمدد من ا لله بدلاً من أن تطلب المدد من هذا المدفون تحت الحجارة وقد أصبح مجموعة عظام، لاتطلب ناقتك من سعد بل اطلبها من رب سعد لاتقل : يا سعد ، بل قل : يارب سعد ، فإن القادر على أن يجد لك

ناقتك ليس سعداً وإنما رب سعد،ذلك لأن ا لله عز وجل هو القادر على كل شيء"(١) .

وقد رأيت شيئاً من ذلك من الطلبات المقدمة من الناس إلى تلك الاضرحة ورأت من التمسح بسياجاتها وإمرار اليد على الجسم عند بعض الأضرحة ، وقد سجل ذلك بعض المستشرقين فهذا جولد زيهر مبيناً تقديس العامة للأضرحة والأولياء يقول : " وأضرحة الأولياء والأماكن المقدسة الأخرى هي موضع عبادتهم التى يرتبط بها أحياناً مايظهره العامة من تقديس وثني غليظ لبعض الآثار والمخلفات بل إن العامة تخص الأضرحة ذاتها بما لايقل عن العبادة المحضة "(٢) ويقول أيضاً : " بقي كثير من عناصر الديانات السابقة للإسلام واستأنفت حياتها في المظاهر العديدة الخاصة بتقديس الأولياء ، وفي الحق ليس من شيء أشد خروجاً على السنة القديمة من هذا التقديس المبتدع المفسد لجوهر الإسلام والماسخ لحقيقته، وإن السني الصادق الحريص على اتباع السنة لابد أن يعده من قبيل الشرك الذي يستثير كراهيته واشمئزازه"(٣) .

(١) العثمانيون في التاريخ والحضارة ، د. محمد حرب ، دار القلم دمشق ، سوريا ، الطبعة الأولى ١٤٠٩-١٩٨٩م ، ص ١٧٣ .

(٢) هذه هي الصوفية ، ص ١٠١-١٠٢ .

(٣) المصدر السابق، ص ١٠١ .

الباب الثاني

تعظيم الآثار والمشاهد في القرآن والسنة وتطبيقاتها عند السلف الصالح

وهو مشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : في القرآن الكريم ويتضمن نماذج من المشاهد والآثار التى وردت فيه .

الفصل الثاني : في السنة المطهرة ويتضمن أيضاً نماذج من المشاهد والآثار التى وردت في السنة المطهرة .

الفصل الثالث : موقف السلف وتطبيقاتهم للأحكام الشرعية على الآثار والمشاهد التى في عصرهم .

الفصل الأول : نماذج من الآثار والمشاهد في القرآن الكريم

-الآثار والمشاهد التى وردت في القرآن والسنة تحمل معنى مجمع الناس فتدخل فيه أماكن العبادة والأضرحة وغيرها .

الآثار والمشاهد وردت في القرآن الكريم على أنواع :

الأول : نوع طلب من المسلمين تعظيمه إما على وجه الاستحباب أو على وجه الإلزام والوجوب .

الثاني : نوع نهى المسلمون عن تعظيمه إما على سبيل التحريم أو على سبيل الكراهية .

الثالث : نوع ورد ذكره في سياق ذكر حوادث .

الرابع :نوع طلب من غير المسلمين النظر فيها وأخذ العبرة .

وتفصيل ذلك :

أولاً : ماطلب من المسلمين تعظيمه ومن ذلك :

١- المسجد الحرام ومايحويه :

قال تعالي : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره﴾(١) وذلك في الصلاة والدعاء(٢) .

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٤.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ١/١٩٣ وزاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزي القرشي البغدادي تحقيق د. محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله، تخريج السعيد بن بسيوني زغلول، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. ١/١٤٠-١٤١ .

وقال تعالى : ﴿ إنما المشركون نجس فلايقربوا المسجد الحرام﴾(١) .

أ – الكعبة قال تعالى : ﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وليطوفوا بالبيت العتيق﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لاتشرك بي شيئاً ﴾(٤).

بوأنا : دللناه عليه(٥) وهيأناه له فبناه على تقوى وأسسه على طاعة ا لله(٦) .

البيت : الكعبة(٧) .

وقال تعالى : ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً﴾(٨).

مثابة : يرجع الحجاج إليه بعد تفرقهم عنه فهم لايقضون منه وطراً يأتونه ثم يرجعون إلى أهليهم ثم يعودون إليه ، أويثوبون إليه من البلدان كلها ويأتونه(٩).

وأمنا : أي موضع آمن لايجوز أن يخاف فيه أحد فيكون أمنا للناس من العدو وأن يحمل فيه السلاح(١٠) أي يأمن الناس من أن يحمل العدو السلاح .

وقال تعالى : ﴿ جعل ا لله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس﴾(١١).

أي : صير ا لله الكعبة البيت الحرام قواماً للناس الذين لاقوام لهم من رئيس يحجز قويهم عن ضعيفهم ومسيئهم عن محسنهم وظالمهم عن مظلومهم(١٢) أو يرفع عنهم– أي الناس – بسبب تعظيمها – أي الكعبة – السوء(١٣) أو أنه إذا هدمت الكعبة فلن تقوم للناس قائمة وا لله أعلم .

---

(١) سورة المائدة آية ٢٨ .
(٢) سورة البقرة آية ١٢٥.
(٣) سورة الحج آية ٢٩ .
(٤) سورة الحج آية ٢٦ .
(٥) زاد المسيرة ٥/٢٩٠ .
(٦) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي) ٥/٢٨٨.
(٧) تفسير الطبري ٩/١٣٣ .
(٨) سورة البقرة آية ١٢٥.
(٩) تفسير القرآن العظيم ١/١٦٨ .
(١٠) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .
(١١) سورة المائدة آية ٩٧ .
(١٢) تفسير الطبري ٥/٧٧ .
(١٣) تفسير القرآن العظيم ١/١٦٨ .

ب- مقام إبراهيم : قال الله سبحانه تعالى: ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾(١) يصلى خلفه بعد الطواف وهو الذي كان يقف عليه إبراهيم أثناء بناء الكعبة، ومكان المقام سابقاً ملاصق لجدار الكعبة على يمين الداخل لها ثم نقله عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى مكانه الذي هو فيه الآن(٢)، وهناك معنى آخر وهو أنه " يحتمل أن يكون المقام مفرداً مضافاً فيعم جميع مقامات إبراهيم في الحج فهي المشاعر كلها من الطواف والسعي والوقوف بعرفة ومزدلفة ورمي الجمار والنحر.. فيكون معنى قوله : " مصلى" أي معبدا، أي اقتدوا به في شعائر الحج"(٣) .

ج - الصفا والمروة .

قال تعالى : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾(٤) .

"الصفا" علم لجبل من جبال مكة معروف وكذلك " المروة"(٥) .

"من شعائر الله" أي " هذان الموضعان من شعائر الله أي أعلام متعبداته.

وواحد الشعائر : شعيرة، والشعائر كل ماكان من موقف أو مسعى أو ذبح – يقصد من شعائر الحج ، والشعائر من شعرت بالشيء إذا علمت به فسميت الأعلام التى هي متعبدات الله : شعائر"(٦) ، والشعائر : المقالة التى ندب الله إليها وأمر بالقيام عليها ، والشعائر : أعمال الحج وكل ماجعل علماً لطاعة الله(٧)، وإذا كان من شعائر الله فقد أمر الله بتعظيم

(١) سورة البقرة آية ١٢٥.
(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ١/ ١٧١.
(٣) تفسير السعدي ١/ ١٣٧.
(٤) سورة البقرة آية ١٥٨.
(٥) زبدة التفاسير من فتح القدير ، محمد سليمان عبدالله الأشقر ، وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م . ص/٣٠.
(٦) زاد المسير ١/ ١٤٧.
(٧) فتح الباري ، شرح صحيح البخاري ٣/ ٥٨٢.

شعائره فقال تعالى :﴿ ومن يعظم شعائر ا لله فإنها من تقوى القلوب﴾(١) فدل مجموع النصين أنهما من شعائر ا لله وأن تعظيم شعائره من تقوى القلوب والمقصود " تقوى القلوب لله وهو عبادتها له وحده دون ماسواه بغاية العبودية له"(٢) ، "والتقوى واجبة على كل مكلف وذلك يدل على أن السعي بهما – أي الصفا والمروة – فرض لازم للحج والعمرة "(٣) و"هذا دفع لوهم من توهم وتحرج من المسلمين عن الطواف بينهما لكونهما في الجاهلية تعبد عندهما الأصنام" " ولو كان لاحرج في ترك الطواف بالصفا والمروة لكانت الآية : " فلا جناح عليه أن لايطوف بهما"(٤) .

٢- مشاعر الحج

ا – عرفات: قال تعالى : ﴿ فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا ا لله ﴾(٥) .

ويقف فيها الحاج من بعد الزوال إلى مابعد غروب الشمس في اليوم التاسع من شهر ذي الحجة ، والوقوف فيها أحد أركان الحج .

"وعرفة موضع الوقوف في الحج وهي عمدة أفعال الحج "(٦) .

ب – المزدلفة قال تعالى : ﴿ فاذكروا ا لله عند المشعر الحرام﴾(٧) ، المشعر الحرام : المزدلفة كلها (٨) .

---

(١) سورة الحج آية ٣٢ .

(٢) فتاوى ابن تيمية ٤٨٥/١٧ .

(٣) تفسير السعدي ١٨٣/١ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ١٩٨/١، فتح الباري ، شرح صحيح البخاري ٧١٩/٣، كتاب العمرة ، باب يفعل بالعمرة مايفعل بالحج .

(٥) سورة البقرة آية ١٩٨ .

(٦) تفسير القرآن العظيم ٢٤٠/١ .

(٧) سورة البقرة آية ١٩٨ .

(٨) تفسير القرآن العظيم ٢٤٢/١ .

ج – منى: قال ا لله تعالى : ﴿ واذكروا ا لله في أيام معدودات﴾(١) ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾(٢) ، المراد بالإفاضة ههنا هي الإفاضة من المزدلفة إلى منى لرمي الجمار(٣) .

بقي أن يعلم أن هذه المقامات والمشاعر يرتبط بها أمران مهمان- :

الأول : أنه لايعبد ا لله عندها إلا بماشرع من حيث أصل العبادة ومن حيث صفتها فمثلا مقام إبراهيم عليه السلام الذي بجوار الكعبة يصلى عنده ركعتين بعد الطواف يقرأ في الركعة الأولى بالفاتحة وبقل يأأيها الكافرون وبالثانية بالفاتحة وقل هو ا لله أحد، فأصل التعبد صلاة ركعتين فلايمسح المقام ولايقبله ولايتبرك به بمعنى أنه لايتعبد ا لله عنده بنوع من العبادات غير ماورد هذا من ناحية أصل التعبد .

أما من ناحية وصف العبادة فالذي ورد أنها ركعتان بعد الطواف ويستحب أن يقرأ في الأولى بالفاتحة وقل يأأيها الكافرون وبالثانية بالفاتحة وقل هو ا لله أحد(٤) فلو صلى بغير هذه الصفة كأن يصلى أربع ركعات أو ثلاث مثلاً وقصد أنهما للطواف لكان مخالفاً للوصف الوارد .

فلابد من التقيد بالأصل والوصف الواردين لكل شعيرة وهذا هو الركن الثاني من أركان حسن العمل وقبوله فالأول الإخلاص لله والثاني الإتباع للشرع وعدم الإبتداع(٥) .

ومن أدلة الركن الأول قوله تعالى : ﴿ ألا لله الدين الخالص﴾(٦) .

وقوله تعالى : ﴿ فاعبد ا لله مخلصاً له الدين ﴾(٧) .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٠٣ .
(٢) سورة البقرة آية ١٩٩.
(٣) تفسير القرآن العظيم ٢٤٢/١ .
(٤) انظر فتاوى ابن تيمية ١٢٧/٢٦ .
(٥) انظر مجموعة التوحيد ٤٧٦/٢ .
(٦) سورة الزمر آية ٣.
(٧) سورة الزمر آية ٢

ومن أدلة الركن الثاني قوله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون ا لله فاتبعوني يحببكم ا لله﴾(١) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فمن تبع هداي فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون﴾(٢) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولاتتبعوا من دونه أولياء قليلاً ماتذكرون﴾(٣) .

ومن أدلتهما معاً قوله تعالى : ﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ﴾(٥).

الأمر الثاني : "أن هذا الحكم خاص بمقام إبراهيم الذي بمكة سواء أريد به المقام الذي عند الكعبة موضع قيام إبراهيم – عليه السلام – أو أريد به المشاعر عرفة ومزدلفة ومنى فلانزاع بين المسلمين أن المشاعر خصت من العبادات بما لايشركها فيه سائر البقاع كما خص البيت بالطواف ، فما خصت به تلك البقاع لايقاس به غيرها ومالم يشرع فيها فأولى أن لايشرع في غيرها"(٦) " وليس لأحد أن يشرع مالم يشرعه ا لله كما لو قال قائل : أنا استحب الطواف بالصخرة سبعاً كما يطاف بالكعبة أو استحب أن أتخذ من مقام موسى وعيسى مصلى كما أمر ا لله أن يتخذ من مقام إبراهيم مصلى ونحو ذلك لم يكن له ذلك لأن ا لله يختص مايختصه من الأعيان والأفعال بأحكام تخصه يمتنع معها قياس غيره عليه إما لمعنى يختص به لايوجد بغيره على قول أكثر أهل العلم .

---

(١) سورة آل عمران آية ٣١.

(٢) سورة البقرة آية ٣٨ .

(٣) سورة الاعراف آية ٣ .

(٤) سورة البقرة آية ١١٢ .

(٥) سورة النساء آية ١٢٥ .

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٨٠٩-٨١٠ .

وأما لمحض تخصيص المشيئة على قول بعضهم كما خص الكعبة بأن يحج إليها ويطاف بها وكما خص عرفات بالوقوف بها وكما خص منى برمي الجمار بها وكما خص الأشهر الحرم بتحريمها وكما خص شهر رمضان بصيامه وقيامه إلى أمثال ذلك"(١) والرسول صلى الله عليه وسلم لما حج " وحج معه جماهير المسلمين لم يتخلف عن الحج معه إلا من شاء الله وهو في ذلك كله لاهو ولاأحد من أصحابه يأتي غار حراء ولايزوره ولاشيئاً من البقاع التى حول مكة ، ولم يكن هناك عبادة إلا بالمسجد الحرام وبين الصفا والمروة وبمنى والمزدلفة وعرفات وصلى الظهر والعصر ببطن عرنة وضربت له القبة يوم عرفة بنمرة المجاورة لعرفة ثم بعده خلفاؤه الراشدون وغيرهم من السابقين الأولين لم يكونوا يسيرون إلى غار حراء ونحوه للصلاة فيه والدعاء .

وكذلك الغار المذكور في القرآن في قوله تعالى : ﴿ ثاني اثنين إذ هما في الغار﴾(٢) وهو غار بجبل ثور يمان مكة لم يشرع لأمته - صلى الله عليه وسلم السفر إليه وزيارته والصلاة فيه والدعاء ولابنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة مسجداً غير الحرام بل تلك المساجد كلها محدثة ، مسجد المولد وغيره ولاشرع لأمته زيارة موضع المولد ولازيارة موضع بيعة العقبة الذي خلف منى ...

ومعلوم أنه لوكان هذا مشروعاً مستحباً يثيب الله عليه لكان النبي صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بذلك ولكان يعلم أصحابه ذلك ، وكان أصحابه أعلم بذلك وأرغب فيه ممن بعدهم ، فلما لم يكونوا يلتفتون إلى شيء من ذلك علم أنه من البدع المحدثة التى لم يكونوا يعدونها عبادة وقربة وطاعة فمن جعلها عبادة

---

(١) فتاوى ابن تيمية ٤٨٢/٤ .

(٢) سورة التوبة آية ٤٠ .

وقربة وطاعة فقد اتبع غير سبيلهم (١) وشرع من الدين مالم يأذن به ا لله (٢) وإذا كان حكم مقام نبينا صلى ا لله عليه وسلم في مثل غار حراء الذي ابتدىء فيه بالإنباء والإرسال وأنزل عليه فيه القرآن مع أنه كان قبل الإسلام يتعبد فيه وفي مثل الغار المذكور في القرآن الذي أنزل ا لله فيه سكينته عليه كما علمت فمن المعلوم أن مقامات غيره من الأنبياء(٣) أو غيرهم من الأولياء والصالحين أبعد أن يشرع قصدها والسفر إليها لصلاة أو دعاء أو نحو ذلك إذا كانت صحيحة ثابتة فكيف إذا علم أنها كذب أو لم يعلم صحتها"(٤) بل وكيف تشد الرحال ويمكث الأيام والليالي الطوال عند مقامات وأماكن إقامات الجبابرة والطغاة والكفرة ورؤوس الطواغيت وأماكن تعبدات الوثنيين بل ومعبوداتهم من الأصنام والتماثيل ونحو ذلك فهذا أشد جرماً وإثماً وهو مايفعله كثير من الآثاريين مع مايجدونه ويبحثون عنه من آثار الأمم المهلكة والمعذبة .

٣- مسجد قباء :

وهو المعنى بقوله تعالى : ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه﴾(٥) على أحد قولى العلماء في تفسير الآية(٦) .

---

(١) قال تعالى في ذلك : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾ سورة النساء آية ١١٥ .

(٢) يشير بذلك إلى قوله تعالى : ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به ا لله﴾ سورة الشورى آية ٢١ .

(٣) ويتضح مماسبق ممانقلته عنه – أي ابن تيمية – أنه لايقصد المستثني كمقام ابراهيم عليه السلام.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٨٠٦-٨٠٨ .

(٥) سورة التوبة آية ١٠٨ .

(٦) انظر تفسير زاد المسير ٣/٣٤٠ وانظر أيضاً تفسير القرآن العظيم ٢/٣٨٩-٣٩٠ .

وهذا المسجد كان رسول ا لله صلى عليه وسلم يصلي فيه كل سبت تقريباً ركعتين(١)

٤-المساجد عموماً قال تعالى : ﴿ في بيوت أذن ا لله أن ترفع ويذكر فيها اسمه﴾(٢)وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين﴾(٣) وقال سبحانه وتعالى : ﴿يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾(٤) وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إنما يعمر مساجد ا لله من آمن با لله واليوم الآخر ﴾(٥) .

ثانياً : آثار ومشاهد وردت في القرآن الكريم ونهى المسلمون عن تعظيمها إما على سبيل التحريم أو على سبيل الكراهية ومن ذلك:

١- مسجد الضرار قال تعالى : ﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب ا لله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى وا لله يشهد إنهم لكاذبون . لاتقم فيه أبداً﴾(٦) .

وهذا النهى واضح جداً أنه للتحريم والمنع المؤبد .

قصة مسجد الضرار :

"أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم إليها رجل من الخزرج يقال له أبوعامر الراهب ، وكان قد تنصر في الجاهلية وقرأ علم أهل الكتاب وكان فيه عبادة في الجاهلية وله شرف في الخزرج كبير فلما قدم رسول

(١) عن ابن عمر رضي ا لله عنهما قال : كان رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يأتي مسجد قباء راكباً وماشياً فيصلي ركعتين" رواه مسلم: مسلم ١٧٩/٩.

(٢) سورة النور آية ٣٦ .

(٣) سورة الاعراف آية ٢٩ .

(٤) سورة الاعراف آية ٣١ .

(٥) سورة التوبة آية ١٨ .

(٦) سورة التوبة الآيات ١٠٧-١٠٨ .

ا لله صلى ا لله عليه وسلم مهاجراً إلى المدينة واجتمع المسلمون عليه وصارت للإسلام كلمة عالية وأظهرهم ا لله يوم بدر شرق اللعين أبوعامر بريقه وبارز بالعداوة وظاهر بها وخرج فاراً إلى كفار مكة من مشركي قريش يمالئهم على حرب رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب وقدموا عام أحد فكان من أمر المسلمين ماكان وامتحنهم ا لله عز وجل وكانت العاقبة للمتقين وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين فوقع في إحداهن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم وأصيب ذلك اليوم فجرح وجهه وكسرت رباعيته اليمنى السفلى وشج رأسه صلوات ا لله وسلامه عليه وتقدم أبوعامر في أول المبارزة إلى قومه من الأنصار فخاطبهم واستمالهم إلى نصرته وموافقته ، فلما عرفوا كلامه قالوا : لاأنعم ا لله بك عينا يا فاسق يا عدو ا لله ، ونالوا منه وسبوه فرجع وهو يقول : وا لله لقد أصاب قومي بعدي شر ، وكان رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم قد دعاه إلى ا لله قبل فراره وقرأ عليه من القرآن ، فأبى أن يسلم وتمرد، فدعا عليه رسول ا لله أن يموت بعيداً طريداً فنالته هذه الدعوة ، وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد ورأى أمر رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم في ارتفاع وظهور ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي صلى ا لله عليه وسلم فوعده ومناه وأقام عنده، وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويمنيهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم ويغلبه ويرده عما هو فيه ، وأمرهم أن يتخذوا له معقلاً يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه ويكون مرصداً له إذا قدم عليهم بعد ذلك فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء فبنوه وأحكموه وفرغوا منه قبل خروج رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم إلى تبوك ، وجاءوا فسألوا رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم ليحتجوا بصلاته فيه على تقريره وإثباته وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية فعصمه ا لله من الصلاة

فيه فقال: " إنا على سفر ولكن إذا رجعنا إن شاء الله " فلما قفل عليه السلام راجعاً إلى المدينة من تبوك ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم نزل عليه جبريل بخبر مسجد الضرار وماعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم مسجد قباء الذي أسس من أول يوم على التقوى فبعث رسول الله صلى عليه وسلم إلى ذلك المسجد من هدمه قبل مقدمه المدينة "(١) .

ويلحق بمسجد الضرار المشاهد والآثار عموماً التي تبنى أو قد بنيت ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم(٢) ويشبهه كثير من مراكز الدول الكافرة في كثير من الدول الإسلامية .

٢- مساكن الظلمة والظالمين قال تعالى : ﴿ وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال . وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال . وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾(٣) .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾ أي نزلتم في أماكنهم وقراهم كالحجر ومدين والقرى التي عذب أهلها .

ومعنى (ظلموا أنفسهم) : ضروها بالكفر والمعصية(٤) .

ومن الواضح أن غالب أبحاث وتنقيبات أكثر الآثاريين إنما هي مساكن الذين ظلموا أنفسهم بقصد إحياء تاريخهم والفخر بمجدهم وإظهار معبوداتهم ونشر عاداتهم وإيضاح معتقداتهم وتتبع وثنياتهم وسيتبين ذلك لاحقاً .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/٣٨٧-٣٨٨ وانظر زاد المسير ٣/٣٣٩.

(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٦٥٦.

(٣) سورة ابراهيم الآيات ٤٤-٤٦ .

(٤) زارد المسير في علم التفسير ٤/٢٧٣ .

٣- قبور الكفار والمشركين :

قال تعالى : ﴿ولاتصل على أحد منهم مات أبداً ولاتقم على قبره إنهم كفروا با لله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾(١) وهذا واضح أن النهي فيه للتحريم.

وحدث ولاحرج عن نبش مقابر الوثنيين والإقامة عندها واستخراج كنوزها ومحتوياتها من التماثيل والأواني وغيرها ممايوجد في مقابر القدماء ممايكشفه علم الآثار مع وجود الأدلة على وثنية المقبورين كوجود التماثيل والمعبودات بجوارهم في قبورهم .

٤- الأصنام والمعبودات من دون ا لله:

وهذه ورد ذكرها في كتاب ا لله على أحوال متنوعة منها أنها في صف أعداء ا لله وأعداء رسله فإن رسل ا لله عليهم الصلاة والسلام قد نادوا البشرية بتوحيد ا لله في العبادة واجتناب ماسواه من معبودات قال ا لله تعالى : ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا ا لله واجتنبوا الطاغوت﴾(٢) .

ووردت السخرية منها وأن ا لله دمرها وحرم أهلها منها ثم إن عابديها يوم القيامة ينكرونها وهم في الدنيا يحتجون لها بأنها معبودات آبائهم وأنهم وجدوهم لها عابدين فهم على آثارهم عابدون لها ونهى المسلمين عن عبادتها كل ذلك وغيره مماسيأتي بعضه في كتاب ا لله عز وجل فقد قال ا لله سبحانه وتعالى : ﴿ قل ياأيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد. ولا أنا عابد ماعبدتم. ولاأنتم عابدون ماأعبد. لكم دينكم ولي دين﴾(٣) وقال سبحانه وتعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ إبراهيم .إذ قال لأبيه وقومه ماتعبدون . قالوا نعبد أصناماً فنظل

---

(١) سورة التوبة آية ٨٤ .
(٢) سورة النحل آية ٣٦ .
(٣) سورة الكافرون كاملة .

لها عاكفين .قال هل يسمعونكم إذ تدعون. أو ينفعونكم أو يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال أفرأيتم ماكنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقدمون .فإنهم عدو لي إلا رب العالمين . الذي خلقني فهو يهدين ﴾ الآيات(١).

وقال سبحانه وتعالى عن ضلال الكفار عن معبوداتهم وأصنامهم وإنكارهم لها يوم القيامة ﴿ ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون ، الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون . إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون . في الحميم ثم في النار يسجرون . ثم قيل لهم أين ماكنتم تشركون . من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً كذلك يضل الله الكافرين﴾(٢) .

ومعبودات الكفار من الأصنام والأوثان والتماثيل والصور أمرنا الله بالتبري منها وأمرنا بحربها وبتحطيمها وذلك اقتداء برسل الله واهتداء بهداهم قال سبحانه وتعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين . إذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون. قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين.قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين. قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين . قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون﴾(٣) .

فالتماثيل : جمع تمثال .

والتمثال : الصورة المصنوعة مشبهة بمخلوق من مخلوقات الله تعالى من مثلت الشيء بالشيء إذا شبهته به .

(١) سورة الشعراء الآيات ٦٩-٨٢ .
(٢) سورة غافر الآيات ٦٩-٧٤ .
(٣) سورة الانبياء الآيات ٥١-٥٨ .

أ - قيل كانت على صور رجال يعتقدون فيهم وقد انقرضوا .

ب - وقيل كانت صور الكواكب صنعوها حسبما تخيلوا وهي على كلا الحالين إنما هي أصنام .

(عاكفون) العكوف هو :

أ - الإقبال على الشيء وملازمته على سبيل التعظيم له .

ب - وقيل اللزوم والإستمرار على الشيء لغرض من الأغراض .

فهو - عليه السلام - يقول لهم : أي شيء هذه الصور التي أنتم عليها مقيمون(١) فقد استنكر إبراهيم عليه الصلاة والسلام على قومه عكوفهم على هذه التماثيل التي هي تحاكي خلقاً من خلق الله سواء عن علم ومشاهدة كتمثال الإنسان والحيوان وصورته ، أو عن تخيل وتوهم وتصور كالتي تجعل للكواكب(٢).

(١) انظر تفسير الطبرى ٣٦/٩ .

(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ٧٧٩/٢ .

وعليه فإن مثل هذا العكوف من الملازمة والإقبال حاصل وواقع من كثير من الآثاريين عند معبودات الوثنيين وخاصة الصور والتماثيل بل إنهم يحرسونها ويحافظون عليها ويهتمون بها بذاتها وبمعناها على حد سواء ويتطور الأمر فيجعلون لها مزارات وسدنة يجمعون بها النذور لكنهم جعلوا لها أسماء مقبولة فسموا المزارات متاحف وأماكن سياحية وسموا النذور رسوم سياحية .

ثم إن إبراهيم عليه السلام أخبر قومه أنهم والحالة هذه - أي عكوفهم على أصنامهم وعبادتهم لها - هم وأباؤهم الذين اقتدوا بهم في ذلك إنما هم في ضلال مبين وذمهم على تقليدهم الآباء على غير الحق وأخبرهم أن ربهم هو رب السموات والأرض فليصرفوا العبادة له وحده لاشريك له ، ثم أقسم أن يضر أصنامهم ويدبر تكسيرها فلما فعل خاصموه وناقشوه على ذلك فأرجع الأمر إلى أصنامهم وطلب من قومه سؤالها فلما خاطب عقولهم بأنها لاتنفع ولاتدفع وسلموا له بذلك استنكر منهم عبادتهم لها ، ولماكانوا مصرين على ضلالهم قال مهجناً لأفعالهم مستقذراً لها : ﴿ أفٍ لكم ولما تعبدون من دون ا لله ﴾ فمعبوداتهم بذاتها لم تذنب شيئاً لكنها لما كانت أداة مستعملة في الشرك استحقت هذا الإحتقار والازدراء وأصبح مكانها في صف أعداء ا لله وأعداء رسله تبرأ منها إبراهيم عليه السلام قال تعالى : ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون . إلا الذي فطرني﴾(١) " فقد تبرأ من أصنامهم أي أنه يقول : أنا بريء من هذه الأصنام لا أعبدها ولاأدعوها ولا أتخذها آلهة بل أكفر بها وأعاديها"(٢) .

وقد أمر ا لله سبحانه وتعالى نبيه صلى ا لله عليه وسلم وقومه بأن يقتدوا ويتأسوا بإبراهيم عليه السلام ومن معه في ذلك فقال عز وجل: ﴿ لقد كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآؤا منكم ومما تعبدون من دون

---

(١) سورة الزخرف الآيتان ٢٦-٢٧ .

(٢) انظر زبدة التفاسير ٦٤٩ .

ا لله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العدواة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا با لله وحده﴾(١)، وأمر رسوله صلى ا لله عليه وسلم أن يقتدي بهدي الرسل قال تعالى: ﴿ فبهداهم اقتده﴾(٢) وقد نفذ رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم تلك الأوامر وتبرأ من أصنام المشركين وحطمها وحاربها فحطم الأصنام والتماثيل التي كانت عند الكعبة وفي جوفها في المسجد الحرام ومحا الصور الموجودة فيها وبعث من يحطم الأصنام المتفرقة عند قبائل العرب على ماسيأتي بيانه في الفصل القادم إن شاء ا لله .

وعليه فإن على المسلمين أن يقتدوا بنبيهم ويتأسوا به ويتبعونه في تحطيم التماثيل والصور والمعبودات التي يحافظ عليها كثير من الآثاريين وعليهم أن يعادوها ويعتبروها من أعداء ا لله ومن أعداء رسله ومن ثم فهي من أعداء المسلمين فكيف والحال الآن الإحتفاء والإهتمام بها من قبل المسلمين باسم الآثار ذلك الإهتمام الذي يسر أعداء المسلمين من الملاحدة والصليبيين .

ثالثاً : وردت آثار ومشاهد في سياق ذكر حوادث ولم يرد شرعاً مايدعو إلى تعظيمها أو أداء شعيرة من الشعائر عندها. من ذلك:

١- غار ثور بمكة قال تعالى : ﴿ إلا تنصروه فقد نصره ا لله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن ا لله معنا فأنزل ا لله سكينته عليه﴾(٣) .

٢- شجرة بيعة الرضوان بالحديبية غرب مكة المكرمة قال تعالى : ﴿ لقد رضي ا لله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافي قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً﴾(٤) .

---

(١) سورة الممتحنة آية ٤ .
(٢) سورة الأنعام آية ٩٠ .
(٣) سورة التوبة آية ٤٠ .
(٤) سورة الفتح آية ١٨ .

وسيأتي الكلام عن الشجرة في الفصل بعد القادم إن شاء ا لله حيث عمل الصحابة رضوان ا لله عليهم وتعاملهم مع الآثار والمشاهد .

٣- موقع غزوة بدر قال ا لله تعالى : ﴿ ولقد نصركم ا لله ببدر وأنتم أذلة﴾(١) وقال تعالى ﴿ إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم﴾(٢) وفي العصر الحديث عظم الناس أماكن النصر ومواقع الحروب وغلوا في ذلك غلواً شديداً في كثير من ديار المسلمين وبلاد التوحيد وهيأوا السبل لتكون مشهداً للناس ومزاراً واصطبغت بقداسة وتعظيم ماأنزل ا لله بهما من سلطان لكن موقع غزوة بدر وهي الغزوة الفاصلة في تاريخ السيرة النبوية لم يجعل ا لله له ولم يجعل له رسول ا لله صلى عليه وسلم أي شيء من قداسة أو أدنى درجة من تعظيم.

والنماذج الثلاثة السابقة وغيرها مما يماثلها أو يشبهها قد تولاها السذج وقليلو العلم والبصيرة بالحضور والزيارة وسنوا لها الشعائر وهذا ماأنزل ا لله به من سلطان ولا سنة من رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم بل إن ذلك مما أحدثه المبتدعة في أمره صلى ا لله عليه وسلم ودينه وقد ورد عنه صلى ا لله عليه وسلم أنه قال : " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد "(٣) .

رابعاً : مشاهد وآثار طلب من الكفار المكذبين بالرسالة أن ينظروا فيها ويعتبروا منها، فمن ذلك :

قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون﴾(٤) .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٢٣ .

(٢) سورة الأنفال آية ٤٥ .

(٣) رواه مسلم: ١٢/٢٥٧-٢٥٨، كتاب الاقضية باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور حديث ١٨ .

(٤) سورة يوسف آية ١٠٨ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وماظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون . فأصابهم سيئات ماعملوا وحاق بهم ماكانوا به يستهزئون . وقال الذين كفروا لوشاء الله ماعبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين. ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى . أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى﴾(٢) .

"فقوله تعالى : ﴿ أفلم يسيروا في الأرض﴾ يعني المشركين المنكرين لنبوتك (فينظروا) إلى مصارع الأمم المعذبة فيعتبروا بذلك"(٣) .

(فسيروا في الأرض) أي معتبرين بآثار الأمم المكذبة"(٤) .

(أفلم يهدهم) أي أفلم يتبين الحق للكفار إذا نظروا آثار من أهكلنا من الأمم(٥) .

ولمزيد من الإيضاح والبيان لقوله تعالى:﴿أفلم يهدهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى﴾(٦) فهذا نقل آخر:

---

(١) سورة النحل الآيات ٣٣-٣٦ .
(٢) سورة طة الآيات ١٢٧-١٢٨ .
(٣) زاد المسير في علم التفسير ٤/٢٢٠ .
(٤) المصدر السابق ٤/٢٣٥ .
(٥) انظر زاد المسير ٥/٢٢٩ .
(٦) سورة طة آية ١٢٨ .

" أي أفلم يتبين لهؤلاء المكذبين أهل مكة بما جئتهم به يا محمد إهلاكنا كثيراً من الأمم الماضية المكذبين بالرسل قبلهم فبادوا ولم يبق لهم أثر كعاد وثمود وأصحاب الحجر وقرى قوم لوط الذين يتقلبون في ديارهم أو يمشون في مساكنهم ويشاهدون آثارهم المدمرة فإن في ذلك لعبراً وعظات توجب الإعتبار لذوي العقول الصحيحة التي تنهى أصحابها عن القبيح وتدرك احتمال أن يحل بهم مثل ماحل بأولئك ، ونظير الآية قوله تعالى : ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾(١) .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ أولم يهدلهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون﴾(٢) .

وبهذا ... يعظ الله تعالى الكفار بأن يعتبروا بأحوال الأمم الماضية الذين أهلكهم لتكذيبهم الرسل فلربما حل بهم من العذاب مثلما حل بالكفار قبلهم"(٣).

وقال سبحانه وتعالى مقرراً توحيد الربوبية بأنواع من الأدلة وموضحاً اضطراب الكفار في الإيمان بالبعث موجهاً أنظارهم إلى أنه سبحانه وتعالى هو الذي يخلق وهو الذي يعيد وجعل مصارع المجرمين عبرة للمعتبرين فأمر المنكرين أن يسيروا في الأرض فيعتبروا قال سبحانه وتعالى : ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أمايشركون . أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من

---

(١) سورة الحج آية ٤٦ .

(٢) سورة السجدة آية ٢٦ .

(٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، وهبة الزحيلي ، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ، دار الفكر دمشق سوريا ، الطبعة الاولى ١٤١١هـ -١٩٩١، ج١٦، ص٣٠٤، والمقطع الاخير ٣٠٨ .

السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ماكان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع ا لله بل هم قوم يعدلون . أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع ا لله بل أكثرهم لايعلمون . أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع ا لله قليلاً ماتذكرون . أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته أإله مع ا لله تعالى ا لله عما يشركون . أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع ا لله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا ا لله ومايشعرون أيان يبعثون . بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون . وقال الذين كفروا أإذا كنا تراباً وآباؤنا أإنا لمخرجون . لقد وعدنا هذا نحن وأباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين . قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ﴾(١) .

"في هذه الآيات جملة من المشاهد في الكون والنفس وعدة مناقشات للكفار لتقرير توحيد الألوهية عن طريق تقرير توحيد الربوبية وأسئلة متلاحقة :

من خلق السموات والأرض ؟

من أنزل من السماء ماء فأنبت به حدائق ذات بهجة ؟

من جعل الأرض قراراً؟

ومن جعل خلالها أنهاراً؟

ومن جعل لها رواسي؟

ومن جعل بين البحرين العذب والمالح حاجزاً ؟

ومن يجيب دعوة المضطر ؟

ومن يكشف السوء ؟

ومن جعلكم خلفاء أمة بعد أمة في الأرض؟

---

(١) سورة النمل الآيات ٥٩-٦٩ .

ومن الذي يرشدكم في ظلمات البر والبحر ؟

ومن هو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته ؟

ومن يبدأ الخلق ثم يعيده؟

ومن الذي يرزقكم من السماء والأرض؟

وفي كل مرة يطرق مسامعهم ويستثير فطرتهم بقوله : أإله مع ا لله؟

فلا يملكون أن يقولوا في هذا كله أن إلها يفعل ذلك أو شيئاً منه غير ا لله ثم يستعرض تكذيبهم للآخرة وتخبطهم في أمرها وبعد ذلك يوجههم إلى مصارع الغابرين الذين كانوا مثلهم يكذبون ويتخبطون ، وإن فعلتم فعلهم من الإنكار والجحود فانتظروا مصيرهم لأنكم مجرمون مثلهم(١) .

فيكون القصد من السير والنظر في بقايا الأمم السابقة وآثارهم إنما هو للتفكر والإعتبار بمصارعهم وهلاكهم لا للإطلاع على كنوزهم وصناعاتهم وعمل المزارات لبقاياهم وأن ذلك الهلاك الذي أصابهم كان عذاباً بسبب كفرهم وجحودهم وتعنتهم وتكذيبهم لرسل ا لله عز وجل فعلى الكفار الإتعاظ وأخذ العبرة ممن سبق فإن العاقل من وعظ بغيره ، وعلى أصحاب الحضارات الكافرة في كل زمان ومكان أن يعلموا أنهم إن استمروا على طغيانهم وضلالهم أن الذي أفنى ودمر الكافرين السابقين وأنهى وجودهم وحضاراتهم على مافيها من قوة وعظمة بسبب إنكارهم وكفرهم با لله له سنة لاتتبدل ولاتتحول فمن كفر مثلهم استحق العقوبة مثلهم وعذاب ا لله يقع حسب إرادة ا لله فيكون فيه الإمهال ويكون فيه الأخذ بغتة ويكون فيه بدايات عذاب منذرة كزلزال أو اضطراب ويكون فية قوة في الإهلاك وأن العاقبة وخيمة ولاتشجع أحداً على سلوك طريق الإنكار والجحود والكفران .

(١) انظر في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة العاشرة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م ٢٦٥٤/٥-٢٦٥٥، وانظر أيضاص تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)٥٨٩/٥-٥٩٦ .

لكن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يفعلوا شيئاً من السير والنظر فيما أعلم في مصارع وآثار الأمم السابقة بل الثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مر بحقر حضارة ثمود أمر جيشه: بأن قال عليه الصلاة والسلام "لاتدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم – إلا أن تكونوا باكين – أن يصيبكم مثل ما أصابهم "(١) فكيف بنبش آثار الأمم المهلكة فهذا من باب قياس الأولى يمنع سواء للإعتبار أو لغيره .

بقي أن أورد آية متعلقة بهذا الفصل حيث فيها طلب السير في الأرض عموماً لكنها متوجهه إلى منكري البعث وهي قوله تعالى: ﴿ أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير . قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير﴾(٢) .

وحتى يتضح تفسير ذلك يستحسن قراءة الآيات قبلها حيث أن لها صلة بها قال تعالى : ﴿ وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خيرلكم إن كنتم تعلمون . إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكاً إن الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون. وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلى البلاغ المبين .أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير . قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير . يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون ﴾(٣) .

وإليك نقولات من كتب المفسرين توضح ذلك :

---

(١) رواه البخاري : ٦/ ٤٣٦ .

(٢) سورة العنكبوت الآيات ١٩-٢٠ .

(٣) سورة العنكبوت الآيات ١٦-٢١.

١- "﴿أولم يروا كيف يبدئ ا لله الخلق ثم يعيده إن ذلك على ا لله يسير . قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم ا لله ينشئ النشأة الآخرة إن ا لله على كل شيء قدير﴾ يقول تعالى ذكره : أولم يروا كيف يستأنف ا لله خلق الأشياء طفلاً صغيراً ثم غلاماً يافعاً ثم رجلا مجتمعاً ثم كهلاً ... وقوله (ثم يعيده) يقول : ثم هو يعيده من بعد فنائه وبلاه كما بدأه أول مرة خلقاً جديداً لايتعذر عليه ذلك ﴿ إن ذلك على ا لله يسير﴾ سهل كما كان يسيراً عليه إبداؤه .. وقوله : ﴿قل سيروا في الأرض﴾ يقول تعالى ذكره لمحمد صلى ا لله عليه وسلم : قل يا محمد للمنكرين للبعث بعد الممات الجاحدين الثواب والعقاب : سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ ا لله الأشياء وكيف أنشأها وأحدثها وكما أوجدها وأحدثها ابتداء فلم يتعذر عليه إحداثها مبدئاً فكذلك لايتعذر عليه إنشاؤها معيدا .

(ثم ا لله ينشئ النشأة الآخرة) يقول : ثم ا لله يبدئ تلك البدأة الآخرة بعد الفناء"(١) .

٢- قوله تعالى : ﴿ إنما تعبدون من دون ا لله أوثاناً وتخلقون إفكا إن الذين تعبدون من دون ا لله لايملكون لكم رزقاً فابتغوا عند ا لله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ ، في الآية الأولى بيان الأصل الأول وهو التوحيد وإخلاص الدين لله وفي الآية الثانية إشارة إلى الأصل الثاني وهو الرسالة ومتابعة الرسل وفي الآيتين الآتيتين الأصل الثالث وهو البعث والحشر فقال تعالى : ﴿ أولم يروا كيف يبدئ ا لله الخلق ثم يعيده إن ذلك على ا لله يسير . قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم ا لله ينشئ النشأة الآخرة إن ا لله على كل شيء قدير﴾ .

فالآية الأولى منهما إشارة إلى العلم الحدسي وهو الحاصل

---

(١) جامع البيان عن تأويل أي القرآن (تفسير الطبري) محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠، دار الفكر ، بيروت ٢٠/ ١٣٨-١٣٩ .

من غير طلب فقال (أو لم يروا) .

أما الآية الثانية ففيها : إن لم يحصل لكم هذا العلم – وهذا يتوجه لمن لم يؤمن إذ أن من آمن فإيمانه لايتم إلا عن علم – فتفكروا في أقطار الأرض لتعلموا بالعلم الفكري وهذا لأن الإنسان له مراتب في الإدراك ، بعضهم يدرك شيئاً من غير تعليم وإقامة برهان له ، وبعضهم لايفهم إلا بإبانة وبعضهم لايفهمه أصلا فقال: إن كنتم لستم من القبيل الأول فسيروا في الأرض أي سيروا فكركم وأجيلوا ذهنكم في الحوادث الخارجة عن أنفسكم لتعلموا بدء الخلق(١) .

ثم عقب ذلك بما يجري بعد الإعادة وهو الحساب والجزاء فقال سبحانه وتعالي : ﴿ يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون﴾.

٣- قوله تعالى :﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق .. الآية﴾

" ... ثم أمر سبحانه إبراهيم أن يأمر قومه بالمسيرة في الأرض ليتفكروا ويعتبروا فقال :

(قل) لمنكري البعث ﴿سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾ على كثرتهم واختلاف ألوانهم وطبائعهم وألسنتهم وانظروا إلى مساكن القرون الماضية والأمم الخالية وآثارهم لتعلموا بذلك كمال قدرة الله فإن من قدر على إنشائها بدئاً يقدر على إعادتها . وقيل : إن المعنى: قل لهم يا محمد سيروا ومعنى قوله : ﴿ثم الله ينشيء النشأة الآخرة ﴾ إن الله الذي بدأ النشأة الأولى وخلقها على تلك الكيفية ينشئها نشأة ثانية عند البعث ، أي فكما لم يتعذر عليه إحداثهم مبدئا كذلك لايتعذر عليه إنشاؤهم معيداً بعد الموت ثانياً"(٢) .

---

(١) انظر : التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، فخر الدين محمدبن عمر بن الحسين الرازي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ -١٩٩٠م ، المجلد الثالث عشر الجزء الخامس والعشرون ، ص ٤١-٤٢ .

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن ، صديق حسن خان ، ت١٣٠٧هـ الناشر ، ام القرى للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ١٩٨/٧-١٩٩ .

٤-(قل) يا محمد لهؤلاء الذين تقيدوا بما تقلدوا من مذاهب آبائهم من غير شبهة على صحته أصلاً : قد ثبت أن هذا كلام الله لما ثبت من عجزكم عن معارضته فثبت أن هذا الدليل كلام أبيكم إبراهيم عليه الصلاة والسلام وأنتم مصرحون بتقليد الآباء غير متحاشين من معرتة ولا أب لكم أعظم من إبراهيم عليه الصلاة والسلام فإذا قلدتم من لايقاربه في عبادة مالا يضر ولاينفع من غير شبهة أصلا فقلدوا أباكم الأعظم في عبادة الله وحده لكونه أباكم . ولما أقام على ذلك من الأدلة التي لامراء فيها قال : أو (سيروا) إن لم تقتدوا بأبيكم إبراهيم عليه السلام وتتأملوا ما أقام من الدليل القاطع والبرهان الساطع (في الأرض) إن لم يكفكم النظر في أحوال بلادكم . ولما كان السياق لإثبات الإلهية التي تجب المبادرة إلى تفريغ الفكر وتوجيه كل الذهن إلى الاستدلال عليها عبر بالفاء المعقبة فقال : (فانظروا) أي نظر اعتبار (كيف بدأ) أي ربكم .."(١) .

٥- ﴿أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير ﴾ "أرشد إبراهيم خليل الرحمن قومه إلى إثبات المعاد الذي ينكرونه بمايشاهدونه في أنفسهم من خلقهم بعد أن لم يكونوا شيئا مذكوراً، ثم إعطائهم السمع والبصر والأفئدة وتصرفهم في الحياة إلى حين، ثم موتهم بعد ذلك، والذي بدأ هذا قادر على أن يعيده بل هو أهون عليه كما قال في آية أخرى : ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾(٢)

وخلاصة هذا : أنتم قد علمتم ذلك فكيف تنكرون الإعادة وهي أهون عليه؟ .

وبعد أن ساق هذا الدليل المشاهد في الأنفس أرشد إلى الإعتبار بما في

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين أبوالحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، ت٨٨٥هـ ، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة - مصر الطبعة الثانية ١٤١٣هـ -١٩٩٢م ، ١٤/٤١٦-٤١٧ .

(٢) سورة الروم آية ٢٧.

الآفاق من الآيات المشاهدة فقال : ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير﴾ أي سيروا في الأرض وشاهدوا السموات ومافيها من الكواكب النيرة ثوابتها وسياراتها والأرض ومافيها من جبال ومهاد وبراري وقفار وأشجار وثمار وأنهار وبحار فكل ذلك شاهد على حدوثها في أنفسها وعلى وجود صانعها الذي يقول للشيء كن فيكون، أوليس من فعل هذا بقادر على أن ينشئه نشأة أخرى ويوجده مرة ثانية وهو القادر على كل شيء .

وشبيه بالآية قوله في الآية الأخرى : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾(١).

ولما أقام الدليل على الإعادة رتب عليها ماسيكون بعدها فقال ﴿ يعذب من يشاء ويرحم من يشاء ﴾"(٢).

ويعتبر السير في الأرض والنظر كيف بدأ الله الخلق مجملا وتفصيله ما ذكر من الآيات الدالة على الخلق مثل الآيات التي سبقت في سورة النمل ومثل قوله تعالى : ﴿ نحن خلقناكم فلولا تصدقون . أفرأيتم ماتمنون . أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون . نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين . على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في مالاتعلمون . ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون . أفرأيتم ماتحرثون . أأنتم تزرعون أم نحن الزارعون . لونشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون. إنا لمغرمون . بل نحن محرومون . أفرأيتم الماء الذي تشربون . أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون . لونشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون . أفرأيتم النار التي تورون . أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون . نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً

(١) سورة فصلت آية ٥٣

(٢) تفسير المراغي ، احمد مصطفى المراغي ، دار الفكر الطبعة الثالثة ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م . المجلد السابع ص ١٢٧

للمقوين﴾(١). وكقوله سبحانه وتعالى :

﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت ﴾(٢)وكقوله تعالى : ﴿ ألمر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لأيؤمنون . الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون . وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون . وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾(٣) ،

وقال تعالى ﴿خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون. خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين . والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون. ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى

بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالاتعلمون . وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين . هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس

---

(١) سورة الواقعة الآيات ٥٧-٧٣.

(٢) سورة الغاشية الآيات ١٧-٢٠.

(٣) سورة الرعد الآيات ١- ٤.

والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون . وماذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون. وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون . أفمن يخلق كمن لايخلق أفلا تذكرون ﴾(١)

وقال تعالى ﴿ أولم يروا إلى ماخلق ا لله من شيء يتفيؤوا ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون . و لله يسجد مافي السموات ومافي الأرض من دابة والملائكة وهم لايستكبرون . يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون . وقال ا لله لاتتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحدفإياي فارهبون . وله مافي السموات والأرض وله الدين واصباً أفغير ا لله تتقون . ومابكم من نعمة فمن ا لله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون . ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون. ليكفروا بماآتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ﴾(٢) .

وقال تعالى ﴿وا لله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون. وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين . ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون . وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن

---

(١) سورة النحل الآيات من ٣-١٧.

(٢) سورة النحل الآيات من ٤٨-٥٥.

في ذلك لآية لقوم يتفكرون . وا لله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لايعلم بعد علم شيئاً إن ا لله عليم قدير . وا لله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ماملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة ا لله يجحدون . وا لله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمت ا لله هم يكفرون.ويعبدون من دون ا لله مالايملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولايستطيعون ﴾(١) .

وقال تعالى ﴿و لله غيب السموات والأرض ومأمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن ا لله على كل شيء قدير. وا لله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون . ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء مايمسكهن إلا ا لله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون . وا لله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين . وا لله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون . فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين . يعرفون نعمت ا لله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون ﴾ (٢) .

وقال تعالى ﴿يأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في

---

(١) سورة النحل الآيات ٦٥-٧٣.

(٢) سورة النحل الآيات ٧٧-٨٣.

الأرحام مانشاء إلى أجل مسمى ثم ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شيء قدير ﴾(١) .

وقال تعالى ﴿ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وماكنا عن الخلق غافلين.وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون.

فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون. وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين . وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون . وعليها وعلى الفلك تحملون ﴾ (٢) .

وقال تعالى ﴿ وهو الذي أنشألكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ماتشكرون. وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون . وهو الذي يحي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون. بل قالوا مثل ماقال الأولون .قالوا أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون . لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين . قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولايجار عليه إن كنتم تعلمون. سيقولون لله قل فأنى تسحرون. بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون﴾(٣).وغيرها في كتاب الله كثير .

---

(١) سورة الحج الآية ٥،٦.

(٢) سورة المؤمنون الآيات ١٧-٢٢.

(٣) سورة المؤمنون الآيات ٧٨-٩٠.

بقي: أنه ورد في كتاب ا لله لفظ الآثار تحمل معنى آخر زيادة على ماسبق والآية هي قول ا لله سبحانه وتعالي : ﴿ إنا نحن نحي الموتى ونكتب ماقدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾(١) .

﴿ إنا نحن نحيي الموتى﴾ أي : نبعثهم بعد موتهم لنجازيهم على الأعمال .

﴿ونكتب ماقدموا ﴾ من الخير والشر وهو : أعمالهم التي عملوها وباشروها في حال حياتهم .

﴿وآثارهم ﴾ وهي: آثار الخير، وآثار الشر التي كانوا هم السبب في إيجادها في حال حياتهم وبعد وفاتهم وتلك الأعمال التي نشأت من أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم .

فكل خير عمل به أحد من الناس بسبب علم العبد وتعليمه أو نصحه أو

أمره بالمعروف أو نهيه عن المنكر أو علم أودعه عند المتعلمين أو في كتب ينتفع بها في حياته وبعد موته أو عمل خيراً من صلاة أو زكاة أو صدقة أو إحسان فاقتدى به غيره أو عمل مسجداً أو محلاً من المحال التي يرتفق بها الناس وما أشبه ذلك(٢) فإنها من آثاره التي تكتب له وكذلك عمل الشر .

ولهذا - قال صلى ا لله عليه وسلم - "من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها لاينتقص من أجورهم شيء ومن سن في

---

(١) سورة يس آية ١٢ .

(٢) مثل تسبيل الماء للمسلمين وتبريده ودوراة المياة ونحو ذلك.

الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء." (١) .

وهذا الموضع يبين لك علو مرتبة الدعوة إلى ا لله والهداية إلى سبيله بكل وسيلة وطريق موصل إلى ذلك .

ونزول درجة الداعي إلى الشر ... وأنه أسفل الخليقة وأشدهم جرماً وأعظمهم إثماً .

(وكل شيء) من الأعمال والنيات وغيرها .

(أحصيناه في إمام مبين) أي : كتاب هو أم الكتب وإليه مرجع الكتب التي تكون بأيدي الملائكة وهو اللوح المحفوظ "(٢) .

---

(١) عن جرير بن عبدا لله – رضي ا لله عنه – قال : جاء ناس من الأعراب إلى رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم عليهم الصرف فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة فحث الناس على الصدقة فأبطؤوا عنه حتى رئي ذلك في وجهه قال ثم إن رجلاً من الأنصار جاء بصرة من ورق ثم جاء آخر ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه فقال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم : "من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها لاينتقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء ." رواه مسلم: ١٦/٤٦٧، كتاب العلم باب من سن سنة حسنة أو سيئة حديث رقم ١٠١٧-١٥ .

(٢) تفسير السعدي ٦/٣٣٦-٣٣٧ ، وانظر تفسير القرآن العظيم ٣/٥٦٥-٥٦٦، وانظر زاد المسير ٦/ ٢٦٣-٢٦٤ .

الفصل الثاني : في السنة المطهرة

الآثار والمشاهد التي وردت في السنة .

وهي على أنواع :

الأول : ماكان مختصاً بعبادة .

الثاني : ماكان مذموماً منهياً عنه وأتلفه النبي صلى ا لله عليه وسلم أو طلب إتلافه .

الثالث : ماكان تحذيراً من تعظيم الآثار والمشاهد .

وتفصيل ذلك .

أولاً : ماكان مختصاً بعبادة ومن ذلك :

المسجد الحرام، والمسجد النبوي بالمدينة، والمسجد الأقصى بالقدس ولاتشد الرحال لمسجد سوى هذا المساجد الثلاثة ، ومسجد قباء ، وعموم المساجد دون شد رحال وا لكعبة ، والصفا والمروة ، ومقام إبراهيم عليه السلام ، ومشاعر الحج : عرفات ومزدلفة ومنى والجمرات ، وحرم مكة وحرم المدينة، ونحو ذلك مماثبت صحته عن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم وسأذكر أحاديث لشيء من ذلك مع ملاحظة شرط الإتباع لرسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم في التعبد والقصد لها .

عن جابر بن عبدا لله رضي ا لله عنهما أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم لما قدم مكة أتى الحجر فاستلمه ثم مشى على يمينه فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً(١).

وعن جعفر بن محمد(٢) عن أبيه(٣) قال : دخلنا على جابر بن عبدا لله

---

(١) رواه مسلم :شرح صحيح مسلم ٨/ ٤٤٤ كتاب الحج باب ماجاء أن عرفة كلها موقف .

(٢) هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ولد سنة ٨٠هـ ورأى بعض الصحابة مات سنة ١٤٨هـ انظر سير أعلام النبلاء ٦/٢٥٥-٢٦٩.

(٣) هو محمد بن علي بن الحسين بن أبي طالب زين العابدين أبوجعفر ولد سنة ٥٦هـ ومات سنة ١١٤هـ بالمدينة انظر سير أعلام النبلاء ٤/٤٠١-٤٠٩.

فسأل عن القوم حتى انتهى إلي فقلت أنا محمد بن علي بن حسين فـأهوى بيـده إلى رأسي فنزع زري الأعلى ثم نزع زري الأسفل ثم وضع كفه بين ثديي وأنـا يومئـذ غلام شاب فقال: مرحباً بك يابن أخي سل عما شئت فسألته وهو أعمى، وحضر وقت الصلاة فقام في نساجة ملتحفاً بها كلما وضعها على منكبه رجع طرفاها إليـه من صغرها ورداؤه إلى جنبه على المشـجب فصلـى بنـا فقلـت: أخـبرني عـن حجـة رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم فقال بيده فعقد تسعاً فقال : إن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم مكث تسع سنين لم يحج ثم أذن في الناس في العاشرة أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم حاج فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم ويعمل مثل عمله فخرجنا .. حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً ثم نفـذ إلى مقام إبراهيم عليه السـلام فقـرأ : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾(١) ، فجعل المقام بينه وبين البيت .. ثم رجع إلى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا فلما دنـا منـه قـرأ : ﴿ إن الصفـا والمروة من شعائر ا لله﴾(٢) أبدأ بما بدأ ا لله به فبدأ بالصفـا فرقـى عليـه حتـى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد ا لله وكبره وقال : لا إله إلا ا لله وحده لاشريك لـه لـه الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا ا لله وحده أنجز وعده ونصـر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم دعا بين ذلك قال مثل ذلك ثلاث مـرات ثـم نـزل إلى المروة حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى حتى إذا صعدتا مشـى حتـى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا ... فلما كان يوم التروية توجهـوا إلى منى فأهلوا بالحج وركب رسول ا لله صلى ا لله عليـه وسـلم فصلـى بهـا الظهـر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشـمس وأمـر بقبـة من شعر تضرب له بنمرة فسار رسول ا لله صلى ا لله عليه وسـلم ولاتشـك قريـش

(١) سورة البقرة آية ١٢٥ .

(٢) سورة البقرة آية ١٥٨ .

إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية فأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فأتى بطن الوادي فخطب الناس وقال: إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ... ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات وجعل حبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلاً حتى غاب القرص وأردف أسامة خلفه ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شنق القصواء الزمام حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله ويقول بيده اليمنى: أيها الناس : السكينة السكينة . كلما أتى جبلاً من الجبال أرخى لها قليلاً حتى تصعد حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئا ثم اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طلع الفجر وصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده – سبحانه وتعالى – فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً فدفع قبل أن تطلع الشمس ... حتى أتى محسر فحرك قليلاً ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها مثل حصى الخذف رمى من بطن الوادي ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثاً وستين بيده ثم أعطى عليا فنحر ماغبر (١) وأشركه في هديه ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر فأتى بني عبدالمطلب يسقون على زمزم فقال: انزعوا بني عبد المطلب فلولا أن

(١) أي مابقي " شرح صحيح مسلم ٤٤٥/٨ .

يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم فناولوه دلواً فشرب منه"(١)

وعن جابر في حديثه ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "نحرت ههنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم ووقفت ههنا وعرفة كلها موقف ووقفت ههنا وجمع كلها موقف"(٢)

عن عمر رضى الله عنه أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال : " إني أعلم أنك حجر لاتضر ولاتنفع ولولا أني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقبلك ماقبلتك"(٣) .

وفي الصحيح أن ابن عمر رضى الله عنهما يقول : " قدم النبى صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت سبعاً وصلى خلف المقام ركعتين ثم خرج إلى الصفا وقد قال الله تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾(٤)" (٥) ، فاستلام الحجر الأسود وتقبيله والصلاة خلف مقام إبراهيم عليه السلام والطواف حول البيت وبين الصفا والمروة والوقوف في مشاعر الحج وقت الحج قد فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك منفذ لأوامر الله عز وجل وقد صح عنه(٦) صلى الله عليه وسلم أنه عند انتقاله إلى مقام إبراهيم كان يتلو قوله تعالى : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ (٧) فهذا تنفيذ منه صلى الله عليه

---

(١) رواه مسلم: ٨/ ٤٢٠ كتاب الحج باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) رواه مسلم : ٨/٤٤٢، كتاب الحج باب ماجاء ان عرفه كلها موقف .

(٣) رواه البخاري : ٣/٥٤٠ كتاب الحج باب ذكر في الحجر الأسود .

(٤) سورة الأحزاب آية ٢١ .

(٥) رواه البخاري : ٣/٥٧٠ كتاب الحج باب من صلى ركعتي الطواف خلف المقام .

(٦) رواه مسلم : ٨/٤٢٠ كتاب الحج باب حجة النبي.

(٧) سورة البقرة آية ١٢٥.

وسلم لهذا الأمر والمسلمون له بالأثر إذ هو قدوتهم قال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾(١) .

أما الطواف بالبيت فهو ركن من أركان الحج وكذلك ركن من أركان العمرة(٢) فلايتم نسك منهما إلا به ولاينجبر عند تركه بدم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، ومسجد الأقصى"(٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال : " صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام "(٤).

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : كان رسول الله صلى عليه وسلم يأتي مسجد قباء راكباً وماشياً فيصلي فيه ركعتين(٥).

عن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة"(٦) .

---

(١) سورة . الأحزاب آية ٢١.

(٢) المغني والشرح الكبير على متن المقنع في فقه الإمام أحمد بن حنبل للإمامين: موفق الدين وشمس الدين ابني قدامة، دار الفكر. الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م. ٤٧٣/٣ .

(٣) رواه البخاري: ٧٦/٣ كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة .

(٤) رواه مسلم: ٩/ ١٧٢ كتاب الحج باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة .

(٥) رواه البخاري : ٨٣/٣ كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة باب من اتي مسجد قباء كل سبت ورواه مسلم : ١٧٩/٩ كتاب الحج باب فضل مسجد قباء .

(٦) رواه ابن ماجة: سنن ابن ماجه ١/ ٢٥٨ أبواب إقامة الصلاة ، باب ماجاء في الصلاة في مسجد قباء

"لاتشد الرحال " المراد النهي عن السفر إلى غيرها وهو أبلغ من صريح النهى كأنه قال : لايستقيم أن يقصد بالزيارة إلا هذه البقاع لاختصاصها بما اختصت به.

وفي الحديث الأول فضيلة هذه المساجد ومزيتها على غيرها لكونها مساجد الأنبياء ولأن الأول قبلة الناس وإليه حجهم ، والثاني كان قبلة لأمم سالفة والثالث أسس على التقوى والمقصود التعبد لامطلق السفر وإلا لا نقفل شد الرحال إلى صلة الأرحام ولطلب العلم (١) .

ويدخل تحت المنع شد الرحال إلى قبور الأولياء والصالحين وقبور أصحاب البدع والمشركين عموماً ويتفاوت الحكم على السفر من كونه معصية إلى كونه كفراً بحسب قصد المسافر مابين زيارة القبر للسلام عليه أو لدعائه وطلبه، ومن ذلك مايفعله المتصوفة والشيعة في قبور من يعظمونهم سواء من أهل الصلاح أو ممن هم غير ذلك (٢).

أما الحديث الثاني فكأنه سبب للحديث الأول وهو أفضلية العمل ومضاعفة أجره فيما ذكر من المساجد عن غيرها .

فالحديث الأول منع السفر على وجه التعبد إلا إلى المساجد الثلاثة وفي الحديث الثاني أن المذكور من المساجد للصلاة فيه أجر مضاعف عن الصلاة في غيره " قال العلماء : وهذا فيما يرجع إلى الثواب فثواب صلاة فيه يزيد على ثواب ألف فيما سواه ولايتعدى ذلك إلى الاجزاء عن الفوائت حتى لوكان عليه صلاتان فصلى في مسجد المدينة صلاة – مثلا – لم تجزئه عنهما وهذا لاخلاف فيه وا لله أعلم"(٣) .

---

(١) انظر فتح الباري ٩/٧٧–٨٧،٨٠.
(٢) انظر كتاب الجواب الباهر في زوار المقابر تأليف شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه ا لله تعالى .
(٣) شرح صحيح مسلم ٩ / ١٧٤.

أما الحديث الثالث وهو حديث ابن عمر رضي ا لله عنهما : " كان رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يأتي قباء راكباً وماشياً فيصلى فيه ركعتين " فهو لمن في المدنية إذ لاتشد الرحال إلى مسجد غير الثلاثة المساجد لحصر النص في الحديث السابق .

يقول ابن تيمية رحمه ا لله تعالى : "قال بعض العلماء : قوله : من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء تنبيه على أنه لايشرع قصده بشد الرحال بل إنما يأتيه الرجل من بيته الذي يصلح أن يتطهر فيه ثم يأتيه فيقصده كما يقصد الرجل مسجد مصره دون المساجد التي يسافر إليها "(١).

وقال أيضا : " وليس بالمدينة مسجد يشرع إتيانه إلا مسجد قباء(٢) وأما سائر المساجد فلها حكم المساجد ولم يخصها النبي صلى ا لله عليه وسلم بإتيان ولهذا كان الفقهاء من أهل المدينة لايقصدون شيئاً من تلك الأماكن إلا قباء خاصة"(٣).

والمساجد عموماً حيث صلاة الجماعة:

فمن ذلك حديث عبدا لله بن مسعود رضي ا لله عنه حيث قال : " من سره أن يلقى ا لله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن فإن ا لله شرع لنبيكم صلى ا لله عليه وسلم سنن الهدى وأنهن من سنن الهدى ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ومامن رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب ا لله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها سيئة ولقد رأيتنا ومايتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف"(٤).والمساجد دائماً ينادى فيهن بالآذان للصلاة فيتجه إليها ويعبد ا لله فيها .

---

(١) رواه مسلم : ١٦٢/٥ .
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٨١٤ .
(٣) بمعنى أن مسجد الرسول صلى ا لله عليه وسلم خارج عن العموم بأنه يشد الرحل إليه ليس مجرد مشروعية اتيانه كمسجد قباء .
(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٨١٥ .

ثانياً : ماكان مذموماً منهياً عنه وأتلفه صلى ا لله عليه وسلم أو طلب إتلافه ومن ذلك :

عن أبي طلحة – رضي ا لله عنه – عن النبي صلى ا لله عليه وسلم قال : " لاتدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولاصورة"(١) .

وعنه رضي ا لله عنه قال : سمعت رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يقول : " لاتدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولاتماثيل"(٢).

عن أبي هريرة رضي ا لله عنه – قال : قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم : " لاتدخل الملائكة بيتاً فيه تماثيل أو تصاوير"(٣) .

عن عبدا لله بن عمر– رضي ا لله عنهما – قال : " وعد جبريل النبي صلى ا لله عليه وسلم فراث عليه حتى اشتد على النبي صلى ا لله عليه وسلم فخرج النبي صلى ا لله عليه وسلم فلقيه فشكا إليه ماوجد فقال له : إنا لاندخل بيتاً فيه صورة ولاكلب "(٤) .

وعن عائشة – رضي ا لله عنها – قالت دخل علي رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم وأنا متسترة بقرام فيه صورة فتلون وجهه ثم تناول الستر فهتكه ثم قال: " إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يشبهون بخلق ا لله "(٥).

وفي الصحيح أنه: جاء رجل إلى ابن عباس فقال إني رجل أصور هذه الصور فأفتني فيها ، فقال له : أدن مني ، فدنا منه ثم قال : أدن مني ،

(١) رواه مسلم : ١٤/٣٢٩ كتاب اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ مافيه صورة ، وراوه البخاري ١٠/ ٣٩٤بلفظ تصاوير بدل " صورة".
(٢) رواه مسلم ١٤/ ٣٣٠كتاب اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة لحيوان .
(٣) رواه مسلم ١٤/ ٣٤٠ كتاب اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة لحيوان .
(٤) رواه البخاري : ١٠/ ٤٠٥ كتاب اللباس والزينة باب لاتدخل الملائكة بيتا فيه صورة .
(٥) رواه مسلم: ١٤/ ٣٣٤ كتاب اللباس باب تحريم تصوير صورة الحيوان .

فدنا حتى وضع يده على رأسه، قال : أنبئك بما سمعت من رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يقول : " كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفساً فتعذبه في جهنم " ، وقال إن كنت فاعلاً فاصنع الشجر ومالانفس له(١) .

وفي الصحيح أيضاً أن أبا جحيفة اشترى غلاماً حجاماً فقال : إن النبي صلى ا لله عليه وسلم نهى عن ثمن الدم وثمن الكلب وكسب البغي ولعن آكل الربا وموكله والواشمة والمستوشمة والمصور"(٢) .

في هذه الاحاديث ورد ذكر الصور والتماثيل وفيها عدة أمور :

أ – أن الملائكة لاتدخل بيتاً فيه صورة أو تمثال " قال العلماء سبب امتناعهم من بيت فيه صورة كونها معصية فاحشة وفيها مضاهاة لخلق ا لله تعالى وبعضها في صورة ما يعبد من دون ا لله تعالى"(٣) .

"فعوقب متخذها بحرمانه دخول الملائكة بيته وصلاتها فيه واستغفارها له وتبريكها عليه وفي بيته، ودفعها أذى الشيطان .

وأما هؤلاء الملائكة الذين لايدخلون بيتاً فيه كلب أو صورة فهم ملائكة يطوفون بالرحمة والتبريك والإستغفار .

وأما الحفظة فيدخلون في كل بيت ولايفارقون بني آدم في كل حال لأنهم مأمورون بإحصاء أعمالهم وكتابتها "(٤) .

ب – أن التصوير والنحت لذوات الأرواح حرام وكبيرة من الكبائر وشديد التحريم وينزل في دركات التحريم ليصل إلى الكفر في بعض حالاته و" قال

---

(١) رواه مسلم : ١٤/ ٣٣٨ . كتبا اللباس ، باب تحريم تصوير صورة الحيوان .
(٢) رواه البخاري ١٠/ ٤٠٧ كتاب اللباس باب من لعن المصور .
(٣) شرح صحيح مسلم ١٤/ ٣٣١ .
(٤) المصدر السابق ١٤/ ٣٣١-٣٣٢ .

العلماء : تصوير صورة الحيوان حرام شديد التحريم وهو من الكبائر لأنه متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد وسواء صنعه لما يمتهن أم لغيره فصنعه حرام بكل حال وسواء كان في ثوب أو بساط أو درهم أو دينار أوفلس أو إناء أو حائط أو غيرها، فأما تصوير ماليس فيه صورة حيوان فليس بحرام"(١) .

"والتصوير إن كان لعبادة الصور فهو صناعة للأصنام فهذا كفر وإن كان مضاهاة لخلق ا لله فهو كفر أيضاً .

وإن لم يقصد به عبادتها ولامضاهاة لخلق ا لله فهو فسق وذنب كبير"(٢).

والوعيد ورد في هذه الأحاديث بصيغ منها اللعن للمصور ومنها أنه من أشد الناس عذاباً و" الوعيد بهذه الصيغة إن ورد في حق كافر فلا إشكال فيه لأنه يكون مشتركاً في ذلك مع آل فرعون(٣) ويكون فيه دلالة على عظيم كفر المذكور.

وإن ورد في حق عاص فيكون أشد عذاباً من غيره من العصاة ويكون ذلك دالاً على عظم المعصية المذكورة"(٤) .

وسبب عظم عقوبة المصور أن الصور " كانت تعبد من دون ا لله ولأن النظر إليها يفتن وبعض النفوس إليها تميل"(٥) .

بقي أن يعلم أن قطاعاً كبيراً من الآثار التي تحظى بأكبر الإهتمام في نفوس الآثاريين والمتفرجين على الآثار والمبهورين بها والباحثين عنها إنما هي صور وتماثيل .

وأن غالبية هذا النوع من الآثار إنما هي معبودات أقوام وأمم من دون ا لله وقد أهلكهم ا لله .

---

(١) فتح الباري ١٠/٣٩٧.

(٢) انظر المصدر السابق ١٠/ ٣٩٧-٣٩٨ ، وانظر شرح صحيح مسلم ١٤/٣٣٩ .

(٣) هذا اشارة إلى قوله تعالى:﴿ أدخلوا آل فرعون اشد العذاب ﴾ سورة غافر آية ٤٦.

(٤) فتح الباري ١٠/ ٣٩٧ .

(٥) المصدر السابق ١٠/ ٣٩٧ .

وكثير من الآثاريين يحرصون على هذا النوع ويفتخرون بها ويعددون مآثرها وخصالها فيصفون بعضها بأنه إله النصر والآخر إله الحب وغيره إله المطر وهكذا إلى آخر القائمة فيسمونها آلهة كما سماها المشركون وهم يدعون الناس إليها وإلى تمجيدها والفخر بها وصرف الولاء لها ونشر أفكارها وعاداتها وطقوسها حسب ما يتاح لهم من الفرص.

ومن عمل عملا سيئاً فإن عليه اثمه وعليه إثم من يقتدي به ويعمل بعمله إلى يوم القيامة دون أن ينقص من آثامهم الخاصة بهم شيئاً إلا أن البادىء والقدوة عليه آثام من بعده وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها لاينقص من اجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولاينقص من أوزارهم شيء"(١).

وهذا الوعيد والتهديد الوارد في الأحاديث أحد مقاصده القضاء على الوثنية حيث القضاء على نواتها ، لكن فى حال وجودها فإن الحل هو إتلافها وقد مر فيما سبق من الأحاديث إشارة إلى ذلك عند قول عائشة رضي الله عنها : " وأنا متسترة بقرام فيه صورة فتلون وجهه – صلى الله عليه وسلم – ثم تناول الستر فهتكه " .

ومعنى هتكه : " هو بمعنى قطعه وأتلف الصورة التي فيه "(٢).

وإتلاف الصور والتماثيل ليس شيئاً نادراً أو طارئاً بل هو الأصل والجوهر والديدن في هذه الرسالة الخاتمة وفي الرسالات السابقة قبلها .

فقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم جريراً رضي الله عنه لتحطيم الصنم ذا الخلصة(٣)، وأرسل صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه

(١) رواه مسلم ١٦/ ٤٦٧ كتاب العلم باب من سن سنة .
(٢) شرح صحيح مسلم ١٤/٣٣٣-٣٣٤ .
(٣) سيأتي بيانه .

للقضاء على الصنم العزى ، وأرسل صلى ا لله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي ا لله عنه للقضاء على الصنم مناة ، وأرسل صلى ا لله عليه وسلم المغيرة بن شعبة رضي ا لله عنه للقضاء على الصنم اللات فهدمها وحرقها(١) .

وأيضاً فعله صلى ا لله عليه وسلم بالأصنام التي بمكة عام الفتح.

عن جرير قال : قال لي رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم:"ألا تريحني من ذي الخلصة؟ فقلت : بلى، فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمس ، وكانوا أصحاب خيل وكنت لاأثبت على الخيل فذكرت ذلك للنبى صلى ا لله عليه وسلم فضرب يده على صدري حتى رأيت أثر يده في صدري وقال : اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً . قال : فما وقعت عن فرس بعد . قال : وكان ذو الخلصة بيتاً باليمن لخثعم وبجيلة، فيه نصب تعبد يقال له الكعبة قال : فأتاها فحرقها بالنار وكسرها . قال: ولما قدم جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالأزلام فقيل له: إن رسول رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم ههنا فإن قدر عليك ضرب عنقك. قال : فبينما هو يضرب بها إذ وقف عليه جرير فقال: لتكسرنها ولتشهدن أن لاإله إلا ا لله أو لأضربن عنقك. قال: فكسرها وشهد. ثم بعث جرير رجلاً من أحمس يكنى أبا أرطاة إلى النبي صلى ا لله عليه وسلم يبشره بذلك فلما أتى النبي صلى ا لله عليه وسلم قال: يارسول ا لله والذي بعثك بالحق ماجئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب قال: فبرك النبي صلى ا لله عليه وسلم على خيل أحمس ورجالها خمس مرات "(٢) .

---

(١) انظر التعلق المفيد في تحقيق فتح المجيد شرح كتاب التوحيد تأليف عبدالرحمن حسن آل الشيخ ت ١٢٨٥، تحقيق وتعليق أشرف بن عبدالمقصود ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة – مصر الطبعة الاولى ١٤١٢هـ ١/ ١٦٥-١٦٦ باب من تبرك بشجر أو حجر.

(٢) رواه البخاري ، ٧/ ٦٦٩، كتاب المغازي باب غزوة ذي الخلصة ، وشرح السنة للامام الحسين بن مسعود البغوي (٤٣٦-٥١٦)تحقيق وتعليق ، شعيب الأرناؤوط ٥٦/١١، كتاب السير والجهاد ، باب تحريق أموال أهل الشرك .

ذو الخلصة : الخلصة نبات له حب أحمر كخرز العقيق ، وذو الخلصة : اسم للبيت الذي كان فيه الصنم وقيل اسم البيت الخلصة واسم الصنم ذو الخلصة.

قوله صلى ا لله عليه وسلم : " ألا تريحني" : طلب يتضمن الأمر وخص جريراً بذلك لأنها كانت في بلاد قومه وكان هو من أشرافهم .

والمراد بالراحة : راحة القلب وماكان شيء أتعب لقلب النبي صلى ا لله عليه وسلم من بقاء مايشرك به من دون ا لله تعالى

فكسرها وحرقها : أي هدم بناءها ورمى النار فيما فيها من الخشب .

كأنه جمل أجرب : كناية عن نزع زينتها وإذهاب بهجتها فأصبحت مثل الجمل المطلي بالقطران من جربه إشارة إلى أنها صارت سوداء لما وقع فيها من التحريق .

وفي هذا الحديث : مشروعية إزالة مايفتن به الناس من بناء وغيره سواء كان إنسانا أو حيواناً أو جماداً(١) .

وهذا هو حال المصطفى صلى ا لله عليه وسلم مع المشاهد والآثار إزالة مايفتتن به الناس بل وحث الأمة على قطع أصل الشر بالتحذير من اتخاذ القبور مساجد وبالأمر بتسوية ماارتفع منها وبطمس التماثيل وهتك الصور وإتلافها حماية للتوحيد وسداً لذرائع ووسائل وأسباب الشرك فعن عبدا لله رضي ا لله عنه قال : " دخل النبي صلى ا لله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول الكعبة ستون وثلثمائة نصب ، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : جاء الحق وزهق الباطل (٢) ، جاء الحق ومايبدىء الباطل ومايعيد(٣)" (٤) .

---

(١) انظر فتح الباري ٦٦٩/٧-٧٧٣ .
(٢) سورة الإسراء آية ٨١
(٣) سورة سبأ آية ٤٩
(٤) رواه البخاري: ٦٠٩/٧ كتاب المغازي باب أين ركز النبي صلى ا لله عليه وسلم الراية يوم الفتح ، ورواه مسلم:٣٧٥/١٢ كتاب الجهاد والسير باب إزالة الأصنام من حول الكعبة وهذه رواية البخاري .

فقوله : نصب :بضم النون والمهملة وقد تسكن بعدها موحدة : هي واحدة الأنصاب وهو ماينصب للعبادة من دون الله تعالى(١) وفعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لإذلال الأصنام وعابديها ولإظهار أنها لاتنفع ولاتدفع عن نفسها شيئاً .

كان غالب كفر الأمم من جهة الصور(٢) .

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يذل الأصنام ويحطمها ويتلفها فكيف بالآثاريين الذين يخرجون الأصنام من معابد الوثنيين السابقين وينفضون عنها الأتربة ويضعونها في المتاحف ويهتمون بها ويكرمونها وتكون في موضع اعزازهم وتقديرهم فهم بذلك يخالفون هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشاقونه ويتبعون غير سبيل المؤمنين قال الله تعالى : ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾(٣).

علماً أن باب التوبة مفتوح والتائب من الذنب كمن لاذنب له .

ويؤخذ من تلاوة الرسول صلى الله عليه وسلم للآيتين أثناء تحطيمه للأصنام وإزالة جميع التماثيل أن هذه التماثيل والصور تقف في قمة العداء لله سبحانه وتعالى وأنها رمز الباطل والكفر .

وما غزوات المصطفى التي وقعت بينه وبين المشركين إلا لأن المشركين يريدون بقاء أوثانهم ومعبوداتهم والرسول صلى الله عليه وسلم يريد استئصالها واجتثاث الوثنية من أساسها بتدميرها وإتلافها وطمسها .

وهذا أبوسفيان بن حرب رضي الله عنه، قبل أن يسلم قال بعد غزوة أحد أعل هبل . وهبل هذا أحد أصنام قريش .

---

(١) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ٧/ ٦١٠ .
(٢) انظر المصدر السابق ٧/ ٦١٠ .
(٣) سورة النساء آية ١١٥ .

فأجابه المسلمون بأمر رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم : ا لله أعلى وأجل، ولم تكن تلك الإزالة والهدم للأصنام خاصة بمحمد صلى ا لله عليه وسلم بل إن هذا جرى من غيره صلى ا لله عليه وسلم من الرسل قبله صلى ا لله عليهم وسلم .

فقد حطم إبراهيم عليه السلام أصنام قومه(١) .

وحرق موسى عليه السلام العجل الذي عبد في بني إسرائيل وقت غياب موسى عن قومه(٢) .

فالتماثيل والصور من ألد أعداء الإسلام إذ هما نواة الوثنية والشرك وبذرتها وبينهما وبين التوحيد ضد وتضاد ، مع العلم أن الصور والتماثيل عليهما مدار جزء كبير من الآثار فتكون حماية الآثار من هذا الجانب حماية لأساس الباطل وتمكينا ونشراً للشرك والوثنية في بلدان المسلمين ومعاقل التوحيد فتكبر قاعدة الشرك ونواته وتثمر أنواع من الشرك والوثنية .

وإن المتفرج الآن في المتاحف على الآثار لايشد نظره ويسلب تفكيره من تلك الدوارس القديمة شيء مثلما تفعله التماثيل والصور في نفس المتفرج وخياله مع مايصاحب ذلك أحيانا من الإجلال والإعظام لها .

ونبينا وحبيبنا وقدوتنا صلى ا لله عليه وسلم أرشدنا إلى إزالة الصور والتماثيل بفعله وبأمره فمن فعله ماسبق بيانه .

ومن أمره ماسبق أيضاً وماسيأتي- :

فعن أبي الهياج الأسدي قال : قال لي علي بن علي أبي طالب رضي ا لله عنه

---

(١) ارجع إلى سورة الانبياء الآيات ٥٢-٥٨ .

(٢) ارجع إلى سورة طة الآيات ٨٣-٩٧ ، وانظر تفسير القرآن العظيم ١٦٤/٣. وزاد المسير ٢٢٠/٥.

"ألا أبعثك على مابعثني عليه رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم : أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولاقبراً مشرفاً إلا سويته"(١) .

الطمس : استئصال أثر الشيء .

وتأويل طمس الشيء : ذهابه عن صورته (٢) .

وهذا الطمس للتماثيل والتسوية للقبور المشرفة عام بدليل تنكير لفظتي تمثال وقبر مع حصر العمل بألا ، بمعنى أن لا يعمل بالتمثال إلا الطمس وأن لايعمل بالقبر المشرف إلا التسوية .

ثالثا: ماكان تحذيراً من تعظيم الآثار والمشاهد وذلك قطعاً وسداً لذريعة الشرك :

لقد حذر رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم أمته من الشرك وبداياته سواء ماكان بالقبور والأضرحة أو ماكان بالأصنام والصور .

فعن عائشة رضي ا لله عنها قالت : لما اشتكى النبي صلى ا لله عليه وسلم ذكرت بعض نسائه كنيسة رأينها بأرض الحبشة يقال لها مارية وكانت أم سلمة وأم حبيبة رضي ا لله عنهما أتتا أرض الحبشة فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها فرفع رأسه فقال : " أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصورة أولئك شرار الخلق عندا لله"(٣)

وعن جندب بن عبدا لله البجلي رضي ا لله عنه قال : سمعت النبي صلى ا لله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول : " إني أبرأ إلى ا لله أن يكون لي منكم خليل فإن ا لله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلاً ولو كنت متخذاً من أمتي

---

(١) رواه مسلم: ٧/ ٤٠، كتاب الجنائز باب الأمر بتسوية القبر .

(٢) لسان العرب مادة طمس ٦/ ١٢٦ .

(٣) رواه البخاري: ٣/ ٢٤٧ ، كتاب الجنائز باب نباء المسجد على القبر ، ورواه مسلم بنحوه: ٥/ ١٤، كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهى عن بناء المساجد على القبور .

خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا ، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلاتتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك"(١).

وعن أبي هريرة – رضي ا لله عنه أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم قال: "قاتل ا لله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"(٢) .

عن عائشة وعبدا لله بن عباس – رضي ا لله عنهم – قالا : لمانزل برسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها فقال وهو كذلك " لعنة ا لله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" يحذر ماصنعوا(٣) .

وعن عائشة رضي ا لله عنها قالت : قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه : " لعن ا لله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"، قالت فلولا ذاك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً(٤) .

وعن أبي مرثد الغنوي – رضي ا لله عنه – أن النبي صلى ا لله عليه وسلم قال : " لاتصلوا إلى القبور ولاتجلسوا عليها "(٥) .

وعن أبي هريرة رضي ا لله عنه عن النبي صلى ا لله عليه وسلم :" اللهم لاتجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب ا لله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"(٦) .

---

(١) رواه مسلم: ٥/ ١٧، كتاب المساجد باب النهى عن بناء المساجد على القبور .

(٢) رواه البخاري: ٦٣٤/١ كتاب الصلاة

(٣) رواه البخاري: ٦٣٣/١كتاب الصلاة ، وروراه مسلم ١٥/٥، كتاب المساجد باب النهى عن بناء المساجد على القبور .

(٤) رواه مسلم: ١٥/٥ كتاب المساجد باب النهى عن بناء المساجد على القبور .

(٥) رواه مسلم :٧/ ٤٣ كتاب الجنائز باب النهى عن الجلوس على القبر .

(٦) رواه احمد في المسند ٢٤٦/٢ .

ففي أحد هذه الأحاديث دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بأن لايجعل قبره وثناً يعبد بمعنى أن لايكون قبره مثل مشاهد وأضرحةٍ أهل البدع من الشيعة والصوفية الذين كتب بعضهم مناسك في حج مشاهد معظميهم(١) ، وفي بعضها أن غضب الله اشتد على من اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد بمعنى أماكن للعبادة دعا على اليهود والنصارى بالقتل واللعن لفعلهم ذلك بقبور أنبيائهم وصالحيهم وجمع مع ذلك نهيه صلى الله عليه وسلم لأمته بأن لايفعلوا كما فعل أولئك بقبور أنبيائهم وصالحيهم وتحذيره عن ذلك .

فيكون اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد من أعظم المحرمات وتكون الصلاة عند قبور الأنبياء والصالحين من أعظم أسباب الشرك وكذلك الدعاء عندها .

أما دعاؤها أو الطواف حولها فهذا هو الشرك بعينه .

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لاتجعلوا بيوتكم قبوراً ولاتجعلوا قبري عيدا وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم"(٢) .

والعيد لغة : كل يوم فيه جمع واشتقاقه من عاد ويعود كأنهم عادوا إليه وقيل : اشتقاقه من العادة لأنهم اعتادوه(٣) .

والعيد يشمل الزمان والمكان والعمل والإجتماع لذلك سواء في الزمان أو المكان وللعيد حرم قبله وبعده وهو التمهيد له والعيد إذا جعل اسماً للمكان فهو المكان الذي يقصد الإجتماع فيه وإتيانه للعبادة عنده أو لغير العبادة كما أن

---

(١) أنظر ذلك في مبحث الشيعة مثلاً .

(٢) سنن أبى داود، للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي مع شرح الحافظ بن قيم الجوزية ، ضبط وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م . كتاب المناسك (الحج) ١٠٠ باب ، باب زيارة القبور حديث رقم ٢٠٢٦، ٣١/٦ .

(٣) لسان العرب مادة عود ٣١٩/٣ .

المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة جعلها ا لله عيداً مثابة للناس يجتمعون عندها وينتابونها للدعاء والذكر والنسك وكان للمشركين أمكنة ينتابونها للإجتماع عندها فلما جاء الإسلام محى ا لله ذلك كله(١) .

قوله : لاتجعلوا بيوتكم قبوراً : بترك الصلاة والعبادة فيها كالقبور لايتعبد عندها.

وقوله : لاتجعلوا قبري عيداً : يعنى بمعاودة المجيء إليه ممايفضي إلى عبادته، ثم إنه صلى ا لله عليه وسلم أعقب النهى عن اتخاذه عيداً بقوله : " صلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم " يشير بذلك صلى ا لله عليه وسلم إلى أن ماينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم منه فلاحاجة بكم إلى اتخاذه عيداً"(٢) خاصة وأن اتخاذ القبر عيداً يؤدي إلى اتخاذه وثناً يعبد .

وإذا كان معلوم أن قبر رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم أفضل قبر فإن هذه خصيصة لكن لاتقتضي أن يتخذ قبره صلى ا لله عليه وسلم عيداً(٣) .

وإذا كان "قبر رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم أفضل قبر على وجه الأرض وقد نهى صلى ا لله عليه وسلم عن اتخاذه عيداً فقبر غيره أولى بالنهى كائناً من كان"(٤) .

فالرسل صلوات ا لله وسلامه عليهم جميعاً وفي مقدمتهم رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم لايجوز بحال من الأحوال أن تتخذ قبورهم مكاناً للتجمع والإعتياد وإحياء الذكرى ولامشهداً للعبادة بنهيه صلى ا لله عليه وسلم وزجره عن فعل شيء من ذلك عند قبره ولعنه لمن سبق وعمل ذلك في قبور من سبق من الأنبياء والصالحين .

وأماكنهم التي أقاموا فيها أو عبروا منها ولم يبقوا فيها مثل قبورهم أولى بأن لاتتخذ أماكن للعبادة أو التجمع أو تعظم وتقدس إلا ماجاء فيه تشريع

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٤٤٢ .
(٢) انظر المصدر السابق ٢/ ٦٥٩-٦٦٣ .
(٣) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ٦٥٩/٢ .
(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ٦٦٢/٢ .

بوحي ا لله عز وجل مثل مقام إبراهيم عليه السلام هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن غير الرسل صلوات ا لله وسلامه عليهم من عظماء المسلمين وأئمتهم وصالحيهم وقادتهم سواء السابقين منهم أو من المعاصرين كالزعماء السياسيين والقادة العسكريين المعلوم منهم والمجهول لايفعل بآثارهم ولاصورهم ولاقبورهم ولأماكن تنقلاتهم وحروبهم ولأعلامهم شيء من التعظيم أو الإجلال أو التجمع للعبادة أو لغيرها من الأعياد والذكريات وذلك من باب أولى . ومن باب أولى أيضاً وهو أقوى في هذا القياس أن لايفعل شيء من التعظيم والتقديس والإجلال والمحافظة والقصد لقبور المشركين والكافرين والوثنيين والمعذبين من الأمم السابقة وآثارهم وتماثيلهم ومعبوداتهم وكذلك من على شاكلتهم ممن بعدهم .

وأن من فعل شيئاً من التقديس والتعظيم خلاف ماشرع ا لله أو شرع رسوله صلى ا لله عليه وسلم سواء للبقع أو للأشخاص سواء بقصد التعبد أم لا فهو متعرض للعن واقف في جانب شرار الخلق ومتبوىء أول دركات الشرك وسالك لأول الطريق الموصل إليه .

فيجب هدم المساجد التي بنيت على القبور وهدم القباب التي على القبور إذ هي أضر من مسجد الضرار لأنها أسست على معصية رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم وفيها من الضرار والكفر والتفريق بين المؤمنين والإرصاد لأهل النفاق والبدع المحادين لله ولرسوله صلى ا لله صلى ا لله عليه وسلم مايقوي شبهها بمسجد الضرار ممايجعل هدمها وإزالتها متحتماً شرعاً وقد أمر صلى ا لله عليه وسلم بهدم القبور المشرفة(١) .

والنهي عن الصلاة عند القبور " إنما هو لئلا تتخذ ذريعة إلى الشرك بالعكوف عليها وتعلق القلوب بها رغبة ورهبة ،

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ٨١٣/٢. وانظر أحكام الجنائز وبدعها، محمد ناصر الدين للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى للطبعة الجديدة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص ٢٧٩،

ثم إن قصد القبور للدعاء عندها ورجاء الإجابة بالدعاء هنالك رجاءً أكثر منه بالدعاء في غيرها أمر لم يشرعه ا لله ولارسوله صلى ا لله عليه وسلم ولاذكره أحد من العلماء ولاالصالحين المتقدمين .

والصحابة الكرام رضوان ا لله عليهم قد أجدبوا مرات وحصل لهم مجاعة ودهتمتهم نوائب وشدائد ولم يستسقوا ولم يستغيثوا عند قبر النبي صلى عليه وسلم فضلاً عن أن يستسقوا أو يستغيثوا به صلى ا لله عليه وسلم فلم يحدث شيء من ذلك البتة"(١)

ثم إن "إشادة المساجد على قبور الأنبياء والصالحين وآثارهم مما جاءت الشريعة الإسلامية الكاملة بالمنع منه والتحذير عنه ولعن من فعله لكونه من وسائل الشرك والغلو في الأنبياء والصالحين ، والواقع شاهد بصحة ماجاءت به الشريعة ودليل على أنها من عند ا لله عز وجل وبرهان ساطع وحجة قاطعة على صدق رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم فيما جاء به عن ا لله وبلغه الأمة .

وكل من تأمل أحوال العالم الإسلامي وماحصل فيه من الشرك والغلو بسبب إشادة المساجد على الأضرحة وتعظيمها وفرشها وتجميلها واتخاذ السدنة لها علم يقيناً أنها من وسائل الشرك ، وأن من محاسن الشريعة الإسلامية المنع منها والتحذير من إشادتها"(٢) .

ولاشك أن العلة من منع اتخاذ القبور مساجد وتحذير الرسول صلى ا لله عليه وسلم أمته من اتخاذ قبره مسجداً إنما هي مظنة اتخاذ القبور أوثاناً تعبد من دون ا لله(٣).

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٨٤ .

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدا لله بن عبدالرحمن بن باز طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد – الادارة العامة للطبع – الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م، ١/٤٣٨ .

(٣) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٧٨ .

والدعاء الصحيح عند القبور إنما هو دعاء الله للمقبورين بأن يغفر الله لهم وأن يرحمهم وأن يثبتهم والسلام عليهم(١) .

سد الذريعة وحماية التوحيد :

بتدبر الشريعة تجد أنها أتت بسد الذرائع إلى المحرمات وبتحريم مايوصل إليها من الذرائع وإن لم يقصد بها المحرم لإفضائها إليه فكيف إذا قصد بها المحرم نفسه .

قال تعالى : ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وإنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ماكتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ولاتباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلاتقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون﴾(٢) .

"تلك المذكورات وهو تحريم الأكل والشرب والجماع ونحوه من المفطرات في الصيام وتحريم الفطر على غير المعذور وتحريم الوطء على المعتكف ونحو ذلك من المحرمات (حدود الله) التيحدها لعبادة ونهاهم عنها فقال : "فلاتقربوها" أبلغ من قلوله " فلا تفعلوها" لأن القربان يشمل النهي عن فعل المحرم بنفسه والنهي عن وسائله الموصلة إليه والعبد مأمور بترك المحرمات والبعد عنها غاية مايمكن وترك كل سبب يدعو إليه .

---

(١) انظر المصدر السابق ٢/ ٧٧٠ .

(٢) سورة البقرة آية ١٨٧.

وأما الأوامر فيقول ا لله فيها (تلك حدود ا لله فلا تعتدوها) فنهى عن مجاوزتها"(١) .

وقد نهى سبحانه وتعالى عن سب آ لهة المشركين لكونه ذريعة إلى أن يسبوا ا لله سبحانه وتعالى عدواً وكفراً على وجه المقابلة.

قال تعالى : ﴿ ولاتسبوا الذين يدعون من دون ا لله فيسبوا ا لله عدواً بغير علم﴾(٢).

ونهى رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم عن التشبة بأهل الكتاب وغيرهم من الكفار لأن المشابهة الظاهرة ذريعة إلى الموافقة الباطنة فإنه إذا أشبه الهدي الهدي أشبه القلب القلب وقد قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم " من تشبه بقوم فهو منهم"(٣).

والشريعة المطهرة تمنع العبادة التي لم تقيد بمكان والتى يقصد بها وجه ا لله إذا كانت ستؤدى في نفس المكان الذي فيه عبادة المشركين حتى لو زال الشرك وأهله من ذلك المكان وخاصة العبادة التي تشبه عبادة المشركين كالذبح .

فعن ثابت بن الضحاك رضي ا لله عنه – قال : " نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة فسأل النبي صلى ا لله عليه وسلم فقال– أي النبي صلى ا لله عليه وسلم –: " هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟" قالوا: لا. قال : " فهل كان فيها عيد من أعيادهم " قالوا : لا . فقال صلى ا لله عليه وسلم :" أوف بنذرك فإنه لاوفاء لنذر في معصية ا لله ولافيما لايملك ابن آدم"(٤) .

فمن قوله صلى ا لله عليه وسلم : " فهل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد" يوخذ المنع من الوفاء بالنذر – وهو لله - إذا كان في المكان وثن أو صنم يعبد ولوبعد زواله .

(١) تفسير السعدي ٢٢٧/١ .
(٢) سورة الانعام آية ١٠٨ .
(٣) رواه أبو داود سنن أبى داود ٣١٤/٤ حديث رقم ٤٠٣١ كتاب اللباس ، باب لبس الشهرة.
(٤) رواه أبوداود سنن أبي داود ٦٠٧/٣ حديث رقم ٣٣١٣ طبعة ١٣٩١هـ – ١٩٧١م .

ومن قوله صلى ا لله عليه وسلم : " فهل كان فيها عيد من أعيادهم " يؤخذ المنع من الوفاء بالنذر – وهو أيضا لله – بمكان عيد الجاهلية ولو بعد زواله(١) .

«فوجه الدلالة : أن هذا الناذر كان قد نذر أن يذبح – إبلاً بمكان سماه فسأله النبي صلى ا لله عليه وسلم : " هل كان بها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟" قال : لا قال : " فهل كان بها عيد من أعيادهم ؟ " قال : لا فقال : " أوف بنذرك " ثم قال : " لاوفاء لنذر في معصية ا لله".

وهذا يدل على أن الذبح بمكان عيدهم ومحل أوثانهم معصية لله فقوله صلى ا لله عليه وسلم :" فأوف بنذرك" بعد تأكده أنه ليس في ذلك المكان وثن وأنه ليس مكان عيد من أعياد الجاهلية يعني حيث ليس هناك مايوجب تحريم الذبح هناك فكان جوابه صلى ا لله عليه وسلم فيه أمراً بالوفاء عند الخلو من هذه الموانع .

وقوله صلى ا لله عليه وسلم : " هل بها عيد من أعيادهم" يريد هل بها اجتماعاً معتاداً من اجتماعاتهم التي كانت عيداً فلما قال : لا قال له : " أوف بنذرك " وهذا يقتضي أن كون البقعة مكاناً لعيدهم مانع من الذبح بها وإن نذر، كما أن كونها موضع أوثانهم مانع كذلك بدليل قوله صلى ا لله عليه وسلم قبل ذلك : " هل كان بها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ .

علماً أن هذه الواقعة كانت في حجة الوداع وحينئذ لم يكن قد بقي عيد للمشركين لذلك كانت الأسئلة منه صلى ا لله عليه وسلم بهل كان يعني فيما مضى فإذا كان المطصفى صلى ا لله عليه وسلم قد نهى أن تؤدى عبادة النذر في مكان كان الكفار يعملون فيه عيداً أوهم فيه وثناً وإن كان قد امحى ذلك وكان أولئك الكفار قد أسلموا وتركوا ذلك العيد والسائل لايريد أن يتخذ المكان عيداً بل يذبح نذره فيه فقط لاغير فقد ظهر أن ذلك سداً للذريعة لإحياء شيء من أعيادهم خشية أن يكون الذبح هناك سبباً لإحياء أمر تلك البقعة وذريعة إلى

(١) انظر التعليق المفيد في تحقيق فتح المجيد ١/١٨٩-١٩٤ .

اتخاذها عيداً مع أن العيد إنما كان – وا لله اعلم – سوقاً يتبايعون فيه ويلعبون فإن أعياد الجاهلية لم تكن عبادة لهم ولهذا فرق صلى ا لله عليه وسلم بين كونها مكان وثن – وهو مكان العبادة لهم – وكونها مكان عيد في سؤاله للناذر .

وقد دل هذا الحديث على أنه كان للناس في الجاهلية أعياد يجتمعون فيها ومعلوم أنه بمبعث رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم محى ا لله ذلك عنه فلم يبق شيء منها .

ومعلوم أنه لولا نهيه ومنعه صلى ا لله عليه وسلم لما ترك الناس تلك الأعياد لأن المقتضي لها قائم من جهه طبيعة النفس التي تحب مايصنع في الأعياد خصوصاً أعياد الباطل من اللعب واللذات ومن جهة العادة التي ألفت مايعود من العيد فيكون المقتضى قوياً فلولا المانع القوي لما درست تلك الأعياد وهذا يوجب العلم اليقيني بأن إمام المتقين صلى ا لله عليه وسلم كان يمنع أمته منعاً قوياً من أعياد الكفار ويسعى في دروسها وطمسها بكل سبيل بل قد بالغ صلى ا لله عليه وسلم في أمر أمته بمخالفة غير المسلمين في كثير من المباحات وصفات الطاعات لئلا يكون ذلك ذريعة إلى موافقتهم في غير ذلك من أمورهم ولتكون المخالفة في ذلك حاجزاً ومانعاً عن سائر أمورهم فإنه كلما كثرت المخالفة بينك وبين أصحاب الجحيم كان أبعد عن أعمال أهل الجحيم .

فليس بعد حرصه صلى ا لله عليه وسلم على أمته ونصحه لهم غاية بأبي هو وأمي وكل ذلك من فضل ا لله عليه وعلى الناس ولكن أكثر الناس لايعلمون(١) .

فإحياء تلك الأعياد أو انشاء أعياد مشابهة وإن قرىء فيها القرآن هو واقع تحت نهيه صلى ا لله عليه وسلم، وفعله معصية لله ولرسوله صلى ا لله عليه وسلم

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ٤٤١/١-٤٤٦ .

فإنه إذا كان رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يمنع التعبد في مكان كان فيه وثـن أو عيد من أعياد الجاهلية فكيف بإحياء ذلك العيد أو مايشبهه وكيف بإحياء ذلك الوثن .

وعمل كثير من الآثارين يغلب عليه إحياء الأوثان نفسها بأنواعها من صور وتماثيل بل وتبجيلها وإسباغ اسم إله عليها فيقال هذا إله كذا وهذا إله كـذا ونحو ذلك يعنون مايجدون من تماثيل ومعبودات طواها التاريخ لكنهم يحيونهـا ويعـددون مزاياها ويذكرون أمجادها ويعتزون بها ولم يقف الأمر على هذا الحال بل تعـدى إلى إحياء أماكن أعيادهم بل إلى إقامة الإحتفالات فيها مثل أوبرا عايدة(١)ونحو ذلك.

وإذا كانت التماثيل يجب طمسها وتكسيرها وإزالتها وإحراقها كما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فإنه ورد في السنة أيضاً تحريم بيعها .

فعن جابر بن عبدا لله رضي ا لله عنهما أنه سمع النبي صلى ا لله عليـه وسلم يقول وهو بمكة عام الفتح : " إن ا لله ورسوله حرم بيع الخمـر والميتـة والخنزير والأصنام" فقيل يارسول ا لله : أرأيت شحوم الميتة فإنها يطلى بها السفن ويدهـن بها الجلود ويستصبح بها الناس ؟ فقـال : " لا ، هـو حـرام " ثـم قـال رسـول ا لله صلى ا لله عليه وسلم عند ذلك : " قاتل ا لله اليهـود ، إن ا لله عـز وجـل لما حـرم عليهم شحومها جملوه(٢) ثم باعوه فأكلوا ثمنه"(٣).

والعلة في تحريم بيع الأصنام هو أن منفعتها غير مباحة بل إن منفعتهـا محرمـة وإن نحت الأصنام وصناعتها محرم شرعا(٤) .

"وأما تحريم بيع الأصنام فيستفاد منه تحريم بيع كل آلة متخذة للشرك على أي

---

(١) سيأتي بيان ذلك لاحقاً .
(٢) جملوه : جمل الشحم وجمله أي اذابه ، شرح صحيح مسلم ١١/ ١٠/ وانظر لسـان العرب مادة جمل ١١/ ١٢٧ .
(٣) رواه البخاري: ٤/ ٤٩٥ كتاب البيوع بـاب الميتـة والاصنـام، ورواه مسـلم: ١١/٨-٩ كتاب المساقاة باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام.
(٤) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ٤/٤٩٧ وانظـر شـرح صحيح مسلم ١٠/١١.

وجه كانت ومن أي نوع كانت صنماً أو وثناً أو صليباً وكذلك الكتب المشتملة على الشرك وعبادة غير الله فهذه كلها يجب إزالتها وإعدامها .

وبيعها ذريعة إلى اقتنائها واتخاذها فهو أولى بتحريم البيع ...

وتحريم بيع الأصنام وهو أعظم تحريماً وإثماً وأشد منافاة للإسلام من بيع الخمر والميتة والخنزير "(١) .

ويلحق بتحريم البيع تحريم الإيجار والرسوم إذ المقصود منع المنفعة وكثير من المتاحف الآثارية تحوى نماذج من التماثيل وأشكال متعددة منها ويستفاد منها جباية أموال باسم رسوم سياحية وتبرعات للحفاظ عليها وقد تحوى أماكن لجمع النذور كالأضرحة تماماً وقد رأيت هذا بنفسي وكذلك بعض الأضرحة عليها رسوم سياحة وبعض الأضرحة تقدم له رسوم إختيارية يدفعها بعض الناس باسم نذور وصدقات لها أو مساعدة في ترميمها .

ولما كان كثير من عمل الآثاريين هو نبش القبور واستخراج الأصنام التي هي تماثيل وصور ورسوم فهي وإن كانت تتعارض مع ماسبق من الأحاديث والآيات التي تأمر بإتلافها وتمنع بيعها واقتنائها فإنها أيضاً تتعارض فى الغالب ابتداء مع طريقة الوصول إليها إذ أنها تحتاج إلى نبش القبور والمقابر لاستخراجها .

وقد ورد عن عمرة بنت عبدالرحمن أنها تقول : "لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المختفي والمختفية يعني نباش القبور"(٢) .

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، شمس الدين بن أبي بكر ابن قيم الجوزية(٦٩١-٧٥١هـ) تحقيق شعيب الارنؤوط وعبدالقادر الارنؤط ، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ومكتبة المنار الاسلامية الكويت الطبعة الثانية ١٤٠١هـ -١٩٨١م ٥/٧٦١-٧٦٢ .

(٢) رواه الامام مالك: موطأ الامام مالك بن أنس ، رواية يحي بن يحي الليثي شرح وتعليق أحمد راتب عرموش، دار النفائس، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ-١٩٧١م، ص ١٥٨ حديث رقم ٥٦٢. كتاب الجنائز باب ما جاء في الإختفاء .

ولايخفى أن كثيراً من الآثار والتماثيل والصور والأصنام ليس ثمت طريق إليها إلا بنبش القبور واقتراف هذا الأمر المحرم والدخول تحت اللعن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا العمل أضف إلى ذلك أن غالب مايوجد من الآثار في المقابر إنما تكون في مقابر أقوام كافرين غالباً .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لاينطق عن الهوى قد أنار لنا الطريق وأوضح لنا السبيل مع الآثار عموماً .

فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : " لما مر النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر قال : " لاتدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ماأصابهم إلا أن تكونوا باكين " ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي "(١).

وورد في رواية أخرى " فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهريقوا ما استقوا من بئارها وأن يعلفوا الإبل العجين" (٢) ، وفى رواية أخرى " أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالقاء الطعام"(٣) .

وفي رواية : فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لاتدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذراً أن يصيبكم مثل ماأصابهم " ثم زجر فأسرع حتى خلفها(٤) .

الحجر : هي منازل ثمود كما فسره في سند الحديث الثاني وهي ماتسمى اليوم مدائن صالح وأرض ثمود .

---

(١) رواه البخاري: فتح الباري ٧/ ٧٣١ كتاب المغازي باب نزول النبي صلى الله عليه وسلم الحجر.

(٢) رواه البخاري : فتح الباري ٦/ ٤٣٦ كتاب احاديث الأنبياء باب قول الله تعالى وإلى ثمود خاهم صالحا .

(٣) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

(٤) رواه مسلم: شرح صحيح مسلم ٣٢٢/١٨ كتاب الزهد والرقائق باب لاتدخلوا مساكن الذين ظلموا نفسهم إلا أن تكونوا باكين .

لاتدخلوا مساكن الذين ظلموا : هذا يتناول مساكن ثمود وغيرهم ممن هو كصفتهم فكيف بمن هو أشد منهم كفرعون وآله .

وهذان الحديثان فيهما البيان والإيضاح لما يجب فعله إقتداء برسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم عند مساكن الكفرة الغابرين مع ماورد من قوله تعالى ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾(١) . ونحوها من الآيات التي فيها توجيه للإعتبار بمصارع الأمم الكافرة مع تحطيمه صلى ا لله عليه وسلم للأصنام والتماثيل وبعثه البعوث لتحطيم الأصنام والتماثيل المتفرقة فيما قدر عليه مما يؤكد أن طلب السير في مصارع الكافرين موجه لمنكري الرسالة ليتعظوا.

وعليه فإن المسلم إذا مر بأحد منازل الأمم الكافرة المهلكة في طريقه فإنه يتجاوزها مسرعاً ولايدخلها فكيف بحال كثير من الآثاريين الذين يمكثون الليالي الطوال والأيام بل الشهور أحيانا في مساكن الكفرة المهكلين وينبشون قبورهم ويخالفون هدي رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم ويتجاوزون تحذيره ويتعدون حدود ا لله تعالى .

وفعله صلى ا لله عليه وسلم من زجره لدابته وإسراعه في تجاوز مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتقنيعه رأسه ونهيه لأصحابه بأن لايدخلوا مساكن الذين ظلموا إلا باكين وحالهم أنهم لايمكثون بل يسرعون خشية أن يصيبهم من العذاب ماأصاب أولئك المعذبين الأول وقد أمر صلى ا لله عليه وسلم بإراقة الماء وإلقاء الطعام وإعلاف الطعام للإبل حينما استقى الصحابة رضي ا لله عنهم من بئر قوم صالح في غزوة تبوك في الرواية الأخرى فهو يدل على أن ترك الماء وما داخله من طعام وما عجن به وهو المباح أصلا في كل وقت، والطعام الذي كانوا بأمس الحاجة إليه حيث كانت غزوة تبوك غزوة عرف أن الطعام كان فيها قليلاً

(١) سورة النمل آية ٦٩ .

وشحيحاً ومع ذلك أمر صلى ا لله عليه وسلم بإلقائه وبإعلافه للإبل مع مسيس الحاجة إليه فكيف بما يؤخذ من مخلفات الأمم المعذبة من الآثار والأثريات وهي أقل شأناً وحاجة من طعام أولئك الصحابة رضي ا لله عنهم لطعامهم بل إن كثيراً من تلك الآثار محرمة في ذاتها كالتماثيل والصور سواء ما عبد منها أو لم يعبد ففعل الرسول صلى ا لله عليه وصلم وأمره عند مروره بالحجر يمكن أن يكون التطبيق الصحيح لقوله تعالى ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾(١) بالنسبة للمسلمين .

ومما يثبت أن المخاطبين هم غير المسلمين بل إن الخطاب في الآية للكفار إذ لو كان موجهاً للمسلمين لما أمرهم الرسول صلى ا لله عليه وسلم بالسرعة في تجاوز المساكن ولما أسرع هو وقنع رأسه حتى جاز الوادي وخلف تلك المساكن وراء ظهره .

بقي أن يعلم أنه ورد :

عن ابن عباس رضي ا لله عنهما أن النبي صلى ا لله عليه وسلم قال : " أبغض الناس إلى ا لله ثلاثة : ملحد في الحرم ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية ومطلب دم امرىء بغير حق ليهريق دمه"(٢) .

ففي هذا الحديث يبين الرسول الكريم صلى ا لله عليه وسلم أوصاف ثلاثة أشخاص هم أبغض الناس إلى ا لله عز وجل وكفى بهذا ذماً لهم ولعملهم الذي من أجله طالهم البغض الشديد من ا لله عز وجل فمقامهم مقام أبغض الخلق إلى ا لله والمقصود من هذا الحديث في هذا البحث أن من هؤلاء الثلاثة من ابتغي في الإسلام سنة الجاهلية "... فكل من أراد في الإسلام أن يعمل بشيء من سنن الجاهلية دخل في هذا الحديث وصار من أبغض الناس إلى ا لله"(٣) .

---

(١) سورة النمل ية ٦٩ .

(٢) رواه البخاري: ٢١٩/١٢ كتاب الديات باب من طلب دم امرىء بغير حق .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٢٢٦/١.

" والسنة الجاهلية : كل عادة كانوا عليها – أي الجاهليون – فإن السنة هي العادة وهي الطريق التي تتكرر لنوع الناس ممايعدونه عبادة أولا يعدونه عبادة"(١) .

ومبتغ في الإسلام سنة جاهلية يندرج فيه كل جاهلية مطلقة أو مقيدة يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو صابئة أو فرعونية أو كلدانية أو أشورية أو فينيقية أو إغريقية أو بابلية أو وثنية أو مزدكية، من ذلك أو بعضه أو منتزعة من بعض هذه الملل الجاهلية فإنها جميعاً : مبتدعها ومنسوخها صارت جاهلية بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم (٢) .

وعليه فإن آثار الأمم من معبودات وصور وتماثيل ومشاهد وأخلاق وعبادات لم يقرها الإسلام إنما هي سنن الجاهلية وأن نباش الآثار الجاهلية في بلاد المسلمين إنما هو مبتغ في الإسلام سنة الجاهلية وأنه من أبغض الخلق إلى الله .

وأن نشر الآثار وإخراجها وتجليتها وإحياءها وتعظيمها والإفتخار بها وبأمجادها وتحبيبها إلى الناس ومحاكاتها في أخلاقها وأعرافها وتمثيل أدوارها والتغني بها كل ذلك وأمثاله وإن لم يقصد بشيء من ذلك عبادتها إنما هو ابتغاء وطلب وإحياء سنة الجاهلية في الإسلام وهو في نفس الوقت غرس لشجرة الشرك والوثنية في أرض الإسلام فالواجب إتلافها وإزالة الموجود منها وطمسها.

وقد روى أبوهريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" لايلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين"(٣) .

فقوله : لايلدغ المؤمن : " هذا لفظ خبر ومعناه أمر ، أي ليكن المؤمن حازماً حذراً لايؤتى من ناحية الغفلة فيخدع مرة بعد أخرى"(٤) .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢٢٦/١.
(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ٢٣١/١ .
(٣) رواه البخاري: ٥٤٦/١٠ كتاب الادب باب لايلدغ المؤمن من جحر مرتين ورواه مسلم: ٣٣٥/١٨ كتاب الزهد والرقائق باب لايلدغ المؤمن من حجر مرتين .
(٤) فتح الباري ١٠ / ٥٤٦-٥٤٧.

فيحذر من السبب الذي أوقعه في الذنب كحـذر مـن أدخـل يـده في جحـر فلدغته حية فإنه بعد ذلك لايكاد يدخل يده في ذلك الجحر لما أصابه فيه أول مـره، وفيه حث على الحزم والكيْس في جميع الأمور ومن لوازم ذلك :

تعرف الأسباب النافعة ليقوم بها والأسباب الضارة ليتجنبهاويدل على أن الذرائـع معتبرة وقد حذر ا لله المؤمنين من العودإلى مازينة الشيطان مـن الوقـوع في المعاصي فقال سبحانه وتعالى:﴿يعظكم ا لله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين﴾(١) (٢).

فلابد " لمن ناله الضرر من جهة أن يتجنبها لئلا يقع فيهـا ثانيـة"(٣) ، وهـو إشارة إلى استعمال الفطنة فإن المؤمن كيس فطن (٤) .

ولايخفى أن عرب الجزيرة كـانوا علـى التوحيـد علـى ملـة إبراهيـم عليـه السلام حتى أحيا فيهم عمرو بن لحي الخزاعي(٥) سنة جاهلية وابتغاها فيهم فجـاء بالأصنام إلى مكة من الشام ونصبها حول الحرم فهو أو من نصب الأنصـاب حـول البيت وهو الذي ورد فيه حديث أبـي هريـرة رضـي ا لله عنـه حيـث يقـول : قـال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم: " رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خنـدف أخـا بني كعب هؤلاء يجر قصبه في النار"(٦) .

---

(١) سورة النور اية ١٧ .

(٢) انظر بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الاخيار في شرح جوامع الأخبار ، عبدالرحمن بـن نـاصر السـعدي ١٣٠٧-١٣٧٦هـ نشـر الرئاسـة العامـة لادارات البحـوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، الطبعة سنة ١٤٠٥ ، ص ١٢٨ .

(٣) شرح صحيح مسلم ١٨/ ٣٣٦ .

(٤) انظر فتح الباري ١٠/ ٥٤٧ .

(٥) هو:عمرو بن لحي أبوخزاعة روى البخاري في صحيحـه عـن أبـي هريـرة رضـي ا لله عنه أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم قال:"عمرو بن لحـي بـن قمعـة بـن خنـدف أبوخزاعة". وورد أيضاً أن النبي صلى ا لله عليه وسلم قـال:"رأيـت عمـرو بـن لحـي يجر قصبه في النار لأنه أول من غير دين إسماعيل فنصب الأوثان وسيب السائبة وبحر البحيرة ووصل الوصيلة وحمى الحـامي"انظـر فتـح البـاري:شـرح صحيـح البخـاري ٦/ ٦٣٢، ٦٣٤.

(٦) رواه مسلم: ١٧/ ١٩٥ كتـاب الجنـة بـاب النـار يدخلهـا الجبـارون والجنـة يدخلـه الضعفاء .

فتشبه عمرو بمن رآه في الشام واستسحن بعقلة ماكانوا عليه فكان مافعله بهذه السنة الجاهلية إنما هو أصل الشرك في العرب أهل دين إبراهيم وإنما فعله متشبها فيه بغيره من أهل الأرض فلم يزل الأمر يتزايد ويتفاقم حتى غلب على أفضل الأرض الشرك با لله عز وجل وتغيير دين ا لله إلى أن بعث ا لله رسوله صلى ا لله عليه وسلم فأحيا ملة إبراهيم عليه السلام وأقام التوحيد(١) .

ثم إنه عليه الصلاة والسلام قال في خطبة حجة الوداع في حديث جابر رضي ا لله عنه : " ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع"(٢) وأولى الأشياء بالوضع من أمور الجاهلية ولاشك هي أصنامها وتماثيلها وماله صلة بها من أعياد ومعبودات ومايجر إلى أخلاقها وأعرافها ، والآثار ومايتعلق بها إنما ترفع أمور الجاهلية التى وضعها رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم تحت قدميه إهانة لها وإذلالاً، بل إن الآثار وعلومها الان تدعو إلى رفع أمور الجاهلية فوق الرؤوس وتحامي عنها وتدافع ، وتجعلها محور ارتكاز أبناء البلاد الواحدة فالولاء لها والمعاداة من أجلها وبالذات التماثيل التي أول مابدأت دعوة رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم بمحاربتها ومعاداتها ثم حطمتها وطمستها .

ومعلوم بداهة أن عرب الجزيرة لم يعبدوا تلك الأصنام المنصوبة رأساً بل كان هناك تدرج .

ومعلوم أن قوم نوح عندما صوروا صور صالحيهم لم يكن قصدهم عبادتها بل مجرد الذكرى والإعزاز والمحبة والحث على الإقتداء بهم في الصلاح لكن مع مرور الوقت واختلاف الأجيال ووسوسة الشيطان تغير الحال فآل الأمر بها فعبدت تلك التماثيل من دون ا لله.

فلماذا يعيدها المسلمون جذعة في بلادهم وينبشوا قبور الأمم الوثنية والمشركة وينشروا معبوداتها في ميادينهم وأماكن تجمعاتهم ويحاكونها في رسم

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ٣١٤/١ .
(٢) رواه مسلم : من حديث جابر عن حجة الوداع ٤٣١/٨ .

مثلها ونحته ويجعلون لها المتاحف والسدنة ولم يسن الآثـاريون ويرفعـون في الإسـلام من سنن الجاهلية وليست سنة واحدة مع مايصاحب ذلك من أن الجهـل بديـن ا لله متفشي في المسـلمين والنفـوس ضعيفـة والمريـض والمحتـاج يتعلـق بـأدنى شـيء مـن الخرافـات والأوهـام فيظـن النفـع والضـر في تلـك الأوثـان خاصـة وأن كثيراً مـن الأوثان يعرف بأنه مثلاً: إله الحب لجلب المحبـة بـين الزوجـين والآخـر إلـه الخصـب للإنجاب وآخر كما يفترون فيها جميعاً بأنه للنصر وغيره للزرع وهكذا .

الفصل الثالث

موقف السلف وتطبيقاتهم للأحكام الشرعية على الآثار التي في عصرهم وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : موقفهم من آثار النبي صلى الله عليه وسلم .

المبحث الثاني: موقفهم من آثار ومشاهد الأنبياء والصالحين .

المبحث الثالث : موقفهم من آثار ومشاهد الأمم البائدة والمعذبة .

المبحث الأول : موقف السلف من آثار النبي صلى الله عليه وسلم:

تعظيم الصحابة رضوان الله عليهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الوجه الشرعي الذي يتأصل بكونه سنة سواء قولية أو فعلية أو إقراراً منه صلى الله عليه وسلم لذلك التعظيم يكون ديناً يتقرب به إلى الله عز وجل وينبغي أن يكون خالصاً لله عز وجل وأن يكون اتباعاً للهدي الشرعي في هذه المسألة وسيتضح هذا الكلام من النقولات التالية :

١- عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ببردة فقال سهل للقوم : أتدرون ماالبردة ؟ فقال القوم هي شملة ، فقال سهل : هي شملة منسوجة فيها حاشيتاها - فقالت : يارسول الله أكسوك هذه، فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجاً إليها فلبسها ، فرآها عليه رجل من الصحابة فقال : يارسول الله ماأحسن هذه فاكسنيها ،فقال : " نعم " فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم لامه أصحابه فقالوا : ماأحسنت حين رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أخذها محتاجاً إليها ثم سألته إياها وقد عرفت أنه لايسأل شيئاً فيمنعه، فقال : رجوت بركتها حين لبسها النبي صلى الله عليه وسلم لعلي أكفن فيها (١).

---

(١) رواه البخاري : ٤٧٠/١٠ كتاب الأدب باب حسن الخلق والسخاء .

٢- ومن حديث أبي أيوب الأنصاري رضي ا لله عنه : " فكان يصنع للنبي صلى ا لله عليه وسلم طعاماً فإذا جيء به إليه(١) سأل عن موضع أصابعه فيتتبع موضع أصابعه"(٢) .

٣- وعن سهل بن سعد رضي ا لله عنه : " أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم أتي بشراب فشرب منه – وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ –فقال للغلام : " أتأذن لي أن أعطي هؤلاء ؟ " فقال الغلام : وا لله يارسول ا لله لاأوثر بنصيبي منك أحداً قال : فتله رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم في يده"(٣) .

تله : بفتح المثناة وتشديد اللام : أي وضعه(٤) .

٤- ومن حديث أبي موسى الأشعري رضي ا لله عنه : قال : " كنت عند النبي صلى ا لله عليه وسلم وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلال فأتى النبي صلى ا لله عليه وسلم أعرابى فقال:ألا تنجز لي ما وعدتني؟فقال له "أبشر".فقال قد أكثرت علي من [أبشر] . فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان فقال : رد البشرى فاقبلا أنتما. قالا : قبلنا ثم دعا بقدح فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه ومج فيه ثم قال : " إشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا" فأخذا القدح ففعلا فنادت أم سلمة من وراء الستر أن أفضلا لأمكما فأفضلا لها منه طائفة(٥) .

٥- وفي حديث جابر رضي ا لله عنه: جاء رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يعودني وأنا مريض لا أعقل فتوضأ وصب علي من وضوئه فعقلت فقلت: يارسول ا لله لمن الميراث إنما يرثني كلالة؟ فنزلت آية الفرائض (٦) .

(١) أي بالطعام بعد أن يأكل منه صلى ا لله عليه وسلم ويؤتى به إلى أبي أيوب رضي ا لله عنه .

(٢) رواه مسلم: ٢٥٤/١٤ كتاب الأشربة باب إباحة أكل الثوم .

(٣) رواه البخاري: ٨٩/١٠ كتاب الاشربة باب هل يستأذن الرجل من عن يمينه .

(٤) فتح الباري: ٩٠/١٠ .

(٥) رواه البخاري: ٦٤٢/٧كتاب المغازي باب غزوة الطائف ،ورواه مسلم : ٢٩١/١٦ كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين .

(٦) رواه البخاري : ٣٦٠/١، كتاب الوضوء باب صب النبي صلى ا لله عليه وسلم وضوءه على مغمى

٦- عن عثمان بن عبدا لله بن موهب(١) قال : " أرسلني أهلي إلى أم سلمة بقدح من ماء وقبض إسرائيل ثلاث أصابع من قصة فيها شعر من شعر النبي صلىا لله عليه وسلم وكان إذا أصاب الإنسان عين أو شيء بعث إليها مخضبة..."(٢) .

"والمراد أنه كان من اشتكى أرسل إناء إلى أم سلمة فتجعل فيه تلك الشعرات وتغسلها فيه وتعيده فيشربه صاحب الإناء أو يغتسل به استشفاء بها"(٣) .

٧- عن عبدا لله(٤) مولى أسماء بنت أبي بكر رضي ا لله عنهما - ".... فقالت هذه جبة رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم - فأخرجت إلي جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج وفرجيها مكفوفين بالديباج - فقالت : هذه كانت عند عائشة حتى قبضت فلما قبضت قبضتها وكان النبي صلى ا لله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها"(٥) .

فهذه الأحاديث وأمثالها فيها أن الصحابة رضوان ا لله عليهم يتبركون بآثار رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم وتبركهم هذا مشعر بنوع تعظيم ولو كان قليلاً لآثاره صلى ا لله عليه وسلم لكن هذا التصرف لم يتجاوزوا به الحد المسموح به وهو وفق الوحي وا لله سبحانه وتعالى يجعل لنبيه وخليله من المعجزات ما شاء بما شاء

---

(١) هو : عثمان بن عبدا لله بن الواهب التيمي المدني أبوعبدا لله سكن العراق توفي بعد سنة ١٢٠هـ ١٨٧/٥ انظر سير أعلام النبلاء ١٨٧/٥.

(٢) رواه البخاري : ٣٦٤/١٠ كتاب اللباس باب مايذكره في الشيب .

(٣) فتح الباري ٣٦٥/١٠ .

(٤) هو : عبدا لله بن كيسان التيمى مولى اسماء بنت أبي بكر الصديق ، انظر : تقريب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف ، دار المعرفة ، بيروت، لبنان ، الناشر : المكتبة العلمية ، المدينة ، السعودية ، ٤٤٣/١ ترجمة رقم ٥٦٨.

(٥) رواه مسلم: ٢٨٨/١٤ كتاب اللباس والزينة باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء .

فجعل لبعض آثاره مامر ذكره في تلكم الأحاديث مما أقره أو أمر به صلى ا لله عليه وسلم فلايتجاوز به الحد .

لكن هل بقي من تلك الآثار المنسوبة للنبي صلى ا لله عليه وسلم شيء الآن؟

" لايخفى أن بعض هذه الآثار محتمل الصحة غير أنا لم نر أحداً من الثقات ذكرها بإثبات أو نفي فا لله أعلم بها .

وبعضها لايسعنا أن نكتم مايخامر النفس فيها من الريب ويتنازعها من الشكوك"(١) وقد ثبت فقدان كثير من آثار الرسول صلى ا لله عليه وسلم خلال عشرات السنين بأسباب مختلفة منها الضياع والإحراق في الحروب والفتن (٢).

و" مايدعى الآن عند بعض الأشخاص أو في بعض المواضع من وجود بعض الآثار النبوية كالشعرات أو النعال وغيرها – موضع شك فيحتاج في إثبات صحة نسبته إلى الرسول صلى ا لله عليه وسلم إلى برهان قاطع يزيل الشك الوارد... (ونحن نعلم أن آثاره صلى ا لله عليه وسلم من ثياب أو شعر ... قد فقدت وليس بإمكان أحد إثبات وجود شيء منها على وجه القطع واليقين) لاسيما مع مرور أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان على وجود تلك الآثار النبوية ومع إمكان الكذب في ادعاء نسبتها إلى الرسول صلى ا لله عليه وسلم للحصول على بعض الأغراض كما وضعت الأحاديث ونسبت إلى الرسول صلى ا لله عليه وسلم كذباً وزوراً" (٣) .

أما قبر الرسول صلى ا لله عليه وسلم فإن الصحابة رضوان ا لله عليهم قد انزجروا بزجره صلى ا لله عليه وسلم أن يتخذ قبره عيداً وانتهوا بنهيه عن ذلك وهي أحاديث مرت في الفصل السابق .

---

(١) الآثار النبوية ، أحمد بن اسماعيل بن محمد تيمور ت ١٣٤٨ ، ص ٧٨ .

(٢) انظر التبرك أنواعه وأحكامه ، ناصر بن عبدالرحمن بن محمد الجديع ، مكتبة الرشد الرياض الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ -١٩٩٣ ، ص ٢٥٧ .

(٣) التبرك ، ص ٢٦٠ .

أما مشاهده صلى ا لله عليه وسلم ومقاماته فما كان منها بعد البعثة وقد قصده بالعبادة عنده كتقبيل الحجر الأسود واتخاذ مقام إبراهيم مصلى ووقوفه بعرفة وصلاته في مسجد قباء فإن الصحابة رضوان ا لله عليهم قد عملوا مثل عمله عند تلك المقامات والآثار بقصد التعبد لله والإتباع لرسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم من ذلك :

عن محمد بن عبدالرحمن بن نوفل القرشي(١) أنه سأل عروة بن الزبير فقال: قد حج النبي صلى ا لله عليه وسلم ، فأخبرتني عائشة رضي ا لله عنها أنه أول شيء بدأ به حين قدم أنه توضأ ثم طاف بالبيت ، ثم لم تكن عمرة . ثم حج أبوبكر رضي ا لله عنه فكان أول شيء بدأ به الطواف بالبيت ، ثم لم تكن عمرة . ثم عمر رضي ا لله عنه مثل ذلك . ثم حج عثمان رضي ا لله عنه ، فرأيته أول شيء بدأ به الطواف بالبيت ، ثم لم تكن عمرة . ثم معاوية وعبدا لله بن عمر . ثم حججت مع أبي – الزبير بن العوام – فكان أول شيء بدأ به الطواف بالبيت ثم لم تكن عمرة . ثم رأيت المهاجرين والأنصار يفعلون ذلك ، ثم لم تكن عمرة . ثم آخر من رأيت فعل ذلك ابن عمر ثم لم ينقضها عمرة . وهذا ابن عمر عندهم فلايسألونه ولا أحد ممن مضى ماكانوا يبدأون بشيء حتى يضعوا أقدامهم من الطواف بالبيت ثم لايحلون . وقد رأيت أمي وخالتي حين تقدمان لاتبتدئان بشيء أول من البيت تطوفان به ثم لاتحلان "(٢) .

وفي حديث آخر : " فلما مسحوا الركن حلوا"(٣) .

وعن نافع عن ابن عمر رضي ا لله عنهما قال : ماتركت استلام هذين الركنين في شدة ولارخاء منذ رأيت النبي صلى ا لله عليه وسلم يستلمها(٤).

وعن عمر رضي ا لله عنه : أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال : إني

(١) هو : محمد بن عبدالرحمن بن نوفل بن الأسود من بني عبدالعزى بن قصي ، أبوالاسود القرشي عداده في صغار التابعين مات سنة بضع وثلاثين ومئة هجرية، انظر سير اعلام النبلاء ٦/١٥٠.

(٢) رواه البخاري : ٣/٥٨٠ كتاب الحج باب الطواف على وضوء .

(٣) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

(٤) رواه البخاري: ٣/٥٥٠ كتاب الحج باب الرمل في الحج والعمرة .

أعلم أنك حجر لاتضر ولاتنفع ولولا أني رأيت النبي صلى ا لله عليه وسلم يقبلك ماقبلتك(١) .

وحديث يزيد بن أبي عبيد(٢) قال : كنت آتي مع سلمة بن الأكوع فيصلى عند الأسطوانة التي عند المصحف فقلت : يا أبا مسلم أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة ، قال : فإني رأيت النبي صلى ا لله عليه وسلم يتحرى الصلاة عندها(٣) .

والأسطوانة هي السارية أو العامود ويقال إنها السارية المتوسطة في الروضة في مسجد رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم (٤) .

وأما ماكان من آثاره صلى ا لله عليه وسلم ومقاماته التي لم يكن يقصدها أي لم يكن نفس قصده العبادة في ذلك الموضع كصلاته في أسفاره في أماكن لم يقصد تعيينها وإنما وافق صلاته في هذا المكان لنزوله فيه لسبب غير قصد العبادة، أو مكثه في مكان ما فإن من وافقه من غير قصد ووافق وقت عبادته من نفس النوع فإنه لابأس بذلك لكن تتبع ذلك منهي عنه ، فقد روي عن عمر رضي ا لله عنه أنه رأى الناس يذهبون مذاهب فقال: أين يذهب هؤلاء فقيل : يا أمير المؤمنين مسجد صلى فيه النبي صلى ا لله عليه وسلم فهم يصلون فيه فقال : إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا كانوا يتبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعاً فمن أدركته الصلاة منكم في هذه المساجد فليصل ومن لافليمض ولايتعمدها(٥) .

---

(١) رواه البخاري ٥٤٠/٣ كتاب الحج باب ماذكر في الحجر الأسود .

(٢) هو يزيد بن أبي عبيد المدني من بقايا التابعين الثقات توفي سنة ١٤٧هـ (سير أعلام النبلاء ٢٠٦/٦) .

(٣) رواه البخاري /٦٨٧ كتاب الصلاة باب الصلاة إلى الأسطوانة .

(٤) فتح الباري ٦٨٨/١ .

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم ٧٥٢/٢ .

وقد ورد أن عبدا لله بن عمر رضي ا لله عنهما كان يتتبع مواضع سير النبي صلى ا لله عليه وسلم حتى رؤي أنه يصب في موضعٍ ماء فسئل عن ذلك فقال : رأيت النبي صلى ا لله عليه وسلم يصب ههنا ماء لكن فعل ابن عمر هذا لم يكن عن هوى بل هو زيادة في تكليف نفسه رضي ا لله عنه في الإتباع فهو متبع للرسول صلى ا لله عليه وسلم في كل شؤونه الواجب والمستحب والمباح هذا من ناحية ومن ناحية ثانية فإن فعل عبدا لله بن عمر رضي ا لله عنهما قد انفرد به عن جماهير الصحابة ولم ينقل عن غير ابن عمر من الصحابة بل كان أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وسائر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار يذهبون من المدينة إلى مكة حجاجاً وعماراً أو مسافرين ولم ينقل عن أحد منهم أنه تحرى الصلاة في مصليات النبي صلى ا لله عليه وسلم ومعلوم أن هذا لو كان عندهم مستحباً لكانوا إليه أسبق فإنهم أعلم بسنته وأتبع لها من غيرهم... ولم يوافقه عليه- أي عبدا لله ابن عمر- أحد من الصحابة فلم ينقل عن الخلفاء الراشدين ولاغيرهم من المهاجرين والأنصار أنه كان يتحرى قصد الأمكنة التي نزلها النبي صلى ا لله عليه وسلم .

والصواب مع جمهور الصحابة لأن متابعة النبي صلى ا لله عليه وسلم تكون بطاعة أمره وتكون في فعله بأن يفعل مثل مافعل على الوجه الذي فعله فإذا قصد العبادة في مكان كان قصد العبادة فيه متابعة له كقصد المشاعر والمساجد .

وأما إذا نزل في مكان بحكم الإتفاق لكونه صادف وقت النزول أو غير ذلك ممايعلم أنه لم يتحر ذلك المكان فإذا تحرينا ذلك المكان لم نكن متبعين له فإن الأعمال بالنيات .

فأما الأمكنة التي كان النبي صلى ا لله عليه وسلم يقصد الصلاة أو الدعاء عندها فقصد الصلاة فيها أو الدعاء سنة إقتداء برسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم واتباعاً له كما إذا تحرى الصلاة أو الدعاء في وقت من الأوقات فإن قصد الصلاة

أو الدعاء في ذلك الوقت سنة كسائر عباداته وسائر الأفعال التي فعلها على وجه التقرب (١).

ومن ذلك حديث يزيد بن أبي عبيد(٢) قال : كنت آتي مع سلمة بن الأكوع فيصلى عند الأسطوانة التي عند المصحف فقلت : يا أبامسلم أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة قال : فإني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتحرى الصلاة عندها (٣) .

والكلام هنا في ثلاث مسائل:

احداها : أن التأسي به – صلى الله عليه وسلم في صورة الفعل الذي فعله من غير أن يعلم قصده فيه أو مع عدم معرفة السبب الذي فعله من أجله فهذا فيه نزاع مشهور وابن عمر مع طائفة يقولون بأحد القولين، وغيرهم يخالفهم في ذلك، والغالب والمعروف عن المهاجرين والأنصار أنهم لم يكونوا يفعلون كفعل ابن عمر رضي الله عنهم .

ومن هذا الباب أنه لو تحرى رجل في سفره أن يصلى في مكان نزل فيه النبي صلى الله عليه وسلم وصلى فيه إذا جاء وقت الصلاة فهذا من هذا القبيل .

المسألة الثانية : أن يتحرى تلك البقعة للصلاة عندها من غير أن يكون ذلك وقتاً للصلاة بل أراد أن ينشىء الصلاة والدعاء لأجل البقعة فهذا لم ينقل عن ابن عمر ولاغيره وإن ادعى بعض الناس أن ابن عمر فعله فقد ثبت عن أبيه عمر أنه نهى عن ذلك وتواتر عن المهاجرين والأنصار: أنهم لم يكونوا يفعلون ذلك فيمتنع أن يكون فعل ابن عمر – لوفعل ذلك حجة على أبيه وعلى المهاجرين والأنصار.

والمسألة الثالثة : أن لاتكون البقعة في طريقه بل يعدل عن طريقه إليها أو يسافر إليها سفراً قصيراً أو طويلاً مثل من يذهب إلى حراء ليصلى فيه ويدعو ...

---

(١) انظر المصدر السابق ، ٧٥٣/٢، ٧٥٥ .

(٢) يزيد بن أبي عبيد أبوخالد الأسلمي مولى سلمة بن الأكوع – رضي الله عنه – ثقة مات سنة ست أو سبع وأربعين ومئة روى له الجماعة ، انظر : تهذيب الكمال ٣٥٤/٢٠.

(٣) رواه البخاري: ٦٨٧/١ .

فهذا مما يعلم كل من كان عالماً بحال رسول الله صلى الله عليه وسلم وحال أصحابه من بعده أنهم لم يكونوا يقصدون شيئاً من هذه الأمكنة(١) .

أما الأماكن والمقامات والمشاهد قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فإن ماكان منها قد قصده بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم فهذه يقتدى به فيها كتقبيله صلى الله عليه وسلم الحجر وكطوافه بالبيت .

وأما ماكان منها أنه قد تركه كغار حراء ونحوه فإنه يترك بل أن التعبد عنده أو قصده وطلب القربة في ذلك يكون ابتداعاً وافتياتاً عليه صلى الله عليه وسلم فالرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ثم بعده خلفاؤه الراشدين وغيرهم من السابقين الأولين لم يكونوا يسيرون إلى غار حراء ونحوه للصلاة فيه والدعاء ، ولاشرع صلى الله عليه وسلم لأمته زيارة موضع المولد، ومعلوم أنه لوكان هذا مشروعاً مستحباً يثيب الله عليه لكان النبي صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بذلك، ولكان يعلم أصحابه ذلك، وكان أصحابه أعلم بذلك وأرغب فيه ممن بعدهم، فلما هم لم يكونوا يلتفتون إلى شيء من ذلك علم أنه من البدع المحدثة التي لم يكونوا يعدونها عبادة وقربة وطاعة، فمن جعلها عبادة وقربة وطاعة فقد اتبع غير سبيلهم وشرع من الدين مالم يأذن الله(٢) .

أما قبره عليه الصلاة والسلام فإنه قد حذر أمته أن يتخذوا قبره عيداً خشية أن يؤدي هذا إلى الشرك وقد مرت كثير من الأحاديث في ذلك في الفصل السابق، وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم مشروعة لكن لايجوز شد الرحال لها فمن كان بالمدينة ساكنا أو زار المسجد النبوى فإن زيارته لقبره عليه الصلاة والسلام سنة كزيارة قبور المسلمين تماماً وليست واجبة كما يتوهم بعض الناس(٣) .

---

(١) اقتضاء المستقيم ٢/٨٠٣-٨٠٥ .

(٢) المصدر السابق ٢/٨٠٧ .

(٣) لزيادة المعرفة في ذلك يرجع إلى رسالة : كشف الستر عما ورد في السفر إلى القبر لحماد الانصارى والرد على الاخنائى لابن تيمية والصارم المنكي في الرد على السبكي لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي .

والمقصود بزيارة القبر إنما هو تذكر الآخرة أو للسلام على من في القبر والدعاء له (١) .

" ولم يكن أحد من السلف يأتي إلى قبر نبي أو غير نبي لأجل الدعاء عنده ، ولا كان الصحابة يقصدون الدعاء عند قبر النبي صلى ا لله عليه وسلم ، ولاعند قبر غيره من الأنبياء ، وإنما كانوا يصلون ويسلمون على النبي صلى ا لله عليه وسلم وعلى صاحبيه ، واتفق الأئمة على أنه إذا دعا بمسجد النبي صلى ا لله عليه وعلى آله وسلم لايستقبل قبره ... ليس في أئمة المسلمين من استحب للمرء ان يستقبل قبر النبي صلى ا لله عليه وسلم ويدعو عنده"(٢) .

المبحث الثاني : موقف السلف من: آثار ومشاهد الأنبياء والصالحين .

وهي نوعان :

أ- نوع جاء الشرع بالتعبد عنده مثل مقام إبراهيم عليه السلام ولكن لايقاس عليها غيرها وهو مامر من الأماكن التى ورد فيها الدليل إما من القرآن أو ماثبت من سنته صلى ا لله عليه وسلم فالسلف رضوان ا لله عليهم له بالأثر كما تبين.

ب - نوع لم يأت الشرع بتعظيم شيء منها وهي لاتقاس على النوع الأول بحكم أنها كلها مقامات أنبياء " فإن قيل فقد أمر ا لله أن نتخذ من مقام إبراهيم مصلى فيقاس عليه غيره قيل له : هذا الحكم خاص بمقام إبراهيم الذي بمكة سواء أريد به المقام عند الكعبة موضع قيام إبراهيم أو أريد به المشاعر : عرفة ومزدلفة ومنى، فلانزاع بين المسلمين أن المشاعر خصت من العبادات بمالايشركها فيه سائر البقاع كما خص البيت بالطواف، فما خصت به تلك البقاع لايقاس به غيرها ومالم يشرع فيها فأولى أن لايشرع في غيرها"(٣) .

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٦٧٠.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٧٦٢،٧٦٣.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٨٠٩-٨١٠.

ومن تلك الآثار والمشاهد :

١- الصخرة التي في بيت المقدس : وهي قبلة اليهود وكانت قبلة للمسلمين ثم نسخت فلم يبق في شريعتنا مايوجب تخصيصها بحكم(١) .

وعمر بن الخطاب رضى الله عنه لما دخل بيت المقدس قال لكعب الأحبار(٢): أين ترى أن أبني مصلى المسلمين فقال : ابنه خلف الصخرة قال : يا ابن اليهودية خالطتك يهودية - أو كما قال - بل أبنيه في صدرالمسجد فإن لنا صدور المساجد فبنى مصلى المسلمين في قبلي المسجد وقد وجد عمر بن الخطاب على الصخرة زبالة عظيمة جداً كانت النصارى قد ألقتها عليها معاندة لليهود الذين يعظمون الصخرة ويصلون إليها فأخذ عمر في ثوبه منها واتبعه المسلمون في ذلك (٣) .

وربما نظف عمر رضى الله عنه تلك الزبالة التي على الصخرة لأن الزبالة ممتدة وهو يريد بناء المسجد فأزال الزبالة عن موضع المسجد وعن ماحوله فشمل الصخرة وقد لايمكن تنظيف مكان المسجد إلا بإزالة ماعلى الصخرة من زبالة.

ولم يصل عمر ولاالمسلمون عند الصخرة ولاتمسحوا بها ولاقبلوها .

وقد ثبت أن عبدا لله بن عمر رضي الله عنهما كان إذا أتى بيت المقدس دخل إليه وصلى فيه ولايقرب الصخرة ولايأتيها ولايقرب شيئاً من تلك البقاع وكذلك نقل عن غير واحد من السلف المعتبرين كعمر بن عبدالعزيز(٤)

---

(١) انظر المصدر السابق ٢/٨٢٠ .

(٢) هو : كعب بن مانع الحميري اليماني كان يهودياً فأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقدم المدينة أيام عمر رضي الله عنه ، توفي بحمص ذاهباً للغزو في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه انظر : سير أعلام النبلاء ٣/٤٨٩-٤٩١.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٨١٧.

(٤) هو عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم من بني أمية أمير المؤمنين أشج بني أمية من التابعين أمه هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ولد سنة ٦٣هـ وكان إمام عدل رحمه الله مات سنة ١٠١هـ . انظر سير أعلام النبلاء ٥/١١٤-١٤٨.

والأوزاعي(١) وسفيان الثورى(٢) وغيرهم .

وكانت الصخرة مكشوفة ولم يكن أحد من الصحابة لاولاتهم ولاعلماؤهم يخصها بعبادة وكانت مكشوفة في خلافة عمر وعثمان رضي الله عنهما مع حكمهما على الشام.

ثم كذلك في إمارة معاوية وابنه وابن ابنه فلما كان في زمن عبدالملك بن مروان (٣) وجرى بينه وبين ابن الزبير(٤) من الفتنة ماجرى كان هو الذي بنى القبة على الصخرة وقد قيل : إن الناس كانوا يقصدون الحج فيجتمعون بابن الزبير أو يقصدونه بحجة الحج، فعظم عبدالملك شأن الصخرة بما بناه عليها من القبة وجعل عليها من الكسوة في الشتاء والصيف ليكثر قصد الناس لبيت المقدس فيشتغلوا بذلك عن قصد ابن الزبير والناس على دين الملك وظهر في ذلك الوقت من تعظيم الصخرة وبيت المقدس مالم يكن المسلمون يعرفونه بمثل هذا.

وجاء له بعض الناس ينقل الإسرائيليات في تعظيمها حتى روى بعضهم عن كعب الاحبار عند عبدالملك بن مروان وعروة بن الزبير(٥) حاضر:(إن الله

(١) هو : عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد عالم أهل الشام أبو عمر الأوزاعي مولده في حياة الصحابة ولد سنة ٨٨هـ كان كثير العلم والحديث والفقة حجة توفي سنة ١٥٧هـ . انظر سير أعلام النبلاء ١٠٧/٧-١٠٩.

(٢) هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب من بني ثور من بني مضر بن نزار بن معد بن عدنان إمام حافظ ولد سنة ٩٧هـ وهو من صغار التابعين سمي أمير المؤمنين في الحديث مات سنة ١٢٦هـ . انظر سير أعلام النبلاء ٢٢٩/٧-٢٣٦.

(٣) هو عبدالملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الخليفة الأموي ولد سنة ٢٦هـ تملك بعد أبيه توفي في شوال سنة ٨٦هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٢٤٦/٤-٢٤٩.

(٤) هو عبدالله بن الزبير بن العوام بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب ، أول مولود للمهاجرين بالمدينة ولد سنة ٢هـ وقيل سنة ١هـ وله صحبة عدادة في صغار الصحابة، حكم الحجاز واليمن ومصر والعراق وخراسان وبعض الشام ، قتل في جمادى الآخرة سنة ٧٣هـ ، انظر سير أعلام النبلاء ٣٦٣/٣-٣٧٩.

(٥) هو عروة بن الزبير بن العوام قيل ولد سنة ٢٣هـ وقيل بعد ذلك أحد الفقهاء السبعة قيل انه توفي سنة ٩٣هـ وقيل ٩٤هـ وقيل غير ذلك ، انظر سير اعلام النبلاء ٤/ ٤٢١-٤٣٤.

قال للصخرة أنت عرشي الأدنى) فقال عروة (يقول ا لله تعالى : (وسع كرسيه السموات والأرض)(١) وأنت تقول : أن الصخرة عرشه .

ولاريب أن الخلفاء الراشدين لم يبنوا هذه القبة ولاكان الصحابة يعظمون الصخرة ولم يكونوا يتحرون الصلاة عندها حتى ابن عمر رضي ا لله عنهما مع كونه كان يأتي من الحجاز إلى المسجد الأقصى كان لايأتي الصخرة .

وقد قدم المسلمون إلى الشام غير مرة مع عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه واستوطن الشام خلائق من الصحابة وليس فيهم من فعل شيئاً من هذا . ..

ومعلوم أن أصحاب رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم من السابقين الأولين والتابعين لهم بإحسان قد فتحوا البلاد بعد موت النبي صلى ا لله عليه وسلم وسكنوا بالشام والعراق ومصر وغير هذه الأمصار وهم كانوا أعلم بالدين وأتبع له ممن بعدهم فليس لأحد أن يخالفهم فيما كانوا عليه .

فما كان من هذه البقاع لم يعظموه أو لم يقصدوا تخصيصه بصلاة أو دعاء أو نحو ذلك – لم يكن لنا أن نخالفهم في ذلك وإن كان بعض من جاء بعدهم من أهل الفضل والدين فعل ذلك لأن اتباع سبيلهم أولى من اتباع سبيل من خالف سبيلهم.

وبيت لحم كنيسة من كنائس النصارى ليس في إتيانها فضيلة عند المسلمين سواء كان مولد عيسى أو لم يكن، بل قبر إبراهيم الخليل : لم يكن فى الصحابة ولاالتابعين لهم بإحسان من يأتيه للصلاة عنده ولاالدعاء ولاكانوا يقصدونه للزيارة ولايعرف على وجه الصحة قبر نبي إلا قبر رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم .

وأصل دين المسلمين أنه لاتختص بقعة بقصد العبادة فيها إلا المساجد خاصة– والمشاعر .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٤.

وماعليه المشركون مـن تعظيـم بقـاع للعبـادة غـير المسـاجد كمـا كـانوا في الجاهلية يعظمون جبل حراء -بمكة- ونحـوه مـن البقـاع - فهـو مما جـاء الإسـلام بمحوه وإزالته ونسخه ٠٠٠وأما العكوف والمجاورة عند شـجرة أو حجـر تمثـال أو غير تمثال أو العكوف والمجاورة عند قبر نـبي أو غـير نـبي أو مقـام نـبي أو غـير نـبي فليس هذا من دين المسلمين بل هو من جنس دين المشركين الذين أخبر ا لله عنهـم بما ذكره في كتابه حيث قال : ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين. إذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل التي أنتم لها عـاكفون . قـالوا وجدنـا آباءنـا لهـا عابدين . قال لقد كنتم أنتم وأباؤكم في ضلال مبين . قالوا أجئتنـا بـالحق أم أنـت من اللاعبين . قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكـم من الشاهدين. وتا لله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جـذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون﴾(١) . الآيات (٢).

وأيضاً الزبير بن العوام رضي ا لله عنه رأى قومـاً يمسـحون المقـام فقـال : لم تؤمروا بهذا إنما أمرتم بالصلاة عنده(٣) فحتى آثار الأنبياء التي ورد في الشـرع التعبد عندها إنما هي على صفة مخصوصة فلايزاد عليها .

٢- الطور

عن أبي هريرة - رضي ا لله عنه - أنه قال : خرجت إلى الطور .. الحديث وفيه : قال أبوهريرة فلقيت بصرة بن أبي بصرة الغفاري فقـال :مـن أيـن أقبلـت ؟ فقلت : من الطور ، فقال لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ماخرجت، سمعـت رسـول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يقول: " لاتعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد

---

(١) سورة الأنبياء الآيات ٥١-٥٨.

(٢) انظر اقضاء الصراط المستقيم ٢/٨١٨-٨٢٧.

(٣) مجموعة التوحيد ١/٤٤٣.

الحرام وإلى مسجدي هذا وإلى مسجد إلياء أو بيت المقدس يشك"(١) .

" فقد فهم الصحابي - رضي الله عنه - الذي روى الحديث أن الطور وأمثاله من مقامات الأنبياء مندرجة في العموم(٢) وأنه لايجوز السفر إليها كما لايجوز السفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة .

وأيضاً فإذا كان السفر إلى بيت من بيوت الله - غير الثلاثة - لايجوز مع أن قصده لأهل مصره يجب تارة ويستحب أخرى وقد جاء في قصد المساجد من الفضل مالايحصى - فالسفر إلى بيوت عبادة أولى أن لايجوز"(٣) .

٣- قبر دانيال .

عن أبي خلدة خالد بن دينار(٤)حدثنا أبوالعالية(٥) قال: لما فتحنا تستر(٦) . وجدنا في بيت مال الهرمزان(٧) سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف له

---

(١) رواه مالك موطأ الامام مالك ، رواية يحيى بن يحيى الليثي اعداد : أحمد راتب عرموش ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة التاسعة ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م ، كتاب الصلاة ، باب ماجاء في الساعة التي في يوم الجمعة ص ٨٢.

(٢) اي عموم النهي عن شد الرحال في الحديث .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٦٧١/٢ .

(٤) هو : خالد بن دينار التميمي السعدي أبوخلدة ، انظر : تقريب التهذيب ٢١٣/١ترجمة رقم ٢٦.

(٥) هو : رفيع بن مهران أبوالعالية الرياحي البصري أحد الأعلام كان مولى لامرأة من بني رياح بن يربوع ثم من بني تميم أسلم في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ودخل عليه ، مات في شوال سنة ٩٠هـ وقال آخرون ٩٣هـ انظر : سير أعلام النبلاء ٢٠٧/٤-٢١٣.

(٦) بلدة باقليم خوزستان . معجم البلدان ، ياقوت بن عبدالله الحموي (ت٦٢٦)، تحقيق : فريد عبدالعزيز الجندي ، دار المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى /١٤١٠هـ -١٩٩٠م ،٣٤/٢.

(٧) الهرمزان أحد قادة الفرس الكبار الذين واجهوا جيوش الفتح الإسلامي الأول اسره المسلمون عند فتح تستر وارسلوه إلى المدينة في خلافة عمر رضي الله عنه وأعلن اسلامه أمامه انظر : البداية والنهاية لابن كثير مكتبة المعارف بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ -١٩٧٤م ٨٥/٧-٨٨.

فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر رضي ا لله عنه فدعا كعب فنسخه بالعربية فأنا أول رجل من العرب قرأه قراءة مثل ما أقرأ القرآن هذا فقلت لأبي العالية ماكان فيه ؟ قال : " سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم وماهو كائن بعد قلت فما صنعتم بالرجل ؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس لاينبشونه" فقلت : ومايرجون منه ؟ قال : كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون فقلت : من كنتم تظنون الرجل؟ قال : رجل يقال له دانيال فقلت : منذ كم وجدتموه مات ؟ قال : منذ ثلثمائة سنة قلت: ماكان تغير منه شيء ؟ قال : لا إلا شعيرات من قفاه ، إن لحوم الأنبياء لاتبليها الأرض ولاتأكلها السباع (١) .

فقد أخفى سلفنا قبر ذلك النبي عليه السلام حتى لايعرف قبره فيقصدة الناس ممايؤدي بهم إلى الشرك .

المبحث الثالث : موقف السلف من آثار ومشاهد الأمم البائدة والمعذبة.

المعروف أن الصحابة الكرام رضي ا لله عنهم وكذلك التابعين لهم بإحسان يمتثلون أوامر ا لله وينزجورن بزواجره .

وأنهم يصدقون رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم ويتبعونه ويقتدون به ولا يفتاتون عليه فهم لأمره مطيعون وعند الذي نهاهم عنه منتهون وقد ورد أن عبدا لله بن عمر رضى ا لله عنهما يقول : قال رسول صلى ا لله عليه وسلم لأصحاب الحجر(٢) لاتدخلوا على هؤلاء القوم المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلاتدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ماأصابهم(٣) فلم يكونوا رضي ا لله عنهم ليخالفوا أمره بل قد ورد عنهم مايثبت تمسكهم بذلك التوجيه في ذلك

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٦٨٦/٢.

(١) أي " في شأنهم " شرح صحيح مسلم ٣٢١/١٨ .

(٢) رواه مسلم: ١٨/ ٣٢١ وراه البخاري بنحوه ٦٣١/١ .

الأمر وأمثاله فقد ورد أنه لما قدم عمر الشام صنع له رجل من النصارى طعاماً وكان من عظمائهم وقال : أحب أن تجيئني وتكرمني فقال له عمر : إنا لاندخل كنائسكم من أجل الصور التي فيها . يعنى التماثيل(١) .

وعن أبي سعيد الخدري قال : " رأيت رجلاً جاء بخاتم وجده بالحجر في بيوت المعذبين فأعرض عنه النبي صلى ا الله عليه وسلم واستتر بيده أن ينظر إليه وقال : ألقه فألقاه" (٢) .

وهذا على بن أبي طالب رضي ا الله عنه قد قال لأبي الهياج الأسدي ألا أبعثك على مابعثني عليه رسول صلى ا الله عليه وسلم : أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولاقبراً مشرفاً إلا سويته"(٣) .

فحصر العمل بالنسبة للتمثال الطمس وبالنسبة للقبر: التسوية أي تمثال وأي قبر وهو رضي ا الله عنه يبلغ من بعده بذلك وهو الذي يجب علينا فعله .

فأي تمثال حقه منا الطمس وأي قبر مشرف حقه التسوية وهل المشاهد والأضرحة إلا قبور مشرفة وكذلك الأهرامات ماهي إلا قبور مشرفة وهل جزء كبير من الآثار إلا تماثيل إما لآدمين أو لحيوانات أو لطيور .

وعن عبدا الله بن أبي المحل(٤) قال:كنا مع علي – رضي ا الله عنه – فمررنا على الخسف الذي ببابل فلم يصل حتى أجازه .

---

(١) انظر فتح البخاري شرح صحيح البخاري ١/ ٦٣٣ .

(٢) فتح الباري ١/ ٦٣٢ واسناده ضعيف ، أورده ابن حجر .

(٣) رواه مسلم : شرح صحيح مسلم ٧/٤٠.

(٤) هو : عبدا الله بن أبي المحل العامري روى عن علي بن أبي طالب رضي ا الله عنه تابعي ثقة ، انظر تهذيب التهذيب، أحمد بن حجر العسقلاني، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩١م .

ومن طريق أخرى عن علي قال : " ماكنت لأصلي في أرض خسف الله بها، ثلاث مرار" أي كرر الكلام ثلاث مرات لأنه خسف بها ثلاث مرات(١).

وهذا النقل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بتصرفه بخسف بابل ماهو إلا تطبيق متكامل لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم في أرض تعتبر أثرية فهو الخروج منها وعدم المكث فيها بل وعدم الدخول ما أمكن إلا أن تكون طريقاً له فيمر مسرعاً كما فعل عليه الصلاة والسلام وقد ورد في فصل سابق .

" فأما أماكن الكفر والمعاصي التي لم يكن فيها عذاب إذا جعلت مكاناً للإيمان أو الطاعة فهذا حسن كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أهل الطائف أن يجعلوا المسجد مكان طواغيتهم .

وأمر أهل اليمامة : أن يتخذوا المسجد مكان بيعة كانت عندهم وقد ورد ذكر ذلك في سنن النسائي حيث قال : عن طلق بن على قال : " خرجنا وفداً إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم فبايعناه وصلينا معه وأخبرناه أن بأرضنا بيعة لنا واستوهبناه فضل طهوره فدعا بماء فتوضأ وتمضمض ثم صبه لنا في إداوة وأمرنا قال : " اخرجوا فإذا أتيتم أرضكم فاكسروا بيعتكم وانضحوا مكانها بهذا الماء واتخذوها مسجداً " فقلنا له : إن البلد بعيد والحر شديد والماء ينشف . قال : " مدوه من الماء فإنه لايزيده إلا طيباً ...الحديث "(٢)

وكان مسجده صلى الله عليه وسلم مقبرة فجعله مسجداً بعد نبش القبور"(٣).

---

(١) أورده ابن حجر في فتح الباري ٦٣١/١ والروايتان لهذين الأثرين رواهما ابن أبي شيبة في مصنفه : المصنف في الأحاديث والآثار ، ، عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العيسي ، تحقيق سعيد محمد اللحام ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م ، ٢٧٠/٢-٢٧١ كتاب الصلاة ، في الصلاة في الموضع الذي خسف به .

(٢) سنن النسائي (المجتبى) ، لأحمد بن شعيب بن علي النسائي ، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان، كتاب المساجد باب اتخاذ البيع مساجد ٣٨/٢ .

(٣) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ٢٣٧/١-٢٣٨.

الباب الثالث

الدعوة إلى تعظيم الآثار والمشاهد في العصر الحاضر وأثرها على الأمة الإسلامية

ويتكون من فصلين

الفصل الأول : الدعوة إلى ذلك التعظيم .

الفصل الثاني : أثر تلك الدعوة على الأمة الإسلامية

الفصل الأول

الدعوة إلى تعظيم الآثار والمشاهد ، وفيه مبحثان:

المبحث الأول : نشأة علم الآثار .

المبحث الثاني : الوسائل المستخدمة لتعظيم الآثار .

المبحث الأول: نشأة علم الآثار

التنقيب عن الكنوز والأشياء الثمينة من الظواهر الشائعة في جميع العصور إذ جرت عادة كثير من الأثرياء أن يدفن ثروته في باطن الأرض أو في الجدار أو في الآبار أو الكهوف ونحو ذلك.

وقد ورد إشارة لذلك(١) في كتاب ا لله عز وجل فقال تعالى :

﴿ وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما﴾(٢) .

وأيضا يدفن مع بعض الموتى بعض الأموال بسبب بعض الإعتقادات فكان يجرى البحث والتنقيب عن الثروات المختفية بعد وفاة أصحابها أو غيابهم(٣)

وقد نشأ علم الآثار نشأة تدريجية بطيئة متنوعه ، أول ما نشأ كان مجرد كشوف وتعرف على أحوال العراق وبلدان الشرق العربي والشرق الأدنى عن طريق السياح والرحالة للبلاد الشرقية [وهي بلاد المسلمين] منذ القرن الثاني عشر الميلادي تقريباً.

ولعل أقدم الرحالة السائح اليهودي بنيامين التطيلى (١١٦٠م). وقد جاء من الأندلس وزار فلسطين وانتهى به المطاف إلى العراق وتكلم عن أحوال اليهود في العراق.

كما وصف ما شاهده من بقايا الأطلال المشهورة في المدن القديمة مثل بابل ووصف الأطلال التى سماها قصر نبوخذ نصر وأكد أنه شاهد برج بابل وهذا مستقى من نتف أخبار متفرقة بعضها ورد في التوراة.

ثم ترجمت رحلته إلى الفرنسية والإنجليزية وأثارت إهتمام الأوربيين وتعاقب بعده

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٩٨/٣.

(٢) سورة الكهف، آية ٨٢.

(٣) انظر مدخل الى الحضارة الإسلامية، حسن الباشا، ص ١٠.

رحالة منهم طبيب ألماني (رادولف) في القرن السادس عشر.

ثم في أول القرن السابع عشر السائح الإيطالى بتروديلافالة ومكث من عام ١٦١٦م الى ١٦٢٥م ومن بين مازار بقايا المدن القديمة المشهورة مثل بابل وأور واصطخر العاصمة الفارسية القديمة وأخذ منها نماذج من الكتابات المسمارية كما أخذ معه آجراً مختوماً بهذه الكتابة من بابل وأور(١).

و " بدأت أعمال التنقيب عن الآثار في هذه المنطقة من إيطاليا في موقع المدينة هركولانيوم القديمة عام ١٧٣٨م بناء على أوامر من ملكة نابولي بحثا عن تماثيل لتزين بها قصرها بعد أن أخبرت بأن التمثال الذي قدم لها من هذا الموقع، فشاءت بذلك المزيد، ونتيجة لهذه الحفائر التى أجريت وقتئذ عثر على نقش يشير إلى أن شخصا يدعى روفوس أنشأ المسرح القديم لمدينة هركولانيوم، ومن ثم بدأ عهد جديد في أعمال التنقيب المنظم في موقع المدينتين بحثا عن آثارهما.

وإن كان الإهتمام قد تركز على مدينة بومبي(٢)المجاورة لاتساع رقعتها ولما جاء في كتابة الكتاب القدامى وخاصة بلينى العجوز عن حياة البذخ والترف التى عاشتها المدينة قبل أن يغطيها هي وهركولانيوم والمنطقة المجاورة بركان فيزوف بحممه في ثورته في عام ٧٩م .هذا وإن طبقة الحمم التى تغطي هركولانيوم سميكة جداً وصلبة مما يجعل عمليات الحفر والتنقيب فيها باهظة التكاليف ولكن مع ذلك كشف حتى اليوم عن أجزاء كثيرة من المدينتين بما فيهما من شوارع وأسوار ومبان عامة وخاصة ومقابر وغيرها من اللقى الأثرية والأدوات التى كان يستعملها الناس عندما حلت بهم الكارثة.

ثم يقول :وبفضل الكشف عن هاتين المدينتين بدأ العمل المنتظم في الكشف عن

---

(١) انظر: طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار ، طه باقر ود. عبد العزيز حميد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمى، العراق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ، ص ١٣٩-١٤١.

(٢) هذه في إيطاليا غير مدينة بومبي التى في الهند.

آثار الحضارات الأخرى القديمة في اليونان وإيطاليا ومصر وبلاد مابين النهرين وفلسطين وسوريا وآسيا الصغرى وغيرها من الأقطار"(١) .

" ونشطت حركة الرحالة والسياح في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر حيث زاد الطلب والرغبة الأوربية في الوقوف على أخبار الماضي واستكشاف المجهول في الأقاليم"(٢) .

" واهتمت الأكاديميات والمؤسسات العلمية الأوربية في إرسال البعثات إلى أنحاء الشرق نذكر من أولها وأشهرها البعثة الإستطلاعية التي أرسلها ملك الدانيمرك في عامي ١٧٦١و ١٧٦٧م برئاسة الباحث الرياضي " كارستين نيبور (Karsten nibvhr)" وقد تميزت هذه البعثة بالدقة العلمية في وصف البقايا الأثرية مثل بقايا مدينة " نينوى " وبابل حيث رسمت لهما المخططات واستنسخت نماذج من الخط المسماري ولا سيما من مدينة برسيبوليس – اصطخر – فوضعت بذلك في أيدي الباحثين الأوربيين مادة أصيلة ومهمة مما مهد للباحثين منذ منتصف القرن التاسع عشر حل رموز الخط المسمارى الذي كان مفتاح معرفتنا بحضارة وادي الرافدين، كما صار حل رموز الخط الهيروغليفي مفتاحاً للوقوف على حضارة وادي النيل، وتقدمت مراحل الكشف عن ماضي الحضارات القديمة التى ازدهرت في الوطن العربي ولا سيما العراق خطوات أخرى حينما صار المهتمون بها يقيمون في العراق فترات زمنية أطول مدفوعين في ذلك بالأغراض السياسية والتجارية مثل وكلاء الشركات الأجنبية والمقيمين الممثلين للدول الغربية(٣).

ونشطت حركة استنساخ الكتابات المسماريه وجمع الآثار .

وقد أجرى بعضهم التنقيبات مثل المبعوث البابوي " بوشام"

---

(١) الرائد في التنقيب عن الآثار. د. فوزي عبد الرحمن الفخراني منشورات جامعة قار يونس بنغازي ، الطبعة الثانية ١٩٩٣م. ص ١٢٠.

(٢) المصدر السابق بتصرف ص ١٤١.

(٣) المقصود بهم القناصلة الدبلوماسيين والملحقين التجاريين ونحو ذلك.

(Beauchamp) الذي مكث في بغداد من عـام ١٧٨٥م – ١٧٩٠م ونقـب في بابل وهو الذي أزاح الأنقاض المتراكمة عن أسد بابل الشهير كما كشف عن بعض أجزاء بوابة " عشتار " ونشر نتائج تحرياته في " مجلة العلماء الفرنسيين"(١).

" على أن كل تلك التحريات التى نوهنا بها في أواخر القـرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر لم تكن في واقع الأمر سوى حفر مشوش أو نبش ولم يبدأ الحفر الواسع أو التنقيبات إلا حين قارب القرن التاسع(٢) من الإنتصاف ولكنها كانت في مراحلها الأولى بعيـدة عن الأساليب العلمية المتبعة في علم الآثار في مراحل تطوره التالية فكان همّ المنقبين الأوائل الذين يصح أن نطلق عليهم المنقبين الهواة (١٨٤٢ – ١٨٩٩م) منصباً على استخراج الآثار الكبـيرة كالمنحوتات الحجرية الآشورية ولم يعتنوا بتسجيل مايعرف في علم الآثار بالطبقات الأثرية التاريخية كما أهملوا الآثار الصغيرة مثل ألواح الطين المسمارية ولم يلتفتوا إلى أخذ مخططات المباني ولم يكونوا على دراية في تتبع الجدران المشيدة من اللبن (الآجر المجفف بالشمس) وتمييزها عن الأنقاض الترابية فأزالوا معالم كثير من الأبنية المهمة كالمعابد والقصور وغيرها كما أن مجموعات من الآثار المهمة فقدت وتلفت بسبب إهمال تغليفها ووسائل النقل.

وخلاصة القول : كان هم أولئك المنقبين الهواة محصـوراً بالدرجة الأولى في استخراج التماثيل والألواح الحجرية الكبيرة المنحوته ونقلها إلى متاحف أوربـة وفي مقدمتها المتحف البريطاني ومتحف اللوفر بباريس"(٣) .

" ولما أوشك القرن التاسع عشر على الإنتهاء بدأ ما يصح أن نسميه بطـور التنقيبات الأثرية العلمية، كما يصح أن نجعل فاتحة هذا الطور في التنقيبات الألمانية في بابل (١٨٩٩–١٩١٧م)"(٤).

---

(١) طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار ص ١٤١ – ١٤٢.
(٢) المقصود التاسع عشر.
(٣) المصدر السابق ص ١٤٢ – ١٤٣.
(٤) المصدر السابق ص ١٤٣.

لكن الواقع أن الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون بونابرت أسبق وهي تضم لجنة علمية كما يسمونها تشمل مهندسين وعلماء آثار وذلك سنة ١٧٩٨م وبدأت أعمالها مباشرة فور دخولها مصر(١) .

" ويمكن إيجاز أهم المميزات التى يتميز بها هذا الطور من التنقيبات الأثرية العلمية بأن التنقيبات في هذا الطور لم يقتصر حالها كما في المراحل السابقة من التنقيبات على مجرد استخراج الآثار المختفية بل شمل تسجيل الآثار في سجلات دقيقة موسمية يرسم فيها الأثر مع رقمه وتاريخ اكتشافه ونوعه ومادته وقياسه والطبقة الأثرية التى عثر عليها منها وازداد تنوع اختصاص أفراد البعثة الأثرية في السنوات القليلة الماضية فصار يشمل الجيولوجي والانثروبولوجي(لدرس الهياكل العظمية) والمختص بدراسة عظام الحيوانات القديمة.

ثم تنظم علم الآثار وأخذ يعتمد على علوم أخرى ويستفيد منها كالكيمياء والفيزياء وعلم الجولوجيا.

ثم تكونت في بلدان العالم الإسلامي مصالح للآثار يتولاها أبناؤها وتستعين تلك المصالح بالأجانب.

ونظمت العلاقة بين مصالح الآثار في العالم الإسلامي وبين البعثات الأجنبية الآثارية وأصبحت الآثار المستخرجه من حق بلدانها لكن الأجنبي غالبا ما يحصل على حق النشر العلمي للآثار وهذا يعنى أن له تفسيرها وتحليلها وقراءة حروفها وترجمتها واستخلاص مدلولاتها ومعانيها التاريخية والعقدية والأخلاقية والتعبدية والإستفادة أولا من تجاربها العلمية إن وجد شئ من ذلك(٢)

وكانت أعمال الحفر والتنقيب عن الآثار في بداية أمرها قاصرة على إيطاليا واليونان ثم انتشر هذا البحث والتنقيب عن الآثار في مختلف الأقطار(٣) .

---

(١) انظر : واقعنا المعاصر ، محمد قطب، مؤسسة المدينة للصحافة، جدة، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م ص ١٩٨ وما بعدها.

(٢) انظر : طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار ص ١٤٣ - ١٤٧.

(٣) الرائد في التنقيب عن الآثار ص ٢٥.

أسباب الإهتمام بالآثار في العالم الإسلامي:

قبل الكلام عن الأسباب يحسن أن يكون هناك تصور لحال المسلمين الذين وقع عليهم البلاء وحال الأوربيين أصحاب فكرة الآثار وتنقيبها من وجهة نظر الأوربيين فالكاتب إبراهيم خليل أحمد كان نصرانيا وقسيساً وأستاذاً للعقائد واللاهوت والإسلام بكلية اللاهوت بأسيوط بمصر وزميل للمرسلين الأمريكيين والسويسريين والألمانيين والأنجليز ...

له كتاب ألفه بعد إسلامه اسمه الإستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية نشر مكتبة الوعي العربي بمصر سنة ١٣٩٣هـ وكتابه يعتبر من واقع خبرة وتجربة ومعرفة وقد ذكر في هذا الكتاب وثيقة تعرف بتقرير " كامبل بانرمان فيقول ": "ففي سنة ١٩٠٧ كان حزب الأحرار هو الحزب الحاكم وكانت الإمبراطورية البريطانية قد بدأ يساورها القلق بشأن مصيرها.

ويبدو أن رئيس الوزراء آنذاك كامبل بانرمان كان ممن يهتمون بالدراسات التاريخية. وكان حريصاً بطبيعة الحال على أن يمد في عمر الأمبراطورية فألف لجنة من كبار العلماء وأساتذة الجامعات البريطانيين والفرنسيين في فروع العلم المختلفة وطلب منهم أن يبحثوا الوسائل التي تستطيع أن تبقي الإستعمار البريطاني أو تؤخر نهايته.

وقامت اللجنة بدراسات تاريخية واسعة وانتهت من دراستها إلى تصور عام لمستقبل الإستعمار الأوربي وقد استعرض التقرير المستعمرات الأوربية المختلفة ولم ير في استقلالها في المستقبل عندما يتحقق خطراً مباشراً على أوربا ولكن التقرير حدد منابع الخطر في البحر الأبيض المتوسط.

فعلى طول ساحله الجنوبي من الرباط إلى الأسكندرية وعلى الساحل الشرقي بين مرسين واطنه وعلى الجسر البري الضيق الذي يصل آسيا بإفريقيا وتمر فيه قناة السويس شريان حياة أوربا وعلى جانبي البحر الأحمر وعلى طول ساحل

المحيط الهادي وبحرالعرب حتى خليج البصرة حيث الطريق إلى الهند والأمبراطوريات الإستعمارية في الشرق.

في هذه المنطقة الحساسة يعيش شعب واحد (الشعب العربي) تتوفر له من الوحدة التاريخية والدينية ، ووحدة لسانه وآماله كل مقومات التجمع والترابط والإتحاد وتتوفر له في نزعاته التحرريه وفي ثرواته الطبيعية ومن كثرة تناسله كل أسباب القوة والتحرر والنهوض. ويبلغ مقداره الآن ٣٥ مليون نسمة (سنة ١٩٠٧) ويمكن أن يرتفع في مدى قرن واحد إلى مائة مليون نسمة.

ثم يتساءل التقرير : ماذا لو دخلت الوسائل الفنية الحديثة ومكتشفات الثورة الصناعية الأوروبية إلى هذه المنطقة؟

وماذا لو انتشر التعليم في أوساط هذا الشعب؟

ويجيب التقرير : عند ذلك ستحل الضربة القاضية حتما بالامبراطوريات كما حلت بالإغريق والرومان من قبل . إن الخطر على كيان الإمبراطوريات الإستعمارية كامن في هذه المنطقة في تحررها وفي تثقيف شعبها وتوحيد اتجاهات سكانها .. وفي تجمعها واتحادها حول عقيدة واحدة وهدف واحد"(١)

أما كتاب : وجهة الإسلام الذي أشرف على تحريره المستشرق جب فيصور العالم الإسلامي كالآتي :-

"يشمل الإسلام مزيجاً كاملاً من الثقافات التي نمت حول الأصل الديني أو ارتبطت به في معظم الأحوال مع تعديل قليل أو كثير فهو مزيج ذو خصائص يتميز بها في تكوينه السياسي والإجتماعي والاقتصادي وفي تصوره للقانون وفي نظرته الخلقية ونزعاته العقلية وأساليبه في الفكر والعمل وهو بعد يضم عدداً عظيماً من

---

(١) الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية. إبراهيم خليل أحمد. الناشر : مكتبة الوعي العربي، القاهرة ، مصر ١٣٩٣، ص ٣ - ٤.
وانظر : اخطار التبشير في ديار المسلمين ، محمد عبد الرحمن عوض، دار الأنصار، القاهرة، مصر رقم الإيداع ١٩٨٠/٢٠٩٢م ، ص ٦ - ٨.

الشعوب المختلفة في الجنس واللغة والخلق والإستعدادات الموروثة غير أنها على اختلافها مرتبطة لا بوشيجة العقيدة المشتركة فحسب، ولكنها ترتبط إرتباطاً أشد قوة بتشاركها في ثقافة واحدة وخضوعها لشريعة واحدة واتخاذها تقاليد واحدة .

وأعجب من هذا التوزيع الجغرافي الشاسع للشعوب الإسلامية فهي تمتد بلا انقطاع من الساحل الأطلسي في غرب إفريقية إلى السودان وتسير مع السواحل الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط إلى مصر وآسيا الغربية ومن هناك تمتد مع سواحل البحر الأسود وبحر الخزر في قلب سيبيريا وتسير شرقاً في منغوليا وتمتد مع ساحل إفريقية الشرقي إلى خط عرض مدغشقر وتخترق سلاسل جبال الأفغان إلى سهول الهند وهنا ينقطع امتداد الكتلة لأول مرة ولكن بعد أن تتفرع منها جماعات كبيرة منثورة في البنغال وغيرها من أقاليم الهند تبدأ سلسلة جديدة في شبة جزيرة الملايو وتمتد متصلة في مجموع جزر الهند الشرقية حتى تنتهي في جزر الفلبين الجنوبية وتوجد فيما عدا هذه المساحات جماعات صغرى منعزلة على حدود الصين الغربية وفي جنوب إفريقية.

وإذا نظرنا إلى العالم الإسلامي على المصور(١) ألفيناه يشبه هلالين عظيمين يخرج قرنا كل منهما من مركز مشترك في آسيا الغربية ويكّون الشمالي منهما نطاقا يربو عرضه على ألف ميل ويحيط بأوروبا من أقصاها إلى أقصاها تقريبا ويفصلها جغرافيا عن البلاد الغاصة بالسكان في جنوب آسيا وشرقيها ويحيط الذراعان الدقيقان من الهلال الجنوبي بالمحيط الهندي إلا في بعض أجزاء الهند وسيلان حيث ينقطع امتدادهما"(٢) .

---

(١) يعنى على الخريطة.

(٢) وجهة الإسلام: نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي تأليف:هـ. أ.ر.جب، : ماسينون، ج كامبغماير، ك.ك. برج، لفتنانت كولرنل فرار، أشرف على تحريره جب ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، الطبعة الأولى١٣٥٣هـ- ١٩٣٤م، المطبعة الإسلامية، القاهرة. مصر ص ٩ - ١٠.

ومن النصين السابقين نلاحظ ما يلى:

١- خوف الغرب من إنهياره وشيخوخته وبعد أماكن نفوذه عن مكان إقامته.

٢- أن العالم الإسلامي وبالذات العربي منه يقع في متصف الطريق بين الغرب نفسه وبين أماكن نفوذه من شرق آسيا .

٣- أن العالم الإسلامي تجمعه رابطة واحدة تتمثل في الدين ويتبعها اللغة.

٤- أنه يملك مقومات القوة من النزعات التحررية والنهوض ومن وجود الثروات المادية وكثرة العدد وسرعة التناسل.هذا من النص الأول ومن النص الثاني:

٥- أن العالم الإسلامي مزيج من الشعوب المختلفة لكنها مرتبطة بأصل الإسلام فيشملها تصور واحد في السياسة والإجتماع والإقتصاد والأخلاق والتشريع والفكر والعمل والثقافة وأنها جميعا على اختلاف لغاتها تخضع جميعها لشريعة واحدة.

٦- أن العالم الإسلامي يشغل مساحة من الأرض تمتد من غرب إفريقيا حتى شرق آسيا ويشمل شرق إفريقيا وجنوب آسيا وشمال غرب آسيا تقريبا وجنوب أوربا وأن أراضي العالم الإسلامي تحيط بأوربا إحاطة السوار بالمعصم تقريباً. وكأن أوربا في العالم الإسلامي شبه جزيرة معزولة عن العالم.

وكاتب النص الثاني تكلم بعد ذلك النص عن انتشار الإسلام وعقّبه بقوله:

" ولقد حدث قبل في حياة محمد (عليه الصلاة والسلام) أن بدأت تتشابك سيوف المسلمين والمسيحيين وظلت كذلك حتى اليوم ولهذا ظل العالم المسيحى الأوروبي لا المسيحية عدو الإسلام الألد رغم العلاقات الودية التي كانت

بين المسلمين والمسيحيين أفراداً أو بين الجماعات الإسلامية والمسيحية في ناحية ما"(١).

وأوضح سبب ذلك بقوله " " لأن العالم الخارجي الذي انتشر فيه الإسلام من بلاد العرب كان هو العالم الإغريقي الذي ورث المدنية اليونانية – الرومانية، وكانت الفتوحات الإسلامية الأولى كلها تقريبا داخل العالم الإغريقى"(٢) وهذا زعم منه أن الأرض التي انتشر فيها الإسلام خارج جزيرة العرب ملكهم لكن ا لله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ﴾(٣) وقال سبحانه وتعالى ﴿وما أفاء ا لله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن ا لله يسلط رسله على من يشاء وا لله على كل شئ قدير. ما أفاء ا لله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول .. الآية﴾(٤) .

ومعنى فاء: بمعنى رجع(٥) والآية نزلت في أموال بني النضير لما أجلوا .

فا لله سبحانه وتعالى خلق الإنسان لعبادته وتكفل برزقه إن هو فعل ذلك إعانه له على طاعته ، وقد خصص ا لله الطيبات من الرزق للذين آمنوا با لله في هذه الحياة الدنيا وإن كان الكفار يشاركونهم وهم غير مستحقين لها ، ولذلك تنتزع منهم الملكية وترد على المؤمنين المستحقين لها لإيمانهم وصلاحهم ، ولذلك قال تعالى : ﴿ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ﴾(٦)

فيكون معنى الآية هو :أن ما عند الكفار من أموال إنما هي في الأصل للمسلمين وحال أخذها منهم في الغنائم تكون رجعت لأصحابها الأصليين وهي

---

(١) وجهة الإسلام ، جب ص ١٧ – ١٨.
(٢) المصدر السابق ص ١٢.
(٣) سورة الأعراف آية ١٢٨.
(٤) سورة الحشر آية ٦ – ٧.
(٥) لسان العرب مادة فيأ ١/١٢٤، ١٢٥، ١٢٦.
(٦) سورة الاعراف آية ٣٢ .

تشمل الأموال المنقولة كالذهب والسلاح وتشمل أيضا الأموال الثابتة كالأرض والشجر والمساكن(١) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾(٢).

وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم"(٣).

فـ" قوله صلى الله عليه وسلم : " وجعل رزقي تحت ظل رمحي " إشارة إلى أن الله لم يبعثه بالسعي في طلب الدنيا ولا بجمعها واكتنازها ولا الإجتهاد في السعي في أسبابها وإنما بعثه داعياً إلى توحيده بالسيف ومن لازم ذلك أن يقتل أعداءه الممتنعين عن قبول دعوة التوحيد ويستبيح أموالهم ويسبي نساءهم وذراريهم فيكون رزقه مما أفاء الله من أموال أعدائه فإن المال إنما خلقه الله لبني آدم ليستعينوا به على طاعته وعبادته فمن استعان به على الكفر بالله والشرك به سلط عليه رسوله صلى الله عليه وسلم وأتباعه فانتزعوه منه وأعادوه إلى من هو أولى به من أهل عبادة الله وتوحيده وطاعته ولهذا يسمى الفيء فيئا لرجوعه إلى من كان أحق به ولأجله خلق وكان في القرآن المنسوخ " إنما أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة " فأهل التوحيد والطاعة أحق بالمال من أهل الكفر به والشرك فلذلك سلط الله رسوله – صلى الله عليه وسلم – وأتباعه على من كفر به

---

(١) أنظر زاد المسير في علم التفسير ٣/٢٤٣ و ٧/٣٣٦ .

(٢) سورة الأنبياء آية ١٠٥ .

(٣) المسند للإمام أحمد بن حنبل ١٦٤ – ٢٤١هـ دار المعارف، مصر ، ١٣٦٨هـ – ١٩٤٩م ٢/٥٠ .

وأشرك فانتزع أموالهم وجعل رزق رسوله صلى ا لله عليه وسلم من هذا المال لأنه أحل الأموال كما قال تعالى : ﴿فكلوا مما غنمتم حلالا طيباً﴾(١)" (٢) .

ولا شك أن الأرض أنفس وأغلى المال وإذا كان عامة المال يستعان به عند المسلمين على طاعة ا لله عز وجل واتباع رسوله صلى ا لله عليه وسلم فإن الأرض هي التي يقام عليها التعبد كله من حكم وصلاة وجهاد وأمر بمعروف ونهي عن منكر وغير ذلك من أنواع العبادات لله سبحانه وتعالى.

فقول ذلك المستشرق " وكانت الفتوحات الإسلامية الأولى كلها تقريبا داخل العالم الإغريقي"(٣) يوحي للقارئ أن المسلمين غزاة استعمار ونهب وسيطرة لا أنهم يرجعون الحقوق لأهلها ويردون الأمور إلى نصابها فالأرض لله،وأهل التوحيد لله أحق بها من غيرهم.

والأسباب التي يذكرها الآثاريون لاستخراج الآثار ونبشها واستنطافها كثيرة وهناك أساب لايظهرونها ومن جملة الأسباب التي يذكرون مايأتي:

معرفة التاريخ وتصحيحه:

الآثاريون يرون أن اللقى الأثرية والنقوش المصاحبة من أهم مصادر التاريخ وكلما كان الزمن المؤرخ أبعد كلما كانت الآثار أكثر أهمية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يرون أن الآثار تصحح كثيراً من الأخبار وهذه نماذج من زعمهم : يعتبر علم الآثار واحد من أهم أفرع التاريخ – إن لم يكن أهمها على الإطلاق

(١) سورة الأنفال ، آية ٦٩.

(٢) الحكم الجديرة بالاذاعة من قول النبي صلى ا لله عليه وسلم " بعثت بين يدي الساعة": للإمام زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (٧٣٦-٧٩٥) تحقيق وتخريج عبد القادر الأرناؤوط دار المأمون للتراث. دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩٠م. ص ٢٣-٢٤.

(٣) وجهة الإسلام ، جب ص١٢ .

– فهو الذي يمد المؤرخ بالمصادر الأساسية التي يعتمد عليها في كتابته التاريخية واللذان يتجهان في النهاية – أي الآثار والتاريخ – نحو استكمال الصورة الحضارية للمجتمع موضع الدراسة وكم من فترات تاريخية أعيدت كتابتها نتيجة لاكتشافات جديدة قام بها علماء الآثار أدت إلى العثور على لقى أثرية ألقت ضوءاً على جوانب قد تكون قد أهملت ...

وبالإضافة للقيمة المادية للمكتشفات الأثرية فإن هذه المكتشفات تعيد تجسيد صورة الإنسان القديم بكل نشاطاته المختلفة فهي المنبع الذي يمكن عن طريقه استشفاف أفكار هذا الإنسان ومعتقداته وإمكاناته المادية وقدرته على استغلال هذه الإمكانيات وتحدد قيمته وفنونه المختلفة وتلقي الضوء على علاقته بالبيئة المحيطة به وكيفية تطويعه.لهذه البيئة ومدى نجاحه أو فشله في هذا المجال(١).

"لو كانت فائدة الآثار قاصرة على رؤية ما كان للأقدمين من براعة في الصناعة ودقة في النحت والنقش لما عني الناس بها إلى هذا الحد.

ولكن فائدتها الكبرى في تكوين التاريخ القديم والجمع بين حلقاته"(٢).

" ومن ناحية موجزه فإننا فعلاً نملك وسيلتين لمعرفة الماضي : علم الآثار وعلم اللغات واحد يهتم بالأشياء والأشكال المادية والآخر بالنصوص"(٣).

" ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن علم الآثار أوثق وسيلة لجمع مصادر التاريخ الأصليةالتى لايمكن أن يتطرق الشك إلى أصالتها والإعتماد عليها "(٤).

---

(١) الرومان – دراسات في تاريخ الحضارات القديمة.د. حسين الشيخ ، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية ، مصر ، ١٩٩٠م، ص ٢٥.

(٢) دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي. دار الفكر ، بيروت ، الشركة اللبنانية للموسوعات العالمية ، بيروت ، لبنان ٥٩/١.

(٣) مدخل إلى الحضارة الاسلاميه ، د. حسن الباشا ، ص٧.

(٤) طرق البحث العلمى في التأريخ والأثار ص١٣٣.

"واستخراجها من باطن الأرض بالأساليب العلمية المتبعة فى التنقيبات ودرسها لاستخراج الدلالة التاريخية عن أحوال الماضي وبتعبير آخر يأتي علم الآثار في مقدمة الطرق العلمية في جمع مادة التاريخ الأولى ونعني بذلك المصادر سواء ما كان منها المصادر المدونة بالخطوط القديمة أم البقايا المادية كالأبنية "(١) .

ومن قول الآثاريين في هذا الموضوع أيضاً : " ماأكثر مايؤدي كشف أثرى في منطقة أو في أخرى إلى تعديل في تواريخ ظهور الحضارات القديمة قد يصل إلى عدة قرون، أو إلى تسبيق ظهور حضارة على حضارة يؤدي إلى تعديل جذري في ترتيب كان معترفاً به بكل مايستتبعه هذا من تغيير في الأبعاد الحضارية من حيث التأثر والتأثير والتأصيل والتفصيل في الجوانب المتعددة التي تتشكل من مجموعها ومن تداخلاتها وتفاعلاتها هذه الحضارات"(٢).

ويقول آخر :" إن الصفة المميزة للبحث الأركيولوجي هي طبعاً اعتماده على المعلومات المستمدة من حقائق الإنسان المادية أي من الصوان والفؤوس والأحجار والزجاج والخزف وأمثال ذلك. وهذا الإستعمال للمادة الجديدة فتح ميادين كاملة للتاريخ كانت من قبل كتاباً مختوما ... وإذا كانت المصادر الأدبية الإغريقية والرومانية تؤكد على الحوادث السياسية وعلى أثر الرجال العظماء فإن الأدلة الأركيولوجية تعيد التوازن بكشف كيف عاشت تلك الشعوب وماذا أنتجت... فالأدله الأركيولوجية تقدم المصدر الضروري وأحياناً الوحيد فى إعادة بناء الماضي.. والواقع أن الأدلة المفيدة للمؤرخ لم تأت إلا من الأركيولوجيا ومن علم الإجتماع الأنثروبولوجي(٣)... إنها تصحح التشويهات التي لابد أن تظهر من السماح لنوع واحد من المصادر وخاصة الأدلة

---

(١) المصدر السابق نفس الصفحه.

(٢) العرب في العصور القديمة، لطفي عبد الوهاب يحي، دار النهضة العربيه، بيروت، الطبعه الثانيه، ١٩٧٩م ص١٨.

(٣) سيآتي إيضاحه ص٢٤١ .

المكتوبة من السيطرة على التفسير التاريخي غير أن مساهمتها الخاصة هي في التوسع الهائل الذى قدمته في رؤية المؤرخ للزمان والمكان... فهي للمؤرخ المصدر العام عن الأدلة الواضحة المقبولة حيثما كانت السجلات المكتوبة مفقودة أو غير كافية وهي لهذا السبب مهمة بصورة خاصة في دراسة تاريخ أسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية ومادام المؤرخون ينهضون بواجب تأسيس نظرة عالمية حقة عن التاريخ العالمى ويحاولون إملاء الفراغات والسيطرة على المناطق المهملة وإكمال مالايزال صورة مقتضبة جداً فإنهم سيظلون متوجهين بصورة متزايدة إلى الأركيولوجيا والحقائق التي تقدمها"(١).

"يستطيع التاريخ أن يتقدم إذا شبك يده مع الأركيولوجيا والأنثروبولوجيا"(٢).

"ومن باب أدعي أن نتناول الكلام على علم الآثار باعتبارة متصلا بالتاريخ اتصالاً وثيقاً ورفداً من روافده المادية يؤكد ما اتصل به من الحقائق السالفة أويدحض مسلمات كان الإطمئنان إليها أمراً بديهياً ويصحح وقائع درج المؤرخون على الأخذ بها أزماناً طويلة لمجرد انتهائها إليهم بالتواتر "(٣).

وأصحاب هذا الفن يرون أن علم الآثار يعتبر الفرع الأهم للتاريخ فهو الذى يمد المؤرخ بالمصادر الأساسية التي يعتمد عليها في كتابته التاريخية عن الحضارات السابقة وخاصة التي لايوجد لها كتابات وحتى التي لها كتابات إذ أنه " من الواضح أن علم الآثار يفيد كثيراً في إعادة تشكيل صورة ما للمجتمعات

---

(١) الاتجاهات العامه في الابحاث التاريخيه ، جفري باراكلو ترجمه د. صالح أحمد العلى، مؤسسه الرسالة بيروت الطبعة الاولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤مـ ص١٨٣ـ١٨٥.

(٢) المصدر السابق ص١٨٠ .

(٣) الآثار الشرقيه لحضارات كلديه وآشور وبابل وفارس وسوريه وفينيقية واليهودية وقرطاجة وقبرص، ارنست بابلون ترجمه مارون عيسى الخورى، دار جروس برس وحكمت شريف طرابلس لبنان ، الطبعة الاولى ١٩٨٧م ص ج للمترجم.

القديمة التي لم تعـرف الكتابة عن طريق المكتشفات الأثريه التي توضـح جوانـب النشاط الحضاري لمثل هذة المجتمعات وحتى في المجتمعات التي عرفت الكتابة فقد تصحح الآثار معلومات المؤرخ في ظروف معينة فقد تكون الوثائق التي يعتمد عليها غير صادقة أو غير دقيقة أو تحمل قدراً من التحيز أو المـحاباة أو غـير ذلـك مـن الصعوبات الشائعة التي كثيراً ما تواجـــه المؤرخ"(١).

وأيضا " تصحيح التاريخ والإهتداء إلى التواريـخ الصحيحة فيما ليس له تاريخ مثل تغيير كامل المعلومات عن وادي الرافدين القديم"(٢).

" ومما تجدر الإشارة إليه أن الآثار المادية كالقصور والمعابد والتماثيل والزخارف والمنحوتات وغيرها من الآثار تشكل المصدر الأساسي في دراسة عصور ماقبل التاريخ"(٣).

" إذ من الواضح أن هدف علم الآثار هو اكتشاف مجرى الحضارة البشـرية وتوضيحه "(٤).

" كما أن هذا العلم قد ساهم مساهمة فعالة في إحياء تواريـخ أمـم مجهولة وحضارات قديمة وتجارب إنسانية لولاه لما عرف عنها إلا النزر اليسير"(٥).

ويرى الآثاريون أن : " التنقيبات والتحريات الأثرية تدخل ضمن اختصاص علم الآثار (archaelogy) وتأتي في مقدمة الوسائل التي يجمع بواسطتها الباحث التاريخي مصادره عن التاريخ القديم والوسيط سواء كانت تلك المصادر بقايا مادية كبقايا الأبنية والفنون والآلات والأدوات والأسلحة المختلفة والنقود أم المصادر

---

(١) الرومان ص ٢٦.
(٢) العراق القديم، جورج رُ ترجمه حسين علوان حسين ص٤٢.
(٣) انظر تاريخ بلاد الرافدين منذ اقـدم العصـور حتى عـام٥٣٩ق.م/ د. عيد مرعي، الأبجديه للنشر مكتبة الأسد، دمشق سوريا، الطبعة الاولى١٩٩١ ص١٧.
(٤) أعمال الحفر الأثرى، ليونارد وولي، ترجمة د. حسن الباشا، الناشر دار النهضة العربية ص١٧.
(٥) المصدر السابق من كلام المترجم ص٥ – ٦.

المدونة بالخطوط القديمة كالخط المسماري والهيروغليفي والخطوط اليونانية والرومانية والخطوط العربية وغيرها. وتزودنا التنقيبات الأثرية بمعلومات مهمة عن عصور ماقبل التاريخ قبل أن يهتدي الإنسان إلى إيجاد وسيلة للتدوين بالكتابة وذلك عن طريق دراسة بقاياها المادية "(١).

وكثير من الأخطاء في التاريخ إنما هي إشكالات " في الأخبار والروايات التي وصلت إلينا فمن مؤرخ دون ماعاين وعايش بصدق وأمانة إلى آخر زين له ميله هنا وكرهه هناك أن يحرف فينحرف إلى ثالث اعتمد السماع دون تثبيت وركبه التخيل فضل وأضل إلى رابع استمرأ لثم الأقدام فكتب بلسان السلطة فشوه إلى خامس سجل لأزمان وأهمل حقبات فأحدث فجوات أصبح ردمها أمراً صعباً إلى سادس وسابع وثامن.... فبهذا كله امتزج في التاريخ الصدق والتشويه والكذب والتخيل والإنقطاع إمتزاجاً غريباً حتى غدا فهم الماضي موضوعاً مبهماً أو شأناً مزاجياً أو أمراً يسيطر عليه الخيال وتلفه الترهات من كل جانب"(٢).

فالنصوص الأول تذكر ميزة الآثار وأهميتها كمصادر للتاريخ والنص الأخير والذي قبله فيهما بيان للعيوب المحيطة بالتارخ والمؤرخين بدون الأعتماد على اللقى الأثرية، والواقع أن الإشكال ليس في الحوادث التاريخية إنما الإشكال في المؤرخ نفسه لذلك قيل في الأمثال : آفة الأخبار من رواتها، وكما يكون الكذب وكتمان الحقائق في مؤرخي الحوادث يكون أيضاً في مكتشفي الآثار إذ الجميع بشر وفيهم الصادق والكاذب وسأسرد بعض النصوص التي تبين ذلك عن الآثاريين أنفسهم، والآثار تشبه التشيع من وجه فكل من أراد أن يظهر وينشر مفاسد قومه الكفرة بين المسلمين لبس ثوب التشيع وادعى حب آل البيت وما سياتي من كلام سيوضح فعل الآثاريين الذين يشتركون به مع قادة التشيع .

---

(١) طرق البحث العلمي في التأريخ والآثار ص١٣٩.

(٢) الآثار الشرقيه ، أرنست بايلون .للمترجم صفحة /ب.

(٣) رجال الآثار د. روبرت .ج، بريدو ود / ترجمه كمال الملاخ، ص ١٩١.

فالآثار ومجالها واتخاذها مهنة من أخصب المهن وأكثرها استعداداً للتلون حيث يقول أحد كبارهم :" أرى لزاماً علي أن أخبرك بهذه المناسبة بأنه ما من مهنة يمكن أن يندس فيها الدجالون أكثر من هذه المهنة وعالم الآثار كما رسمته هو الرجل ذو الصفات المتعدده"(١) .

" وقد حظيت فلسطين بتنقيبات كثيرة أيضاً ربما لأنها ذات اعتبار ديني من قبل ثلاث من الديانات السماوية ولأغراض استعمارية بالنسبة إلى الإنكليز بسبب تجارتها مع الهند وقام صندوق استكشاف فلسطين بدور كبير في هذا المجال إذ تعدت أعماله الغايات الدينية العلمية إلى الغايات العسكرية السياسية الإستعمارية بدليل أن معظم الذين تولوا بعثات هذا الصندوق كانو من وزارة الحربية البريطانية ومن سلاح الملكية بخاصة "(١).

" وفي دراسة حضارات ما قبل التاريخ فإننا نعتمد على المكتشفات الآثارية العائدة لتلك العصور والتى نطبق عليها مناهج بحث نطورها باستمرار من أجل تفسير أدق لتلك المكتشفات علماً بأننا كثيراً ما نصادف تفسيرات مختلفة للمعطيات الواحدة

وهذا طبيعي سيما وأن الموقع الفكري والإجتماعي للباحث يلعبان دورا رئيسياً في رؤيته للتاريخ وهذا أدى بدوره إلى نشوء مدارس ومناهج تبحث فى التاريخ الحضاري للإنسان ولكنها تختلف فى منطلقاتها وفى نتائجها أيضاً"(٢).

"...لقد تشكلت هنا مناهج وتيارات ومدارس بحوث أثرية عديدة ومتنوعة بعضها علمي وموضوعي المنطلق والهدف يسعى إلى البحث الجاد والنزيه ويعطي الشعوب والمناطق حقها التاريخي ودورها الواقعي ومكانتها الحضارية التي تستحقها كما ظهرت تيارات ومدارس منحرفة تخدم غايات ومصالح سياسية وعرقية لاعلاقة لها بالبحث التاريخى النزيه وليست " المدارس التوراتية " إلا واحدة من تلك المدارس المشبوهة التي دأبت على توظيف المكتشفات الأثرية والتاريخية لتخدم حق

---

(١) الأثار الشرقيه من مقدمه المترجم صفحه / م.

(٢) بلاد الشام فى عصور ماقبل التاريخ الصيادون الأوائل د. سلطان محيسن، الأبجديه للنشر، دمشق، سوريا مكتبة الأسد الطبعة الاولى، ١٩٨٩م، ص ٦٥-٦٦.

الصهاينة المزعوم فى أرضنا"(١).

ويتضح ذلك من الآراء حول الآثار في بلاد الشام " فقد أتى إلى بلاد الشام باحثون من جامعات ومراكز بحث ومناطق مختلفة أكثرهم فرنسيون تبعهم إنكليز وأمريكيون نقب هؤلاء عشرات المواقع وجمعوا آلاف القطع الأثرية التي ملأت متاحف دمشق وبيروت وعمان والقدس ورغم كثافة المنشورات التي صدرت فإن الصورة لازال يشوبها كثير من الغموض لأسباب كثيرة لعل من أهمها اختلاف الباحثين واختلاف مناهج عملهم ومصطلحاتهم واستخدام تسميات مختلفة لنفس الظواهر مما خلق إشكالاً في فهمها... كما أن ليس كل العاملين كانوا على المستوى المطلوب نفسه فمنهم من لم تكن أعماله منهجية ولادقيقة"(٢).

و" يمكننا أن نقول: إن معظم الأركيولوجيين ولاسيما من عمل منهم في الآثار الفلسطينية كانوا من المسيحيين الذين امتزجت عندهم الآراء المسيحيه بالخلفية التوراتية – حتى غدا تخليص المسيحية – كعقيدة – من سيطرة العهد القديم – كأيدولوجية – أمراً صعباً بل مهمة مستحيلة "(٣).

ولابد من ذكر نماذج من الآثاريين وخاصة الذين أصلوا وقعدوا علم الآثار وأدخلوه بلدان المسلمين يتضح بهم هذا الكلام فمن هؤلاء الآثاريين الأجانب الذين عملوا في بلاد المسلمين أعمالاً آثارية وهم مختلفي المشارب والمرجعيات :

١- دي فوجيه (١٨٢٩-١٩١٦) سياسى.

٢- كلرن مون – جانوا (١٨٤٦-١٩٢٣) قنصل.

٣- دي بيلن (١٨٤٩-١٩١٠) عسكري.

---

(١) آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي، سيتون لويد، ترجمة محمد طلب، تقديم سلطان محيسن، دار دمشق ، مطبعة الشام سوريا، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، من كلام المقدم ص ٦ .

(٢) بلاد الشام في عصور ماقبل التاريخ الصيادون الأوائل، ص٦٩-٧٠ .

(٣) الآثار الشرقيه، آرنست بايلون من مقدمه المترجم صفحه / ف.

٤- بونيون (١٨٥٣- ١٩٢١) قنصل لفرنسا.

٥- جسيل (١٨٦٤-١٩٣٢) مدرس بالمعهد الكاثوليكي.

٦- كونتينو (ولد عام ١٨٧٧) طبيب أديب.

٧- الآب دريوتون (١٨٨٩-١٩٦١) مدرس كاثوليكي.

٨- الآب أونجارللي (١٧٧٩-١٨٤٥) مدير القسم المصري بمتحف الفاتيكان(١) .

٩- ولستد ملازم انجليزي.

١٠- السير ألكسندر كيندي.(١٨٤٧-١٩٢٨) سياسي.

١١- السير أوستن لابارد (١٨١٧-١٩٠٢) سياسي من وظائفه وكيل وزارة الخارجية ووزير مفوض في مدريد ثم فى الآستانة(٢).

١٢- السير ألن جاردنر سياسي.

١٣- السير روليس بدج سياسي.

١٤- الآب لامنس راهب يسوعي.

١٥- الآب بواديبار راهب يسوعي.

١٦- الآب سباستيان رونزخال راهب يسوعي. (٣)

١٧- السير هنري كرزويك رادلينسون (١٨١٠-١٨٩٥) ضابط ومندوب سياسي وعالم آثار.

١٨- جورج راولينسون (١٨١٢-١٩٠٢) كبير كهنة كانتري بري.

١٩- أ.ك. كرزويل عسكري. (٤)

---

(١) المستشرقون نجيب العقيقي دار المعارف ، القاهره، مصر، الطبعة الرابعه الجزء الأول وهم على التوالي في الصفحات التاليه على ترتيبهم / ٣٨٨، ٣٩٠. ٣٩١، ٣٩١، ٣٩٣، ٣٩٦، ٣٩٩، ٤١٨ .

(٢) انظر المستشرقون ٢/ ١٦٣-١٦٤.

(٣) المستشرقون ج ٣ وفي الصفحات على ترتيبهم/ ٣٤٠، ٣٤٤: ٣٥٠، ٣٥٠، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥١، ٣٥١.

(٤) المستشرقون ٢/ ١٦٢،١٦٣،١٦٨.

٢٠- لورانس المعروف لورنس العرب استخبارات بريطانيا العسكرية(١).

٢١- السير ليونارد وولي مكتب المخابرات البريطاني بمصر. (٢)

٢٢-كوندر وزارة الحربية البريطانية.

٢٣- اللورد بالمر وزارة الحربية البريطانية.

٢٤- كتشنر وزارة الحربية البريطانية (٣).

٢٥- ماسينون، لويس (١٨٨٣-١٩٦٢) مستشار وزارة المستعمرات الفرنسية وخدم بالجيش الفرنسي في الحرب العالمية الاولى(٤).

وهذا غيض من فيض

إذن لايكون الإشكال في الحقائق العلمية ولا في الأدله والشواهد هنا لكن كبر المشكلة في كيفية الإستخدام ونوعه ولايخفى على الجميع أننا نعيش أحداثا متنوعة في بلدان شتى ونسمع عن مشاكل وأحداث تقع في المعمورة ومنها ما يكون قريبا منّا لكن الحقائق فيها تقلب ويصبح الظالم فيها أحق أن يرحم ويصوّر المظلوم في القضية ويوصف بأنه متوحش بربري وخاصة إذا كان من المسلمين فالخيانة متأصلة وموجودة عند كثير منهم وخاصة الذين أصلوا هذا العلم وأقاموه فإليك أخباراً منتقاة من مصادر موجودة لمن شاء الرجوع إليها بيسر وسهوله ومع ذلك قلبوا الحقائق وزادوا ونقصوا وهي لبعض المستشرقين، والآثاريون جزء منهم فعلي سبيل المثال :

جولد تسيهر:

---

(١) لورنس العرب على خطى هرتزل - تقارير لورنس السرية، زهدي الفاتح،بيروت لبنان دار النفائس الطبعة الرابعة ١٤١١هـ انظر ص ٣٣-٣٤.

(٢) مدخل إلى علم الاثار، السير ليونارد وولي، مقدمه المترجم ص٨.

(٣) الأثار الشرقيه أرنست بابلون مقدمه المترجم صفحه / م.

(٤) أنظر المستشرقون والتراث، د. عبد العظيم الديب، مكتبه ابن تيمية المحرق البحرين، الطبعة الاولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ص١٨. وأنظر المستشرقون ٢٦٣/١.

قال :"... ويقول: وكيع(١) عن زياد بن عبدا لله البكائى(٢) : أنه مع شـرفه في الحديث كان كذوباً ولكـن ابـن حجـر يقـول فـى التقريـب : ولم يثبت أن وكيعاً كذبه".

يريد جولد تسيهر بهذا أن يقول : أن زياداً البكائي كـان كذوبـا مـع علـو منزلته في الحديث وذلك بشهادة وكيع أحد أعمدة الجرح والتعديل، فإذا كان مثل زياد البكائي كذوباً فأي ثقة بالحديث والسنة؟.

وأصـل النـص الـذي حرفـه جولـد تسـيهر جـاء في التـاريخ الكبـير للإمـام البخـاري: وقـال عقبـة السدوسـي(٣) عـن وكيـع: وهـو (أى زيـاد بـن عبـد ا لله البكائي) أشرف من أن يكذب فالنص : أشـرف مـن أن يكـذب أي أنـه أبعـد مـن الكذب بسجيته وفطرته وطبعه وشرفه وعلو همته وسمو نفسه.

ومع وضـوح هذا النـص يحرفـه جولـد تسـيهر إلى : أنـه كـان مـع شـرفه في الحديث كذوباً (٤) .

وهذا التحريف نموذج فإذا كان هذا فعل الغـرب معنـا فيمـا لـه مسـاس في الثقافة والأخلاق والعقيدة والأحداث فيما نعلم أو يمكـن أن نرجـع إليـه في مظانـه فكيف بأحداث قد جرى عليها الفناء وأصبح كثير منها في عالم الغيب.

---

(١) هو وكيع بن الجـراح بـن مليـح بـن عـدي الامـام الحـافظ محـدث العـراق أبوسـفيان الرؤاسي ولد سـنة ١٢٩هـ مـن بحـور العلـم وأئمـة الحفـظ في الحديـث مـات سـنة ١٩٧هـ وهو راجع من الحج . انظر سير اعلام النبلاء ١٤٠/٩.

(٢) زياد بن عبدا لله بن الطفيل العامري البكائي راوي السيرة النبوية توفي سنة ١٨٣هـ . انظر سير أعلام النبلاء ٥/٩.

(٣) هو عقبة بن أوس ويقال : يعقوب بن أوس السدوسي البصري ، تابعي ثقة ، انظـر : تهذيب التهذيب ١٥١/٤.

(٤) انظر المستشرقون والتراث ص ٢٨.

كيفية تعامل الآثاريين مع الآثار:

الآثار من حيث الاستدلال بها نوعان:

١- مادية : وتشمل المباني والأواني وأدوات الإستعمال في المنزل والعمل والحرب، والقبور، وأماكن العبادات ونحو ذلك.

٢- نقوش ورقوم وكتابات قديمة بلغات مندثرة كالسومرية والهيروغليفية والمسمارية ونحوها وهذا النوع يدخل من باب الرواية وغالب الكتابات أقل قيمة وأهمية من الآثار المادية والسبب أنها تحكي أنظمة وأوامر وسيرة ملوك في الغالب وهي "تنحصر غالباً في تلك الأحداث التي كان يعتبرها الكتاب في جميع العصور أحق بالتسجيل كالحروب والحوادث السياسية وسيرة الملوك"(١) ويعول على فك رموزها وكتاباتها على علم اللغة.

لكن النوع الأول هو المهم في الآثار ويتعامل الآثاريون معه بعلم الإجتماع وهو مايسمونه الأنثروبولوجيا (ANTHROPOLOGY) وهو علم الإنسان: وينقسم إلى:

- الأنثروبولوجيا الطبيعية التي تدرس النمو الجسمي للإنسان من الناحية التطورية والخصائص الجسمية على حسب نظرية التطور.
- والأنثروبولوجيا الاجتماعية التي تدرس النظم الإجتماعية وخاصة نظم المجتمعات البدائية تاريخية .
- والأنثروبولوجيا الثقافية التي تدرس عادات الشعوب المتأخرة وتقاليدها دراسة تاريخية .
- ومفهوم الأنثروبولوجيا مرده إلى لفظ لاتيني مشتق من لفظين أحدهما : انتروبوس ويعنى الإنسان والآخر لوجي بمعنى وصف أوعلم(٢).

فالقسم الأول يعنى بالتطور الجسماني من منطلق نظرية دارون.

والقسم الثاني عن علاقة الإنسان بالآخرين والقسم الثالث عن عاداته وتقاليده وعباداته وخرافاته ونحو ذلك(٣).

---

(١) مدخل إلى علم الآثار، ص ٢١.

(٢) انظر : معجم المصطلحات الأثرية انجليزي – عربي، مادة انثروبولوجيا، ص ٣٨.

(٣) المصدر السابق نفس المادة والصفحة.

وهذا يعنى أن التعامل مع الآثار المادية هو تحليلها واستنطاقها وفلسفتها وتعبئة الفراغ بين الأثر وصاحبه بالممكن مما يمكن أن يخطر على البال أو لا يمكن أن يتطرق إليه الخيال لبعده وتوحشه " ذلك أن قانون العليه أو السببية في الأحداث الإجتماعية والتاريخية متناه في التعقيد "(١) .

فلا يكون عمل الأثري جمع الآثار والجمود على ذلك " ولكن على الأثري في الواقع بعد جمع تلك الحقائق من مخلفات الحضارات السابقة أن يبث فيها الحياة من جديد ويبرزها في صورتها الإنسانية شأنه في ذلك شأن كل باحث في العلوم الإنسانية ثم عليه أن يعطينا الصورة الواضحة التي في مخيلته المقيدة بكل هذه الحقائق عن هذا الإنسان الذي عاش في ذلك الزمان"(٢) فالباحث الأثري ملزم عند الآثاريين أن يُعمل خياله وتصوراته في تفسير مايجده أمامه من مخلفات ليرسم لنا صورة مقبولة بغض النظر عن ما ينتجه ذلك من أخلاق أو عقائد أيا كانت سواء وثنية أو خرافية حتى يكون التوليف مابين تلك الموجودات مقبولاً ضمن خططهم وأهدافهم فهو يوضح الرابطة بين تلك المخلفات مع بعضها من جهة وبينها وبين الإنسان من جهة أخرى ولا يفوت ولا نهمل اختلاف مناهج الأثريين واختلاف أديانهم وأهدافهم وأغراضهم وأخلاقهم مما سيؤثر على استنتاجاتهم.

وهذه نماذج من تحليلاتهم الآثارية المبنية على الآثار المادية:

"وفي قبور الجبانة الملكية وجد أن الرجال يلبسون عموماً شريطاً فوق رؤوسهم مصنوعاً من سلسلتين من الذهب أو الفضة وخرزات ثقيلة من اللازورد والذهب مثبتة في الخلف بواسطة حبل. والآن لايمكن أن تكون هذه إلا شكلاً مبكراً من العقال العربي الحديث أو حبل الرأس الذي يثبت الثوب الملبوس فوق الرأس الخالية تماماً من الشعر"(٣).

وما أدرى هل حدث انقطاع لهذه اللبسة أيام الحكم الإسلامي مثلاً في العصر الأموي والعباسي أم لا؟

---

(١) طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار ص ١٢.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨.

(٣) مدخل إلى علم الآثار ص ١٢٤ – ١٢٥. والجبانه الملكيه مقبرة في أور جنوب بغداد. نفس المرجع ص ١٢ هامش ١.

وهـذا تحليـل في استعلاء: " وعلـى ذلـك فقـد كـان الرجـل الأوربـي في العصـر الحجري القديم الأعلى ميسور الحال إلى حـد كبير لأنـه كـان يصنع مايلزمه من الأدوات والأسـلحة المتقنـة كما كـان اللحـم متوافـراً بكـثرة ولا يمنـع المـرء مـن الحصـول عليـه إلا الجبن أو الخـور فقـد كـان هنـاك مقـادير هائلـة مـن الحيوانـات الضخمـة في أوائـل ذلـك العصـر كمـا ظهـرت الرنـة في أواخـره وهـي كلهـا مـن حيوانـات السـهول والمنـاطق الخلويـة. ولقـد كـان في جعبتـه بـلا شـك كثير مـن الحيل... ولكننا لا نعرف شيئاً عن موقفه بالنسبة للخضروات في تلك الإصقـاع المتجمدة ولكن – وهذا هو المهم – يحتمل أنه اسـتغنى عنهـا إلى حـد كبـير أو أنـه كان يأكل محتويات أحشاء الرنه التي كان يقتنصها"(١) .

فلماذا مثلا لا يأكلون خضروات مما تأكل منـه الرنـة خاصـة وأن في جعبتـه كثير من الحيل.

وهل إذا احتاج خضروات ولم يجد حيوان الرنة يكون من حيله أن يأخذ ممـا تخلفه الرنه من خضروات من أحشائها؟!

"اعتقد الأمريكي روبرت برايدوود (**R.j. braidwood**) مـن جامعـة شيكاغو أن أولى المجتمعات الزراعية يجب أن تكون قد قامت في شمال بلاد الرافدين على سلسلة جبال زاغروس في المنطقة التي تعرف حاليا باسم كردستان – والسبب – حيث كانت تسقط أمطار كافية وينمـو القمـح والشـعير البري وتعيـش أنـواع عديدة من الحيوانات البرية كالأغنام والماعز والأبقار والخنازير " (٢)

وفات عليه الدجاج والقطـط فيمـا يبدو حيـث يكـثر تواجدهـا حتـى عنـد الرّحّل وتجاهل بقية مناطق من العالم تسقط فيها كميات كافية لنمو القمح والشعير ومماثلة في المناخ والتربة.

---

(١) ماوراء التاريخ، وليام هاولز ترجمـة د. أحمـد أبـو زيـد. دار النهضـة العربيـة بـيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ١٥٢ والمؤلف يحمل دكتوراه الفلسفة وهـو اسـتاذ علم الأنثربولوجيا بجامعة هارفارد. انظر : مقدمة المترجم ص ٥ – ٦.

(٢) تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور، ص ٢١.

" لقد كانت الماعز بالنسبة لسكان كهوف الباليوليت القنيص الرئيس وقد تبين أن أغلبية العظام في تلك المستوطنة خلافاً للكهوف التي سموها (زاوي شيمي شانيدار) هي من عظام الأغنام بينما لم تشكل عظام الماعز إلا نسبة واحد من ستة عشر من المجموع العام لتلك العظام وتبين أيضا أن عمر ثلاثة أخماس الأغنام كان دون العام. الأمر الذي يؤكد بشكل قاطع أن تلك الحيوانات كانت تربى في البيوت. ولكي تتوفر لهم أكبر كمية من حليب تلك الحيوانات قاموا بذبح الحملان والجداء التي يقرب عمرها من العام. أما الصيادون فقد كان أغلب قنيصهم من الحيوانات الهرمة"(١) .

١- النقاش في العظام قد يكون عديم الجدوى.

٢- لكن كون عظام الأغنام ٦٠٪ دون العام دليل على أنها كانت تربى في البيوت والدليل أن أهل البيوت يذبحون الحملان والجداء التي يقرب عمرها من العام ليتوفر لهم أكبر كمية من الحليب فهذا فيه نظر

أ - فذبحها لا يعنى تربيتها في البيوت فقد يشترونها من المزارعين أو ممن يجلبها من البادية وما أدري ماذا سيكون التعليل لعظام توجد عند مطعم مندي في أحد الطرق حيث تذبح تيوس غالباً أقل من العام بقليل.

ب - إن ذبح الحملان والجداء قريباً من العام لا يوفر لأصحاب الأغنام حليباً لأنها غالباً تفطم عن الرضاعة فيما بين عشرين يوم وثلاثة أشهر على الأكثر فإذا قارب على العام تكون أستوفت كل مايمكنها من الرضاعة ولو كان المذبوح فى حدود أسبوع لكان الإستدلال مقبولاً لتوفير الحليب ثم إنه غالباً لا تذبح الحملان والجداء لأجل حليب أمهاتها.

" ومن الطريف أنه عثر على بقايا طفل مدفونة تحت بلاطة حجرية مما يحملنا

(١) نشوء الحضارات القديمة، بورهار برينتس، ترجمة جبرائيل يوسف كباس، الأبجدية للنشر ، مطابع ألف ياء الأديب ، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى ١٩٨٩م، ص ١٣.

على الإعتقاد أن كثيراً من المعالف والبيوت قد تحول إلى قبور ••• ثم يصف قبراً آخر فيقول :

فقد تم تمييز قبر يقوم في أساس لبيت دائري (طوله خمسة أمتار وعرضه مترا واحد) وبداخله رفاتان في وضعية الجلوس أحدهما لرجل بالغ يخرج نصفه من الحجاره التي تغطيه وكانت الجمجمة مرفوعة باتجاه قمة جبل حرمون التي كان لها – على مايبدو – دور ما في مقدسات ذلك العصر ومن المحتمل أن تكون قد عدت مقراً للآلهه أما الجمجمة الثانية فربما كانت جمجمة امرأه غطتها الأصداف"(١).

فهل كون عظام طفل وجدت تحت بلاطة يحمل على الأعتقاد أن كثيرًا من المعالف والبيوت قد تحول إلى قبور؟ أم أن معتديا قتله وأخفاه عن الأعين. ولمفسر آخر أن يقول: أن الجثة التي لرجل يخرج نصفه من الحجارة التي تغطيه قد رجمت لسبب أو لآخر خاصة واحتمال الجثة الأخرى أنها لأمرأة مثلاً .

ونشأت قلعة "أريحا التي تم اكتشافها عام ١٩٥٨م ••• وقد شغلت البيوت المتراصة المبنية من الآجر المشوي مساحة هكتارين ونصف الهكتار وقدر العلماء عدد سكان القلعة بثلاثة آلاف نسمة. ولكن هذا الرقم لم يحظ باعتراف العلماء جميعهم.

وعلى الرغم من أن عدد سكان القلعة يمكن أن يكون أكثر من ذلك فإن أكبر تجمع سكاني في أوربا في ذلك العصر كان لا يزيد فيه عدد السكان عن ١٥٠ – ٢٠٠ إنسان لهذا لا يمكن تصور مدينة عدد سكانها يعد بالآلاف وبالتالي أليس منطقيا إسقاط ثلث هذا الرقم ؟"(١) .

---

(١) نشوء الحضارات، ص ٢٣–٢٤.

لكن حتى بعد إسقاط ثلث الرقم فإنه لا تناسب بين سكان القلعة وبين أكبر تجمع سكانى في أوربا فما يزال الفارق كبير جداً ..

وعدم تصديق الرقم الدال على عدد سكان القلعة لماذا يبنى على تجمعات أوربا فالمسافة كبيرة بين أوربا وأريحا في فلسطين.

وأعجب من ذلك: (كما عثر على جثث لا جماجم لها مما يسمح بالقول: أن انفصال الجماجم عن الجثث دليل على استخدام الرؤوس للتدريب على الصيد)(١).

ثم جاء بنظرية أخرى " يستطيع علماء الأثنوغرافيا متابعة التغيرات التي طرأت على الأشكال المحلية لعبادة الجماجم إستناداً إلى المواد الماليزية "(٢).

والجمع بين النظريتين بعيد إلا أن يكون استخدام الرؤوس للتدريب على الصيد أحد التغيرات التي طرأت على عبادة الجماجم. لكن الإهتمام والإبراز لمسألة التقديس والتعظيم وتفسير الآثار وتحليلها من هذه الزاوية حتى ولو كانت المسألة بعيدة ثم إن النظرية الأولى التي سمح لنفسه بقولها ليس لها سند لا من واقع ولا من خبر ولا من عقل.

" لقد عثر على سبعة عشر قبراً في المعابد ضمت رفات أنثوية إلى جانب أربعة قبور لم يحدد نمط بنائها، ومن الملاحظ أن كافة القبور احتوت على المغرة التي يجب أن تضمن القيامة للموتى.

وهكذا نلاحظ أن النساء قد شغلن مكان الصدارة في ميدان العبادة ولكننا لا نستطيع حتى الآن أن نحدد ما إذا كن خادمات للآلهة أم تجسيداً لها"(٣) .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٥.

(٢) نشوء الحضارات ص ٣٥.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٦.

بمعنى أنه لم يصل إلى قرار هل النساء هؤلاء خادمات للآلهة أو هن بأنفسهن آلهة على حد زعمه الباطل وقد حصر الاستنتاج بين هذين الخيارين ولم يستند على شئ في أصل الإستنتاج والتخيير مع إمكان خلاف ذلك كله كأن يكن قتلن نتيجة جرب مثلاً .

" وأدت الحفريات فعلاً إلى اكتشاف حجرة مربعة الزوايا ربما كانت مقدسة"(١) فهذا تخمين يكبر ويتطور ومن ثم يصبح من ضمن الحقائق بأن هذه الحجرة مقدسة ومكان معبد قديم.

إن كثيراً من تحليلات الأصنام وفلسفة تعبدها وما يصاحب ما يسمونها آلهه من طقوس واحتفالات وأعياد وشعائر إنما مرده ومأخذه من الأساطير والقصص الخرافية القديمة(٢) .

" في هذه الفترة اتسعت المدينة ولا يعرف كم دام ذلك ويبدو أن هذه الفترة من حياة المدينة انتهت بأزمة خطيرة وتعرضت فيها لحريق كبير أو لعمليات نهب وتدمير"(٣) .

فالإشكال أن بين الحريق الكبير وبين عمليات النهب والتدمير بون شاسع وفارق كبير مع ملاحظة أنه يمكن تحديد الحريق بسهولة كما يرد عن الآثاريين بأنهم يجدون رماد الحريق في المساكن المحرقة.

"كانت القدس تعتبر المكان الذي قام منه محمد – صلى الله عليه وسلم – بمعراجه إلى السماء ومن الممكن أن الصخرة أُعتبرت المكان الفعلي نظراً لإنها أعلى نقطه في منطقة المعبد"(٤) .

---

(١) امبراطورية إبلا ، علي القيم الأبجدية للنشر، مكتبة الأسد، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٩٨٩، ص ١٥.

(٢) انظر : نشوء الحضارات، ص ١١٧.

(٣) امبراطورية إبلا ، ص ١٨، والمقصود بالمدينة هنا : إبلا في تل مرديخ بسوريا .

(٤) الآثار الإسلامية الأولى ، ك. كريز ويل ترجمة : عبد الهادى عبله، دار قتيبة، دمشق ، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، ص ٣٤.

فسبب اختياره للصخرة بأنها المكان الفعلي لبداية المعـراج هـو لأنهـا أعلـى نقطة في منطقة المعبد، لكن الذي سيعرج إلى السماء لن يعجزه فارق الإرتفـاع بـين أعلى نقطة وأدناها من الأرض ولو كانت المسافة أكثر من أرفع جبل.

" وكان كثير من تلك الرموز عبارة عن مواد معروفة. ونتعرف هنا إلى كثير من الأدوات التي تمت صناعتها من مـواد هشـه مثـل : المحـراث والعربـة والزلاقـة والقارب والكوخ المبني من القصب والزلاقة الصغيرة المخصصة لنقل تماثيل الآلهـة. لقد عبرت تلك النقوش عن مواد أخرى عبر جزء هام من أجزائها: فالثور يعبر عنه من رأسه والمرأة شكل مثلث أي مايدل على فرجها"(١) .

وحدث عن بني إسرائيل ولا حرج.

".. وكانت هذه الأساسات ظاهرة للعيان غـير أنـه لم يكـن هنـاك أي أثـر للجدران وكأنما لم يكن لذلك البناء أي جدران أبداً وقد خطر ببالي بادئ الأمر أنـه ربما كانت هذه الدائرة من الحجارة والتى تبلـغ مسـاحتها ١٥ × ١٢ قدمـاً خزانـاً لحفظ مياه السيول وخاصة أنني وجدتها مليئة بالرمال والتراب"(٢) .

وكم يمكن أن يخطر في باله أو بال آخر مثله من الخيـالات هـذه الدائـرة مما يمكن.

" وتشير جميع الدلائل المتوفرة إلى أن الخراب الذي لحق بها كان مـن جـراء هزة أرضية مع أنه من الممكن أن يتم ذلك نتيجة فيضان غـير طبيعـى يغمـر المنطقـة بأسرها حيث أن المعبد قائم في طرف الـوادي... ولقـد خطـر ببـالى أن يكـون هـذا البناء قد استخدم كمقبرة في العصور المتأخرة وذلك بدليل وجود الحجارة الكبيرة

(١) نشوء الحضارات ، ص ١٠١ .
(٢) شمال الحجاز ، ص ٢٣٦.

التي تسد المنافذ ولعل هذه الحجارة قد وضعت لحماية الجثث من نهش الضباع أو نبش لصوص المقابر"(١).

فالأمر بعضه من الممكن والآخر خطرات.

وينقل عن فلبي قوله : " وصلنا إلى أحد المرتفعات وكان اسمي هاتين المجموعتين من الصخور قد أوحيا إلي بشكل هيكل عظمي منظره يقبض النفس"(٢).

يبدو أن هذا الإيحاء النفسي هو الذي يملي كثيراً من التخمينات والإستنتاجات.

"وحفروا في سطوح القبور تجاويف على شكل كأس يبدو أنها كانت تستخدم لتقديم القرابين المقدسة"(٣) .

وهذا أمره هين لكن العجب من قوله: " أما عظام الحمار فيدل العثور عليها على أنه كانت للمستوطنة علاقات مع شمال أفريقيا"(٤) وهو يتكلم عن موقع بين غزة والبحر الميت في وادي بئر السبع في بئر أبي مطر وبئر الصفدي وإليك نقل آخر:

" إلا أن أكثر اللقى التي عثر عليها إثارة هي حوالى ٨٠٠ صفيحة نحاسية أبعاد الواحدة منها ١١× ٥ر٤سم ويبدو أنها بقايا درع معدنية وقد تكون أقدم الدروع المعروفة لنا قد دفنت هنا منذ الألف الرابعة وفي هذا دليل على أندلاع الحروب وهجرات الشعوب في نهاية الألف الرابعة"(٥)أى الألف الرابعة قبل الميلاد.

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٣٧.

(٢) شمال الحجاز ، ص ٢٩٢.

(٣) نشوء الحضارات ص ٨٧.

(٤) نشوء الحضارات، ص٩٠.

(٥) المصدر السابق، نفس الصفحة والكلام في موقع بين تل أبيب وحيفا بفلسطين.

فقطع المعدن صغيرة مساحة الواحدة منها في حدود إصبعين متوسطين من أصابع اليد تقريبا واستهل الإستنتاج بلفظ " يبدو " ثم عقبها بـ " قد تكون " وركب عليهما بقوله " وفي هذا دليل " على أي شئ؟ على اندلاع الحروب وهجرات الشعوب في نهاية الألف الرابعة هذا وهو بلح فكيف إذا صلح.

"ومهما يكن من أمر فإن زراعة الإنسان للحبوب التي جمعها قرب الحواضر التي سكنها حدث لم يقع قبل الألف العاشرة "(١) أي قبل الألف العاشرة للميلاد وهذا خبر قطعي من صورته لكن كونه لم يجد مايدل على أن الإنسان قد زرع قبل ذلك لا يدل على عدم وجوده إذ عدم العلم بالوجود ليس علماً بالعدم لكنه يدل على أن الباحث لم يجد أما المبحوث عنه فقد يكون موجوداً لكنه لم يهتد إليه الباحث.

" ثم ينشر عالم الآثار اكتشافاته بعد ذلك ويخمن كل إنسان معناها فلربما أمكن مقارنة صناعة وتصميم قطعة من الفخار وجدت في منطقة مابين النهرين (بالعراق) بأخرى وجدت في الهند وهنا يمكن كشف النقاب عن حقيقة هامة عن الماضي ألا وهي وجود تجارة بين بلاد مابين النهرين والهند في العهود القديمة "(٢).

الملاحظ أنه إذا كانت القطع الأثرية متشابهة في مادتها المصنوعة منه ووجد منها عدة قطع في بلدان مختلفة وربطت بحضارة من الحضارات فإنها تدل على علاقة بين البلدان التي وجدت فيها لكن التخمين يختلف حسب استعمال تلك القطع فإن كانت القطع مثلا جراراً فخارية منسوبة إلى إحدى حضارات العراق ووجد مماثل لها بالهند أو مصر فكما ورد في النص السابق فإن من استنطاقها وأخذ المعلومات منها أن يخمن أن هناك علاقة تجارية بين العراق مثلا والهند أو مصر. أما إذا كانت القطع الأثرية المعثور عليها قطع سلاح كسيف أو رمح أو درع أو ما

---

(١) نشوء الحضارات، ص ٢٠.

(٢) الآثار الغارقة، روبرت سلفر برج، ص ٨.

أشبه ذلك فإن التخمين ساعتئذ هو قيام حرب بين البلدين مع العلم أنه يمكن أن تكون تلك القطع الدالة على الحرب استوردها أحد البلدين من الآخر أو أهداها أو أن الصناع في هذه البلاد حاكوا صناعة البلد الآخر أو أن الصناع في بلد الصانع الأول تفرقوا في البلاد الأخرى وأنتجوا نفس الصناعة التي أنتجوها في البلد الأول وغير ذلك من التخمينات.

ومثل الاستنتاج السابق قولهم :" ودلّ اكتشاف سيف يحمل رسم الفرعون المصري مير نيبتاخ على أن مصر حاولت في عهد هذا الفرعون أن تعيد أوغاريت(١)إلى حضيرتها فأرسلت إليها حامية مصرية للدفاع عنها ضد شعوب البحر"(٢) .

فهذا الأثر وهو السيف الذي عليه رسم الفرعون المصري دليل مادي على أن هذا الفرعون المرسومة صورته حاول إعادة أوغاريت قرب اللاذقية في سوريا الآن إلى سلطته فقد أرسل حامية تدافع عنها وهذا السيف من بقايا الحملة.

لكن ألا يمكن أن يكون هذا السيف جلبه أحد التجار ليبيعه أو أن مجرماً من مصر لو حق وطورد فهرب به إلى هذه البلدة أو يكون أهدي إلى حاكم هذه البلدة أو أحد أعيانها أو تغرب أحد أفراد أوغاريت إلى مصر واشتراه من هناك أو أن أحد الصناع في بلاد الحاكم الفرعوني إنتقل إلى أوغاريت وصنعه هناك.

أو أن أحد الصناع في أوغاريت معجب بالفن الفرعوني وصنع مثله يحاكيه.

و" هذا الأخير عبارة عن تمثال بازلتي كبير لم يستطع العلماء حتى الآن أن يحددوا عمره يبلغ طوله ٦٠ر٢م وارتفاعه ٥٩ر١ م وقد عثر عليه في نهاية

---

(١) بلدة أثرية قديمة على ساحل البحر الأبيض المتوسط شمال اللاذقية بسوريا موازية لشمال شرق قبرص أنظر ثقافة أوغاريت إ ش. شيفمان، ص ٦.

(٢) ثقافة أوغاريت ، تأليف شيغمان ، ترجمة حسان اسحاق، الأبجدية للنشر، مكتبة الأسد، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، ص ١١.

الخمسينات قرب قصر متحف نبوخذ نصر الثاني في مدينة بابل. والتمثال عبارة عن مشهد يمثل أسداً يجثو فوق إنسان وحتى الآن لم يتفق العلماء على ما إذا كان المشهد يمثل عملية افتراس الأسد للإنسان أم أنها عملية جماع بينهما؟ لقد مررنا كثيراً على ذكر حالات الإتصال الجنسي بين الإنسان والحيوانات في الأساطير"(١).

لكن لو قصد صانع التمثال به مشهد الإتصال الجنسي بين الإنسان والحيوان لابرز ذلك هذا على قبول مناقشة رأى الكاتب.

" والآن أصبح الجمل هو سفينة الصحراء على ما سمعتم بلا ريب كما أصبح هو وسيلة النقل والتجارة وقد وجه العرب البدو حياتهم بحيث أصبحوا يعتمدون من الناحية العمليه إعتماداً مطلقاً على الجمل... ولكن الحياة تدور حول الإبل التي تعتبر تربيتها مصدر لذة وفخار للرجل، أما لذاته فيجدها في القتال والإغارة ولا يكره البدو بحال أن يتعرضوا هم أنفسهم للإغارات بل إنهم يحتفظون بعدد من الجمال البيض لأنها ترى بسهولة وعن بعد أكثر من الجمال العادية الرمادية وبذلك تكون أقدر على جذب انتباه الأعداء وإغرائهم بالإغارة "(٢) وهذا التحليل للعرب أثناء العصر الحجري .

وقد تركت تحاليل كثيرة غاية في السخف وأخرى غاية في إثارة الشبه ونشر الوثنية وإشاعة الفاحشة .

ومن النوع الثاني وهي النقوش والرقوم والكتابة فإنها تفسر وتترجم غالباً لكن إيراد نماذج منها يوضح أوجهاً كثيرة من ترجمتها:

"دور سكن من عصر أيس- لارسا:

---

(١) نشوء الحضارات ص ١٠٣.

(٢) ماوراء التاريخ ، وليم هاولز ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ وهو يتكلم عن العرب في العصر الحجري.

مازالت جدرانها قائمة وبينها شوراع ضيقة تلتقي في ساحات صغيرة وقد وجد "وولي "(١) رقيما طينياً في أحد هذه الشوارع ورد فيه اسم : آب – رام فسمى الشارع - أي الذي وجد فيه الرقيم – باسم : إبراهيم وقصد بهذا : أن إبراهيم الخليل الذي يقال عنه أن أصله كان في أور نشأ في هذا الحي من عصر ايسن لارسا ٢٠٠٠ ق.م"(٢) فسمي الشارع باسم إبراهيم وقصد بذلك إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم أنه قد نشأ في هذا الحي منذ ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد.

وهذا تلخيص لما حدث من قراءة كتابة من آثار إبلا في سوريا .

وهذا نموذج آخر : " إستناداً إلى تطابق كلمتي " عمود " و" حياة " بمقطع " تى " في فترة حضارة جمدة نصر يمكن أن نفترض أن السومريين هم الذين كتبوا تلك النصوص ففي أحد النصوص نرى اسم " انليل – تي " وهذا معناه : (الإله إنليل يحفظ الحياه). وقد تم التعبير عنها بالرمز المعبر عن " العمود ". الأمر الذي يعني أن الكاتب كان سومريا حتماً لأن كلمتي العمود والحياة تلفظان باللفظة نفسها "تي". أما فيما يتعلق بمرحلة أوروك الرابعة فيمكن أن نفترض أن السومريين هم أصحاب كتابتها فقد كانت الرموز لاتزال تصويرية مما جعل قراءتها غير ممكنة"(٣).

من هذا الكلام نخلص إلى أن هناك سومريين لهم حضارات منها جمدت نصر ومنها أوروك وعند المؤلف افتراضان للنقش عن السومريين في هاتين الحضارتين:

١- إن كان في زمن جمدت نصر فإن مقطع " تي" يعني " يحفظ " واستدل بأن " انليل " تعنى إله على حد زعمه فتكون العبارة الإله يحفظ وأن

---

(١) آثاري كبير وهو ضابط في الإستخبارات البريطانية؛ مدخل إلى علم الآثار السير ليونارد وولي ص ٨.

(٢) المعالم الأثرية في البلاد العربية (الجمهورية العراقية – الجمهورية اليمنية) جامعة الدول العربية – الإدارة الثقافية مطابع مدكور بالقاهرة ، ١٩٧١م ص ٤٧.

(٣) نشوء الحضارات ص ١٠٢.

العمود المرسوم بجوار تي وانليل يرمز إلى الحياة، هذا افتراض على أساس أن النقش حدث في حضارة جمدت نصر.

٢- والافتراض الثاني: إن كان النقش حدث في حضارة أوروك فبما أن أوروك جزء من السومريين فهو يفترض أن السومريين هم أصحاب النقش وهذا مثل أنا في الفصل فحتماً أنا في المدرسة.

لكنه خلص بأن هذه الكتابة إذا كانت في أوروك فهي لايمكن قراءتها.

وهذا نموذج آخر :

"من خلال ما تقدم نلخص المسألة على الشكل التالي:

إن المقطع المسماري **Ni** له عدة قراءات هي:

ني - لي - ي - بو - أو - آ - يا.

Id - a - u - bu - I - li - ni

وأن السياق هو الذي يحدد القراءة المناسبة وأنه من خلال الأمثلة التي قدمها " بتيناتو"(١) والتي اختار منها قراءة يا (ia) مفضلا إياها على غيرها من القراءات أوصلته إلى باب مغلق في تفسير الكلمات التي ورد فيها المقطع ففسر كلمة (ايش - ما - نى) (اسمعنى) على أنها كلمتين (ايش - ما) اسمع.

وأما المقطع المتبقي (ني) فقال عنه أنه (يا) وربما يكون اسم الإله.

ومثلها فعل مع كلمة (أي - بي + - ني) إذ اعتبر المقطعين الأولين من جذر (أنبأ) أما المقطع (ني) فاعتبره (يا) وقال بأنه اسم إله فيصبح المعنى (أنبأ- يا) و(اسمع - يا) أي : أنبأ الإله يا، أسمع الإله يا)

وتسللت بعض الأقلام المدسوسة لتشرح وتفسر هذا الاله (يا)؟! وشدوا الحروف ومدوا المقاطع وخرجوا ببدعة غريبة مفادها: (إذا كان (يا) إلها فهو بالتأكيد الإله اليهودي يهوه!!

---

(١) آثاري يهودي ووسيتضح بعد قليل.

ودغدغت هذه القراءة الحلم القديم حلم الحدود الممتدة من الفرات إلى النيل وصار كل صحفي يهودي صهيوني علامة بالآشوريات والكتابات المسمارية وظهر تيار إعلامي خبيث راح ينتشر كالسرطان في بعض الأوساط المتزمته .. ولكن هذا التيار حينما بدأ يصل إلى المعاهد العلمية انبرى له مجموعة من كبار علماء اللغات والمسماريات القديمة أمثال جيلب وروبيرت بيغز وايتنغ وغيرهم وكان لمقالاتهم ودراساتهم دورها الكبير بانتهاء الزوبعة "(١) .

على أنه يوجد ألواح مليئة بالكتابات لهذه الحضارة (إبلا) على ألواح مجموعها في حدود أربعة آلاف رقيم(٢) .

وهذه الكتابة المسماريه تحتمل تأويلات وتتقبل الكثير من الهوى مالم يكن هناك رادع من أمانه .

إن الاستاذ : " روبرت بيغس " استاذ الأشوربات في المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو والإختصاصي الذي يعمل منذ عام ١٩٦٣م على رُقُم مشابهة لرقم إبلا مكتشفة في (أبوصلابيخ) بالعراق الشقيق يؤكد على صعوبة قراءة وفهم النصوص المسماريه وتعقيد طريقة الكتابة في إبلا فيقول:

"إن فيها استعمالاً كثيراً للإشارات الرمزية الأمر الذي يعنى أن الكلمات المقصودة لايمكن أن نعرفها إلا من مقابلها في اللغة السومرية. ولا ندري ماهي اللغة الإبلائيه، ثم إن الأدوات التي تربط الكلمات بعضها ببعض لتشكل الجمل قد لا تكون موجودة إطلاقا وإذا وجدت تكون مكتوبة بالمقاطع وعلى هذا لا يمكن معرفة معناها إلا تخميناً وبالمقارنة مع ألفاظ مماثله في لغة " سامية " أخرى ويبدو في الحقيقة. عدم وجود نصوص مكتوبة كليا بالمقاطع الإبلائية وعلى هذا فالنصوص

---

(١) امبراطورية ابلا ، ص ٣٩.

(٢) انظر المصدر السابق.ص ٣٠.

الإبلاغية في كثرتها الساحقة لايمكن فهمها إلا إذا أمكن تفسير الإشارات الرمزية السومرية ... إن معظم الإشارات المسمارية لها أكثر من قراءة مقطعية وكذلك واحدة أو أكثر من القراءات الرمزية"(١) .

"لقد قامت الباحثة الألمانية المختصة بالسومريين (شنيدر) بمحاولة تفسير أصل لقب (انسي) عن طريق تحليل المقاطع الأساسية المكونه له ورأت أن المقطع الأول يعني عصا المراقب على مجموعة من العاملين أما المقطع الثاني فيعني التدرج المتكون أثناء بناء المعبد ويعني المقطع الثالث (سي) الفعل " أهال ". نستنتج أن (انسي) كان في البلدان مراقباً على العاملين في بناء المعبد كما كان كبير كهنة روما باني جسور في وقت ما ...

أما مقابر (أور) فقد فاقت مقابر كيش. وقد أثار اكتشافها من قبل عالم الآثار (ل. فوللي) دهشة حقيقية على مستوى العالم ففيها ثلاثة قبور لثلاثة ملوك الأمر الذي دلت عليه الكتابات التي وجدت على الأشياء التي تخصهم. وقد ورد اسم (مسكالا مدوغ) و(آكالا موغ) والملكة (بوآبي) (هذه قراءة افتراضية"(٢).

بنصهم أن القراءة مجرد افتراض...

ومع هذا كله فإن أراء الأثاريين وأحكامهم تتغير من وقت لآخر:

---

(١) امبراطورية ابلا ؛ ص ٣٥ - ٣٦ .

(٢) نشوء الحضارات ، ص ١١٨ - ١١٩.

" لقد ظلت الخرائب الحجرية العظيمة فى (زمبابوى) في رودسيا(١) (مدة طويلة لغزاً من الألغاز ، وكانت تحيط بها أغرب الآراء – فمن قائل إنها قد بنيت على يد الفينيقيين(٢)ومن قائل إنها كانت (الأوفير) الذي حصل منه سليمان – عليه السلام – على ذهبه ومن قائل إنها كانت نقطة أمامية لمصر القديمة(٣)ولو أن أية نظرية من هذه النظريات ثبتت صحتها لكان لابد أن نعيد النظر من جديد في جميع آرائنا عن التاريخ القديم(٤)إلا أن قطعة لاقيمة لها من الخزف الصيني عثر عليها في أساس البناء خلال حفائر علمية منظمة بإتقان وعناية أثبتت أن ما كان يسمى معبداً هو بناء يرجع إلى العصور الوسطى ولابد أن يكون من عمل الإفريقيين الوطنيين أنفسهم "(٥) أي المبنى من عمل الإفريقيين في هذه المنطقة لكن لماذا لاتكون القطعة الخزفية قديمة القدم الأول الذي كانوا يظنونه وعلى أي أساس سُمى هذا المبنى معبداً وعليه فإن كثيراً من المباني الأثرية تسمى معابد بدون دليل وهذا مشعر بتغير الحكم عندهم.

لكن " قبل عام ١٩٤٦–١٩٤٨م كان المؤرخون يعدون شريعة حمورابي أقدم شريعة مدونة في تاريخ العالم – أي أقدم حكم وضعي – ولكن اكتشاف المؤسسة العامة للآثار العراقية لشريعة مدونة في تل حرمل (شأيم القديمة) في ذلك العام ودرسها ونشرها وتاريخ الطبقة الأثرية التي وجدت فيها غيّر تلك المقولة العامة لأن الشريعة الجديدة التي أطلق عليها شريعة اشنونا (نسبة إلى مملكة اشنونا الكائنة في الأراضى الخصبة ما بين دجلة غرباً وديالى شرقاً وامتدت حدودها إلى ضواحي بغداد الشرقية) .

(١) في جنوب إفريقيا
(٢) ومقر حضارتهم فى سهل لبنان
(٣) وهذا بالقياس على امكانية الوصول والاتصال في العصر الحديث
(٤) حيث يعني امتداد الممالك السالف ذكرها من مقارها إلى هذه النقطة البعيدة جداً
(٥) مدخل إلى علم الآثار صـ٢٠.

نقول : إن هذا الإكتشاف الجديد قد مد في تاريخ ظهور الشرائع المدونة في العراق القديم بما لايقل عن القرن الواحد قبل شريعة حمورابي (١٩٩٣-١٧٥٠ ق.م) ولم يكن يمضي عام واحد على هذا الإكتشاف حتى وجد الباحثون في الولايات المتحدة الأمريكية من بين الألواح القديمة المخزونة في متحف بنسلفانية (من نفر) لوحاً آخر مدون بشريعة أقدم من شريعة أشنونا وهي شريعة لبث – عشتار (الملك الخامس من ملوك سلالة ايس) ثم عقب ذلك اكتشاف قانون مؤسسة سلالة أور الثالثة المسمى " أور – نمو " (٢١١٢-٢١٩٤)(١) الذى يسبق بدوره شريعة لبث – عشتار بما لايقل عن مائة عام"(٢).

فقد كان الحكم أولاً : أن ما يسمونها شريعة حمورابي هي أقدم شريعة مدونة في تاريخ العالم.

ثم نسخ هذا الحكم وأصبح أن أقدم شريعة مدونة هي شريعة أشنونا ثم نسخ هذا الحكم الثاني وأصبح أن أقدم شريعة في العالم شريعة لبث – عشتار ثم نسخ هذا الحكم الثالث وأصبح أن أقدم شريعة في العالم هي شريعة مؤسس سلالة أور الثالثة.

والكتاب المنقول عنه هذه النسوخ المتتالية طبع عام ١٤٠٠ هـ ولم أجد ما ينسخ الحكم الأخير.

وكل هذه التغيرات ناشئة عن تجدد الإكتشافات الأثرية فالإكتشاف المتأخر قد يلغي حكم معلومة أو خبر أخذ من مكتشف سبقه.

" بعد مرور خمسة أو ستة آلاف عام على قيام الثورة الزراعية في الشرق القديم نلاحظ أن معلوماتنا عن تلك المرحلة التاريخية قد أزدادت في العشرين عاماً الأخيرة بسرعة كما أن آراءنا عنها تتغير بعد كل سبر جديد في آسيا الأمامية وهذا إن دل إنما يدل على خصوصية المواد التى تركها أسلافنا منذ آلاف السنين ويدل أيضا على خصوصية دراسة آسيا الأمامية من جهة أخرى "(٣).

لكن هل الآثار كلها لم يتغير فيها شيئ ولم يفسد منها شيئ منذ تركها

---

(١) يبدو أن أرقام التاريخ مقلوبة أو أن فيها خطأ لكنها هكذا في النص.

(٢) طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار صـ ٦٨.

(٣) نشوء الحضارات ص٦.

أصحابها وهي الأدلة التاريخية والمصادر الأولية للتاريخ ؟

لقد تعرضت مراكز العمران والحضارات القديمة إلى التدمير والتخريب الجزئي والكلي الناشئ من عوامل مختلفة مدمرة كالزلازل والبراكين والحرائق والأعاصير والفياضانات أو من جراء الحروب وما يصاحب ذلك قديماً وحديثاً من تدمير المدن ومآثرها وبقاياها الفنية[١]وأيضاً تتعرض كثيراً من الآثار للإتلاف وللنهب والسرقة والاستيلاء والشراء والإهداء قديماً وحديثاً ومن ذلك:

" نذكر من أشهر التنقيبات التي أجراها المنقبون الألمان في مدينة بابل الشهيرة طوال عدة سنين (١٨٨٩-١٩١٧) وشملت معظم أجزاء المدينة في معابد وقصور ودور سكن وبوابات . ولكن التحريات لم تتغلغل إلى الطبقات الأثرية العميقة التي تمثل الأدوار القديمة من تاريخ بابل ذلك لأن ارتفاع مناسيب المياه الجوفية حال دون ذلك بحيث أن أدوار السكن وبقايا المدينة المهمة من العصر البابلي القديم الذي اشتهرت به بابل ... نقول أن بقايا هذا الدور والأدوار الأقدم منه تقع تحت مستوى تلك المياه"(٢).

و" شئون الحياه المتنوعة المعقدة لاتسعفنا المصادر والوثائق التى جاءت إلينا للوقوف على أسرارها وتفصيلاتها سوى الملامح العامة وبعض الجوانب من حياة المجتمعات القديمة "(٣) .

و" كان في سدوس[٤] شاخص كالمنارة – مسلة – وعليها كتابات كثيرة منحوتة في الحجر ومنقوشة في جدرانها فهدمها أهل سدوس لاختلاف بعض السياح من الإفرنج إليها"(٥) .

---

(١) انظر طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار صـ ٦٩.
(٢) المصدر السابق صـ ٦٦.
(٣) المصدر السابق نفس الصفحة.
(٤) بلدة قرب الرياض في الشمال الغربي.
(٥) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ، مكتبة النهضة، بغداد ، العراق، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م، ١/١١٧.

ومثل ذلك حدث في اليمن ومواضع أخرى من أمكنة الآثار(١) .

ولقد " هدمت قرى ومدن في الجاهلية وفي الإسلام من أجل استعمال أنقاضها في أبنية جديدة ... حصن ذي مرمر وهو من المواضع الجاهلية المهمة وكذلك شبام سخيم يسخم وبقيا معروفين زمناً طويلاً بعده ثم جاء أحد الأتراك واسمه حسن باشا فهدم حصن ذي مرمر لينشئ في أسفله مدينة جديدة أخذ معظم مواد بنائها من شبام سخيم ثم قال:(٢).

إن حكومة اليمن قامت بعد سنة ١٩٤٥ ببناء ثكنة لجنودها في المنطقة الشرقية من اليمن في مأرب على نمط الثكنة التي بناها الأتراك في صنعاء فهدموا أبنية جاهلية كانت لاتزال ظاهرة قائمة واستعملوا الحجارة الضخمة التي كانت متزامية على سطح الأرض وأزالوا بعض الجدر والأسوار وحيطان البيوت عند بناء تلك الثكنات فطمسوا بذلك بعض معالم تاريخ اليمن القديم "(٣) .

فكم من مباني أثرية أزيلت باستخدام موادها أو تماثيل وفنون نقلت من مقار حضاراتها وحُسبت أنها إنتاج حضارات لاحقة مثلاً .

ويقول آخر " تلك الآفة الخبيثة التي ابتليت بها أمة العرب في كل أمصارها ذات التاريخ المجيد – في مصر وسورية والعراق ، وفي بلاد العرب نفسها – تلك الآفة هي هدم المباني القديمة ، واستخدام أنقاضها في مبان جديدة ، بل ليست الأمر اقتصر على ذلك ، وإنما تعداه إلى تحطيم كثير من الآثار ، والعبث بعدد وافر من المقابر بحثاً عن كنوز قد يجدها هؤلاء العابثون هنا وهناك أو سرقة لعدد من التحف الأثرية" (٤)

" قد لاحظت أن معظم حجارة المعبد قد نقلها البدو حيث استعملوها في إقامة شواهد لقبورهم .

---

(١) انظر المصدر السابق بنفس الصفحة
(٢) أي المؤلف
(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ١١٧/١
(٤) دراسات في تاريخ العرب القديم : د. محمد بيومي مهران – المطابع الأهلية للأوفست الرياض ١٣٩٧ هـ – ١٩٧٧ م صـ ١٠

وعلى بعد قليل إلى الجهة الشمالية وجدت أساساً لبناء أصغر أُقدّر أنه أحدث عهداً من المعبد ويجوز أن يكون قد بني من مواد أخذت من المعبد ذاته"(١).

وقد احترق الجامع الأموي بدمشق يوم السبت ١٣١١/٤/١هـ مع سوق القباقبية والقوافين وسقط سقف الجامع كله وتهدم وكان سبب الحريق عامل صيانة في سطح المسجد اشتهى دخان (نارجيلة) فأشعل النار فامتدت إلى المسجد كله"(٢) .

وقبل هذا وبعده فقديماً قد " استعمل القادة سياسة حرق المدن والمواقع والمزارع وقتل السكان بالجملة فأدى ذلك إلى اندثار الآثار "(٣) .

و" توفرت في المناطق الشمالية – والكلام عن قارة إفريقيا من حيث صمود الآثار عن التلف من عدمه – الجافة أدلة أركيولوجية أحسن مما في المناطق الإستوائية الرطبة والحارة والحق أن هناك مناطق كساحل العاج مثلاً أصاب الأدوات المعدنية فيها الصدأ وأتلفها بمدة أقل من قرن فأصبح من العبث القيام بحفريات أركيولوجية لأي غرض فيها"(٤) .

" نبذ الملك إخناتون –زوج نفرتيتي – عبادة آمون (الذي كان أصبح الإله الرئيسي لمصر) وغيره من الآلهة بما فيها أوزيريس وأمر بعبادة آتون وهو مظهر آخر لإله الشمس [رع] ونصب نفسه كبيراً للكهنة وبذلك أنقص عدد رجال الكهنوت الأقوياء وجردهم من أملاكهم وأمسك هو بزمام الدين في يديه لكي يعلى ويرفع من سلطة النظام الملكي ولم يرض الناس عن ذلك ولذا وجد زوج ابنته وخليفته توت عنخ آمون نفسه مضطراً " لإصلاح الإصلاح "وإرجاع الآلهة القديمة ولكن حتى بعد هذا التسليم والإذعان فإنه لم يجد مفراً من أن يدفن اخناتون سراً بل إنه هو نفسه دفن في مكان سري وقام خليفته بطمس كل ما سجل عنه "(٥) .

---

(١) شمال الحجاز صـ ٢٣٦

(٢) انظر الجامع الأموي ، علي الطنطاوي – مطابع دار الفكر دمشق سوريا الطبعة الثانية ١٣٨٠ هـ صـ ٧٢-٧٥

(٣) المفصل في تاريخ العرب ١١٧/١-١١٨

(٤) الاتجاهات العامة في الابحاث التاريخية ، جفري باراكلو صـ ١٨٧

(٥) ما وراء التاريخ . وليام هاولز صـ ٤٦٦ .

فكم من الآثار أصابها التلف أو النقل من أماكنها أو التغيير أو الطمس مما يكون له تأثير على استنتاجات الباحثين الأثريين

" ومن المعروف أن كثيراً من أحجار القبور القديمة أو لوحات الشواهد كانت تزال من أماكنها لتوضع على قبور جديدة أو تستعمل كشواهد لقبور جديدة بحيث كانت معالم القبور الأصلية تضيع وتنمحي مع الزمن"(١) ومثل هذه التغييرات للآثار مالمانع أن تحدث حتى في الآثار المدفونة كالنقل والنهب والتغيير وتعدد الإستعمالات.

أما عن النقوش التي على التماثيل فإنه إذا لم يصادف هوى في نفس الآثاري فيمكن أن يقول لك : " لقد حمل التمثال نقش الملك الآشوري من القرن الحادي عشر قبل الميلاد ومن الجائز جداً أن تكون الكتابة قد نقشت بعد قيام التمثال بوقت طويل"(٢) .

وهذا الكلام ينسحب بدوره على عامة الكتابات التي علي التماثيل والأعمال التي خلفها أو دونها السابقون مما تعتبر مصادر أولية في التاريخ .

ومع ذلك فإنه لايهتدى إلى التاريخ أحياناً :

" ويعتقد بصفة عامة أن أقدم الصور الملونة في الكهفين التاسع والعاشر يرجع تاريخها إلى القرن الأول ق . م . غير أن البعض ناقشوا صحة هذا التاريخ ويعتقدون اعتقاداً جازماً أنه ليس من بين الصور الملونة بهذين الكهفين ماهو أقدم من أوائل القرن الثانى ب . م"(٣) .

فالكتابة أو النقش أو التصوير يمكن أن يصاحب الصنعة أو أن يتخلف عنها بمدد متفاوتة قد يصل التفاوت إلى أكثر من ألف سنة.

(١) اجدادنا في ثرى بيت المقدس : كامل جميل العسلي ، مؤسسة آل البيت طبع عمال المطابع التعاونية ، عمان ، الاردن ، ١٤٠٢هـ ص ٢٤٥ .
(٢) نشوء الحضارات ص ١٠٣ .
(٣) معجم المصطلحات الاثرية صـ ٢٥ و ق . م . تعنى قبل الميلاد و ب . م تعنى بعد الميلاد.

ويبقى بعد ذلك ختاماً لصلاحية الآثار واستنتاجات الآثاريين لكتابة التاريخ وتثبيته ورفعه إلى مصاف المواد العلمية(١) قول مهم وواقع كثيراً فى الآثار وهو: " أن الأدلة الأثرية الإيجابية قد تكون مبهمة بينما تكون الأدلة السلبية غير ذات قيمة في الغالب .

فالقبور الفخمة أو القصور قد تكون دليلاً على وجود رؤساء للحكومات – إذا وجدت مثل هذه الحكومات – إلا أن غياب هذه القصور أو القبور لا يعد دليلاً حاسماً يثبت عدم وجود هؤلاء الرؤساء "(٢) .

ومعنى كلامه أن الأثر الموجود قد يكون مبهم الدلالة ويحتاج إلى تخمين، أما عدم وجود أثر فإنه لايعني عدم وجود ذات الشئ المبحوث عنه إذ أن عدم الوجود لا يدل على عدم وجود الشيء بل يدل على أن الباحث فقط لم يجد الشيء المبحوث عنه ، فقد يكون موجوداً لكن لم يتوصل إليه أو يكون قد تلف بطريقة أو بأخرى.

ولنبش الآثار في بلاد المسلمين وتعظيمها أسباب كثيرة تظهر حيناً وتختفي حيناً آخر وهي أحد السهام القاتلة التي أطلقت من الغرب الملحد صوب العالم الإسلامي فقد كان " من المخططات الإستعمارية لمكافحة الإسلام الدعوة إلى إحياء الحضارات القديمة وهي سابقة لحضارة الإسلام وقد ظهرت هذه الدعوة بتوجيه من الأوربيين والأمريكيين وارتفعت بها في وقت واحد في كل من تركيا ومصر والشام والعراق وشمال إفريقيا وفارس والهند واندونيسيا وكان مظهرها في كل هذه البلاد واحداً أو كانت أساليبها متشابهة لأن المحرك لها واحد ، والدافع إليها متعاون

(١) انظر عن رفع علم التاريخ لمصاف العلوم التجريبية في كتاب طرق البحث العلمي في التأريخ والآثار ص ٩ وما بعدها.

(٢) الرومان : حسين الشيخ دار المعرفة الجامعية الاسكندرية مصر صـ ٢٨
وانظر : مصر القديمة ، جان فير كوتير . ترجمة ماهر جويجاني – دار الفكر للدراسات القاهرة – الطبعة الأولى ١٩٩٣ م صـ ٥٥

متفاهم ومصمم على إلقاء حاجب كثيف من الأوهام والشكوك والأباطيل ، يحاول أن يحجب به نور الحضارة الإسلامية عن الأبصار ويبعدها عن الأنظار ويفتح لهم نوافذ على الحضارات القديمة التي سادت ثم بادت ولكن المستعمر عمل على إحيائها وبعث أخبارها وأمجادها ليشغل بها أفكارنا ويملأ بها أدمغة شبابنا حتى لاتتسع لأخبار حضارتهم – أو تعجب بتاريخ أمجادهم – الإسلامية – الذين ملأوا الدنيا نوراً وعلماً وهدى ورشاداً "(١) .

علماً أن حضارة المسلمين " كانت سبيلاً إلى النور انقشعت به غشاوات الجهل في الشرق والغرب وكانت طريقاً إلى المدنية الأصيلة الواعية التي حملها المسلمون إلى الناس كافة وما حضارة اليوم إلا وليد لتلك الحضارة الضخمة التي أوقد مشاعلها وأحيا مصابيحها رجال الإسلام وحملة القرآن وجنود محمد بن عبدا لله صلوات ا لله وسلامه عليه ولولا تلك الحضارة بعد ا لله تعالى التي ارتفعت بالعلوم والآداب لما كانت حضارة القرن الرابع عشر الهجري أو القرن العشرين الميلادي"(٢).

" ولما دخلت أوربا في مغامرة غزو القارات والإستيلاء على كل مكان (خال) من (حضارة) واكتشف الغربيون آنذاك عوالم جديدة أخذوا يتنافسون على احتلالها ويتسابقون على الإستيطان فيها فتوسعوا في المعمورة كلها التي تحولت إلى مرتع يقسم ويوزع ويستعمر وإن كان ذلك قد تم بمجرد دوافع اقتصادية وعسكرية معروفة فإن الدول الغربية كانت في حاجة إلى عملية تسويغ لهذا الإحتلال الذي لم يكن يساير فلسفة الديموقراطية والحرية خاصة وأن بعض

---

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام محمد محمود الصواف – دار الاعتصام - القاهرة – توزيع دار الاصلاح.الدمام– الطبعة الثالثة ١٣٧٩هـ ص١٣٥–١٣٦.

(٢) المصدر السابق بتصرف صـ ١٣٦.

الأوساط التقدمية كانت تحترز ولم تكن مقتنعة تماماً بشرعية الحركة التعميرية ولا بضرورة السيطرة الإمبريالية فإن سياسة التوسع العسكري نفسها لم تكن تساير أساساً المبادئ والمثل العليا التي بنيت عليها فكرة الرقي البشري ومن ثم انبعثت نزعة عميقة الرسوخ في الأذهان منذ ذلك العهد إلى يومنا هذا تقول بتفاضلية الثقافات والمجتمعات والحضارات والأديان ، وآلت في نهاية المطاف إلى نظرية (العقليات) التي ظلت وكأنها القول الفصل إلى مابعد الحرب العالمية الثانية فأصبح من المسلم به أن البشرية في تطورها التاريخي وسيرتها الكونية نحو الحضارة أصناف وأقسام متباعدة وأن الحضارة الغربية تمثل خلاصة التطور بيد أن المجموعات الأخرى ما تزال (بدائية) تعيش طور التوحش والهمجية والقبلية وشتى أوجه الإنحلال والجهل والفقر والبؤس والتخلف"(١) .

وفي نبش الحضارات السابقة وطمس حضارة الإسلام يحاول الغرب إثبات تطوره ورقيه الحضاري مستنداً إلى جاهلية الرومان والإغريق وأن الفنون والعلوم تغرف من حضارتهم السابقة واللاحقة ويرى الأوربيون بناء على ذلك أنه أصبح لزاماً على " المجتمعات الأوربية المتقدمة أن تكون مسئولة أمام ضميرها وأمام التاريخ عن بقية الشعوب المتأخرة فواجب عليها أن تستعمرها حتى تلقنها معاني الحضارة وتسمو بها إلى مستويات الرقي الإقتصادي والإجتماعي والثقافي وهذا ما أسماه رديوارد تبلن : (حمل الرجل الأبيض) أو ماكان يدرسه أساتذة الفلسفة الفرنسية إلى تلاميذ البكالوريا بعنوان (الاستعمار)"(٢) .

وهذا معناه تهيئة الشعوب الأوربية لقبول مبدأ التدخل في الدول الأخرى

---

(١) مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب التربية العربى لدول الخليج – مجموعة مقالات – الجزء الثانى . مقال بعنوان الحياة الاجتماعية الإسلامية كما صورها بعض المستشرقين . د. عبدالوهاب أبو حديبة صـ ١٤١.

(٢) مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية ص ١٤٢.

المستعمرة بأي صورة من صوره العسكري منها والثقافي وغير ذلك والمقصود من تحضر الشرق وسوقهم إلى الحضارة في نظر الغرب استعباده وإخضاعه لهيمنة الغرب قال " مؤرخ نابليون عن هدف غزوته لمصر وعن مقاصد فرنسا في الشرق: (لقد أراد نابليون أن يقدم نموذجا أوربياً للشرق وهو فوق هذا أراد أن تكون حياة الناس أكثر سعادة ، وهو أرادهم أيضا أن يجنوا كل الفوائد التي تهيئها لهم الحضارة [الأوربية] المتكاملة) فإذا تحضرت مصر – وهي مفتاح الشرق – تحضر الشرق كله فيسهل استعباده"(١) .

ويقولون أيضاً إن " أية دراسة عن الاستعمار كظاهرة تاريخية لن تكون كافية مادامت تقتصر على الإستعمار الأوربي في العصور الحديثة وتتجاهل الإستعمار التقليدي في العالم القديم"(٢) .

" إن ازدياد إهتمام المؤرخين في الغرب بتاريخ آسيا وإفريقيا بما في ذلك المؤرخون في الإتحاد السوفيتي وأوربا الشرقية تؤثر فيه إلى حد ما الإعتبارات السياسية السائدة أو بعبارة أخرى أنه يعكس إدراك الأهمية المتزايدة " للعالم الثالث" في السياسة المعاصرة وهي من وجهة نظر الحياة اليومية تحقق أهمية عملية لفهم أحسن لتقاليدهم وتطورهم وهذا هو الشاغل الذي يقف وراء الإصرار في الولايات المتحدة وغيرها على طلب " كورسات توجيهية " عن حضارات آسيا(٣)... ولكن لاريب في أن أثرها في توسيع أفق نظر المؤرخ يستحق التقدير

(١) الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية : قاسم السامرائي – دار الرفاعي للنشر– الرياض – السعودية – الطبعة الولى ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م ص ٥٣.

(٢) الاتجاهات العامة في الابحاث التاريخية – جفري باراكلو صـ ١٧٤.

(٣) وضرب المؤلف امثلة لمؤلفين غربيين :

١– كورس توجيهي عن المدنية الآسيوية.

٢– كم عدد التواريخ التي ينبغي أن ندرسها.

٣–تدريس التاريخ العالمى – هامش ٤٢٥ صـ ١٧١ نفس الكتاب المنقول منه.

فهي أولا : جعلت المؤرخين الأوربيين يزداد إدراكهم لتحديدات نظرتهم التي تنظر إلى أوربا كمركز على العالم وفي رغبتهم ببذل الجهود لتوسيع التحديدات في الزمان والمكان وثانيا : وهو الأخص أنها أدت إلى موقف مفتوح ونقدي أوسع تجاه قضايا الاستعمار بين القديم والحديث كما أنها أدت إلى أن لاتقتصر الدراسة أثرها على وجهة نظر القوة الإستعمارية وإنما يجب أن تأخذ هذه الدراسة بوجهة نظر الشعوب التي تأثرت من الإستعمار وأن تعالج كل تاريخ التوسع الإستعمارى بعملية مواجهة تشارك فيها كافة الأطراف.

يتوجه المؤرخون اليوم بتأثير الحوادث العالمية الحديثة نحو مثل أعلى منطوقة نظرة للتاريخ تكون فيها لكل أمة أو حضارة في أي جزء من العالم مكان وادعاء مساوٍ ما لغيرها من الأمم أو الحضارات "(١) .

الغرب يرى أن " العالم الخارجي الذي انتشر فيه الإسلام من بلاد العرب كان هو العالم الإغريقي الذى ورث المدنية اليونانية – الرومانية وكانت الفتوحات الإسلامية الأولى كلها تقريباً داخل العالم الإغريقي"(٢) .

" يقول المستشرق لورنس براون : " لقد كنا نخوف بشعوب مختلفة ولكننا بعد اختبار لم نجد مبرراً لمثل هذه المخاوف .

لقد كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودي وبالخطر الأصفر وبالخطر البلشفي.. إلا أن هذا التخوف كله لم يكن كما تخيلناه إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد ثم رأينا البلاشفة(٣) حلفاء أما الشعوب الصفر(٤) فهناك دولة ديمقراطية كبرى تقاومها...

---

(١) المصدر السابق صـ ١٧١ – ١٧٢.

(٢) وجهة الاسلام جب صـ ١٢.

(٣) البلاشفة يعني بهم الشيوعيين •

(٤) الشعوب الصفر يعني بهم الصينيين •

ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته إنه الجدار الوحيد في وجه الإستعمار الأوربي"(١) .

أما ريلاند فيقول : " إن الأحرى هو أن يسعى المرء للتعرف على الإسلام في حقيقته لكي يحاربه بطريقة أكثر أماناً وأشد قوة"(٢) .

أما المستشرق مورو بيرجر فيقول : " إن الخوف من العرب واهتمامنا بالأمة العربية ليس ناتجاً عن وجود البترول بغزارة عند العرب بل بسبب الإسلام، تجب محاربة الإسلام للحيلولة دون وحدة العرب التي تؤدى إلى قوتهم لأن قوة العرب تتصاحب دائماً مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره "(٣) .

أما المستشرق لورنس براون فيقول : " إذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة العالم وخطراً .... أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يضلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير ... يجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقين ليبقوا بلا قوة ولا تأثير"(٤).

ويوجين روستو مستشار الرئيس الأمريكي جونسون في الستينات يقول " لاتستطيع أمريكا إلا أن تقف في الصف المعادي للإسلام أي إلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية لأنها إن فعلت غير ذلك تنكرت للغتها وفلسفتها ومؤسساتها ....

إن هدف العالم الغربي في الشرق الأوسط هو تدمير الحضارة الإسلامية"(٥) .

---

(١) التبشير والاستعمار في البلاد العربية . مصطفى خالدى وعمرو فروخ – المكتبة العصرية – بيروت . لبنان – الطبعة الخامسة ١٩٧٣ م صـ ١٨٤ .

(٢) الاسنشراق والخليفة الفكرية للصراع الحضاري ، د. محمود حمدي زقزوق ، كتاب الأمة ، سلسلة فصلية تصدر عن عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ، في دولة قطر صفر ١٤٠٤هـ ، الطبعة الأولى ص٣٤ .

(٣) افيقوا أيها المسلون وانظروا ماذا يراد بكم. أحمد الشريف – مكتبة الصحابة –جده – مكتبة التابعين – القاهرة صـ ٣٥.

(٤) المصدر السابق ص٣٩–٤٠.

(٥) الغزو الثقافي يمتد في فراغنا ، محمد الغزالي ، دار الصحوة ، القاهرة ، ط١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م ص٤٢ .

ويقول أيضا : " لقد كان الحوار محتدماً بين الإسلام والمسيحية على الدوام منذ القرون الوسطى بصورة أو بأخرى ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب أي خضعت الحضارة الإسلامية للحضارة الغربية والتراث الإسلامي للتراث المسيحي وتركت هذه السيطرة آثارها البعيدة في المجتمع الإسلامي حتى بعد انتهاء أشكالها السياسية بحيث جعلت المواطن العربي يواجه معضلات ومشكلات هائلة وخطيرة في السياسة والإجتماع والإقتصاد والعلم لايدري كيف يتفاعل معها في علاقاته الداخلية والخارجية على السواء "(١) .

ويقول أيضا : " يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية"(٢) .

" أنتم أيها الإسرائيليون لايجب أن تشعروا بالشفقة حتى تقضوا على عدوكم لاعطف ولارثاء حتى ننتهي من إبادة مايسمى بالحضارة الإسلامية التي سنبني على أنقاضها حضارتنا"(٣) .

والغرب يعرف الإسلام والحضارة الإسلامية حق المعرفة ومن ذلك قولهم:

" الحق أن الإسلام ليس مجرد نظام من العقائد والعبادات، إنه أعظم من ذلك كثيراً هو مدنية كاملة ولو بحثنا عن لفظ مقابل له لقلنا العالم المسيحي ولم نقل المسيحية ولقلنا الصين بدل أن نقول ديانة كونفو شيوس"(٤) .

"إن التنوع والإختلاف أكثر ملائمة لإسرائيل من التوحيد والإنسجام في الشرق الأوسط وعلى هذا فإن تمكنت كل دولة في المنطقة حيث نجد عدد غير العرب مساويا لعدد العرب من ممارسة شئونها الخاصة بسلام عندئذ لايقلق أحد من وجودنا، فضمن فسيفساء من الدول فقط نستطيع أن نعيش ونندمج دون أية

(١) افيقوا ايها المسلمون صـ ٤٩ - ٥٠ ، معركة الإسلام ، محمد محمود الصراف ، ص١٨٣ .

(٢) المصدر السابق صـ ٥٠.

(٣) لورنس العرب صـ ٧ من كلام مناحم بيجن - رئيس وزراء اسرائيل السابق.

(٤) وجهة الاسلام جب صـ ٩

صعوبة لكننا نشكل شوكة في جسم كتلة متجانسة "(١) .

كان من المفترض عند امتداد الإسلام وانتشاره في مناطق متباينة من حيث العادات والموروثات واشتماله على أجناس كثيرة سيحول ذلك حتماً دون بلوغ وحدة حقيقية في المدنية الإسلامية المترامية الأطراف لكن ذلك تلاشى ولم يحدث أي شي من ذلك لأن أصول المدنية ونزعات الفكر بقيت واحدة بوجه عام(٢) ومما ساعد في ذلك " أن الإسلام لم يتعرض أثناء تشييد مدنيته لثقافات متباينة تتنافس في التأثير فيه"(٣) بل هو المؤثر فيها المحتوي لها وكانت " وحدة ثقافته تلك هي قوة الثقافة الإسلامية الفتية على إضعاف ذكرى الثقافات الموروثة بل على محوها في بعض الأحيان من نفوس معتنقيه وإحلال تاريخ الإسلام وتقاليده السالفة محلها . نسي الناس في كل الأقطار تقريباً ماكان لهم من ماض قبل الإسلام – نسي المصريون فراعنتهم وبطالستهم ونسي الأتراك خواقينهم وهلم جرا ورجعوا إلى بلاد العرب والخلفاء الأولين يتخذون منهم أسلافاً روحيين "(٤).

وعند نبش الآثار السابقة للإسلام وتقديم تاريخها وثقافتها لشعوب العالم الإسلامي يحدث العكس فيتفتت العالم الإسلامي ويتبعض حيث تختلف تلك الثقافات وتتباين فيما بينها وفيما بينها وبين الإسلام فهي مختلفة من فرعونية وفينيقية وآشورية وكلدانية وسومرية وثمودية وسبأية وحميرية وغير ذلك مما يؤثر كل منها في جزء من بلاد الإسلام وتكون بمجموعها سبباً رئيساً للتفرقة وعدم الإجتماع إطلاقا وتباين الشخصيات التي تتخذ قدوة بأنواع من الجاهليين (٥)

---

(١) من كلام أبا إيبان وزير الحزب الاسرائيلى السابق– نقلته من كتاب لورنس العرب على خطى هرتزل – تقارير لورنس السرية – زهدى الفاتح – دار النفائس– بيروت – الطبعة الرابعة ١٤١١ هـ – ١٩٩١م ص ١٥

(٢) انظر وجهة الاسلام جب ص ١٠ .

(٣) انظر وجهة الاسلام ب ص ١١

(٤) المصدر السابق ص ١٣والسبب أن الوثنيات كلها في صف واحد تقبل أن يأخذ بعضها من بعض أما الإسلام فهو في صف لا يقبل أن يتأثر بها بل هو المؤثر فيها.

(٥) انظر وجهة الإسلام ، جب ، ص ١٠ – ١١

وهذا يعني أن الآثار أكبر رافد ومغذ للقوميات الوطنية في بلاد المسلمين ويعني أن الآثار وعلمها أكبر معول هدم وتمزيق وتفتيت وإضعاف للوحدة الإسلامية وللعالم الاسلامي وسبب ذلك أن العاطفة والولاء عند المسلم كلما اتجهت للوطن يضعف بناء المجتمع المسلم وأن ضعف المجتمع المسلم انتصار حاسم لقوى أوربا(١) وفكرة الوطنية لابد لها من مثل أعلى تجتمع عليه(٢) والمثل الأعلى يكمن في عظماء البلد وقادة حضارته ولا يكون عند الوطنيين غالباً إلا من الآثار الجاهلية إذ هو المجد الغابر.

ويتكلم جب عن الشباب الأندونيسي وتفاعله مع نبش الآثار بأن " نتائج البحث العلمي الأوربي وتكوين تاريخ امبراطورية " ماجا باهت " أحيا لهم مجداً قديماً يفخرون به وإن غلوا أحياناً في تقدير ذلك المجد ، واتخذ الشبان الجاويون مثلاً عالياً في البطولة من شخصيات التاريخ الغابر العظيمة كالملك " أرلانجا " والملك " أيام وروك " و " جاجا مادا " الوزير الأكبر لإمبراطورية " ماجا باهت " الذين بعثهم علماء الآثار وعلماء اللغات من ثرى التاريخ بعد أن كادوا يصبحون نسياً منسياً ، ومن الواضح أن مقارنة مجد العصر الهندوكي الجاوي بمجد العصر الإسلامي هي مقارنة باخسة للطرف الثاني لأنها مؤدية حتماً لرفع شأن الهندوكية على حساب الاسلام "(٣) .

ثم يقول : " فلا عجب إذن أن نرى حزب " بودي أوتاما " وهو الجمعية السياسية الأرستوقراطية في جاوة الوسطى تكتب على علمها الحياد إزاء مختلف الأديان " ولا عجب أن نجد مدارس " تامان سسوا " التي أنشأها " كي اجاردبو انتارا " تلقن الطلبة إيثار المدنية الجاوية القديمة أعني المدنية الهندوكية على الإسلام"(٤) .

---

(١) انظر وجهة الإسلام جب صـ ٣٩ .
(٢) وجهة الإسلام جب صـ ٦٣.
(٣) وجهة الإسلام جب صـ ١٩٢ - ١٩٣ .
(٤) وجهة الإسلام ، جب ص ١٩٣.

كذلك استخدم الغرب الآثار لتهيئة النفوس المسلمة للذل والإستعمار الغربي : يلحظ هذا مثلاً من بعض النصوص التي مضت ومن مقدمة كتبها إيتين دريوتون لكتاب " في رحاب المعبودات لمؤلفه د. سامي جبره يقول المقدم الغربي : " فالكتاب ممتع وأخاذ في آن معاً .

ولسوف يستطيع القارئ لأول مرة – بما يجد بين دفتيه من صور ورسوم – أن يعرف التراث الذي إلتقى فيه الذوق المصري بالذوق الإغريقي في اتساق مكن لذلك العمل العظيم في بناء مدينة هرمو بوليس المقدسة "(١) .

إذن هناك أخوة وتعانق بين المصريين والأوربيين قديمة لماذا لانعيدها ونعود إلى ماكنا عليه، مع مايلحظ من دعوات ارتفعت لاعتبار دول حوض البحر الأبيض المتوسط من أوربا وبالأخص اعتبار مصر .

إذ أن العلاقة بين الشرق والغرب منذ القدم مبنية على وجود مستوطنات للغرب داخل البلاد الشرقية(٢)ولا تتم العلاقة بعد ذلك إلا بمثل ذلك " ولكي يصل العالم الإسلامي إلى أتم رقي في حياته الثقافية والإقتصادية لايستطيع أن يستغني عن التعاون مع المجتمع الأوربي ولكي تصل أوربا أيضاً إلى أتم رقي في حياتها الثقافية ولاسيما في حياتها الروحية لاتستطيع أن تستغني عن القوى والكفايات التي توجد في المجتمع الإسلامي ولن يستطيع أحد الفريقين أن يسترد ويستثمر قواه كاملة إلا بعد أن يستعيدا ذلك التعاون الذي تمتع به الشرق والغرب في ظل الامبراطورية الرومانية "(٣) فهو يريد إرجاع ماكان عليه الشرق من وثنية وخضوع وذل وتشتت في العهد الروماني والامبراطورية الرومانية إلى ماكان عليه وبناء العلاقة الآن بين الشرق المسلم والغرب على هذا الأساس من نفوذ الغرب

---

(١) في رحاب المعبودات – د.سامي جبره من مقدمة الكتاب كتبها إيتيين دريوتون.

(٢) انظر الحضارة العربية – جاك ريسلر، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات: بيروت، باريس ، الطبعة الأولى/ ١٩٩٣م. صـ ٢٦ – ٢٧.

(٣) وجهة الإسلام ، جب ، ص ٢٤٧

وهيمنته وسيطرته وخضوع الشرق له وذله وتفرقه وهو الحاصل الآن تقريباً فقد استمرأ الناس أن يخضعوا للغرب بترسيخ الذل القديم وإذكائه في نفوس الشرق المسلم وأنه لايتم التوازن إلا بذلك. و"من الجدير بالذكر أن الإمبراطورية الرومانية شملت في طياتها كل مايعرف الآن بعالمنا العربي من حدود إيران شرقاً حتى موريتانيا غرباً ومن آسيا الصغرى شمالاً حتى أسوان جنوبا"(١) .

أحد الآثاريين الغربيين واسمه باولو ماتييه إيطالى الجنسية مكتشف حضارة إبلا في سوريا يتكلم فى حوار أجراه مؤلف كتاب إمبراطورية إبلا عن حضارة إبلا على أساس أنها حضارتهم فباولوماتية يقول عن إبلا" ... كل هذا يقدم الدليل الذي يثبت أهمية الموقع الحضارية والتاريخية لذلك قمنا بهذه الأعمال وكما ترى فإنها تهدف إلى توسيع معرفتنا بمملكة إبلا ولا شيء سوى ذلك مع إيماننا الأكيد بأن إبلا مازالت تحتاج إلى عشرات السنين من المواسم التنقيبية حتى نتمكن من إعطاء صورة كاملة عن حضارتنا الزاهية النادرة "(٢) فيصف حضارة قديمة في بلد من بلدان المسلمين (سوريا) بأنها حضارتهم وبلدهم كإفرنج .

والمستعمر بنشره حضارته ومقوماتها وترسيخه بذورها " يقصد بذلك إزالة الحواجز التي تقوم بينه وبين هذه الشعوب وهي حواجز تهدد مصالحه الإقتصادية وتجعل مهمة حراستها والمحافظة عليها صعبة غير مأمونة العواقب ؛ كانت هذه الحواجز الناشئة عن الإختلاف في الدين وفي اللغة وفي التقاليد والعادات سبباً في إحساس الوطنيين بالنفور من الأجنبي المحتل وفي إحساس المستعمر بالغربة بل بالشعور بالخطر الذى يحيط به ويتهدده في بعض الأحيان وكان هذا الإحساس بالغربة وبالخطر أعظم مايكون حين يتعامل المستعمر الغربي مع المسلمين"(٣).

---

(١) تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسي والحضاري صـ ٥ وهذا الكتاب وأمثاله يجعل الآثار أحد مصادره الرئيسة.

(٢) امبراطورية إبلا ، صـ ١٦٦ .

(٣) الاسلام والحضارة الغربية – د. محمد محمد حسين – مؤسسة الرسالة، ص ٤٢ .

ومادام أن كثيراً من بلدان العالم الإسلامي يوجد بها آثار مرجعها للحضارة الرومانية فإظهارها وترجمتها وترسيخ أخلاقها بين المسلمين يزيل الفوارق وينمي التجانس بين الغرب المسيطر والمسلمين المغلوبين على أمرهم خاصة وأن حضارة الغرب قديماً وحديثاً التي يسعى دهاقنة الآثار لنشرها بين المسلمين هي حضارة جاهلية متشابهة .

ومن الأسباب التي كثيراً ما يتداولها الآثاريون: معرفة مجرى الحضارات وتطورها: ويعتمد في ذلك: "على الوثائق التي خلفها الماضي سواء كانت بقايا مادية أم مدونات تاريخية وهذه هي مصادره ومادته الأولى ويهدف من وراء ذلك إلى فهم تطور الإنسان والقوانين التي تتحكم في هذا التطور وبعبارة أخرى معرفة الإنسان ولكن ليس الفرد الإنساني الذى هو موضوع دراسة علوم أخرى كعلم النفس وعلم الإنسان بل الطبيعة البشرية وحدود إمكاناتها وخصائصها والقوانين الإقتصادية التي تسير الإنسان وهو في المجتمع"(١) .

" علم الآثار منذ أن ظهر في الحضارة الحديثة في منتصف القرن الماضي قد وضع في متناول أيدى المؤرخين والباحثين في العمران البشري مادة غزيرة تمكنهم من الدرس المقارن مابين الحضارات الكثيرة التي كشف عن مخلفاتها وبقاياها المادية والنصوص المدونة"(٢) .

" ويهتم علم آثار ماقبل التاريخ بإعادة تركيب تاريخ الشعوب والثقافات المختلفة مستعيناً في ذلك بالبقايا والمخلفات البشرية والثقافية القديمة كالآلات والأدوات التي كان يستخدمها الإنسان المبكر"(٣) .

ومن الأسباب : اكتشاف الحضارات ودراستها دراسة مقارنة وإحيائها وذلك " نظراً لأن كل ماتزخر به الحياة الراهنة من منتجات وخبرات

(١) طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار صـ ١٢ وانظر صـ ١٣٤.
(٢) طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار صـ ١٣ .
(٣) ما وراء التاريخ – وليام هاولز – ترجمة أحمد أبوزيد – دار النهضة العربية – بيروت– لبنان ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م صـ ١٤.

وعادات وتقاليد ومظاهر مختلفة أخرى إنما ترجع في أصولها إلى مختلف الجهود البشرية ... لذا أخذ الإهتمام بها يتزايد حتى أصبحت دراستها منتشرة في جميع أنحاء العالم المتمدن ، وكثيراً ما تتضافر جهود الباحثين من مختلف الدول والشعوب في دراسة الحضارات القديمة وتشجيعها على اعتبار أنها التراث الإنساني الذي استمدت منه مختلف الأمم أصول حضارتها الحالية ومن ثم يعملون على توفير أسباب هذه الدراسة بموالاة الكشوف الأثرية وترميم الآثار المختلفة ويعكفون على دراسة اللغات القديمة حتى يتمكنوا من وضع صورة حية أو قريبة من الواقع لهذه الحضارات ومظاهرها المختلفة "(١) .

فمعرفة خط سير التطور البشرى هدف من أهداف علم الآثار، كذلك مقارنة الحضارات فيما بينها وكون بعضها أخذ من بعض(٢)ومعرفة القواعد المسيرة للتاريخ ومعرفة أسباب سقوط الحضارات وعوامل بقائها(٣) .

ولابد من الإنتباه إلى قوله : دراسة الحضارات القديمة وتشجيعها على اعتبار أنها التراث الإنساني الذي استمدت منه مختلف الأمم أصول حضارتها

وهذا وإن انطبق على العالم الغربي فإنه لاينطبق على الحضارة الإسلامية إذ أنها لم ولن تستمد أصول حضارتها من حضارات الأمم السابقة وإلا لصح أن تكون تجميعاً من الوثنيات واليهودية والنصرانية وهذا مايسعى إليه الغرب ويدندنون حوله ويحاولون إقناع المسلمين به .

---

(١) معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، صـ" هـ" .
(٢) انظر : الرائد في فن التنقيب عن الاثار صـ ٧٨.
(٣) انظر المصدر السابق صـ ١٣.

أما من ناحية المقارنة فإن المقصود هو القيام بـ " محاولة جدية لوضع قائمة بتنوع المجتمعات الإنسانية بهدف تصنيفها ومقارنتها"(١) ... "فعلم الآثار منذ أن ظهر في الحضارة الحديثة في منتصف القرن الماضي قد وضع في متناول أيدي المؤرخين والباحثين في العمران البشري مادة غزيرة تمكنهم من الدرس المقارن مابين الحضارات الكثيرة التي كشف عن مخلفاتها وبقاياها المادية والنصوص المدونة ... بالإضافة إلى مشاركة التاريخ لكثير من العلوم في السعي وراء استخراج القوانين والقواعد العامة المسيرة للتاريخ "(٢) فهم يريدون معرفة الناس عموماً بشتى نواحي تصرفاتهم وعلاقاتهم المعشية والتعبدية والكسبية والعمرانية ولذلك " يبحث عالم الآثار ليعرف كيف يبنى الناس بيوتهم والأطعمة التي يأكلونها والأسلحة التي يستعملونها وكيف كانوا يلبسون وكيف كانوا يعبدون آلهتهم"(٣).

والمقصود من ذلك كله إحكام السيطرة وتمرير أنكى سياسات الإستغلال " والإختلاف قائم بين البحث العلمي وبين استخدام نتائجه فالحافز وراء البحث العلمي هو فهم العالم ، وأما الحافز من وراء الإستخدام فهو غزو العالم "(٤) وبهذا يظهر جلياً أحد أهداف علم الآثار فليس القصد منها الإستفادة العلمية من

---

(١) الانثروبولوجيا السياسية ، جورج بالانديه - ترجمة على المصري ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م صـ ٢١ .

(٢) طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار صـ ١٣.

(٣) مدخل إلى الآثار الإسلامية - المجلد الأول صـ ٥٩ .

(٤) الاسلام بين الشرق والغرب ، علي عزت بيجوفيتش رئيس جمهورية البوسنة والهرسك ، ترجمة محمد يوسف عدس - نشر مجلة النور الكويتية - الكويت ، ومؤسسة فاريا - ألمانيا - طبع وتوزيع مؤسسة العلم الحديث - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م صـ ١٩٢

صناعتها ونحو ذلك وهم يصرحون بذلك : " لو كانت فائدة الآثار قاصرة على رؤية ماكان للأقدمين من براعة في الصناعة ودقة النحت والنقش لما عني الناس بها إلى هذا الحد ولكن فائدتها الكبرى في تكوين التاريخ القديم – أي الوثني الجاهلي – والجمع بين حلقاته"(١) ومعنى مقارنتها إظهار الفوارق بينها ومن ثم التقريب بينها ولايخسر في ذلك إلا الحضارة الإسلامية إذ التقريب لابد فيه من تنازل من طرفي النزاع ولن تقبل الوثنية بقيادة الإسلام ولو قبل المسلمون بذلك لخسروا دينهم.

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين ، المجلد الأول صـ ٥٩.

ربط الحاضر بالماضي والإعتزاز به

ومن طلب دعاة التفكك للإسلام ربط حاضر المسلمين وحالهم بالوثنية الجاهلية القديمة واتخاذها نبراساً وقدوة ومفخرة، من هذا قولهم : " باكتشاف إبلا الأثرية في أواسط السبعينيات من قرننا الحالي استرجعت سورية العربية صفحة من أنصع صفحات تاريخها ووقفت على قدم المساواة مع حضارتي وادي النيل وبلاد مابين النهرين بعد أن كان ينظر إليها كمحطة للحضارة وليست صانعة لها وفاعلة فيها...

باكتشافات إبلا تفتحت أمام الباحثين والمؤرخين والآثاريين آفاق لاتنتهي من العمل المتجدد للبحث عن أصول التمدن وبواكير الحضارة ... أصبح بمقدور العلماء البحث في تفاصيل الحياة الإقتصادية والإجتماعية والتنظيمية والإدارية والسياسية والتجارية والدولية...

ومن خلال رؤية حديثة إلى تاريخنا العربي القديم وضمن إطار تاريخي موحد قادر على استيعاب هذا التاريخ بكامله بحيث تستوعب الوثائق الأثرية المستجدة وتدرج في سياقها المعقول خاصة وأن في اكتشافاتنا الآثارية المتلاحقة مايدعو إلى الإعتزاز بتراثنا الحضاري واستلهام الماضي من أجل الحاضر والمستقبل المشرق"(١).

ولابد عند الآثاريين من نشر تفاصيل الحياة الوثنية بين المسلمين وهذا النشر لابد أن يكون له صدى وتأثير وهم يعرضون صورة المسألة من عدة زوايا ويتولى عرضها أجناس من الناس بوسائل شتى " نجد علم المصريات يزدهر مبكراً في عالم الآثار ويبدى اهتمامه بنظم وعادات الماضي"(٢).

"إن عالم الآثار ببحثه عن كل ماهو إنساني يتمتع باكتشاف أشياء نادرة وجميلة ولكن زيادة على ذلك فهو يريد معرفة كل شيء عنها"(٣)وشرح ذلك من المؤلف

---

(١) إمبراطورية إبلا صـ ٧

(٢) موسوعة الفراعنة ، باسكال فيرنوس ، جامعة بيروت – ترجمة د. محمود ماهر طه – دار الفكر للدراسات – القاهرة – مصر – الطبعة الأولى ١٩٩١ م صـ ٢٣٣ مادة الآثار

(٣) الآثار الغارقة – روبرت سلفر برج صـ ٧

نفسه " يبحث عالم الآثار ليعرف كيف يبنى الناس بيوتهم والأطعمة التي يأكلونها والأسلحة التي يستعملونها وكيف كانوا يلبسون وكيف كانوا يعبدون آلهتهم"(١) والأخير هو بيت القصيد أما كيف كانوا يأكلون وأمثالها فهو مثل الطعام الجيد يوضع فى الأعلى مع الفاسد ليدرجه في البيع ويغش به الناس وهو كالعسل يحلى به السم الزعاف.

وكذلك محاولة فهم أسباب البقاء وأسباب الإنهيار في الحضارات وهذه تستخدم استخداماً مزدوجاً فالغرب ينظر إلى أسباب الضعف والإنهيار في سنن الحياة المادية فيتجنبها ويوقع المسلمين فيها ويتعرف أسباب القوة فيعتمدها ويصرف المسلمين عنها ومن ذلك : " إننا لن نغالي لو قلنا أنه لايوجد تجربة إنسانية شغلت بال مفكري العالم الحديث بقدر ماشغلهم قيام الإمبراطورية الرومانية وأفولها "(٢) وهذا من منظور الغرب وعلى المسلمين أن ينشغلوا بالتفكير بمقومات الحضارة الإسلامية ويعتمدوا أن ماصلح عليه أول هذه الأمة هو الذي سيصلح ا لله به آخرها وأن يعرفوا أسباب القوة فيأخذوا بها وهي الوحدة في المنهج الرباني فيأخذوا به وعدم التفرق والإختلاف . فنحن قوم أعزنا ا لله بالإسلام فإن ابتغينا العزة بغيره أذلنا ا لله.

وأن يعرفوا أسباب الضعف والتبعية لعدوهم ويجتنبوها أما الغرب فإن انشغالهم بقيام الإمبراطورية الرومانية وأفولها فلأنها تشبه الحضارة الغربية المعاصرة وهم يريدون بقاء واستمرار حضارتهم وهيمنتهم على العالم وبالأخص الهيمنة على عدوهم الألد [الإسلام] وذلك أن الحضارتين الوثنيتين الجاهليتين القديمة منها والحديثة بينهما أوجه شبه منها:

١- أن كلاهما تضم شعوباً مختلفة الأجناس واللغات والديانات والعادات .

---

(١) الآثار الغارقة ، روبرت سلفربرج ص٨-٩.

(٢) تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسي والحضارى د. احمد على الناصري ، دار النهضة العربية - القاهرة - الطبعة الثانية، ١٩٩١م ص: ٦ .

٢- أن كلاهما ذوات تضاريس مختلفة وأجواء متباينة

٣- أن كلاهما متزامية الاطراف

٤- أن الحضارة الرومانية امتدت ٧٠٠ عام والحضارة الغربية الحديثة تقترب من ذلك وتعتبر عند مفكري الحضارات في مرحلة الشيخوخة وعلى وشك السقوط فيريدون البقاء أطول فترة ممكنة ومما يؤكد ذلك تساؤل المؤلف الذي طرحه وأجاب عليه " لكن لماذا اخترت الجانب السياسي والحضاري لتاريخ الإمبراطورية ؟

مامن شك في أن الجانب السياسي هو الهيكل الأساسي لتاريخ الامبراطورية كما أن الدروس المستفادة هي سياسية في المقام الأول وهناك كثير من المفكرين الذين يرون أن السياسة هي التي تشكل إلى حد كبير جوهر ثقافتنا ومشاكلنا الإجتماعية والأخلاقية بل واقتصادنا "(١) وعليه تتضح أهمية الماضي لمعالجة الحاضر " وما السياسة إلا علم التاريخ الحديث وما التاريخ سوى علم السياسة في الماضي "(٢) لكن المسلمين ليسوا بحاجة إلى كل ذلك لأن بقاءهم واستمرارهم وعزهم مرتبط بنصرهم الله والتمسك بهديه والدخول في صراطه المستقيم

٥- أن سقوط الحضارة الوثنية الرومانية كان على يد المسلمين الذين كانوا قبل الإسلام أشتاتاً على هامش التاريخ لايؤبه بهم ثم ركبوا العز والمجد بالإسلام فجأة ؛ وحال المسلمين والغربيين الآن يشبه تلك الفترة تماماً خاصة إذا علمنا أن الإسلام يشكل في نظر الأوربيين الآن الخصم الألد والعدو الأعند وهو الذي يمكن أن يقوم فجأة وبدون مقدمات كحالته الأولى معهم تماماً فلابد في نظرهم من إبقاء المسلمين على تفرقهم ولا أمثل من تفريقهم بتمجيد حضارات أوطانهم ووثنياتها السالفة وأن يبعثوا تاريخها حياً حتى يفاخروا به ويجعلوه نبراساً لهم ومجداً بدل إسلامهم الذي ضيعوا معالمه ابتداء من الجهاد وانتهاء بإسقاط الحكم بما أنزل الله، ونشر الوثنيات والأصنام بينهم، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، صـ ١٠ .

(٢) المصدر السابق صـ ١٠.

اليهود والآثار

يعيش اليهود حالة انعزال عن الناس وعدم اندماج معهم ويضمرون في صدورهم الغل والحقد على الناس عموماً وبالدرجة الأولى على النصارى ثم يليهم المسلمون في الدرجة الثانية لذلك من كان هذا وضعه فعادة يكون على حال من التربص واستغلال الفرص مهما كانت وهم على كل حال كما قال تعالى ﴿ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ... الآية﴾(١).

وقد استغل اليهود الآثار أيما استغلال وهم يحاولون إثبات حقوق تاريخية لهم في بلاد المسلمين في فلسطين ومصر والعراق وفي جزيرة العرب في شمال غربها وفي جنوبها وهم يلوون أعناق الآثار ويختلقون بعضها ويحرفون بعضاً آخر.

"الآثاري الأمريكي بليس BLISS والإيرلندي مكالستر R.A.MACALSTER أثناء حفائرهما في جنوب فلسطين في مواقع تل الصافي، وتل زكريا وتل جديدة إلا أنهما صنفا مكتشفاتهما تبعاً للعصور التوارتية وظل هذا التقليد متبعاً حتى عام ١٩٠٢ م وقد تميزت مرحلة النصف الأول من القرن العشرين بتأسيس مدارس أثرية جديدة للبحث عن الآثار الفلسطينية كما تميزت بتطور أساليب البحث الأثري واتباعها أساليب أكثر علمية إلا أن الهدف الرئيسي بقي في إطار علم اللاهوت THEOLOGY وتشجيع دراسة وتدريس الكتاب المقدس وزيادة المعرفة به وبجغرافية فلسطين وتاريخها وآثارها ولغات أهلها ومع انتهاء الحرب العالمية الأولى ١٩١٧ م أسست حكومة الإنتداب البريطاني على فلسطين دائرة الآثار الفلسطينية ورأسها جون جارستانج وفي سنة ١٩١٩ م تأسست في القدس مدرسة الآثار البريطانية بهدف تشجيع البحث في آثار وتاريخ وطبوغرافية فلسطين وشهدت الفترة من (١٩٢٠ - ١٩٣٥ م) في أثناء رئاسة وليام أولبريت للمدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية في القدس نشاطاً واضحاً في الإستكشافات

---

(١) سورة آل عمران آية ١١٢.

الأثرية بتشجيع من أولبريت واليهود المهتمين بهذا المجال والذين ركزوا على تاريخهم في فلسطين .... هذا وقد ظلت المؤسسات والجمعيات الأجنبية تحتكر البحث والتنقيب ثم أصبح حقل الآثار الفلسطيني مفتوحاً أمام المنظمات الصهيونية وتميزت مرحلة النصف الثاني من القرن العشرين ببروز اتجاه جديد في فهم العلاقة بين آثار فلسطين والتوراة وبخاصة في كتابات ديفو(DEVAUX) وديفر DAVER وهم من رجال الدين المشتغلين بالآثار.

وقد برز الإتجاه واضحاً في نتائج الحفائر التي أجراها كل من كاثلين كينون في أريحا في الفترة من (١٩٥٢ – ١٩٥٨ م) وويلر"(١) .

ويعتمد تحديد المواقع الأثرية والإكتشافات الآثارية كثيراً على التوراة " وكان من نتائج تلك الحفريات إكتشاف مدن ملوك بابل التي ذكرتها التوراة الواحدة تلو الأخرى "(٢)وكثير من الآثاريين يبحث عن آثار لها علاقة باليهود في بلاد المسلمين، " والآثار الموجودة بخيبر هي آثار عربية حتى أن فلبي عند زيارته لخيبر وجد كثيراً من الآثار العربية البحتة والتى تعود إلى عهد ثمود فقد كان يبحث عن الآثار العبرية ولكنه لم يوفق فيقول : (ومما غاظني بالفعل أنني تلقيت كيساً مليئا بالنقوش إلا أنني لم أجد بينها أي نقش عبري يحمل اسم أي يهودي أو يتحدث عن أي نشاط لليهود في خيبر"(٣) .

وكتاب ثقافة أوغاريت لمؤلفه إ.ش.شيفمان ترجمة حسان إسحاق، الأبجدية للنشر دمشق ١٩٨٨ م اعتمد مؤلفه ٢٤٢ مصدر كلها نقوش ورسائل آثار مختلفة وتشكل نسبة ٥٠,٧٪ تقريبا من مجموع المصادر، واعتمد ٢٠٩ مصدر يهودي وتشكل نسبة ٤٣,٨٪ تقريبا من مجموع المصادر، واعتمد٢٦ مصدر مسيحي وتشكل نسبة ٥ر٤٪ فيكون مجموع المصادر ٤٧٧ كلها نقوش ورسائل آثار(٤).

(١) معجم المصطلحات الأثرية صـ ٢٨٩ – ٢٩٠ مادة فلسطين.
(٢) نشوء الحضارات القديمة يورهارد برينتيس صـ ٨.
(٣) شمال الحجاز – الجزء الأول – الآثار صـ ٢١٦ – ٢١٧.
(٤) انظر : ثقافة أوغاريت، إ.ش، شيفمان، ص ١١٧ .

ومن هنا يتضح تأثير اليهودية في هذا الكتاب ، وأمثاله كثير .

ولاننسى قراءة المقطع المسماري الذى مر الذي فسر بأنه أنبأ الإله يا ، اسمع الإله يا ثم فسر " يا " بعد الشد والمد بأنه بالتأكيد يعني الإله اليهودي " يهوه " . وهم يرومون إلى إثبات الجذور التاريخية في بلدان المسلمين وقد أكتشفت بلدان أثرية ذكرتها التوراة(١) وبذلك يأخذ اليهود مستنداً تاريخياً مقبولاً عند الجميع بالحق في احتلال فلسطين وغيرها.

"وفي القرن التاسع عشر كشفت معاول الحفر في كل من بلاد مابين النهرين ومصر وبوغازي كوي ورأس الشمرة عن وثائق هامة وهذه جميعها أخرجت العهد القديم من جموده وعزلته "(٢) .

وكثيراً مايرى الآثاريون وعلماء التاريخ القديم بأن العراق وبالذات الجزء الشمالي منه هو موطن الزراعة الأول ومهد البشرية ويزعمون أن سند هذا الكلام إنما هو الإكتشافات الأثرية لكن كما ذكر بعضهم فإن المستند في ذلك مرجعه إلى التوراة(٣)وما الإكتشافات الأثرية المدعى أنها هي السند إلا محاولة لتدعيم تلك الفكرة لإعطاء قيمة أعلى للآثار وأنه فعلاً يمكن أن يستفاد منها في معرفة الحضارات والتاريخ، وعلى التسليم بصحة ومصداقية الإكتشافات الأثرية وصحة الدلالة فإنها تدل على قضايا غير مسورة لأنها على الصحيح لاتدل على الأولية لأن عدم الوجود في غيرها لايدل على عدم وجود غيرها من الأماكن التي تستحق الأولوية.

"والبعثات العلمية التي عملت في شبه الجزيرة العربية في الفترة الأخيرة نجد في خمس بعثات قامت بتنقيبات في المملكة العربية السعودية هي : بعثة جامعة

(١) انظر نشوء الحضارات القديمة ، يورهارد برينتيس صـ ٧-٨ وانظر أيضا تاريخ بلاد الرافدين صـ ١١-١٢ .

(٢) نصوص الشرق الأدنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم ، جيمس بريتشارد – تعريب عبدالمجيد زايد – الناشر هيئة الأثار المصرية صـ ٣.

(٣) انظر الحضارة العربية جاك ريسلر صـ ٢١.

كورنتو الكندية وجامعة كنتكي الأمريكية برئاسة الفريد وينيت ووليم ريد في ١٩٦٢ م و ١٩٦٧ م في شمال غربي المملكة ، وفي منطقة حائل ، وأعمال الاستاذة الألمانية روت شتيل والعالم البرت جامي (١٩٦٣ م - ١٩٦٨ م) في المنطقة الشمالية الغربية

وأعمال البعثة الدانمركية (١٩٦٨ م) في المنطقة الشمالية الغربية وأعمال معهد سمشونيان الإمريكى (١٩٦٨ م) في المنطقة الجنوبية الغربية للملكة ومنطقة نجران ... "(١) ويشم من إختيار المناطق يهودية تلك البعثات(٢) حيث لا يخفى أن أغلب المناطق المذكورة كانت قد استوطنها يهود .

واستخدم اليهود الآثار دليلاً على أنه قد " هاجر عشرات الألوف من اليهود الذين كانوا يقيمون في اليمن من عصور ماقبل التاريخ وذهبوا إلى اسرائيل"(٣) وإذا أثبت اليهود أنهم من عصور ماقبل التاريخ فتكون دلالة الأثر المزعوم هي أن عشرات الألوف من اليهود قد هاجروا من اليمن إلى اسرائيل :قبل الميلاد بأكثر من عشرة الآف عام .وهذا ما لا يقول به اليهود في توراتهم فهم على حد قولهم أقرب من ذلك بكثير فلم يوجد يهود في ذلك الوقت(٣).

---

(١) العرب فى العصور القديمة ، لطفى عبدالوهاب يحي - دار النهضة العربية - بيروت- الطبعة الثانية ١٩٧٩ م صـ ١٢٧ في الهامش وانظر : مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية، إدارة الآثار والمتاحف، وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية ، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م ، ص ١٥ - ١٦ وهو من مقدمة الكتاب بقلم مدير إدارة الآثار بوزارة المعارف د. عبد الله حسن مصري.

(٢) العرب في العصور القديمة ص١٢٧.

(٣) القافلة ، قصة الشرق الأوسط - كارلتون كون - ترجمة برهان دجاني - دار الثقافة - بيروت صـ ١٥.

(٤) انظر: الإسلام والأديان دراسة مقارنة، ص ١٥٤، حيث ذكر أن التوراة فيها أن آدم عليه السلام قبل عيسى عليه السلام بثمانية وثلاثين قرناً أي ٣٨٠٠سنة .

نظرة من نظرات الغرب للآثار:

"إذا استثنينا مظاهر الحياة في بعض المجتمعات الضاربة في القدم على شاطئ الأطلنطي نرى الأمريكيين يعيشون على هدى من معالم ماضيهم الثقافي فإذا كان البيت الذي يعيشون فيه والأدوات التي يستعملونها يربو عمرها على خمسين سنة فإنها تعتبر قديمة بالنسبة لهم، وقد تكون للهنود الحمر(١) اهتمامات رومانتيكية ولكن وسائلهم القديمة ليست جزءاً من التراث الثقافي لغالبية الأمريكيين، ولكون هذه الأساليب لا تمثل شيئاً من ماضيهم الثقافي فإن ماضي الهنود الأمريكيين يعكس عليهم نوعاً من قصة غير حقيقية"(٢) .

ويلحظ في هذا النص:

١- أن الأمريكيين لا تعنيهم آثار الهنود الحمر وهي في بلدهم أمريكا والسبب أنها لا تمثل شيئاً من ماضيهم الثقافي وبالتالى فإنها تعكس عليهم لو اعتنوا بها قصة غير حقيقية – أي من الناحية الثقافية والمرجعية.

لكن الآثار في بلدان المسلمين تعنيهم هم وأمثالهم الأوربيين لأنها تشكل شيئا من ماضيهم الثقافي فبالتالى يبحثون عنها لأنها في اعتقادهم تعكس عليهم قصة حقيقية هذا من ناحية ومن ناحية أخرى معول هدم وأداة تفريق في بلاد المسلمين ونواة شرك ووثنية يراد للمسلمين احتضانها وتفريخها بينهم، والمسلمون في الواقع والحقيقة لا تشكل الآثار في بلدانهم ولا تمثل لهم شيئا من ماضيهم الثقافي وبالتالى فإنها تعكس عليهم قصة غير حقيقية لأنها ثقافة وثنية جاهلية.

لكن الغرب يسعى جاهداً إلى جعل المسلمين يعتنون بها وهي التي تشكل لهم قصة غير حقيقية حتى يقبلوها على أنها قصة حقيقية.

---

(١) يعنى سكان أمريكا الأصليين وهم قلة.

(٢) رجال الآثار ، روبرت ج بريدوود ص ٣.

تقسيمات الآثار

أ- من ناحية التسلسل النوعي:

إسلامي وغير إسلامي

-أما غير الإسلامي فكثير منها الفرعونية والأشورية والرومانية والفينيقية ونحو ذلك كالحجرى وما قبل التاريخ.

ب- من ناحية ذات الآثار أياً كانت :

فمنها المساكن والمعابد والتماثيل والصور والرسومات والمقابر والأضرحة والقلاع وأدوات الإستعمال كالأواني وعدد العمل وأدوات التعامل كالنقود ويركز غالباً على المعابد والمقابر

جـ- من حيث سهولة الوصول اليه:

فمنها ماهو على ظهر الأرض أو بيناً وواضحاً وهذا غالب الآثار المكتشفة ومنها المطمور تحت التراب أو في أعماق المياه.

- أما الإسلامي فكثير ومنوع :

أ- فمنه ماينسب إلى المسلمين وهو ليس من عملهم مثل تصاوير قصيرعمرة وقبة الصليبة .

ب- ومنه ماينسب فعله إلى المسلمين لكنه مخالف للإسلام كالتصاوير بأنواعها مع أن منها تصاوير للرسل والصحابة ولنسائهم

جـ- منه ماهو شركي ووثني كالأضرحة والقباب والترب وهذه غالباً مايركز عليها في التنقيب والدراسة عن الآثار الإسلامية وينسب إلى الآثار الإسلامية .

د- آثار إسلامية كالقلاع والبيوت والمساجد مع التركيز على مساجد الصوفية والشيعة بالذات كمسجد الحسين ومسجد الأقمر بالقاهرة مثلاً.

الآثار الإسلامية

الآثار الإسلامية في عرف الآثاريين هي مخلفات الإنسان في دار الإسلام الممتدة من الشرق إلى الغرب بين اندونسيا وبلاد المغرب ومن الشمال إلى الجنوب بين تركستان ووسط افريقيا منذ الهجرة إلى المدينة إلى نهاية الخلافة الإسلامية(١) وهي تشمل أنواعاً من الآثار منها المدن والمساجد والمدارس والأربطة(٢) والتكايا(٣) أو الخلوات(٤) أو الخانقاوات(٥) والأضرحة والترب والقلاع(٦) وأسوار المدن وأبوابها والأسواق والبيمارستانات(٧) والأسبلة والحمامات والقصور والمنازل والفنون بأنواعها من تصوير ورسم ونحت وخطوط(٨).

(١) انظر : مدخل إلى الآثار الإسلامية – د. حسن الباشا صـ ١٦ .

(٢) الأربطة : ومفردها رباط وهو نوع من الأبنية العسكرية كان يرابط فيه ويسكنه المجاهدون الذين يدافعون عن حدود الإسلام بحد السيف ، وكانت الأربطة منتشرة في صدر الإسلام علي حدود الدولة الإسلامية ، ولما زالت عن الأربطة صفاتها الحربية أصبحت بيوتا للتقشف والبعادة يسكنها الصوفية . انظر دراسات في الفنون والعمارة العربية الإسلامية ، ص٤٤ ٠

(٣) التكايا : جمع تكية وهي عبارة عن أمكنة للسكنى أنشئت في عهد العثمانيين لغرض إيواء الدراويش لكنها لم تؤد الغرض المطلوب منها ففنيت . أنظر : دراسات في الفنون والعمارة العربية الإسلامية ص٤٤ ٠

(٤) الخلوات : هي الخنقاوات وبيان الخنقاوات في الهامش الآتي . انظر : الدليل الموجز لأهم الآثار الإسلامية والقبطية في القاهرة ، د. ابو محمد محمود فرغلي ، الدار المصرية اللبانانية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م عند لفظ : الخانقاه ص٣٨ ٠

(٥) الخنقاوات : جمع خانقاه كلمة فارسية بمعنى دار للتعبد ، وهي التكايا انظر مدخل الى الآثار الإسلامية ،ص١٧٣ ، وانظر:الدليل الموجز لأهم الآثار الإسلامية ، ص٣٨ ٠

(٦) القلاع : جمع قلعة وهي بناء عسكرية ضخم يبنى بجوار المدن حتى إذا سقطت المدينة في يد عدو تثبت القلعة في وجهه وتصبح ملجأ للسكان ومراكزاً يمكن منه استعادة المدينة وتصلح في الوقت نفسه لتكون ملاذاً ضد سكان المدينة أنفسهم للحاكم في حالة الثورات . انظر دراسات في الفنون والعمارة العربية والإسلامية . ص١٣٩– ١٤٠ ٠

(٧) البيمارستان اماكن إيواء المرضى تشبه دار المعاقين الآن وانظر : دراسات في الفنون والعمارة العربية والإسلامية ص٤٥ ، وانظر مدخل إلى الآثار الإسلامية ص١٩٩ ٠

(٨) انظر : مدخل إلى الآثار الإسلامية ، صـ ٥٠٥ – ٥٠٩.

مع ملاحظة التركيز على الأضرحة والقباب[١] والقصور والفنون ومن الفنون يركز على التصاوير والنحت .

وهذا الشمول فى تعريف الآثار الإسلامية من ناحية المكان والإنتاج، حيث شمل مايمكن أن يكون إسلامياً ومالايمكن أن يكون ، والنقص من ناحية الزمان، فشموله من ناحية المكان والإنتاج معلوم أن البلاد التي كانت تحت الحكم الإسلامي لم يستمر خضوعها خضوعاً تاماً طوال الفترة المذكورة بل أنه تخلل ذلك فترات من انفلاتها ولو كان انفلاتاً جزئياً

ومعلوم أيضاً أن بعض حكام الولايات في زمن الحكم المذكور كانت ضد الإسلام كالباطنية(٢) ونحوها .

ثم إن المحكومين كلهم ليسوا على دين الإسلام بل كان منهم أهل الذمة باختلاف طوائفهم ناهيك عن مايوجد من أتباع لفرق مارقة تنتسب إلى الإسلام أو فرق إسلامية لكن لها درجات من الإفراط أو التفريط تخرجها من جوهر الإسلام فناتج هؤلاء في هذا الزمن المذكور في الساحة المذكورة ينسب إلى الإسلام بأنه آثار إسلامية ودخل في ذلك الأضرحة وما يتعلق بها من شعائر شركية .

ومن ناحية المساجد ركز فيها على بعض مساجد كبيرة قديمة مزخرفة ثم نسب كثير مما فيها إلى أنه اقتباس أو سرقة من كنائس أو قصور رومانية أو يونانية أو فارسية ويوجد ذلك أيضاً عند الحديث عن المسجد الحرام وكثير من القلاع والقصور أيضاً .

---

(١) انظر : مدخل إلى الآثار الإسلامية صـ ٩.

(٢) الباطنية : لقب عام تنطوي تحته طوائف عديدة تلتقى جميعها في تأويل النصوص الظاهرة واثبات معان باطنة لها ، وتلجأ إلى الرموز والاشارات في تفسير النصوص وأخراجها عن معانيها الظاهرة ، مستهدفين بذلك هدم الدين وابطال شعائره وأحكامه العملية ولهم ألقاب منها الإسماعيلية والباطنية والقرامطة .. انظر دراسة عن الفرق ص٢٦٥ هامش نجمة وانظر الملل والنحل ١/ ١٩٢ .

أما التصاوير فإن جزءا كبيراً منها تصاوير حب وغرام وجزء آخر يضاهي ذلك إنما هي صور يدعي أنها صور النبي صلى ا لله عليه وسلم أو صور لبعض الصحابة أو صور ليوسف عليه السلام وزليخا[١] .

أما صور التعليم على مافيها كصور التشريح والصور التوضيحية للعلوم كالطب ونحوه فخطرها قليل

أما المنشآت العسكرية كالقلاع والأسوار ونحو ذلك فإنه لايستفاد منها لأنها تتخذ طابع الوصف وينسب بعض فنها إلى فنون رومانية ونحوها

وفي الغرب يوجد علم يسمى علم التربية المتحفية يقوم من خلاله الغرب بغرس الحضارة اليونانية أو الرومانية في نفوس أطفاله فيخرج الطفل منتميا لحضارته ولو أن الطفل المسلم شاهد القلعة وأثير في تفكيره مثلاً سؤال عن سبب إقامتها، وأجيب بأن ذلك لمحاربة الكفار والصليبيين وغيرهم بدل أن يشاهد فى المتاحف والشوارع آثار الحضارة الفرعونية مثلاً ويقرأ في كتب القراءة: أجدادك الفراعنة صنعوا ، أجدادك الفراعنة فعلوا .... إلخ

أما من ناحية العمارة الإسلامية وتخطيط المدن فأهملوا تنظيم الأسواق وتخطيط المساكن التي كانت تهتم بالستر حفاظا على حرمة البيت وأهله وحفظ حرمة الجيران فتجد المنزل لايكشفه المار ولا الجار وليس له اطلاع على بيوت

---

(١) انظر المصدر السابق وانظر عن التصوير : كتاب: التصوير الاسلامى : نشأته وموقف الإسلام منه واصوله ومدارسه – د . ابو الحمد محمود فرغلى ، الدار المصرية اللبنانية. وانظر : الفنون الجميلة في العصور الإسلامية – عمر رضا كحالة – المطبعة التعاونية بدمشق ١٣٩٢ هـ صـ ٦

الجيران كل ذلك أمثاله مهمل في الآثار الإسلامية مع أن الإسلام والمسلمين لايحتاجون للآثار أصلاً.

ومن إغفال الآثار الإسلامية " العمل على طمس كل مامن شأنه أن يوحي بما كان للعرب – أي المسلمين – المستعمرين المستغلين(١) من آيات الحضارة ومن معالم الثقافة فغرسوا في الأذهان صورة مشوهة صار بموجبها العربي – أي المسلم – عنصر جمود وتخلف لا نصيب له في مجال العلم بل إن عمله الماضي قد اقتصر على الحفاظ على التراث اليوناني إلى أن قيض ا لله له أدمغة في أوربا استثمرته الإستثمار اللائق"(٢).

وبلغ من جهل المسلمين بتاريخهم أنهم لايعرفون منه إلا التاريخ السياسى والنزاع بين الولاة وعُمِّيَ عليهم التاريخ الفكري والعلمي والصناعي والطبي والهندسي والمعماري وغير ذلك(٣) .

أما هذه الآثار الإسلامية التي يغلب عليها الطابع الوثنى كالأضرحة والترب التي عرف معارضتها للتوحيد أعداء الإسلام فضلاً عن أهله إذ يقول أحد المستشرقين : " بقي كثير من عناصر الديانات السابقة للإسلام واستأنفت حياتها في المظاهر العديدة الخاصة بتقديس الأولياء وفي الحق ليس من شيء أشد خروجاً على السنة القديمة من هذا التقديس المبتدع المفسد لجوهر الإسلام والماسخ لحقيقته وإن السني الصادق الحريص على اتباع السنة لابد أن يعده من قبيل الشرك ...وأضرحة

(١) أي الذين وقع عليهم الإستغلال فاللفظة على صيغة المفعول به.

(٢) أراء بعض المستشرقين حول التراث العربي والرد عليها بحث ضمن مجموعة بحوث في كتاب اصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – مكتب التربية لدول الخليج العربي – الرياض ١٤٠٥ – د. محمد السويسي ٢/٢١-٢٢

(٣) انظر : المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام صـ ١٩.

الأولياء والأماكن المقدسة الأخرى هي موضع عبادتهم التي يرتبط بها أحياناً مايظهره العامة من تقديس وثني غليظ لبعض الآثار والمخلفات ، بل إن العامة تخص الأضرحة ذاتها بما لايقل عن العبادة المحضة"(١) ويقول مستشرق آخر : " بالرغم من التوحيد المصرح به في القرآن فإن الأمم الإسلامية لازالت تحتفظ بكثير من العادات الوثنية ، فإن من أهم الصفحات في الحياة الدينية للعوام في جميع الأمم الإسلامية هو تقديسهم لقبور الصالحين ... وقد أصبح لكل قوم أئمة محليون يزورون قبورهم وآثارهم فيفرح ذلك الإمام ويشفع لهم ..." (٢) .

فهذه آثار شركية تنسب عند كثير من الغربيين إلى الاسلام ولم يبين أحد من الآثاريين المسلمين فيما أعلم شركياتها وفسادها ولم يكشف ضررها ومخالفتها لأصل الإسلام علمها وعرفها بعض المستشرقين .

ومع مايصاحب ذلك التقديس الوثني لما يسمى بالآثار الإسلامية من نصب التماثيل القديمة أو الحديثة منها في الطرق والميادين ومجامع الناس كأماكن انتظار الناس ومايصاحب ذلك من تحليلات وثنية لم تسلم منه محاريب المساجد كل ذلك له أثر سلبي كبير فى صد الناس عن دين ا لله وخاصة من غير المسلمين إذ أنك تجد الوثنية ضاربة أطنابها بين المسلمين .

---

(١) هذه هى الصوفية ، عبدالرحمن الوكيل صـ ١٠١-١٠٢

(٢) المصدر السابق ص ١٠٢ .

أما من ناحية نقص الزمان في التعريف فإنه ترك آثار الإسلام السابقة على بعثة النبي صلى ا لله عليه وسلم من الرسل قبله، والآثار وإن كانت قليلة جداً إلا أنها تدل على أن الرسالات بعضها يكمل بعضاً ويتم بعضاً وإن كان الإسلام لايحتاجها ، فجميع شواهد الإسلام السابقة إما طمست أو أستخدمت استخداماً مضاداً وأستخدمت كدليل على خرافة الأديان وماذلك إلا إخفاءً لمعالم التوحيد في الحضارات.

فالإسلام يتميز من لدن آدم حتى محمد صلى ا لله عليه وسلم بأن الدين ليس له أثر محسوس متجسد في العبادة سوى مكان العبادة إلا قليلاً كالمسجد ومشاعر الحج مثلاً ، بينما في الوثنيات المتعددة فإنه يغلب وجود آثار تدل على المعتقدات حيث ترى في بعض الآثار تطلع بعض الصور إلى صور أخرى ودعائها أو وجود كتابات فسرت وترجمت بأنها طلب نصر أو نسل أو زرع أو ما شابه ذلك من تلك التماثيل والصور.

لكن يوجد أشياء آثارية سواء محسوسة أو مكتوبة تدل على أن هناك بقية من إعتقاد صحيح ورواسب من رسالات لا تخلو منه كثير من تلك الوثنيات ، مثال ذلك : مايدل على البعث والحياة الأخرى ، ومثل ما يدل على الرسل الذين سيأتون فيما بعد وهو ما يسمى عند أصحاب الديانات بالمخلص.

لكن الآثاريين يخفون ذلك ويقلبون الأدلة ويقولون بأن ذلك دليل الخرافة والأسطورة ، وإن هذا من إفترائهم .

ثم إن هذه الديانات يأخذ بعضها من بعض ثم يربطون الديانة اليهودية والنصرانية بأشياء صحيحة وأخرى محرفة ومن ثم يربطون الإسلام بالأمرين الوثني واليهودي مع النصراني وأنها يأخذ اللاحق منها من السابق ومن ثم يلحدون ويجرون الناس إلى الإلحاد مع العلم أن بعض الأحكام قد أنزلها ا لله في شرائع

متعددة كالصيام مثلاً ، أما توحيد ا لله في العبادة والإيمان بالملائكة والرسل والكتب ونحو ذلك ففي كل شرائع ا لله عز وجل التي جاء بها رسل ا لله عليهم السلام .

ومن ذلك المستخدم في التحريف الطوفان وتقديم القرابين من ذبائح ونذور مما يكون أصل الخبر فيه صحيحاً لكـن وقـع التحريـف والتغيـيرو الزيـادة والنقـص حسب قوة الوثنية وضعفها ومن ثم يلحدون ويدعون الناس إلى الإلحاد .

كذلك كشفت الآثار عن علامات الطوفان الذي جرى في عهد نـوح عليـه السلام والتي " نجدها في نصوص العراق القديم للقصة الـتي سماهـا علمـاء الآثـار : أسطورة جلجميش وأبجيدو التي ترجع إلى آلاف السنين وفيها نقـرأ أن أوتنابشـتيم قص على جلجميش قصة الطوفان التي يمكن إجمال خطوطها الرئيسة كما سيأتي:

شخص أُهّل لحمل الرسالة يعيش في مدينة علىضفاف الفرات تلقى الأمر من ا لله لبناءالسفينة وتحميلها من كل أنواع الكائنات الحية لأن ا لله غيرراض عن تصرفات أهل المدينة وشيوخها ثم اكتمل البناء وحمّل الرسول سفينته من كـل زوجـين اثـنين وأرسل ا لله أوامره إلى السماء فانهمرالماء وإلى الأرض فتفجـرت بـالعيون ونسـفت الجبال وهلك الناس الذين اعترفوا بمعصيتهم ولكن حين لا ينفع الندم.

وهدأت العاصفة وتوقف الطوفان الذي استمر سبعة أيـام ورسـت السـفينة حيث قُدّر لها أن ترسو.

وحينما تعرف علماء الآثار على هذه القصة لم يكلفوا أنفسهم ــــ قصـداً أو بغير قصد ــ ربـط هـذه القصـة بـالقرآن ولـو أنصفـوا لقـالوا " ملامـح قصـة نـوح والطوفان " خاصة وأن نتائج الدراسات الأثرية قد أثبتت حدوث فيضان كاسح... في بداية الألف الرابع قبل الميلاد وذلك إثر العثور على طبقات طينية يتراوح سمكها بين نصف متر وثلاثة أمتار تكون الطبقات السفلى ... وكانت الطبقة العليـا تحـوي قواقع وأعداد كبيرة من السمك.... أمـا السـفلى فكـانت تحـوي بعـض المخلفـات البشرية وهو ما دل على وجود حياة بشرية قبل تكون هذه الطـبقـة الطـمّيّة التي

نشأت عن الطوفان الكاسح الذي أهلك الحرث والنسل (١) "

لكن بعض أهل الآثار يوهنون خبر الطوفان ويفسدون معناه من ذلك قولهم عنه:

"وكان الإعتقاد السائد عند أهل العراق الأوائل أن الطوفان منبعث من غضب الآلهة بسبب فساد البشر وآثام الإنسان وخطاياه فعزمت الآلهة على محوه من الوجود بإرسال طوفان كبير على الأرض وهذا هو الطوفان الذي نقلت أخباره المدونات السومرية والبابلية القديمة والكتب الدينية ....

إن قصة الطوفان السومرية الأصل نقلت بأشكال متعددة فيما بعد العصر السومري ومن هذه النقول الرواية الأكدية البابلية ورواية التوراة...

ويشير الدكتور رالف لينتون في كتابه: " شجرة الحضارة ترجمة الدكتور أحمد فخري (٢:٢١٥) " أن هناك فيضاناً حدث حوالي عام ٣٥٠٠ ق.م . وربما كان الأساس الذي قامت عليه أسطورة طوفان نوح وسفينته التي وردت في التوراة...

وقد أثبتت المكتشفات الأخيرة أن قصة الطوفان التي وردت في التوراة ترجع إلى العصور السومرية والبابلية ثم تناقلها كتبة التوراة وغيرهم من الأقوام وأصبحت بعدئذ جزءاً من العقيدة المسيحية " (٢) .

وقد قلص ذلك الآثاري مدى الطوفان فقال:

"ويبدو أن السومريين كانوا يعتقدون بأن العالم يقتصر على بلادهم فقالوا إن الطوفان غطى الأرض التي هي بلادهم ... على أن الرأي المبنى على الدراسات الآركيولوجية يخالف هذه النظرية إذ يرى الباحثون أن الطوفان كان محلياً مقتصراً على سهول العراق الجنوبية ذات الراسبات الغرينية وكان سيلاً عرماً طغى على

(١) علم الآثار د.جمال عبدالهادي و د.وفاءمحمدرفعت دار الشروق جده ص٢٦-٢٧.

(٢) تاريخ حضارة وادي الرافدين الجزء الأول في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الآثارية والمصادر التاريخية ، أحمد سوسة ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ .

وادي دجلة والفرات وأغـرق كـل المنطقـة المأهولـة في تلـك الأنحـاء وكـانت هـذه المنطقة بالنسـبة لسـكانها هـي الدنيـا بأسـرها وتقـدر مسـاحة الأرض الـتي غمرهـا الطوفان في هذا الوادي بما يمتد زهـــاء ٤٠٠ ميل طولاً و ١٠٠ ميـل عرضـاً أي حوالي ٤٠٠٠٠ ميل مربع وكان هذا كافيا .

لغمر الوادي بأسره بإستثناء المـدن العليـا الـتي كـانت بنيـت فـوق الروابـي المرتفعة عن سطح البحر" (١) والآثاري قـال هـذا القـول معتمـداً علـى مـا وجـده الضابط في الإستخبارات البريطانية الـذي إتخـذ مهنـة الآثـار جـزء مـن عملـه وهـو السير: ليونار وولي : " من آثار ترسبات غرينية في أور من دور العبيـد بلـغ ثخنهـا زهاء ١١ قدماً وقد عثر عليها في موضع قريــب من المقبرة الملكيـة ولكـن لم يعـثر على بقايا مماثلة من هذا الدور في المواقع الأخرى مثل أريدو القريبة من أور" (٢) .

وما دام أنه لم يجد ترسبات أخرى في بلدة قريبة قال بمحدودية الطوفان لكن الترسب الطيني الغريني المصاحب لمياه السيول لا يكون شاملاً لكـل مـا يغمـره مـن الأرض بل يكون في أماكن دون أخرى وإستخدامه دليلاً لنفي شمول الطوفان لكـل الأرض لاينهض للإستدلال وهو عدم توصله إلى الترسب الطيني ، وعـدم وجـودك للشيء لايعني أنه غير موجود فضلاً أن عدم وجود الطمـي لا يكفـي دليـلاً في حـد ذاته إذ أن ميـاه السـيول وإن كـانت تحمـل ترسبـات لكنهـا لا تكـون متسـاوية في الأرض ولا متماثلة في السمك بل إن بعضها لايكون فيه ترسبات أصلاً .

ثم إنه هوّن من أمر الطوفان فقال : " وليس بالأمر الغريـب أن يحـدث مثـل الطوفان الذي نحـن بصـدده في وادي الرافديـن الـذي كـان منـذ القديـم ولا تـزال ظاهرة الفيضان فيه ظاهرة طبيعية مألوفة ، فـالأحواض الـتي تمـون دجلـة والفـرات وتوابعهما بالمياه هي من السعة بحيث يمكنها أن تحدث في بعض الـحالات الطــبيعية

(١) المصدر السابق ص ٢٠٤ .

(٢) تاريخ حضارة وادي الرافدين ص ٢٠٩

فيضانات هائلة تنذر بالويل والثبور خاصة إذا صادف هطول أمطار غزيرة في مناطق الأحواض المذكورة كلها وطغيان كل الأنهر والتوابع في وقت واحد ثم إنضمام المياه التي تنحدر من قمم الجبال إليها بعد ذوبان كميات كبيرة من الثلوج.

أما قصة السفينة كما روتها النصوص السومرية والأكدية والتوراة فتذكرنا بحوادث مشابهة وقعت في الوادي نفسه في العهد العباسي ، فيحدثنا التاريخ عن فيضان كبير حدث في سنة ست وثمانين ومائة للهجرة (٨٠٢م) مما إضطر الخليفة الرشيد أن ينتقل من قصوره في بغداد مع أهله وأمواله إلى السفن حتى هبط مستوى نهر دجلة فعاد إلى البر" (١) .

فهو بهذا ينكر أن يكون قوم نوح قد عذبهم ا لله بالطوفان بسبب تكذيبهم لرسولهم نوح عليه السلام وجحدهم بأحقية ا لله عز وجل بالعبادة وحدة لاشريك له.

ومن بقايا النبوات التي أغفلها الآثاريون ما " ورد في الأدب العراقي القديم الذي يرجع تاريخه إلى آلاف السنين : أن البشر ما خلقوا إلا لعبادة ا لله.

وفي نصوص الحديث عن قصة خلق الكون : أن السماء والأرض كانتا في بداية أمرهما ملتصقتين ...وأن الإنسان قد خلقه ا لله من طين ثم قال له كن فكان"(٢) .

كذلك من الملاحظ صمت الآثاريين عن دعوات الأنبياء وقصصهم: بعض الباحثين يرجع خلو الآثار عن الدلالة على دعوات الأنبياء إلى نظرة الآثاريين إلى الأنبياء ودعواتهم وقصصهم بعين الحذر من جهة أو إلى افتراض أنها أساطير من جهة ثانية أو لأنها لا تمثل حدثاً ذا بال.

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٤ - ٢٠٥

(٢) علم الآثار ص ٢٧-٢٨

ويرى بعض الآثاريين أن سبب ذلك يرجع إلى أن احتمال العثور على أسماء الأنبياء والرسل في النصوص الإنسانية جد ضعيف ذلك لأن حقيقة الصراع بين دعوات الأنبياء وسلطان الملوك المؤلهين يدعو إلى عدم سماح الملوك بتسجيل مبادئ الدعوات التوحيدية والصراع بينها وبينهم (١) .

والواقع والله أعلم أن الأنبياء وصحابتهم لا يكون لهم أثار مما يعنيه الأثاريون غالباً لأنهم لا يهتمون بالدنيا وزينتها.

---

(١) أنظر: الحضارة المصرية القديمة الجزء الثاني ضمن سلسلة مصر والشرق الأدنى القديم ، محمد بيومي مهران ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، الطبعة الرابعة ١٤٠٩ ص ٥٧٢-٥٧٥

حاجة المسلمين للآثار

يمكن أن يكون هذا العنوان جواباً لسؤال هو:هل يحتاج المسلمون للآثار؟ لقد مر أن من أهداف علم الآثار المصرح بها كثيراً معرفة التاريخ ومعرفة تطور الإنسان ومعرفة تطور الحضارة وخط سير الحضارات والبناء عليها ومعرفة عقائد الناس وأفكارهم ومعرفة أسباب إنهيار الحضارات وأسباب قوتها للإستفادة من ذلك.

والواقع أن هذه المعارف المكتسبة إنما هي في الغالب إستنتاجات وتحليلات وبعضها مدون .

فمن ناحية معرفة التاريخ فالتاريخ مهم في حياة الأمم والذي ليس له ماضي ليس له حاضر.

والأمم كلما أصابها ضعف أو خور أو عقم في المصلحين إلتفتت إلى الماضي تبحث عن عظمائها ومفكريها وقادتها تتخذهم قدوة ونبراساً وتترسم خطاهم وتحاول أن تنهض من كبوتها بعد أن تملأ خواءها من تلك الأمجاد.

والتاريخ هو أداة ربط بين السلف والخلف.

وقد أغنى ا لله المسلمين بتاريخ وسيرة نبيه محمد صلى ا لله عليه وسلم وسيرة خلفائه من بعده وسيرة أولئك القادة والفاتحين والعلماء الأفذاذ والمفكرين في شتى العلوم على فترات تاريخ المسلمين بما تُشَحذ به عقول المسلمين اليوم وغداً من سيرهم وأخلاقهم وصبرهم ومثابرتهم وجدهم وحصدهم ثمرة جهودهم والتي لا زال المسلمون اليوم يحصدون شيئاً من ذلك ، ولم تعقم عقولهم ولا أصلابهم وأرحام نسائهم من وجود عمالقة بشتى الفنون التي يحتاجها المسلمون للنهوض من تبعية الاستعمار والذل والهوان بدليل وجود عقليات في علوم شتى مهمة في الدول المهيمنة ترجع إلى أصول إسلامية مهاجرة ، فالمسلمون ماهم ولسير الفراعنة ولسير الأشوريين والفينيقيين وغيرهم من صناديد الكفر والطغيان والعتاة المستكبرين المفسدين فإن تاريخهم مليء بألوان من الفساد والإفساد ومليء بالسيرة الخبيثة

ومليء بالمعتقدات الوثنية والأساطير والخرافات وسوء الأخلاق والمعاملات: وحشية في الحروب وخبث وخداع في المعاملات ونقض وغدر في الإتفاقيات والمعاهدات،فذلك كله لا يصلح للمسلمين بل هو يفسدهم ويفسد أبناءهم بكل أنواع الفساد الموجود في تواريخ الأمم الوثنية الجاهلية.

أما معرفة تطور الإنسان فإن الله عز وجل هو الخلاق العليم وقد أخبرنا عن خلق الإنسان لا عن تطوره ذلك التطور المبني على نظرية دارون قال سبحانه وتعالى :﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون.وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون. قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون ﴾(١) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿يأأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شيء قدير . وأن الساعة أتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور . ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق . ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾(٢) وقال سبحانه وتعالى :﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من

(١) سورة السجدة الآيات ٧ – ١١

(٢) سورة الحج الآيات ٥ – ١٠

طين. ثم جعلناه في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك ا لله أحسن الخالقين. ثم إنكم بعد ذلك لميتون . ثم إنكم يوم القيامة تبعثون.ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين. وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون. فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون. وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون. وعليها وعلى الفلك تحملون ﴾(١) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى . ألم يك نطفة من مني يمنى . ثم كان علقة فخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى . أليس ذلك بقادر على أن يحي الموتى ﴾(٢) وقال سبحانه وتعالى :﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً . إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً ﴾(٣) وقال سبحانه وتعالى ﴿ نحن خلقناهم وشددنا أسرهم﴾(٤) وقال سبحانه وتعالى : ﴿فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب إنه على رجعه لقادر﴾(٥) فأخبر سبحانه وتعالى عن خلق الإنسان ومراحله ومصيره وأنه يتوفاه ثم يحييه مرة أخرى يوم الجزاء والحساب.

وأصل فكرة التطور التي يرددها الملاحدة وأتباعهم من جهال الناس نظرية طرحها دارون وهي بعد لم تأخذ التصحيح العلمي بل هي مجرد نظرية باهته مردود عليها في منبتها إلا أن اليهود تلقفوها ووجدوا فيها مركباً وسلّماً

---

(١) سورة المؤمنون الآيات ١٢ – ٢٢

(٢) سورة القيامة الآيات ٣٦ – ٤٠ .

(٣) سورة الإنسان الآيات ١ – ٢

(٤) سورة الإنسان آية ٢٨

(٥) سورة الطارق الآيات ٥ – ٨

يصعدون عليها لإفساد أخلاق الناس وأُسَرهم وأديانهم ولم يتركوا وسيلة إلا أعتمدوها لتثبيت تلك النظرية حتى صدق كثير من الناس ذلك وأصبحت تدرس على أنها حقائق علمية وهي من الصحة بريئة.

وأخبرنا سبحانه وتعالى أنه لم يخلق الإنسان عبثاً ولا سدى فقال عز وجل : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾(١) .

وأن العبادة في حياة الإنسان تشمل كل وقته حتى نومه وطعامه ومرحه فيقوى بذلك على طاعة الله ، قال الله عز وجل : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له ﴾(٢) .

أما معرفة تطور الحضارة وخط سير الحضارات وهي تدور على معرفة الإنسان وثمرة تلك المعرفة بين الإنسان والآخر وتدور حول زرع الإنسان وصيده وعمارته ، فإن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وجعل أحد خصائصه الإستفادة من علوم من سبقه بل الإستفادة والتعلم يحصل منه من غير الإنسان فيتعلم الإنسان من الطير ومن الوحش والنمل ومن كثير من المخلوقات غيره مع ما عنده من علم بعكس غالبية الحيوانات فإن علمها فطري.

وقد علم الله سبحانة وتعالى آدم الأسماء كلها ، قال عز وجل :﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾(٣) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ الرحمن . علم القرآن . خلق الإنسان . علمه

(١) سورةالذاريات آية ٥٦

(٢) سورة الأنعام الآيتان ١٦٢ – ١٦٣

(٣) سورة البقرة الآيات ٣١-٣٣ .

البيان﴾(١) وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إقرأ بإسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . إقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم ﴾(٢) .

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون : لو أستشفعنا إلى ربنا ، فيأتون آدم فيقولون : أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء .. الحديث "(٣) .

أما من حيث الحضارات ومعرفتها وبناء الحاضر عليها فإن تلك الحضارات وثنية لا تصلح أن تكون أساساً يؤسس عليها المسلمون مع ما قد أغناهم الله به عن ذلك ، فمن ناحية الإقتصاد أو الحكم أو الثقافة أو الأخلاق أو العمارة وحتى العلوم البحتة والهندسة والرياضيات كل ذلك جاءت به شريعة الله عز وجل المنزلة على خاتم أنبيائه ورسله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم صراحة أو إيماءً ووجد النماذج في ذلك الشئ الكثير في عصور المسلمين لكن تلك العلوم قد قطع المسلمون مابينهم وبينها من صلة وانبهروا بعلوم الغرب التي جعلت من علوم المسلمين السابقين قاعدة لهم ومنطلقاً ثم إن كثيراً من علماء الغرب إنما هم من العقول الإسلامية المهاجرة .

أما من ناحية معرفة أسباب إنهيار الحضارات لتجنبها ومعرفة عوامل تماسك الحضارات وقوتها للأخذ بها فإن الله سبحانه وتعالى قص علينا في كتابه سير الظالمين والكفار وكيف أهلكهم الله سبحانه وتعالى بسبب ظلمهم وكفرهم على أنهم اتفقوا في عبادة غير الله أو أشركوا معه في عبادته فكانت الوثنية

---

(١) سورة الرحمن الآيات ١ – ٤

(٢) سورة العلق الآيات ١ – ٥

(٣) رواة البخاي:٨/١٠ كتاب التفسير باب قول الله تعالى:(وعلم آدم الأسماء كلها).

دينهم مع ما قد يصاحب إشتهارهم بمعصية أخرى كاللواط في قوم لوط عليه السلام ونقص المكيال والميزان في قوم شعيب عليه السلام مثلاً فكلاً أخذ الله بذنبه ودمرهم وأهلكهم وأخذهم أخذ عزيز مقتدر ونجى الذين آمنوا برحمة منه عز وجل ونصرهم على عدوه وعدوهم مع ما في القرآن والسنة من دلائل القوة وأسباب النصر وسنن الله في خلقه التي كثيراً ما تطرق الأسماع لكنها لم تلامس أذن المعتصم وقد أعز الله العرب بالإسلام فإن ابتغوا العزة بغيره أذلهم و خذلهم الله عز وجل ولن يصلح هذه الأمة إلا ما صلح عليه أولها كما أن ماأفسد البشرية من الشرك والوثنية كفيل بإفساد أي أمة تنتشر فيها تلك الوثنية.

فإذا كانت إيجابيات الآثار لا تصلح للمسلمين مع ما أغناهم الله عنها من البدائل فإن سلبيات الآثار كافية لنبذها سداً لذريعة الشرك وسداً لذريعة تشتت المسلمين وتفرقهم كل أهل بلد بما عندهم من وثنية الأقدمين فيها فرحون ولو لم يكن إلا هذان لكفى فالمسلمون يطالبون بالإجتماع قال تعالى : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾(١) .

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فأتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾(٢) وقال سبحانه وتعالى: ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾(٣) .

وهل أعظم من تفرق المسلمين بحب آثارهم من مصيبة كل يباهي بوثنية في بلده ،وقد أمرنا بإتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في كل شأن من شئوننا حتى

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٣

(٢) سورة الأنعام الآية ١٥٣

(٣) سورة آل عمران آيه ١٠٥

في تعامله صلى الله عليه وسلم مع الآثار عندما مر بمدائن صالح وتجاوز المكان مسرعاً وطلب من أصحابه أن لا يدخلوا مساكن الذين ظلموا إلا أن يكونوا باكين ومثله مسرعين لئلا يستحقوا أن يصيبهم ما أصاب أولئك الظالمين ولا شك أن أظلم الظلم الشرك بالله وأكبر علامات الشرك وأوضحها الأصنام والأوثان ومنها التماثيل والصور فهي تدل على أن تلك الآثار مساكن لأمم ظالمه مشركة بالله .

فلو بحث الآثاريون في مخلفات الحضارة الإسلامية وميزوا فيما بينها فما كان موافقاً لشرع الله أظهروه وبينوه لوجدوا فيه غنية عن غيره ولاستطاعوا ان يقطعوا على الغرب ما يطمح إليه من إسقاط الحضارة الإسلامية من سلسلة التقدم الحضاري العالمي فالغرب يريد من المسلمين أن يُخرجوا الأوثان والأصنام عدوة الإسلام الأولى وأساس سنة الجاهلية ويوقظوها من سباتها لإرجاع الناس إليها هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يتجاهل الآثاريون آثار الرسالات في بلاد الإسلام ويعدونها من قبيل الأساطير فليس مثبتاً عندهم من الدين إلا الدين الوثني والحمية الجاهلية والأخلاق الجاهلية

وكذلك يريد الغرب أن يثبت للعالم أن الحضارة الغربية الحديثة مبنية على الحضارة اليونانية والإغريقية وأن التقدم العلمي الهائل في العلوم المحايدة كما يسمونها كالرياضيات والفلك والهندسة وعلم الذرة وسائر العلوم والتي هي في واقعها سنن كونية وضعها الله لتسيير هذا الكون فمن تعلمها وتعرفها استطاع أن يطوعها ويستفيد منها،وقد تعلمها الغرب من العالم الإسلامي فالعلم التجريبي الذي هو أساس الحضارة الغربية الحديثة أخذه الغرب من المسلمين ولكن الغرب يزعم أن هذا التقدم أساسه الحضارة اليونانية والإغريقية وأن دور المسلمين هامشي لا وزن له .

فلو أن الآثاريين بينوا كذب ادعاء الغرب في هذه المجالات وإبرزوا حقيقة الناتج الحضاري الإسلامي الصحيح لانتفع بذلك أول من ينتفع المسلمون الذين يشعر كثير منهم أنهم عالة على غيرهم في شتى الميادين .

ولو أبرز الآثاريون فن العمارة الإسلامية في البيوت وكيف أنها تطبيق لما يريده الإسلام من المحافظة على حرمة البيوت والحرص على الستر وأظهروا شخصية المسلم في فن تخطيط العمران لاستغنوا عن الطراز الغربي في البناء .

ولو أن الآثاريين أبرزوا فن العمارة الإسلامية في القلاع وأطلعوا شباب المسلمين عليها وبينوا لهم أن المسلمين الأوائل إنما بنوا تلك القلاع لمحاربة عدو الإسلام وعدو المسلمين وكيف تعب المسلمون في ذلك وكم بذلوا لارتفعت معنويات المسلمين .

ولو أن الآثاريين أبرزوا الآثار الدالة على التقدم العلمي مثل اختراع الساعة وأدوات التشريح وأدوات المراصد الفكلية والمناظير وآلات الإستدلال على معرفة الجهات وصناعة السفن وجسور العبور فوق القنوات وقنوات الري وعلم الأصوات ومعرفة طرق رفع الصوت بما يشبه مكبرات الصوت الذي يعتبر بداية للإذاعة وللإتصال اللاسلكي وكذلك صناعة الآلات الحربية بما فيها المدافع القديمة لاستثاروا بذلك في نفوس المسلمين حب الإختراع والمعرفة .

إن هناك علوماً كثيرة متقدمة في سلم الحضارة عند المسلمين لم يعرفها المسلمون حتى الأن والعالم الغربي رصدها واحتواها واستفاد منها وبنى عليها حضارته ونسبها لنفسه ، ولاتزال بين الفينة والأخرى تفوح بعض الإعترافات الغربية هنا وهناك بأن مصدر تلك المعرفة مأخود من المسلمين ، والمسلمون لايعلمون عن ذلك شيئا فاين دور الآثاريين المفقود هنا .

ولو أن الآثاريين اثبتوا للمسلمين اليوم أن سيطرة العالم الإسلامي التي امتدت أكثر من ألف عام إنما تمت لتمكن الإيمان في نفوس المسلمين وتطبيقهم شرائع الإسلام وشعائره جميعاً ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ﴾(١)

---

(١) سورة البقرة : آية : ٢٠٨

وأن من أفـراد شـرائع الإسـلام وشـعائره قولـه تعـالى : ﴿ وأعـدوا لهـم مـا استطعتم من قوة﴾(١) وأن تلك القوة لايمكن أن تبنى من فراغ أو من جهل أو من فقر فلابد لبناء القوة من إعمال الفكر في بناء القوة الاقتصادية وتعلم العلوم النافعة لبنـاء القـوة مـن صناعـة الآلات النافعـة في الزراعـة والأسـلحة والطـب والهندسـة بفروعها وعلوم المعادن وغيرها والإعتماد في ذلك كلـه علـى النفـس مما تـبرز فيـه عقلية المسلمين وقوتهم وحضارتهم من جديد وترك ما يتعلمه كثير منهم من قشور الحضارة الغربية كالتقليد في القصات والملابس والعطور ونحـو ذلـك مما هـو تشـبه بالغرب أو استهلاك لقوة المسلمين المالية والذهنية مما لاطـائل مـن ورائـه ، بـل إنـه يذيب شخصيتهم ويجعلهم تابعين لأذناب الغرب في فسادهم وعريهم وعربدتهم ثم في إلحادهم وتمردهم على ا لله سبحانه وتعالى .

لو فعل الآثاريون ذلك المطلوب منهم من إظهار الحضارة الإسـلامية لأثبتـوا للمسلمين أولاً وللعالم ثانياً أن مكان الأمة الإسلامية ليس في هـامش الأمـم بـل إن مكانها من القلادة أوسطها ومن المجالس صدورها ومن المجد ذروته ، ولقطعوا علـى الغرب مايرددونه من إسقاط دور المسلمين في الحضارة العالمية .

كذلك لو فرز الآثاريون ما يسميه الغـرب بالآثـار الإسـلامية وبينـوا الآثـار التي لاتصح نسبتها إلى الإسلام لمنافاتها إياه ، وبينوا أن مايوجد من آثـار قـد تشـبه بعض آثار الجاهلية اليونانية إنما هو مـن فعـل أنـاس تحـت الحكـم الإسـلامي ، وقـد لايكونوا من المسلمين وا لله أعلم .

---

(١) سورة الأنفال : آية ٦٠

معرفة عمر الآثار

جميع المقاييس التي تحدد بها عمر القطع الأثرية ظنية بل بعضها غير صحيح وهي متفاوتة حتى أن كتب الآثار التي تطرقت لها تبين المطاعن والعيوب التي في أغلبها ومن أهم مقاييس عمر الآثار القياس بواسطة الكربون المشع ١٤ cويتم ذلك بأخذ قطعة من الآثار ويشترط أن تكون عضوية وينظر نسبة الكربون المتبقي بعد فناء الكائن العضوي المراد معرفة تاريخه إذ أن خروج الكربون ١٤ يكاد يكون بنسبة ثابتة في نصف كمية الكمية الموجودة فيه تستهلك من الوقت قرابة ٥٦٠٠ سنة تبقى بعدها نصف كمية الكربون ١٤ ثم هذا المتبقي يذهب نصفه خلال نفس المدة الأولى ثم بعدها المتبقي يذهب نصفه بنفس المدة وهكذا فمدة القياس الزمني التقريبي لا يتجاوز ٥٠٠٠٠ سنة على أكثر تقدير وهناك أقوال أنه لا يتجاوز ٣٥٠٠٠ سنة (١) .

وهذه الطريقة عند الآثاريين لا يتطرق إليها النقض إذ هي عندهم قطعية الثبوت لكنهم يقولون " أمام هذه الطريقة صعوبات لم تحل بعد إذ ربما تتلوث عينة من فحم حجري قديم بإمتصاصها مواد تحوي على فحم حجري من عصر أحدث مثل النمو الطفيلي الباكتيري التي حتى لو أزيلت من العينة التي يراد تحليلها فربما تزيف عمرها الظاهر وتقلله "(٢). فلابد من التأكد من أن المادة العضوية لم تلوثها أية مواد عضوية أخرى أحدث منها عمراً وتحتوى على الكربون المشع ١٤ (٣)

---

(١) أنظر الكتب التالية : الرائد في فن التنقيب عن الآثار ص ٨٨ وبلاد الشام في عصور ماقبل التاريخ ص ٦٠.
وكتاب : خلق لا تطور، مجموعة من علماء الغرب، ترجمة د. إحسان حقي، دار النفائس بيروت، لبنان الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ص ١١٨.

(٢) الرائد في فن التنقيب عن الآثار ص ٩٠.

(٣) أنظر : الكربون المشع وغيره من أساليب تأريخ الماضي: لين وجراي بول، ترجمة زكريا البرادعي: دار النشر للجامعات المصرية ، القاهرة، ص ٢٦.

ومن ثم من يضمن أن هذه العينة المراد معرفة عمرها لم تلوثها مادة عضوية أخرى أحدث عمراً منها؟.

وقد حدث بالفعل الكشف عن مثل هذا الإختلال ومن ذلك قولهم :" وبالرغم من أن النتائج كانت مرضية في مرات عديدة إلا أنه كان هناك بعض الإختلافات المحيرة بين التواريخ الراديوكربونية (١) التي تم الحصول عليها حديثاً من مواقع تم التنقيب عنها، وتواريخ أخذت بعد ذلك إما من حفريات قديمة أو نماذج محفوظة في المتاحف، إن إحتمالات التلوث في الحالات الأخيرةربما تكون قد أدت إلى تواريخ حديثة أكثر" (٢)٠

ومما يجب ألاَّ يغيب عن الأذهان أنه " قبل كل شئ يجب أن نعلم بأن طريقة الكربون ١٤ قد قامت على فرضيات كثيرة وأن المختبرات التى تقيس الأعمار لاتقيس أعمار النماذج بل تقيس إشعاعاتها وأن الصلة بين الإشعاع وبين عمر المادة تقوم على سلسلة من الفرضيات ...

فيفترض على الأخص بأن يكون مستوى الإشعاع الكربونى مستقراً خلال تمام الفترة التى طبقت عليه الطريقة فإذا اختلفت مع الزمن محتوى الجو من الكربون ١٤ كما لاحظ العلماء بأن محتوى الهواء والبحر من كربون ١٤ لم يكن ثابتا خلال سنوات كما افترضوا من قبل أن يكون فإن النتائج ستختلف وعلى الرغم من أن هذه الطريقة قد استقبلت في بداية الأمر كجواب لمطاليب علماء ما قبل التاريخ فقد أخذوا يوما بعد يوم ينكرونها بسبب عدم دقتها ، لا بل وعدم مطابقتها للمنطق والمعقول بالنسبة إلى التواريخ التى تعطيها إذا تمسكنا بالأرقام التى يدل عليها كربون ١٤.

فقد أجريت على مخلفات أثرية بِقريَة جارمو التى يعود وجودها إلى ماقبل

---

(١) هو نفسه التاريخ بواسطة الكربون المشع ١٤ C

(٢) أقدم الحضارات في الشرق الأدنى جيمس ميلارت ترجمة محمد طلب الناشر دار دمشق، دمشق سوريا، طبعة أولى ١٩٩٠م ، ص ١٤.

التاريخ قياسات بواسطة الكربون المشع ١٤ بلغ عددها إحدى عشر حساب لمعرفة عمر هذه القرية دلت كلها أنها كانت مأهولة بالسكان خلال ٦٠٠٠سنة بينما قد دلت شهادات علم الآثار على أنها لم تسكن بصورة مستمرة إلا خلال ٥٠٠ سنة.

وإن الأخطاء في معرفة الأعمار بالإشعاع الكربوني يمكن أن تكون بآلاف السنين(١). أيضا فعند الرغبة بمعرفة عمر آثار غير عضوية بواسطة الكربون المشع ١٤ فإنه يبحث عن عينة عضوية(٢) قريبة لتلك الآثار غير العضوية ويكون عمر العينة العضوية المتوصل إليه هو عمر العينات غير العضوية المجاورة لها (٣) لكن قد تكون العينة العضوية أقدم من العينة غير العضوية بكثير أو العكس ولايعلم متى حصل التجاور بين العينتين العضوية وغير العضوية ولا أيهما أسبق وجوداً في ذلك الموقع.

وهناك وسيلة أخرى مشابهة إلا أنها تقيس الأزمنة البعيدة وهى معرفة عمر الصخور بواسطة قياس ماتحويه من بوتاسيوم ٤٠ وبقياس حاصل انحلال أرغون ٤٠ لاسيما إذا كانت الصخور بركانية وهذا مبني على اعتبار أن الصخور التى فوق القطعة الأثرية المراد معرفة عمرها قد تشكلت بعد وجود العظم في الأرض وبالتالي فهى بعمر القطعة الأثرية إن لم تكن القطعة أقدم منها ، لكن تحديد عمر الصخور البركانية بواسطة بوتاسيوم أرغون تقوم على فرضية وهمية إذ تفترض بأن النشاط البركانى قد أذاب كل غاز الأرغون الذي يوجد في الصخور ونفاه ولكن بقاء أثر طفيف من هذا الغاز يجعل آلة القياس لاتقف على الصفر في البداية ولذا يكون العمر الذي تشير إليه أكثر بكثير من حقيقته .

---

(١) انظر خلق لا تطور ص ١١٩ – ١٢٠.

(٢) العينة العضوية هي ما كان أصلها جسماً نامياً كالإنسان أو الحيوان أو الشجر ، أما العينة غير العضوية فهي التي أصلها غير نامي كالحجر والحديد ونحو ذلك .

(٣) الكربون المشع وغيره ص ١٤٢.

وقد تكون تلك الصخور حاوية لغاز الأرغون ساعة تبلورها أو يمكن أن تصاب به عن طريق الجو .

وترى جماعة من أساتذة جامعة " جان هوبكنز " أن هذه التواريخ قابلة للجدل هذا وإن الأعمار التى تقدر بواسطة بوتاسيوم أرغون لاتتبع دوما عامل الأمن إذ تقدر عمر طبقة سفلى من الطبقات الأثرية التى فوق بعضها البعض أقل من عمر طبقة أعلى منها والصحيح أن الطبقة السفلى من المخلفات الأثرية أقدم عمراً من الطبقة التى فوقها إذ كلما خلف الإنسان مخلفات ورماها تكون المتأخرة عادة فوق القديمة وهكذا تتراكم إلى أن تكون التي على سطح الأرض هي الأقصر عمراً والأقرب عهداً .

ولابد للحصول على تاريخ مضبوط من هذه الطريقة من أن يكون غاز الأرغون قد زال من الصخر تماماً بالذوبان حينما يثور البركان لأن وجود أي أثر لهذا الغاز يحدث أخطاء في التاريخ تقدر بكثير من الملايين من السنين ومثال ذلك: إن أثراً ضئيلا جداً من الأرغون يبقى في الصخر يكفي لكي يجعل طبقة بركانية عمرها ٥٠٠٠سنة تظهر نتيجة تحليلها أن عمرها ٧٥٠٠٠٠أو ٢٥٠٠٠٠٠سنة وقد كتبت مجلة سانيس وايجست في عددها كانون الأول ديسمبر ١٩٦٢م بشأن عدم دقة طريقة بوتاسيوم أرغون تقول : " لقد حدد عمر الارض بطريقة بوتاسيوم أرغون بـ ٤٥٠٠ مليون سنة ثم ظهر رقم جديد هو ٦٥٠٠مليون سنة" فبماذا نفسر فرق هذين المليارين من السنين بين هذين الرقمين(١) .

بعد هذا العرض عن الأهمية التاريخية للآثار ووزن مصداقيتها أو بمعنى أدق مصداقية الأخبار المأخوذة منها يبقى أن المكتوب على بعض الآثار يبقى في دائرة مجهول الحال لايعرف صدقه من كذبه أضف إلى ذلك أنه لايعرف ضبطه ولاعدالته وأنه في الغالب غير مسلم وأيضاً لايعرف متى كتب وأن يُعلم أنه قابل للتزييف بشكل أو بآخر كما مرّ .

(١) انظر خلق لاتطور ، ص١٢١-١٢٣ .

ومع هذا كله فان المصادر الأثرية تعتبر عند كثير من الآثاريين والمؤرخين فوق مستوى الشبهات ولايمكن أن يتطرق إليها الشك وأنها أخبار يقينية تجعل التاريخ المبني على الآثار يرتقي إلى مستوى العلوم البحتية التجريبية أو قريباً من ذلك أي على مستوى علم الجيولوجيا أي علم طبقات الارض(١) .

بل واختص علم آثار ماقبل التاريخ بأنه قطعي الثبوت ونظرياته لاتقبل المراجعة ولاتعارض بأى حقيقة مستمدة من أي علم إلا إذا استثنينا علم طبقات الأرض في بعض الأحيان وهذا قول بعضهم :

"هناك ميدان آخر من العلم البشرى يطلق عليه علم آثار ماقبل التاريخ وهو الفرع الوحيد الذي تميزه التعاريف الضيقة لعلم الآثار .

وعلى كل حال فإن علم الآثار مجاله في هذا الميدان أوسع وحريته أكثر أو أن استكشافاته ونظرياته لايمكن مراجعتها والتأكد من صحتها بواسطة الحقائق المستمدة من العلوم الأخرى اللهم إلا إذا استثنينا علم طبقات الأرض في بعض الأحيان " (٢). أ.هـ بنصه .

فما أدري هل هناك شبه بين هذا الكلام وبين كلام اليهود عن قداسة كلام حاخاماتهم أنها لاتنقض ولو بأمر الله – تعالى الله عما يقولون علواً كبير– أم لا.

وكثير من الآثاريين يردون الأحاديث الصحيحة التي يرويها البخاري بشروطة الشديدة المعروفة بدعوى أنها أخبار آحاد بينما يرون دلالات الآثار قطعية بل ويدعي بعضهم أن التاريخ المبني على الآثار يرتقي إلى مصاف العلوم العلمية(٣) ، مع أن دلالات الآثار غير قطعية واحتمال الصدق فيها ضعيف ورواتها مجهولون وجزء كبير من تحليلاتها قائم على خيالات وأوهام أو مبنياً على قناعات مسبقة وتأثيرات بيئية أو دينية أو تملية دواقع إفساد وتخريب مما يبرهن على أن لها دوافع استعمارية .

ولن يصلح هذه الأمة إلا ماصلح عليه أولها ونحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإن ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله .

---

(١) انظر طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار ، ص٩–١١ .

(٢) دراسات في الفنون والعمارة العربية الإسلامية ، محمود وصفي محمد ، دار الاصلاح الدمام السعودية ، ص١٧ .

(٣) انظر : طرق البحث العلمي ، ص١١ .

المبحث الثاني

الوسائل المستخدمة لتعظيم الآثار

الوسائل المستخدمة لتعظيم الآثار

استخدم الآثاريون عدة وسائل لتحريك قلوب المسلمين حتى تعظم الآثار يعتز ويفاخر بها من ذلك :

١- المتاحف والمعاهد الآثارية :

المتحف معناه صالة عرض وهو دار علم صامتة بما فيه من معروضات وهو عند الآثاريين تعرض به الآثار وهو في حد ذاته معهد دراسة وتثقيف للباحثين ولأفراد الشعب إذ أن المتاحف تستخدم أساليب خاصة لجمع المقتنيات الأثرية وتعتني بحفظها وصيانتها وهي تؤدي رسالة تربوية(١) .

أما المعاهد الآثارية فهي التي تخرج الآثاريين الذي يشتغلون بنبش الآثار واستخراجها والمعرّفين الذين يعرّفون السياح والباحثين عن المناطق الأثرية بقصد الفرجة على الآثار وأماكنها ويشرحون ويفصلون عن أحوال تلك الآثار .

" والمتاحف الشرقية ثمرة من ثمرات جهود مئات المستشرقين الذين تفرقوا في بقاع الشرق تحت حرارة الشمس اللافحة بين رماله ووهاده وجباله فكشفوا عما خلفه أسلافنا من حضارات سومرية وأكدية وبابلية وآشورية ومصرية وفينيقية وقرطاجنية وغيرها... يوم كانت مطمورة تحت الأرض أو ملقاة عليها أو مدونة في آجرها وصخورها وقد مرّ بها ملايين الناس طوال مئات الأجيال دون أن ينتبه لعظمتها(٢) متنبه حتى كشف عنها المستشرقون...فبعثوها من مرقدها في متاحف ومعاهد ومطابع ومجلات... وقد أشرف العلماء الفرنسيون على المتحف المصري

---

(١) انظر معجم المصطلحات الأثرية ، ص٢٦٠-٢٦١، مادة متحف ومادة فن المتاحف .

(٢) وأي عظمة هـا إن التعظيم عبادة ولاتصح إلا بأمر من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

منذ إنشائه حتى عام ١٩٥٣ وأنشأوا المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة (١٨٨٠م) وزودوه بمكتبة ومطبعة ...وأنشأوا معاهد على غراره في معظم عواصم الشرق الأوسط... وأنشأ ديلاثر متحف قرطاجة وبروست متحف أنطاكية "(١).

"والمتاحف – وهي الأماكن المعدة لعرض إنتاج الفنانين – أصبح لها من القداسة ماهو شبيه بقداسة دور العبادة : يجد الزائر الغريب للمتاحف الشهيرة مثل اللوفر في باريس والمتروبوليتان في نيويورك الجو في هذه الأماكن شبيها للغاية لبيت العبادة فلقد ربي كل متفرج منذ طفولته ليعظم كل الصور والتماثيل المحفوظة في هذه الأمكنة وكأنها ذروة الكمال ولكل منها قيم لاتقدر بثمن وليس له بديل فعندما يقف أمام فينوس دي ميلو أو الموناليزا لليوناردو دافنشي يؤخذ فيعجز عن الكلام .

يضاف إلى ذلك الجو الذي يضفيه المشرفون على هذه المتاحف من التعتيم المصطنع في بعض الأماكن والإضاءة الخافتة في بعضها الآخر ومن أسلوب العرض لبعض اللوحات كأن تعرض لوحة واحدة بمفردها في قاعة خاصة بها كما هو الشأن في لوحة الموناليزا في متحف اللوفر وقد يخصص لها بناء مستقل كما هو الشأن بالنسبة للوحة الجورنيكا حيث خصص لها بناء خاص ملحق بمتحف البراد في مدريد .

وحتى يتضح مدى إفساد ذلك للقلوب إليك مايلى :

ورد في الصحف البريطانية منذ سنوات السؤال التالى :

لنفرض أن تمثالاً يونانياً شهيراً وجميلاً فريداً من نوعه وهو لذلك لايعوض كان في غرفة واحدة هو وطفل حي واندلعت النيران في الغرفة ولم يكن بالإمكان إلا إنقاذ واحد إما الطفل وإما التمثال فأيهما يجب إنقاذه ؟

(١) المستشرقون ، نجيب العقيقي ٣/٣٤٨-٣٤٩ .

وكانت المصيبة أن كثرة عظمى من الذين أجابوا برسائلهم من الرجال ذوي الثقافة والمكانة المرموقة قالوا حسب ماذكر : بأنه يجب إنقاذ التمثال وترك الطفل يهلك وكانت حجتهم في ذلك : أن ملايين الأطفال يولدون يومياً بينما لايمكن تعويض ذلك العمل اليوناني لعظيم"(١) ويؤخذ من السبب الذي ذكروه أن كثيراً من الآثاريين يفضلون ما يجدونه من تماثيل في بلاد المسلمين على المسلمين فقد ضحوا بطفل انجليزي مقابل ذلك التمثال فمن باب أولى عندهم أن تفضل التماثيل في بلاد المسلمين وغيرهم على المسلمين .

وكأن عقولهم مسخت فإن الإبداع في خلق الطفل لايقارن بعمل التمثال ثم ومن قال أن الأطفال الذين يولدون يومياً مثل ذلك الطفل .

ثم إن هناك التماثيل التى تنحت قد تكون أحسن في نظر أولئك من ذلك التمثال المراد إنقاذه !!.

"ومما لاتخفى دلالته في هذا الصدد أن الثري الأمريكي اليهودي الأصل روكفلر (ابن روكفلر الكبير) صاحب الملايين قد أعلن سنة ١٩٢٦م عن تبرعه بعشرة ملايين دولار أمريكي لإنشاء متحف للآثار الفرعونية في مصر يلحق به معهد لتخريج المتخصصين في هذا الفن واشترط لمنح هذه الهبة أن يوضع المتحف والمعهد تحت إشراف لجنة مكونة من ثمانية أعضاء ليس فيها إلا عضوان مصريان فقط على أن تظل هذه اللجنة هي المسئولة عن إدارة المتحف والمعهد لمدة ثلاث وثلاثين سنة ... وقد كان واضحاً من تحديد صاحب الملايين مدة الإشراف بثلاث وثلاثين سنة أنه يهدف إلى خلق جيل من المتعصبين للفرعونية ثقافياً وسياسياً .

ومصلحة الصهيونية في ذلك ظاهرة لأنها إذا نجحت في سلخ الدول الإسلامية من إسلامها أمن اليهود كل معارضة لاستقرارهم في فلسطين وعاشوا مع جيرانهم في هدوء يمكن لهم من الإعداد لوثبة جديدة يأكلون فيها جيرانهم النائمين لأن معارضة الدول العربية لمطامع اليهود في فلسطين إنما تستند إلى الإسلام فإذا

---

(١) انظر الفن الإسلامي إلتزام وابتداع ، صالح أحمد الشامي ، دار القلم دمشق سوريا الطبعة الاولى ١٤١٠هـ -١٩٩٠م ، ص ٦٤-٦٥ .

انسلخ المصريون مثلا من الإسلام ولبسوا ثوب الفرعونية مات الحافز الذي يدفعهم إلى مجاهدة اليهود ومعارضة دولتهم في فلسطين إذ يصبح اليهود والعرب لديهم عند ذلك سواء"(١) ، بل قد يرون أن لليهود حقاً من خلال ما يدعيه اليهود من الآثار .

ويلحق بالمعاهد مايماثلها من كليات الآثار والأقسام الآثارية في الكليات .

وهذه مقتطفات من كتاب نشرته مؤسسة فرانكلين يشتمل على ماألقي في مؤتمر عقد سنة ١٩٥٣ في جامعة برنستون بأمريكا اشترك فيه مجموعة أفراد من بلاد المسلمين اختيروا ووجهت إليهم دعوة للإشتراك في المؤتمر ببحوث إسلامية مع عدد مساوٍ لهم من الأمريكيين المشتغلين بالدراسات الإسلامية بعضهم قسس يحترفون نشر النصرانية في بلاد المسلمين ممن يسمون زوراً وبهتانا مبشرين وبعضهم مستشارون في وزارة الخارجية الأمريكية(٢) فإلى المقتطفات والكلام عن تطوير الشريعة بمفهوم الأمركيين الداعين للمؤتمر أنقله من كتاب الإسلام والحضارة الغربية وفيه : " ومن أساليبهم في التطوير كذلك – وهوأسلوب خبيث يخفي على أكثر الناس – بعث التاريخ السابق على الإسلام في كل بلد من البلاد الإسلامية، والكتاب الذي نعالجه يحتوى على مثالين لهذا الأسلوب في بحثي الدكتور كون والدكتور ولسون – الصفحات –(٢٨٩–٣٠١،٣٣١–٣٤٢) وستجد في البحث الأول صورة من الإهتمام بتوجيه المسلمين للعناية بالتاريخ القديم حيث يقول الدكتور كون : (منذ الآن يجب أن يبذل علماء الآثار الغربيون جهداً مشتركاً لتدريب علماء الآثار المسلمين حتى يستطيعوا القيام بالعمل الذي يقومون به ... ويجب أن يُبْذَل كل جهد ممكن للتأكد من أن هذه الأبنية والأهرام والتماثيل والنقوش سيحافظ عليها–ص٢٩٧ .

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، د. محمد محمد حسين دار الرسالة، مكة المكرمة، الطبعة التاسعة، ١٤٠٣هـ – ١٩٩٢م ، ١٣٩ – ١٤٠ بتصرف .
(٢) انظر الاسلام والحضارة الغربية ، ص ١٢٥،١٢٦ .

وستجد في المقال الثاني صورة مما بذله الغربيون من جهود في تأسيس علم الآثار وإنشاء متاحف وطنية له في كل مكان يقول :(ومنذ حوالي قرن مضى أدت عمليات التنقيب الناجحة التى قام بها بوتا Bott ولايارد Layard في العراق ، وماريت Mariette في مصر وشليمان Schliemann في تركيا ، إلى تأسيس مصالح للإشراف على التنقيب وإلى إنشاء متاحف وطنية وتولى الأتراك الإشراف في الامبراطورية العثمانية أما في غيرها فقد أدت عناية الغربيين وعدم اهتمام المسلمين بالآثار السابقة على الإسلام إلى وضع الإشراف في يد الغرب : في يد فرنسا في مصر وإيران وفي يد بريطانيا العظمى في الهند وفي يد ايطاليا في ليبيا– ص٣ .

ثم يقول عنه (والذي حدث هو أن عالم الآثار الغربي في كل دولة من تلك الدول قد ساعد في إعداد قانون خاص بالآثار للبلد الإسلامي الذي يعمل فيه وأصبح " مستشاراً " لموظف وطني عين من حكومته مديراً لمصلحة الآثار)(١).

دور المستشار :

المستشار كما يقولون ليس له سلطات تنفيذية بنفسه لكنه يباشر التنفيذ عن طريق ذلك المدير الذي تُقدم له النصيحة لكنها ليست كالنصائح إذ أنها نصيحة واجبة التنفيذ كما وصف ذلك اللورد ويفل.(Wavell)(٢) .

٢- المقررات والمناهج المدرسية :

في البلاد الإسلامية التى طغى فيها علم الآثار أستخدمت مناهج التعليم لترسيخ وتعظيم الآثار بين المسلمين منذ الصغر فألزم الناشئة مثلا بدراسة الآثار الجاهلية على شكل قصص تحكي تفاصيل عن عباداتهم الوثنية وشعائرها وقرابينهم

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية ، جاك ريسلر ص ١٣٩ - ١٤٠.

(٢) انظر ذلك في كتاب Allenby in Egypt : لمؤلفه اللورد ويفل (Wavell) ذكر ذلك محمد محمد حسين في كتابه الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ٢/٣٩٠-٣٩١ .

وتقديس مايسمونه " أجدادك الفراعنة " مثلاً على وجه يملأ قلب الناشيء اعتزازاً وفخراً لرموز الوثنية، ذلك أنها معروضة بأسلوب قصصي جذاب ، أو على أنه تاريخ البلاد مع مايصاحب ذلك من ضعف أولئك الناشئة في معرفة التوحيد لله والإلتزام به ونبذ الشرك فعلى سبيل المثال كتاب : صور من حضارة مصر القديمة كتاب كله عن الآثار الفرعونية الجاهلية ومعبوداتهم الوثنية الشركية وقد أبرزها الكاتب على وجه يجر التلاميذ إلى الفخر بها في بداية المراهقة التى يكون فيها الإفتخار بالذات ومايدور حوله من الأشياء المحببة لهم، ذلك الكتاب مقرر على تلاميذ السنة الثانية الإعدادية بمصر.

كذلك كتاب : خلاصة تاريخ مصر القديم لطلبة السنة الأولى الثانوية، محمد عبد الرحيم مصطفي وأحمد صادق الطنطاوي الطبعة الثانية ١٩٤٧م مكتبة مصر القاهرة ، يحكي التاريخ الحجري وتطور الإنسان المصري ومعرفته ثم تاريخ الفراعنة ومعتقداتهم ، ومليء بالكذب والإفتراء مثل أن مصر هبة النيل وأن أخناتون أحد فراعنة مصر أول من نادى بالتوحيد – أي بتوحيد الألوهية– ومثل ترحيب المصريين بالإحتلال الإغريقي لمصر .

ولاتخلو كتب القراءة والمحفوظات من مواضيع تصب في نفس الإتجاه على درجات متفاوتة .

٣- الصحف والمجلات :

كثير من الصحف والمجلات تتعرض للآثار من عدة زوايا مختلفة من ذكر لأهميتها التاريخية أو قيمتها الفنية أو تمجيد لها باعتبارها دلائل الحضارة القديمة ، ومن ذكر لأمجادها وإنتاجها .

ويكثر كلام الصحف عن المواضيع الآثارية غالباً أثناء وقرب المواسم السياحية والإجازات أو أثناء وقرب المهرجانات الآثارية .

وقد تتسمى بعض الصحف بأسماء لها مدلولات أثرية كصحيفة الأهرام وشعار بعض شركات الطيران أو اسمائها وما تقوم به كثير من الكتب السياحة ومكاتب شركات الطيران من طبع صور الآثار وتوزيعها مثلاً وهناك صحيفة السياسة الأسبوعية فإن لها اهتمامات بالآثار وبالذات الوثنية الفرعونية .

"وكثر حديث هذه الصحيفة عن الفراعنة فلم يخل عدد من أعدادها من حديث عن حضارتهم ومجدهم وكتب رئيس تحريرها في مقال عن (مصر الحديثة ومصر القديمة) يزعم أن مايتوهمه بعض الناس من أن تغير الدين في مصر من الوثنية إلى المسيحية ثم إلى الإسلام وتغير اللغة فيها من الهيروغليفية إلى العربية قد قطع مابين مصر الحديثة ومصر القديمة من صلات ليس إلا وهماً من الأوهام وأن الحقيقة العميقة هي أن هذه الصلة قائمة لاشك فيها بيننا وبين أجدادنا الفراعنة ، وأخذ يتقصى كثيراً من مظاهر الحياة المعاصرة ليردها إلى أصل فرعوني قديم ثم قال (لاسبيل إذن إلى إنكار ذلك الإتصال النفسي الوثيق الذي يربط تاريخ مصر منذ بدايته إلى عصرنا الحاضر وإلى آخر العصور المستقبلة التى يمكن أن يعرفها التاريخ . ولئن تبدلت أسباب العيش ماتبدلت ولئن قربت سكك الحديد والبواخر والطيارات وكل مايمكن أن يتمخض عنه خيال العالم من وسائل المواصلات بين أجزاء العالم ماقربت ، بل لئن تهدمت الحدود الدولية وفنيت العاطفة الوطنية فسيبقى أبداً الإتصال النفسي الوثيق الذي يجعل من مصر وحدة تاريخية أزلية(١) خالدة ، فيما يصل إليه عقلنا من تصور الأزل والخلد .... فمن حق المصريين ومن الواجب عليهم أن يستثيروا دفائن الفراعنة جميعاً وأن يربطوا حاضرهم وماضيهم رباطاً ظاهراً لكل عين . وإنهم إذن ليضيفون إلى قوتهم قوة وليضاعفون مجدهم أضعافاً وليزدادون لذلك بالحياة استمتاعاً ولها تذوقاً) .

ثم يقول: على الكاتب أن يدعو ... إلى أن تقوم نهضتنا على بعث المجد الفرعوني القديم مثلما قامت النهضة الأوربية الحديثة على بعث المجد اليوناني

---

(١) الأزل : استمر الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب الماضي كما أن الأبد استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب المستقبل ، والأزلى مالايكون مسبوقاً بالعدم : والموجود أقسام ثلاث :
١- إمام أزلي أبدي ، وهذا لايكون إلا الله عز وجل
٢- وإما لا أزلي ولا أبدي : وهو الدنيا ومصر المذكورة أعلاه من هذا القسم ، والكاتب جعلها من القسم الأول والعياذ با لله .
٣- وإما أبدي غير أزلي وهو الأخرة : وعكسه محال فإن ما ثبت قدمه امتنع عدمه ، أنظر : التعريفات ، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٧١م ، ص١١ .

واللاتيني القديم وذلك (بالبحث عن موضع الإتصال بين مصر القديمة ومصر الحديثة في ميادين الأدب وكتب العقائد وطقوس العبادة)"(١) .

أما المجلات فمنها المجلات المتخصصة في الآثار ولاتطرق مواضيع أخرى كالتي تصدرها الجهات المعنية بالآثار كإدارات السياحة والمتاحف والمعاهد المتخصصة .

وهناك مجلات أخرى لها اهتمامات آثارية ثابتة في غالب أعدادها مثل مجلة العربي ، والمجلة العربية ، ومجلة الحوليات الأثرية العربية السورية ، والتراث العربي، ومجلة المنهل ودائماً ماتحوي هذه المجلات العديد من البحوث الآثارية .

وعادة لاتخلو أعداد مجلات خطوط الطيران من طرق مواضيع أثرية مختلفة سواء في داخل بلدان تلك المجلات أم في خارجها .

وقد تتسمى بعض مجلات شركات الطيران بأسماء لها مدلول أثري مثل مجلة حورس، وهي بالجملة إما تمجد الوثنيات أو تدعو إلى زيارتها أو تجعلها مثلاً أعلى وقدوة(٢) .

فهي عموماً تدعو إلى "محاولة إحياء الماضي الفرعوني والإغريقي والجاهلي العربي وتمجيده وبعث الأساطير وإعادة صياغة الوثنيات والفلسفات السريانية والمجوسية والباطنية وإحياء عشتروت وزيوس وباخوس(٣)" (٤) .

وكانت الصحف تشغل الناس وتزيد من حماسهم بما تنشره من الصور وأخبار الكنوز الوثنية المستخرجة من القبور الفرعونية (٥) .

(١) الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ١٤٩/١ .
(٢) انظر أصل هذا الموضوع : الصحافة والأقلام المسمومة ، انور الجندي ، دار الاعتصام ، ص١٤، ٢٧ .
(٣) عشتروت وزيوس وباخوس أسماء معبودات وثنية ولها قصص وأساطير تحكي قوتها وسيطرتها وصولاتها وحروبها وغير ذلك ، انظر معجم المصطلحات الأثرية ، ص٤١٥، ٥٦، ٤٩ .
(٤) الصحافة والأقلام المسمومة ، ص٢٧ .
(٥) انظر الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ١٥٤/٢ .

٤- الكتب :

الكتب التى صدرت وبين دفتيها مواضيع آثارية كثيرة جداً منها مايتكلم عن المواقع الأثرية ومنها مايحلل الآثار ومنها معاجم ومصطلحات ومنها مايدعو إلى جعل الآثار قدوة في العقائد والأخلاق والثقافة سواء بالطرح المباشر أو المغلف ومنها مايحكي أساطير وخرافات الآثار ولاتخلو غالباً من عرض صور ورسوم توضيحية بل إن كثيراً منها مليء بذلك ومنها مايحلل ويلوى الأدلة لاستنتاج أدلة تؤيد نظرية التطور وإنكار أن ا لله هو الخالق المدبر المتصرف في هذا الكون - سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

ومن نماذج الكتب :

اسم الكتاب	اسم المؤلف
إمبراطورية إبلا	علي القيم
نشوء الحضارات	بورهارد برينتيس
تاريخ بلاد الرافدين منذ اقدم العصور حتى ٥٣٩ق.م	عيدمرعي
ثقافة أوغاريت	إ.ش شيفمان
بلاد الشام	سلطان محيسن
أقدم الحضارات في الشرق الأدنى	جيمس ميلارت
آثار الأردن	لانكستر هاردنج
ماوراء التاريخ	وليم هاويلز
الآثار الشرقية	أرنست بابلون
آثار بلاد الرافدين	محمد طلب
معالم تاريخ مصر القديمة	رمضان عبده علي
العصور القديمة	جايمس هنري براستد
تاريخ روما القديمة	محمود إبراهيم السعدني
مصر والشرق الأدنى القديم	محمد بيومي مهران

اسم الكتاب	اسم المؤلف
طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار	طة باقرو،عبدالعزيز حميد
الرائد في فن التنقيب عن الآثار	فوزي عبدالرحمن الفخراني
الديانة الفرعونية	السيرولس بدج
الموسوعة الفرعونية	باسكال فيرنوس وجان يويوت
معجم المصطلحات الأثرية	محمد كمال صدقي

وغير ذلك كثير مما لم أذكره أو قد مرّ في ثنايا البحث .

٥- الإعلام المرئي والمسموع :

تطرح في هذين الجهازين كثير من الندوات التى تناقش في أهمية الآثار وأماكن وجودها وتبرز عظمتها وصمودها وأن ذلك دليل إحكامها وقوتها وتدعو إلى السياحة إليها والإهتمام بها لكن في الإعلام المرئى أظهر وأقوى إذ تعرض نماذج ومقاطع من مواقع الآثار ويكون الشرح هنا أوفى حيث أن طريقة العرض أمكن وتأتي أحياناً تلك المقاطع الآثارية كشواهد وأدلة ضمن موضوع يحكي تطور البشرية ،حياتهم ومعيشتهم وزرعهم ونحو ذلك مثلاً، وأحياناً أخرى تكون بصورة أعرف بلدك أو ماشابه ذلك .

٦- الميادين وأمامكن تجمع الناس :

تعرض كثير من النماذج الآثارية وخاصة التماثيل سواء كانت تماثيل إنسانية أو حيوانية من طيور وسباع أو نحو ذلك في كثير من الميادين العامة وتقاطعات الطرق الكبيرة .

كذلك تعرض أيضا في أماكن تجمع الناس كبعض محطات سكك القطار وصالات انتظار الناس في بعض المطارات في بلدان العالم الإسلامي .

أيضاً لاتخلو كثير من ساحات الجامعات ومداخل الكليات من أشياء آثارية من هذا القبيل وقد رأيت ذلك في أحد البلاد الإسلامية ويلحق بذلك المسرح حيث تعرض مسرحيات تحكي عن أولئك الوثنيين وتصورهم بصورة الأبطال

والعباقرة ونحو ذلك، أو تعرض تمثيليات عن حياة الناس الجاهليين المستقاة من الآثار ومايجرى بينهم من قصص حب وغرام ومايتبع ذلك من رقص وطرب، وتحاكيهم في الملابس والأخلاق والعادات والطقوس وأساليب الكلام من كلمات التألية والتقديس لأوثانهم ومايشبه ذلك .

٧- الإغراء المادي: يكون ذلك بأمور:

منها جذب الطلاب لدراسة الآثار على أساس الكسب المادي بعد التخرج كمرشدين سياحيين في المؤسسات السياحية أو لحسابهم الخاص كذلك تنشط في الأسواق محاكاة التماثيل وغيرها من الآثار بصنع نماذج مصغرة منها وبيعها على الناس وخاصة السياح حيث يحملون كثيراً منها إلى بلادهم لإهدائها أولاقتنائها .

٨- الشعارات الآثارية:

وضعت الشعارات الدالة على الآثار الجاهلية على كثير من الأشياء التى لها مساس بالناس فمثلاً : " رسموا رأس أبي الهول على طوابع البريد وعلى أوراق النقد ... واتخذت كل كلية من كليات الجامعة شعاراً لها يمثل وثناً من معبودات الفراعنة ... وشاع هذا الطابع الفرعوني في كثير من أبنية الحكومة وأوراقها الرسمية وفي الزخرفة والنقش"(١) ويلحق بذلك ماتتخذه بعض الشركات والمؤسسات من شعار لها على أوراقها ومعلباتها وماتظهر على صناديق التعبئة أو أسمائها مماتتخذه من أسماء وثنية .

من ذلك برتقال نفرتيتي وبعض المنتجات الرياضية التى تحمل اسم "نيكي" وهو اسم صنم يسمونه إله النصر عند الاغريق(٢) مع مالهذا اللفظ من معنى فاسد خبيث في اللغة العربية .

---

(١) الاتجاهات الوطنية ٢/ ١٤٦ .

(٢) معجم المصطلحات الآثرية ،ص ٢٧٢ .

٩- الشعر والأدب :

إنتشر التمجيد الوثني والإعتزاز والإفتخار بالآباء والأجداد الوثنيين الجاهليين وأمجادهم من ذلك :

أين الفراعنة الألى استذري بهم　　عيسى ويوسف والكليم المصعق(١)
الرافعون إلى الضحى آباءهم　　فالشمس أصلهم الوضيء المعرق
وكأنما بين البلى وقبورهم　　عهد على أن لامساس وموثق
فحجابهم تحت الثرى في هيبة　　كحجابهم فوق الثرى لايخرق
كم موكب تتخايل الدنيا به　　يجلي كما تجلي النجوم وينسق
فرعون فيه من الكتائب مقبل　　كالسحب قرن الشمس منها مفتق
تعنو لعزته الوجوه ووجهه　　للشمس في الآفاق عان مطرق
آبت من السفر البعيد جنوده　　وأتته بالفتح السعيد الفيلق
ومشى الملوك مصفدين خدودهم　　نعل لفرعون العظيم ونمرق
مملوكة أعناقهم ليمينه　　يأبى فيضرب أو يمن فيعتق(٢)

وقد جعل الفراعنة ملاذا ومتوكلاً عليهم لرسل الله عز وجل الذين لايتوكلون إلا على الله عز وجل وهل تعنو الوجوه لغير الحي القيوم ؟كلا والله لاتعنو إلا لله عز وجل وقوله هذا إلحاد وكفر ، كما وقد أهان وجوه الناس وجعلها نعلا لفرعون ونمرق إلى غير ذلك مما في هذه الأبيات من البلاء .

---

(١) استذرى بهم : اي لجأ إليهم واستظل بظلهم . الكليم هو موسى عليه السلام الذى كلمه الله المعق : الذي صعق حين طلب الله سبحانه وتعالى أن يراه . وهو يشير إلى قوله تعالى ﴿فلما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾" سورة الاعراف آية ١٤٣ وهذا تعليق على البيت في كتاب الاتجاهات الوطنية ١/١٢٢

(٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ١/١٢٢-١٢٣.

وهذه قصيدة أخرى :

وقف الخلق ينظــرون جميعاً ... كيف أبني قواعد المجد وحدي
وبناة الأهرام في سالف الدهر ... كفوني الكلام عند التحـدي
أنا تاج العلاء في مفرق الشرق ... ودراته فـرائد عقــدي
أي شيء في الغرب قد بهر النا ... س جمالاً ولم يكن منه عنـدي
هل وقفتم بقمة الهرم الأكبـــر ... يوماً فريتمو بعض جهــدي
هل رأيتم تلك النقوش اللواتي ... أعجزت طوق صنعة المتحدي

ثم يقول :

أنا أم التشريع قد أخذ الرومان ... عني الأصـــول من كل حد
ورصدت النجوم منذ أضاءت ... في سماء الدجى فأحكمت رصدي
وشدا (بنتئور) فوق ربوعي ... قبل عهد (اليونان) أو عهد (نجد)(١)

وهذه القصيده قد غنتها إحدى المغنيات الهالكه.

فهو يرى أن منبع الحكم والقانون من بلاده ويفتخر بذلك وهذا كفر ويرى أن المجد لبلاده سابق ومتأصل فكل مجد بعده فهو مسبوق فكأن مجـده مكافىء أو متقدم على غيره حتى عهد نجد وهو الاسلام ؟!!

أما الأدب فيراد له أن يبنى على الوثنية الجاهلية القديمة يقول أحد دعاة ذلك : " إن واجبنا هو أن نبث في الشعب روح القومية وروح الإنتاج المحلي وأن أول مانولي وجوهنا فليكن شطر الأدب الفرعوني قبل كل شيء فهو تراث الآباء والأجداد "(٢) .

فكان من ذلك توجيه الدعوة إلى " الكتاب والأدباء إلى البحث عن مواضع الإتصال بين مصر القديمة ومصر الحديثة في ميادين الأدب وكتب العقائد وطقوس العبادة وموروث التقاليد والعادات في شتى نواحي الحياة كما دعوا إلى إنشاء أدب خاص وفن مستقل في التصوير والنحت والموسيقى يتميز بطابعة

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ٢/١٤٦-١٤٧ وبنتئور شاعر .

(٢) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام : ص١٤٠-١٤١ .

المصري المحلي الخاص(١) مثلاً .

يقول الدكتور محمد محمد حسين :" أما دعاة التجزئة فقد نشطوا في أعقاب الحرب العالمية الأولى في الدعوة إلى بعث التاريخ القديم في كل جزء من أجزاء الوطن العربي وهو التاريخ السابق على استعرابها بدخولها في الإسلام واتخاذها لغتة فأطلت النعرة الفرعونية في مصر وأسفرت عن وجهها وغزا بها دعاتها كل ميدان: في الكتب المدرسية وفي النحت والتصوير وفي الصحافة وفي أنماط البناء وفي الأزياء وفي الأشعرة والشعارات وفي الأدب والقصة منه بوجه خاص "(٢) .

ولست في حاجة لبيان التأثير القوى للأدب في الناس سواء منه الشعر أو النثر .

١٠- **النظم والقوانين .**

لاتكاد بلاد من بلدان المسلمين تخلو من نظام صادر من حكومته فيه بيان ماهي الآثار وحكم بيعها والمتاجرة بها وإصدار التراخيص اللازمة لذلك وكذلك التبادل المماثل مع آثار بلدان أخرى وأحكام المخالفات في ذلك؛ كذلك تنظيم حفظها والأساليب في ذلك من تسوير وترميم وحراسة ونحو ذلك من نظم المحافظة على الآثار .

من ذلك "٦- ينبغي تحويل مرور الطائرات بعيداً عن المدن وأن تقام المطارات خارجها بمسافة لاتقل عن ثلاثين كيلو متر حتى لاتضار المباني الأثرية بها باهتزازات الهواء الشديد والناتجة عن مرور الطائرات "(٣) .

ومن نظمها أيضاً إلحاق إدارات الآثار بوزارات المعارف لتوثيق الروابط بين

---

(١) المخططات الاستعمارية ، ص ١٣٩-١٤٠، وانظر الإسلام والحضارة الغربية ، ص٢٣٦.

(٢) الإسلام والحضارة الغربية ، ص٢٣٦ .

(٣) المؤتمر السادس للآثار في البلاد العربية ، طرابلس ، ليبيا ، ١٨- ٢٧/ ٩/ ١٩٧١م،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ص ٢١ .

ميدان العمل الأثري وبين البحث والدرس في الجامعات ممايعني تنشئة الأجيال على قيم تستند إلى أساليب الحياة والفكر في وثنيات الجاهلية(١) .

ومن المهتمين بالآثار من يقول: إن : " من واجب العرب وعلى رأسهم الحاكمون منهم المحافظة على تاريخ العرب القديم بصيانة مواطن الآثار ومنع الإعتداء عليها بإنزال أشد العقوبات فيمن يحطم تمثالاً لاعتقاده بأنه صنم أو يهدم أثراً للاستفادة من حجره"(٢) . وقد وقع تحطيم التمثال هنا بين أمرين متضادين أحدهما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريصه أشد الحرص لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه " ألا تدع تمثالاً إلا طمسته"(٣) والآخر " إنزال أشد العقوبات فيمن يحطم تمثالاً" مع كونه معتذراً بأنه صنم إلا أن الأمر بالتحطيم صدر من رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي يلزمنا اتباعه وطاعته فيما أمر واجتناب مانهى عنه وزجر وألاّ نعبد الله إلا بما شرع وأن نقدم أمره ومحبته على الولد والوالد والأهل والنفس فضلاً عن بقية الناس والأمر الآخر صدر من ذلك المؤلف.

١١- المهرجانات الشعبية :

والمهرجانات الشعبية هي أماكن عرض مايسمى " الفولكلور" أو الموروث الشعبي أوالتراث الشعبي، وكلمة الموروث الشعبي هي تفسير للفظ " فولكلور . "

ولفظ فولكلور أو الموروث الشعبي يستبدل أحياناً بلفظ ثقافة ، بمدلولها العام والتي يعرفونها بأنها " هي ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعادات وغيرها من القدرات التي يكتسبها

(١) انظر : الإسلام والحضارة الغربية ص ١٤٠

(٢) المفصل في تاريخ العرب ، جواد على ١/٤٣.

(٣) رواه مسلم : ٧ / ٤٠ كتاب الجنائز باب الأمر بتسوية القبر.

الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع"(١)(٢) .

ويدخل تحت لفظ " وغيرها" : الأساطير والخرافات .

بدليل مايشمله الفولكلور من تراث شعبي سواء كان ذلك في أغاني الشعب أو أساطيره أو رقصاته التقليدية أو معتقداته الشعبية وحكاياته وخرافاته وأمثاله ، ويستند الفولكلور أساساً إلى علم الخرافة الروائية والتي تتجلى في الحكايات والقصص الشعبي والألغاز والأساطير والأغاني والتمثيليات والألعاب التى تنقل عبر التواتر الشفهي لاعن طريق التسجيل الكتابي(٣) ويعرفه محمد محمود الصواف بقوله " الفولكلور اصطلاح ظهر في أوربا في منتصف القرن الميلادى الماضي – التاسع عشر ليدل على الدراسات التاريخية بعادات الشعوب وتقاليدهم وطقوسهم وخرافاتهم وأساطيرهم ومعتقداتهم وفنونهم ومايجرى على ألسنتهم من أغان وأمثال أو شتائم أو مراث أو أهازيج يدرس كله من خلال الآثار والعادات القائمة ويعمل فيه على إحياء الماضي برذائله وفضائله(٤) وهو الدراسات الشعبية(٥) .

---

(١) المهرجان الوطني الثاني للتراث والثقافة، وثائق صحفية ،الحرس الوطني، الرياض الطبعة الاولى ١٤٠٧هـ –١٩٨٧م ، ص ١٥من المقدمة .

(٢) ولربط معنى ثقافة بمعنى فولكلور انظر : الانثروبولوجيا والفكر الإسلامي ، زكي محمد اسماعيل شركة مكتبات عكاظ للنشر جدة الطبعة الاولى ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م ، ص ١٩٧–٢٠٣، وانظر : علم الفولكلور دراسة في الانثروبولوجيا الثقافية ، محمد الجوهري دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ١٩٧٧م ، ص٣٠ ومابعدها .

(٣) انظر الانثروبولوجيا والفكر الإسلامي ، ص ١٩٩ .

(٤) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ، محمد محمود الصواف ، ص١٣٩، حاشية رقم ١ .

(٥) المصدر السابق نفس الصفحة والهامش.

" وعلى أية حال فإن مجال التعاون وثيق ومشترك بين دراسات الفولكلور والأنثروبولوجيا من حيث دراسة الخرافات والأساطير والفن الشعبي والأدب الشفهي في المجتمعات المتخلفة والمتقدمة معاً، هذا بالإضافة إلى دراسة الصناعات والحرف اليدوية ومراسم الأعياد والزواج والوفاة والحفلات الشعائرية في المناسبات المختلفة "(١) .

فعندهم أن الدين أي دين كان بمافيها الإسلام هو جزء من الموروث الشعبي " إنناقي هذا المقام لانستطيع أن نهمل التأثيرات الفولكلورية لافيما تقدر عليه قراءة الورد وإنما فيما تمثله النبوءة التى تبدو عند الباحثين من أهم روافد الأسطورة عن علوقها بالشعر على اختلاف درجاته "(٢) .

وسبق الإشارة إلى أن علم الأنثروبولوجيا أنه علم الإنسان وأنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

١- أنثروبولوجيا طبيعية تدرس النمو الجسمي للإنسان من الناحية التطورية بمعنى تبحث عن أصل الإنسان والحيوان عموماً وأنه حصيلة إرتقاء النوع الحيواني وتطوره منذ مئات الآف من السنين ، ولهذا فرع يدرس السلالات البشرية ومبناه على نظرية دارون .

٢- الأنثروبولوجيا الإجتماعية وهي التي تدرس النظم الإجتماعية وخاصة نظم المجتمعات البدائية والمتخلفة والقديمة .

٣- والأنثروبولوجيا الثقافية التي تدرس عادات الشعوب القديمة وتقاليدها دراسة تاريخية (٣) .

---

(١) الأنثروبولوجيا والفكر الإسلامي ، ص ٢٠١.

(٢) الحداثة في ميزان الإسلام ، عوض بن محمد القرني ، هجر للطباعة ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م ، ص١٠٢ ، فقلة من كتاب ، شعراء السعودية المعاصرون ، احمد كمال زكي ، ص١٥٠ .

(٣) انظر : معجم المصطلحات الأثرية ، ص ٣٨، مادة انثروبولوجيا .

وهذه الفروع الثلاثة يرتكز عليها علم الآثار في حل رموز الآثار واستنطاقها وتحليلها ففيها الإستدلال من القطع الأثرية المكتشفة على الروابط الإقتصادية أو الدلالة على الحروب أو على العقائد والأخلاق الوثنية الجاهلية ونحو ذلك .

ووجود عملة رومانية في بلاد الشام يعني أن الشام كانت تتعامل بالعملة الرومانية مثلاً .

وظهر جلياً أن الفرعين الأخيرين من فروع الأنثروبولوجيا يشتبكان مع الفولكلور أو الموروث الشعبي .

والمهرجانات في قراها التي تقام فيها مثلا تحتوى على نماذج مصغرة لكافة مايسمونه بالموروث الشعبي وهو بهذا يرسخ الآثار ترسيخاً عملياً يجعله مألوفاً للنفوس بل ومحببا لها على أنه في بداياته لايأتي إلا بالمتفق عليه بل يضاف إليه مايجعله مقبولاً وهوأيضاً كما يلاحظ دائماً في توسع وازدياد سنة بعد أخرى وعرضاً بعد آخر وهو أيضاً – وهذا قد يكون هو الأخطر – أنه يجعل الإسلام جزء من الموروث الشعبي وهو لم يخرج عن التعريف حيث شمول لفظ "التراث الشعبي" على المعتقدات والأساطير والخرافات ضمن بند المعتقدات الشعبية، والأقسام الأخرى هي:العادات والتقاليد ، التراث القصصي ، الحكاية الخرافية ، الحكاية الفكاهية الأغنية الشعبية ، اللغز، المثل ، والثقافة المادية والتى تشمل البيت وأجزاءه والأثاث والأدوات والأواني وأدوات اللعب وأدوات العمل الزراعي والرعوي والأشغال اليدوية وأدوات الإحتفال وأدوات الفنون الشعبية(١) ويشمل كل ما أمكن إدراكه من الزمن الماضي لبلدٍ ما فمثلاً : تبدأ " رحلة الفنون الشعبية في مصر من العصر الفروعوني إلى اليونانى إلى الروماني إلى القبطي إلى الإسلامي إلى العصر الحديث تعكس الحياة فيها"(٢)

---

(١) انظر : علم الفولكلور، محمد الجوهري ، ص٥٧ .

(٢) التراث المفقود ، نبيل فرج ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠، ص ٢٠٤ .

وخير برهان على ذلك إقامة مايسمونه أوبرا عايدة في مصر على فترات غير منتظمة في منطقة أثرية في جنوب مصر، وهي مسرحية تجسد قصة حرب وأسر وحب وخيانة بين قائد مصري وأميرة أسيرة حبشية، وهذا مختصر لأحداث الأوبرا التي وقعت في ٢-١٠/مايو ١٩٧٨:" إتجهت أنظار العالم كله عبر القمر الصناعي لمشاهدة أوبرا عايدة التى قدمتها فرقة أوبرا فيرونا الإيطالية في مدينة الأقصر الأثرية فيما بين ٢ -١٠ مايو الحالي وتقديم أوبرا عايدة في مكانها الطبيعي الذي جرت فيه في أرض الفراعنة بين المعابد القديمة يعد أكبر حدث فني في تاريخ مصر منذ القرن الماضي، تكلف هذا العرض عشرة ملايين دولار واشترك فيه مايزيد عن ألف فرد نصفهم لاعب للأوركسترا والكورال والبالية والغناء وعشرات الفتيات المصريات المدربات على الرقص الفرعوني ونحو ٦٠ راقصاً نوبياً و٣٥٠جندياً بكامل عتادهم الحربي - أي الفرعوني - أيضا و٣٠حارساً مع النمور والفيلة والأسود"(١) .

فهذا فيه يُعرض اللباس وطريقة الرقص والشعائر والقرابين التى تقدم للأوثان وتنشر الأخلاق والمعتقدات والقيم والأزياء الوثنية بذلك .

وتحرص بعض المهرجانات الشعبية حرصاً شديداً على أن يكون الإسلام جزءاً من الموروث الشعبي وذلك بقصد التحكم فيه باسم البحث العلمي إما برفض بعضه أو تطويره أو إلغائه أو سحب القداسة عنه وجعله تابعاً وجزءاً من الموروث الشعبي الذي هو ملك للأجيال ورثوه عن الآباء والأجداد وأن من حقهم أن يأخذوا منه مايرونه مناسباً لهم ويَدَعُوا مالايرون، وأصبح الإسلام قضية قابلة للنقاش هل نأخذ به أو ببعضه أونتركه كله فهو إنتاج وكسب أولئك الذين مضوا، نفعل في ماورثناه مانشاء على حد زعمهم الباطل " عندما كان طه حسين وعلي عبدالرزاق يخوضان معركة زعزعة النموذج(الإسلام)بإسقاط صفة الأصلية فيه

(١) المصدر السابق ، ص٢٢٧.

ورده إلى حدود الموروث التاريخي فيؤكدان أن الإنسان يملك موروثه ولايملكه هذا الموروث ويملك أن يحيله إلى موضوع للبحث العلمي والنظر ، كما يملك حق إعادة النظر في ماأكتسب صفة القداسة وحق نزع الأسطورة عن المقدس وحق طرح الأسئلة والبحث عن الأجوبة"(١) وطبعاً هذا يحتاج إلى توطئة عند الناس أوصناعة الرأى العام كما يسمون ذلك لإعدادهم لقبول هذه الطوام وتهيئتهم لذلك .

وبعد أن ترسّخ المهرجانات بأن الإسلام جزء من الموروث الشعبي القديم تبدأ المهرجانات في عرض حركة تطور الموروث الشعبي إلى أفق أفضل مماكان عليه في البداية ويتكلم الكتاب والشعراء والآثاريون بأن تطوير الموروث الشعبي قفز بالبلاد قفزات حضارية مهمة فيكون الإيماء لهذا الكلام الذي يُصرَّح به أنه مادام أن الإسلام جزء من الموروث الشعبي القديم فالأفضل له أن يتطور أيضا مسايرة لبقية الموروثات الشعبية ، إضافة إلى أن الذين يسعون إلى تطوير الموروث الشعبي يهاجمون الجمود على المورثات الشعبية القديمة ، وقد كانت المهرجانات قد رسخت في أذهان الناس أن الإسلام من الموروثات الشعبية فينسحب هذا الهجوم على الإسلام بعبارات إيمائية ولاتصل إلى درجة التصريح إلا فيما ندر أو إذا ناسب الحال وخلا الجو .

ومن المعلوم أن كثيراً مما في المهرجان له أشياء قديمة وأشياء حديثة فاستخراج الماء من الآبار تراه بالدِّلاء حيناً وبواسطة البهائم حيناً آخر فيما يسمى الساقية والسواني ثم تطور الحال إلى شبكات الري، وكذلك نظام الإتصال من أجهزة بدائية إلى أجهزة ألكترونية متطورة، ووسائل المواصلات من ركوب الدواب تطور الحال إلى السيارات والطائرات وحتى الطائرات تشاهد أشكالاً وأنواعاً بدائية ثم تتغيرالحال إلى الطائرات العملاقة، طريقة تبريد الماء كانت بالزير أو القربة وأصبح

---

(١) الحداثة في ميزان الإسلام ، ص٣١نقله من مجلة فصول المجلد الرابع ج٣، ص ٢٦، خالدة سعد.

الماء يبرد بالمبردات الكهربائية ،كذلك الأسلحة بأنواعها تلاحظ البدائي والمتقدم منها – كذلك التدريس وطرقه.

والمهرجان بوجه عام يوحي بأن كل مايعرض فيه إنما هو ملك للأجيال سواء ما كان منها أفكار أونظم أو مواد ، وأنها قابلة كلها للتطوير والتغيير حيناً أو للإلغاء والإستغناء عنها حيناً آخر ويكون الدرس الموحى به ضمناً وتلميحاً لاتصريحاً لماذا لايلغى الدين كله أو بعضه أو يطور بما أنه أحد الموروثات التى نملكها فكأن المهرجان يقول مثلاً : إن ماترونه هو من إنتاج الآباء والأجداد وهو مستقر منذ القدم وسواء ماترونه من فنون أو صناعات أو حرف أو تدين .

وقد رأيت في أحد المهرجانات ضمن أدوات المهرجان مسجداً صغيراً مبنياً من أدوات البناء القديم يمثل التدين ضمن مواد الموروث الشعبي وكأن الإسلام أحد أفراد الموروث الشعبي وإذا كان كذلك من ضمن الموروث الشعبي فإنه كغيره من الموروثات الشعبية يمكن تطويره أو التخلي عنه أو عن بعضه .

ورأيت أيضاً عرضاً لتعليم القرآن في وضع مضحك مزري ينظر له جمهور المتفرجين بعين الإزدراء والإحتقار لامن حيث العادات المتبعة في التدريس فقط ولكن من حيث ملابس التلاميذ ومن حيث التأديب عليه والإحتفال بحفظه .

والتلاميذ في المهرجان لايقومون بأي عمل إنتاجي أو عمراني كحراثة الأرض أو بناء البيوت أو رعي الماشية أو حتى صناعة الفخار لكنهم الأحقر في ملابسهم قياساً بالآخرين الذين يؤدون أدوار المزارعين أو البنائين،ن وهم الأسوأ في أخلاقهم فيما ينهم وفيما بينهم وبين معلمهم .

فالذي يمثل البناء ثوبه نظيف وجميل بل جديد على مايلمس بيديه من الطين ونحوه وقل مثل ذلك عن راعي الغنم والقائم على حراثة الأرض أو استخراج الماء

بينما الذين يحفظون كتاب ا لله في المهرجـان ثيابهم مرقعة، الثوب قماشه أبيض والرقعة سوداء من قماش أسود وتوضع الرقـع أحياناً في ثـوب الطـالب مـن خلفه مقابل دبره ممايجعله مكان سخرية وهزء واستخفاف من جموع المتفرجين .

ثم إنه تعرض فيـه أنـواع ونمـاذج مـن الآثـار ممـا ينمـي في قلـوب المسـلمين الإعتزاز بالآثار وحبها والحرص عليها .

يبقى سؤال وهو : هل الدين الذي يدين به البشر من الآثار ؟

يتلخـص تعريـف الآثـار بأنـه ماخلّفـه السـابق للاحـق أي ماخلفـه الإنسـان السابق للإنسان اللاحق .

ولو ألقينا نظرة على الدين سنجد أن الدين الذي تدين به البشر منـه مـاهو منزل من ا لله عز وجل ومنه ماهو من وضع البشر فما كان منـه مـن وضـع البشـر وصنعه فلانقاش فيه أنه مما خلفه السابق للاحق .

أما الدين المنزل من ا لله عز وجل فهو على حالين :

الأول : دين منزل من عند ا لله عز وجل على أمم قبل أمة محمد صلـى ا لله عليه وسلم لكنه حرف وبدل وزيد فيه من قبل البشر سواء كله أو بعضه فإن هـذا التحريف والتبديل والزيادة تكون من جملة ماخلفه السابق للاحق .

أما مابقي من الدين المنزل من عند ا لله على الأمم السابقة لأمة محمد صلـى ا لله عليه وسلم من التحريف والتبديـل والزيـادة فهـو داخـل ضمـن قولـه سـبحانه وتعالى : ﴿إيتونى بكتاب من قبل هذا﴾(١) وهو مثل القسم :

الثاني : الدين المنزل على رسولنا وسـيدنا وحبيبنـا عبـدا لله ورسـوله محمـد ابـن عبـدا لله صلـى ا لله عليـه وسـلم وهـو الديـن الـذي تكفــل ا لله بحفظـه قــال سبحانه وتعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الــذكـر وإنا لـه لـحـافـظون ﴾(٢) فهو وحي ا لله

(١) سورة الاحقاف آية ٤.
(٢) سورة الحجر آية ٩ .

ووحي الله عموماً سواء ماكان منه باللفظ والمعنى أو ماكان منه بالمعنى لايدخل تحت تعريف الآثار هذا من ناحية ، ومن ناحية آخرى فهو ليس من الآثار لأمور :

١- أنه ليس مما أنتجه السابق كالأبنية والأواني وكالأساطير والأمثال والشعر بل هو مما أنزله سبحانه وتعالى للناس جميعاً السابق منهم واللاحق إلى أن تقوم الساعة وهو لكل الناس في كل مكان وفي كل زمان .

٢- أن وحي الله حاكم ومهيمن على الناس ومايملكون ومايدركون وفي كل شأن من شئون حياتهم قال الله سبحانه وتعالى : ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾(١) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾(٢) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله﴾(٣) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وأن احكم بينهم بماأنزل الله ولاتتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ماأنزل الله إليك ﴾(٤) .

ويجب على العباد المؤمنين السمع والطاعة لحكم الله وحكم رسول صلى الله عليه وسلم في أي أمر وأي شأن وفي كل شيء قال سبحانه وتعالي: ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون﴾(٥) .

(١) سورة الحديد آية ٢٥ .
(٢) سورة البقرة آية ٢١٣ .
(٣) سورة المائدة آية ٤٨ .
(٤) سورة المائدة آية ٤٩ .
(٥) سورة النور آية ٥١ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى ا لله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص ا لله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾(١) .

فمن لم يقبل حكم ا لله ولا التحاكم إليه فهو ممن قال ا لله فيهم﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً﴾(٢) ويواجه بقوله تعالي ﴿ فلاوربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾(٣) ثم قوله سبحانه وتعالى عن مثل هؤلاء ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل ا لله فأولئك هم الكافرون﴾(٤) .

وكيف لا وهو سبحانه وتعالىالخالق فلابد أن تكون له الطاعة والخضوع والإذعان لأمره قال سبحانه وتعالى : ﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك ا لله رب العالمين﴾(٥) . وقال سبحانه : ﴿ له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع مالهم من دونه من ولي ولايشرك في حكمه أحداً﴾(٦) فإنه سبحانه وتعالى – الحاكم في خلقه قضاء وقدراً وخلقاً وتدبيراً .

والحاكم فيهم بأمره ونهيه وثوابه وعقابه (٧) .

فلاشريك له في ذلك كله فإن من أدخل شيئاً من حكم البشر مع حكم ا لله فقد أشرك ومن نحىّ حكم ا لله وشرعه فقد عبد غير ا لله.

فدين ا لله ليس أثراً من آثار الناس وإلا لصح أن يعدلوه بعاداتهم وأعرافهم

(١) سورة الأحزاب اية ٣٦.
(٢) سورة النساء آية ٦٠ .
(٣) سورة النساء آية ٦٥ .
(٤) سورة المائدة آية ٤٤ .
(٥) سورة الاعراف آية ٥٤ .
(٦) سورة الكهف آية ٢٦ .
(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعيدي) ٢٧/٥.

لكنه هو الذي يقومهم وهو مصدر عباداتهم وأحكامهم والمقياس الذي تقاس به أمورهم .

٣- في حال كونه من الآثار فإنه يصح أن يكون الدين جزءاً مما أنتجه الإنسان وعندئذ يكون له حق التصرف فيه بالزيادة والإلغاء والتغيير وليس هذا حال دين ا لله بل هو حال نظم البشر الوضعية فإنك تجد ماهو معبود اليوم قد كان مهاناًأو العكس ، وليس ذلك حال دين ا لله المنزل على رسوله صلى ا لله عليه وسلم لعباده .

٤- يلحق بدين ا لله سنن ا لله في هذا الكون وما أودعه ا لله فيه من العلم سواء عرفه الإنسان واستخدمه أم لم يستخدمه أو لم يعرفه أصلاً وهو مندرج تحت قوله سبحانه وتعالى : ﴿ أو أثارة من علم﴾(١) أي بقية من دليل(٢).
وهوالذي يكتشفه الإنسان كأحد أسرار المادة فليس من إنتاج الإنسان لكن تلك المعرفة هي التى تورث بين البشر أما العلم نفسه فهو موجود وقائم قبل البشر وا لله أعلم .

البدء بأرض مصر :

"لأرض الكنانة مكان مرموق في قلوب العرب والمسلمين وقد سبقت في ميادين العلم والأدب ونبغ فيها رجال أفذاذ كانوا أساتذة لكثير من أدباء العرب والدعوة فيها تؤثر في مصر وتنتشر منها إلى البلاد العربية والإسلامية بحكم انتشار

---

(١) سورة الاحقاف آية ٤ .
(٢) تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن كثير الدمشقي دار المعرفة بيروت لبنان طبع سنة ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م ٤/١٥٣-١٥٤ .

صحافتها ومطبوعاتها وإمكانياتها الضخمة لذا ركز الإستعمار جهوده في هذا القطر الإسلامي الكبير ليفسده ويفسد به، يفتنه ويفتن به المسلمين .

وفي أعقاب الفترة التى تلت إلغاء الخلافة الإسلامية في الحرب العالمية الأولى قامت الدعوة إلى الفرعونية من رجال تتلمذوا على الغرب كانوا يعارضون الإسلام والعروبة يزعم هؤلاء الدعاة أن تغّير الدين في مصر من الوثنية إلى النصرانية ثم إلى الإسلام وتغير الكتابة واللغة فيها من الهيروغليفية إلى العربية لم يقطع مابين مصر الحديثة وبين مصر القديمة من صلات وكانوا يحتالون لرد حياة مصر المعاصرة في مختلف مظاهرها إلى أصل فرعوني قديم ويدعون بكل وقاحة إلى أنه يجب أن تقوم النهضة المصرية على المجد الفرعوني القديم مثلما قامت النهضة الأوربية الحديثة على بعث التراث اليوناني والروماني في عصور الوثنية السابقة على المسيحية"(١) .

وهناك أسباب أخرى لاختيار مصر أولاً في التنقيب عن الآثار ونبشها منها:

١- أن مصر يوجد بها آثار يونانية ورومانية بمعنى امتداد حضارة الغرب الوثنية السابقة وشموله وتركزه في مصر ونبش آثار تلك الحضارات يجعل الإعتزاز بالمجد المصري والتاريخ المصري نفسه إعتزاز بالمجد الروماني واليوناني الذي تعتز به أوربا ويكون في القديم والحديث تطويق مصر بالحضارة الوثنية الغربية ويسهل بذلك الهيمنة عليها وقيادها .

٢- قرب مصر من أوربا وكثرة الآثار الرومانية واليونانية فيها .

٣- ملاءمة مناخ مصر لنشر تماثيل الجاهلين حيث تنتشر الأضرحة وقبور الأولياء فيها .

---

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام محمد محمود الصواف ، ص١٣٩، بتصرف.

الفصل الثاني
أثر الدعوة إلى تعظيم الآثار على الأمة الإسلامية

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : عودة المظاهر الشركية بين المسلمين .

المبحث الثاني : زعزعة الولاء والبراء لدى المسلمين .

المبحث الثالث : الدعوة إلى القوميات والعنصريات لتفكيك وحدة المسلمين واضعاف قوتهم .

المبحث الأول : عودة المظاهر الشركية

قال الله عز وجل : ﴿ ص والقرآن ذي الذكر . بل الذين كفروا في عزة وشقاق . كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص . وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ﴾(١) .

والآثاريون المتمكنون لايقولون بأن غرضهم من نصب التماثيل في الميادين أنه لقصد العبادة، بل يعلنون أن قصدهم هو إظهار حضارة الأجداد وتأمل فنون الأقدمين لكنهم لايسمون التماثيل غالباً إلا آلهة حتى أنني قرأت بعض كتب في الآثار لكنها قديمة لاتذكر تلك التماثيل بأنها آلهة إلا القليل منها ثم رأيت في كتب لاحقة نفس التماثيل لكنها سميت فيها بعض تلك التماثيل آلهة.

فمن النوع الأول كتاب الآثار الشرقية لمؤلفه أرنست بايلون طبع ١٩٨٧م ترجمة عيسى الخوري، دار حرب، طرابلس لبنان .

ومن النوع الثاني نشوء الحضارات القديمة لمؤلفه بورها رديز ينتيس ، الابجدية دمشق ، الطبعة الاولى ١٩٨٩م الذي يؤله في كتابه أغلب الرسوم والتماثيل، وأغلب تحليلاته كذلك، وأغلب كتب الآثار من هذا النوع ، فتسمية التماثيل آلهة أغلبه مبني على الهوى .

ثم إن كثيراً من كتب الآثاريين التى تتكلم عن تلك الآلهة المفتراة تورد لها قصصاً خرافية وأساطير تبسط فيها القول ممجدة ومظهرة لعظمة وقدرة خارقة محض إفتراء ودجل لكن مع كثرته وتكراره يترسب في أذهان قرائها تصديق ذلك خاصة من لايملكون حصانة مسبقة أو من نشأوا أصلاً على نوع من تلك الترهات،

---

(١) سورة ص الآيات ، ١-٥.

هذا من جهة ، أو أنها تؤدي إلى أن تنبذ جميعاً وتطرح وكل مايمت إلى الدين بصلة أيا كان الدين، من جهة أخرى عند من يسمون أنفسهم أحراراً وهم العلمانيون حسب دعواهم وهم الملاحدة .

والوثنية على مر التاريخ هي عدوة التوحيد الأولى والرسل كلٌ منهم يدعو قومه إلى توحيد الله عز وجل ونبذ الشرك قال الله عز وجل : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾(١) .

فالرسل مهمتهم الأولى في الرسالة توجيه الناس إلى عبادة الله الواحد القهار خالقهم وخالق السموات والأرض ومابينهما ومن لوازم عبادتهم لله وتوحيدهم إياه في العبادة تجنب الطاغوت أيا كان .

و [اعبد الله واجتنبوا الطاغوت] مثل كلمة التوحيد [لاإله إلا الله] فيها نفي واثبات فالمنفي عبادة الطاغوت والمثبت عبادة الله وحده ، وكلمة التوحيد : لاإله: نفي لما يعبد ، وإلا الله: إثبات أحقية العبادة لله وحده لاشريك له .

" والطاغوت عام في كل ماعبد من دون الله ورضي بالعبادة فهو طاغوت من معبود أومتبوع أومطاع في غير طاعة الله ورسوله وهم كثيرون ورؤوسهم خمسة .

الأول : الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله والدليل قوله تعالى : ﴿ ألم أعهد إليكم يابني آدم أن لاتعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾(٢) .

الثاني : الحاكم الجائر المغير لأحكام الله والدليل قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك ومأأنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً﴾(٣).

---

(١) سورة النحل آية ٣٦ .
(٢) سورة يس آية ٦٠ .
(٣) سورة النساء آية ٦٠ .

الثالث : الذي يحكم بغير ماأنزل ا لله والدليل قوله تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنـزل ا لله فأولئك هم الكافرون﴾(١) .

الرابع : الذي يدّعي علم الغيب من دون ا لله والدليل قوله تعـالى : ﴿ عـالم الغيـب فلايظهر على غيبه أحداً . إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديـه ومـن خلفه رصداً ﴾(٢) .

وقـال تعـالى : ﴿ وعنـده مفـاتح الغيـب لايعلمهـا إلا هـو ويعلـم مـافي الـبر والبحـر وماتسـقط مـن ورقـة إلا يعلمهـا ولاحبـة في ظلمـات الأرض ولارطـب ولايابس إلا في كتاب مبين﴾(٣) فمن ادعى علم الغيب يكون مكذباً للقرآن.

الخامس : الذي يعبد من دون ا لله وهو راض بالعبادة والدليل قوله تعـالى : ﴿ومـن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ﴾(٤)

واعلم أن الإنسان مايصير مؤمناً با لله إلا بـالكفر بالطاغوت والدليـل قولـه تعالى ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن با لله فقد استمسك بالعروة الوثقـى لاانفصـام لها وا لله سميع عليم﴾(٥)"(٦) .

" فأما صفة الكفر بالطـاغوت : أن تعتقـد بطـلان عبـادة غـير ا لله وتتركهـا وتبغضها وتكفّر أهلها وتعاديهم .

وأما معنى الإيمان با لله : أن تعتقد أن ا لله هو الإله المعـبود وحده دون من

---

(١) سورة المائدة آية ٤٤ .
(٢) سورة الجن الآيتان ٢٦-٢٧ .
(٣) سورة الانعام آية ٥٩ .
(٤) سورة الانبياء آية ٢٩ .
(٥) سورة البقرة آية ٢٥٦ .
(٦) مجموعة التوحيد المسألة الثانية من مسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه ا لله تعالى ١٥/١ .

سواه وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله وتنفيها عن كل معبود سواه وتحب أهل الإخلاص وتواليهم وتبغض أهل الشرك وتعاديهم" (١) .

ولفظ العبادة اسم وله معنى، ومعناه مشتمل وجامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة متضمناً كمال الحب لله مع كمال الرجاء وكمال الخوف من الله سبحانه وتعالى فالعمل جزء من الدين والدين كله داخل في العبادة ومستهلك وقت الإنسان كله، قال الله تعالى : ﴿وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لاشريك له وبذلك أمرت ﴾(٣) .

وقد أمر الله العباد بعبادته وحده ونهاهم أن يشركوا به شيئاً قال تعالى : ﴿واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً﴾(٤)

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يأأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلاتجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون . وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾(٥) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إن الله لايغفر أن يشرك به﴾(٦) .

---

(١) المصدر السابق ١/١٤ .
(٢) سورة الذاريات آية ٥٦ .
(٣) سورة الانعام الآيتان ١٦٢-١٦٣ وانظر مجموعة التوحيد ١/١٦٢-١٦٤.
(٤) سورة النساء آية ٣٦ .
(٥) سورة البقرة الآيات ٢١-٢٤ .
(٦) سورة النساء آية ٤٨ .

والآثاريون يعـرفون خطورة الآثار على العقيدة الإسلامية ويفهمون ذلـك يقـول أحـد المهتمـين بالآثـار " أن النـاس هنـاك ينظـرون إلى التمـاثيل نظرتهـم إلى الأصنام والأوثان وإلى استخراج الآثار والتنقيب عـن العاديات نظرتهـم إلى بعـث الوثنية وإحياء معالم الشرك "(١) .

وكيف يأخذ على الناس أنهم ينظرون إلى التماثيل نظرتهم إلى الأصنام والأوثان وهم يسمونها آلهة في كتب الآثاريين فضلاً عن أنها فعلاً أصنام، وينســجون حولها القصص والخرافات ويثبتون لها الأساطير وهو في كلامه يعتـذر عـن عـدم الإهتمام بالآثار في بعض بلدان المسلمين الإهتمام المطلوب المؤدي للغرض في نظره.

وكذلك قولهم " أن الاسلام قد جاء بدين جديد وحضـارة جديـدة وكـان حريصـاً أن يسدل السجف على ماقبله من حيـاة وُصِمَـتْ بأنهـا (الجاهليـة الأولى) وإنهـا لكذلك في نظر الإسلام لما فيها من الإغراق في الوثنية ولما حوت من عـادات تعتـبر همجية إذا قيست بمعيار النظم الإسلامية"(٢)

ونشر الوثنية بين المسليمن مقصود عند أسـاطين الآثـار ومؤسسـيها ومتعمـد حيث يعلمون أن الأوثان والأصنام التي ينبشونها ويطلقون عليهـا اسـم الآثـار إنما هي معاول هدم الإسلام بحكم أنهـا عدوتـه الأولى،وليـس أدل علـى ذلـك مما ورد

في كتاب التاريخ العربي القديم تأليف: ويتلـف وفرتـز هومـل و ل . رودو كالكيس و آدولف جرومـان : " أول أعـداء الإسـلام الـتي خـاض معهـا الحـروب الطاحنة هي الوثنية التي هي موجودة في أصله وأرضه قبل أن يحارب النصرانية"(٣)

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،١/٨-٩ .

(٢) النظم الإجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والأمم السابقة ، محمد محمود جمعة ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٤٩م ، ص ٧، ٨ .

(٣) التاريخ العربي القديم، ويتلف و فرتزهومل و د .رودوكاكيس و أدولـف جرومـان ترجمة فؤاد حسنين على ، وزارة التربية والتعليم ، قسم الترجمة، ادارة الثقافة العامـة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ص١٧٣ .

فكأن حال الآثار وواقعه هو تنبيه هذه الوثنية الموجودة في بلاد المسلمين العدو الأول للإسلام وإقعادها من رقدتها لتدمير الإسلام وتفكيكه بها ولتكفي العالم الغربي بعض مؤونة قتال الإسلام و المسلمين .

ولأجل ذلك " فعالم الآثار إنما يهتم بالأشياء وبالطرق التي كانت تستعمل بها لإمكان إعادة بناء وسائل الحياة التي كان يحياها أجدادنا في الماضي"(١) ، وذلك بـ "استخلاص الآثار وترميمها وإعادتها إلى حالتها الأصلية ثم الربط بينها وبين أصحابها الأقدمين وبعث الماضي حياً أمام أعيننا في غاية الروعة والبراعة"(٢)، لأن هناك قيمه مهمة بالنسبة لأعداء الإسلام وهذا من قولهم: " للمكتشفات الأثرية فإن هذه المكتشفات تعيد تجسيد صورة الإنسان القديم بكل نشاطاته المختلفة ، فهي المنبع الذي يمكن عن طريقه استشفاف أفكار هذا الإنسان ومعتقداته" (٣) "وإذا كانت أغلب المعتقدات الدينية القديمة قد اندثرت ، فإن التعبير المادي عنها في شكل معابد ومذابح وتماثيل للآلهة قد يبقى ، بل قد يمدنا هذا التعبير المادي بمعلومات يمكن عن طريقها الإستنتاج إلى أي مدى كانت مثل هذه المعتقدات منظمة تحت إشراف كهنة محترفين "(٤) .

ومن الممكن أن نعتبر عصر الترجمة في العهد العباسي هو بداية نبش الآثار وهو المعلم الذي اهتدى به أساطين الكفر الغربي في هدم وإضعاف المسلمين ودولتهم ذلك أن عصر الترجمة كان مصاحباً له بعثُ لكثير من الأفكار والفلسفات ذات الأصول الوثنية إلا أنهم تركوا الوثنيات الواضحة ونبذوها لقوة الإسلام وقوة دولته في ذلك الوقت .

---

(١) رجال الآثار ، د. روبرت ج ، بريدوود ، ص٧ .
(٢) اعمال الحفر الأثري اليونارد وولي ، ص٧ .
(٣) الرومان ، ص٢٥ .
(٤) الرومان ، ص ٢٧ .

أما في هذا العصر الذي نبشت فيه الآثار الوثنية فانها أخرجت الوثنية بحذافيرها وقضّها وقضيضها من ظلام التاريخ حيث غطاها وطمسها، وأبرزتها أيدي الآثاريين أمام الناس حيث قد واراها التراب، وبالتعريف بالأوثان القديمة والمعبودات الزائفة والتحليل للشعائر الوثنية المصاحبة أثمرت بروز الوثنية وانتشارها في بلدان المسلمين بشكليها المادي والمعنوي المحسوس، والمقصود من ذلك المحسوس : إنما هو المعنوى المصاحب من شعائر الوثنية ونشرها بين المسلمين بحجة تحليل نظم العبادة والدليل هو تركيز الآثاريين على الآثار الموصوفة عندهم بأنها ذات الصبغة الدينية كالمعابد والمقابر والتماثيل وهي تستحوذ ثلاثة أرباع الآثار تقريباً إن لم يكن أكثر.

وبإلقاء نظرة على بعض الآثاريين وعلى ما ألّفوه من الكتب التي تعنى بالآثار وتحليلها نجد القصد الوثني واضحاً وضوح الشمس في رابعة النهار ومن ذلك:

ماريت باشا (١٨٢١ – ١٨٨١) له : معابد وادي الملوك ومدافن السرابيون ومدافن سقارة ومعبد أبيدوس وكتابات معبد دندرة ومصاطب سقارة(١) .

جاستون ماسبيرو (١٨٤٦ – ١٩١٦م) له : ثلاثة سنوات تنقيب قبور طيبة ومفيس.

وجانو كلرمون (١٨٤٦ –١٩٢٣) له: ضحية لعشتاربكتابة حميرية (٢) .

---

(١) المستشرقون ، ٣٨٨/١

(٢) المصدر السابق ، ٣٩٠/١ .

شاسينا (١٨٦٨-١٩٤٨) له :

قبور طيبة ، معبد ادفو ، معبد دندرة ، المخطوط السحري القبطي(١) .

ديسو (١٨٦٨-١٩٥٨) له :

أديان الحيثين والحرانيين والفينيقين والسوريين(٢) .

كونتينو مولود عام ١٩٧٧له :

الزجر عند الأشوريين والبابليين ، والسحر لدى الأشوريين(٣) .

جان ماسبيرو (١٨٨٧-١٩١٥) له :

فقه قدماء المصريين(٤) .

الاب دريتون (١٨٨٩-١٩٦١) له :

كتاب معبد الدامود وتساعده الآنسة بو: مدفن روى ومدفن بنهس(٥) .

السير ألن جاردنر له : مصر والفراعنة .

مجريت مورداي (١٨٧٤-١٩٦٤) لها : مصر مجدها الغابر(٦) .

الاب سباستيان رونز فال له : مكتشف معبد جوبيتر البعلبكي (٧) .

ومن الكتب أيضاً الديانة الفرعونية ، السير دلس بدج .

سيتون لويد له : آثار بلاد الرافدين .

علي القيم : امبراطور إبلا .

تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام ٥٣٩ق. م ، د. عيد مرعي .

أ . ش . شيفمان : ثقافة أو غاريت .

---

(١) المستشرقون ١/ ٣٩٤، ٣٩٥.
(٢) المصدر السابق ١/ ٣٩٦.
(٣) المصدر السابق ١/ ٣٩٦.
(٤) المستشرقون ١/ ٣٩٨.
(٥) المصدر السابق ١/ ٤٠٠.
(٦) المصدر السابق ٣/ ٣٥٠.
(٧) المستشرقون ٣/ ٣٥١.

يورهارد برينتيس له نشوء الحضارة القديمة ، وغير ذلك كثير من كتب الآثار المليئة بالوثنية تجسيداً وقيماً وشعائراً وبتمعن تلك الكتب ومؤلفيها يتضح أن اغلب هؤلاء الآثاريين غربيين يقصدون من نبش الآثار إعادة سنن الجاهلية بله نشر الوثنية بين المسلمين تلك العدو الأول للإسلام التي لم يفتأ يطمسها في كل مكان وزمان ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

ومن نافلة القول أن الوثنية تحيا بتسليط الأضواء على المعبودات والتماثيل والصور والرسوم ونصبها في الميادين وإقامة المتاحف لها وسبك القصص وترسيخ الأساطير والخرافات حولها وانتحال الأمجاد لها والإفتخار بها وبيان أهميتها وقيمتها واختصاصها المزعوم كذباً وبهتاناً كالزعم بأن هذا إله خاص بالنصر وآخر بالزرع وغيره بالنسل وخذ من مثل هذا الهراء ، وهذه دعوة صريحة إلى التجانس مع المعتقدات الوثنية القديمة المقتبسة من المكتشفات الأثرية وإلى التجانس مع الأخلاق والمبادىء والنظم الوثنية أيضاً (١) .

فالتماثيل نصبت في الميادين العامة وأماكن تجمع الناس كصالات الإنتظار وبنيت لها متاحف وإنك لترى المتحف الفخم الضخم في مكان هام جداً في بلد ما ولايحوي إلا تمثالاً واحداً ، وذلك تبجيلاً وتعظيماً وهل يشبه هذا إلا هياكل المعبودات وبيوت العبادة الوثنية ؟ وهذا نموذج مقتبس من الآثار :

" وأهم ما يلاحظ في أهرامات الأسرة الرابعة المراكب المقدسة منقوشة في الصخر قرب الهرم على شكل مركب الإله رع ، فقد كان المصريون القدماء يعتقدون أن الإله رع وهو إله الشمس يجوب السماء ليلاً ونهاراً في مركب ... ومن الطريف أن هذا الإعتقاد استمر لفترة طويلة بعد ذلك فأخذ المصريون يضعون في القبور مع موتاهم مراكب صغيرة ترمز لهذه الفكرة ، ونجد في أيامنا هذه مراكباً تصنع في الموالد من ورق ملون وتعلق داخل وخارج أضرحة الأولياء والمشايخ بالريف "(٢) .

---

(١) انظر : تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام ٥٣٩ق . م ، ص ١٢.
(٢) تاريخ العمارة والفنون في العصور الأولى ١/١٠٦-١٠٧.

ولا" نكاد نكون بحاجة إلى برهان طويل علـى أن اقتحام أفكار أو نزعات جديدة على المسلمين في أي ناحية من نواحي الحياة كان ينجم عنه غالباً – وأحياناً في فجاءة مفزعة – سلسلة كاملة من الحركات الإجتماعية والسياسية والإقتصادية والدينية التي تؤثر في مظهره الفكري والمادي تأثيراً عميقاً وأن ظهور هذه الحركات بسرعة في السنوات الأخيرة والعنف الـذي قاومت بـه التقـاليد والعادات القديمة أحدثا في العالم الإسلامي كله حالة قلق وحرج نفسي ... وأن هذا القلق هـو محور معضلة الإسلام الحاضرة "(١) .

ومن أخص هذه النزعات وأسها نبش الآثار في كل بلد من بلدان المسلمين وإظهار وثنيته مع علمهم أن الوثنيـة هـي العـدو الأول الـذي حاربـه الإسـلام قبـل النصرانية ولذلك فقد " كان للانجليز من وراء كل ذلك هدف واحد هو : إضعاف العصبيـة الدينيـة وتقطيـع أوصـال المسلمين في مسـتعمراتهم حتـى يسـتطيعوا أن يواجهوهم واحداً واحداً ، فالمصريون أحفاد الفراعنة واللبنـانيون أحفـاد الفينيقيـين والعراقيون أحفاد البابليين والأشوريين"(٢) .

ولذلك فإن المناطق التي خشي الإستعمار منهـا مستقبلاً فتتهـا جميعـاً فبـلاد الجزيرة العربية خاصة والبلاد العربية عامة التي خاف من انبعاث قوتهـا قسـمها إلى وحدات سياسية وجغرافية ونبش لها تواريـخ متغـايرة مـن أصـل وثـني سـابق علـى إسلامها من فرعونية وبابلية وفينيقيـة وآشـورية ورومانيـة وحتـى الوثنيـات العربيـة أنواع كوثنية البتراء وحمير وسبأ والأحقاف والثموديين.

أما بقية بلاد المسلمين من غير العرب فمثل ذلك أخرج لها وثنياتها السـابقة على تاريخها الإسلامي كالفارسية والطورانية والهندوكية والجاوية ونحو ذلك .

وكان من ثمار تلك الآثار إنشاء مجموعات مـن الكتـل البشـرية الهشـة كـل كتلة تقوم على الإعتقاد بأنهم شعب واحد وله تاريخ واحد مغاير لجيرانه وكذلـك له أخلاق وعادات وتقاليد وطقــوس مغايرة ، كل ذلك له جــذور ممتدة في عمق

(١) وجهة الإسلام ، جب ، ص ١٦-١٧.
(٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ١/ ١١١.
(٣) انظر : في معركة البقاء ، د. عبدالحميـد عويـس ، دار الاعتصـام ، القـاهرة مصـر ، الطبيعة الأولى ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ص ٣٤.

الزمن يبدأ غالباً بعد خط دخولها الإسلام ويوغل في الوثنيات والجاهليات القديمة(١)" فالفرس الذين دعتهم العصبية إلى الإنحراف عن جمهور المسلمين طالما افتخروا بما كان لهم من تاريخ قبل الإسلام وقد اشتد شعور جنسي كهذا في مصر وتركيا حيث أخذ الناس يفخرون بتاريخهم الوثني القديم بخواقينه وفراعنته بل وصل الأمر إلى أن زغلول باشا زعيم مصر الديموقراطي سيدفن في مقبرة للعظماء تجمعه وأربعين من الفراعنة المحنطين"(٢) وهذه النتيجة لمسها أكبر وأعتى المستشرقين وهو من المهتمين بنشر الآثار بين المسلمين .

ويرى بعض الأتراك : " أن الترك من أقدم أمم البسيطة وأعرقها مجداً وأسبقها إلى الحضارة وأنهم هم والجنس المغولي واحد في الأصل ويلزم أن يعودوا واحداً ويسمون ذلك بالجامعة الطورانية .. وشعارهم عدم التدين وإهمال الجامعة الإسلامية إلا إذا كانت خادمة لنفوذ القومية الطورانية فتكون عندئذ واسطة لاغاية وهم يتغنون بمدائح جنكيز ويعجبون بفتوحات المغول ولاينكرون شيئاً من أعمالهم وأخذوا يبحثون عن عبادات أجدادهم وعن الذئب الأبيض الذي كانوا يعبدونه حتى صوروه في بعض كتبهم الحديثة "(٣) .

وهذا حاصل جهود مكثفة من جهات كثيرة من دول استعمارية لم يتم بين عشية وضحاها ولقد : " بذلت بريطانيا ومثيلاتها من دول استعمارية كثيراً في بث أفكار الفرقة والتناحر بين العرب وبين أنفسهم وقد كانوا بالأمس حلفاء فاذا هم دعاة إلى الوثنية الجاهلية باسم الإهتمام بالآثار وتعظيمها وبعث التراث "(٤).

وأثمرت جهود الغرب وسياسته وكان من ذلك أيضاً غير ماسبق أن "نتائج

---

(١) انظر : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ١/ ٨٦.
(٢) وجهة الاسلام ، جب ، ص ١٣٠-١٣١.
(٣) فكرة القومية العربية على ضوء الاسلام ، صالح بن عبدا لله العبود ، دار طيبة ، الرياض الطبعة الأولى ، ص ١٠٧.
(٤) المصدر السابق ، ص ١٣٧.

البحث العلمي الأوربي وتكوين تاريخ أمبروطورية" ماجاباهت" أحياهم مجداً قديماً يفخرون به وإن غلوا أحيانا في تقدير ذلك المجد، واتخذ الشبان الجاويون مثلاً عالياً في البطولة من شخصيات التاريخ الغابر كالملك (أرلانجا) والملك (أيام ووروك) و(جاجا مادا) الوزيرالأكبر لامبراطورية(ماجاباهت)الذين بعثهم علماء الآثار وعلماء اللغات من ثرى التاريخ بعد أن كادوا يصبحون نسياً منسياً؛ومن الواضح أن مقارنة مجد العصر الهندوكي الجاوي بمجد العصر الإسلامي هي مقارنة باخسة للطرف الثاني لأنها مؤدية حتماً لرفع شأن الهندوكية على حساب الإسلام،...ولاعجب أن نجد مدارس(تامان سسوا)التي أنشاها(كي اجارد بوانشار) تلقن الطلبة إيثارالمدنية الجاوية القديمة أعني المدنية الهندوكية الجاوية على الإسلام"(١) .

ومن ضمن التأثر : الحكم بغير ماأنزل ا لله :

يرى د. محمود السقا في كتابه: فلسفة وتاريخ القانون المصري من شروق العصر الفرعوني إلى غروب العصر الروماني: " أن القانون المصري المعاصر استمد قواعده من القانون الفرنسي ، وهذا – أي الفرنسي – أخذ من قانون جوستينان الذي تأثر بالقانون المصري حال الإحتلال الروماني لمصر ولما كانت قواعد قانون الألواح الإثنى عشر أول قانون مدون في روما قد أمدت موسوعة جوستينان ببعض الأحكام فإن العودة التاريخية تؤكد أن قانون الألواح الإثنى عشر قد أخذ بعض الأحكام من القانون المصري الفرعوني (قانون بوكخوريس) ومن قانون صولون وهذا القانون أيضاً استمد بعض أحكامه من قانون بوكخوريس المصري.

إذن فإن بداية القانون الروماني ونهايته كانت عظيمة الصلة بالقانون المصري واستمدت منه الكثير من أحكامه،ولما كان القانون الروماني الأصل التاريخي للقانون الفرنسي ، ولما كان هذا القانون هو المصدر التاريخى المباشر للقانون

(١) وجهه الإسلام ، جب ، ص ١٩٢-١٩٣.

المصري المعاصر فإن السلسة التاريخية قد تكاملت حلقاتها ونستطيع القول في هدوء الباحثين عن الحقيقة أن : هذه بضاعتنا ردت إلينا "(١) .

والتأثير أيضاً في الأخلاق واللباس وكافة القيم والتقاليد فالدعوة إلى ذلك على أشدها "أما إذا لم يكن بد من الإستشهاد بأوربا فلنذكر أنها لم تنهض نهضتها العظيمة الحاضرة إلا بالرجوع إلى تراثها في حضارة الإغريق والرومان وآباء الكنيسة في القرون الوسطى ثم بالبناء الذكي على ماوضع أولئك من قيم وتقاليد... الخ " (٢) .

وهناك دعوات للإختلاط باستخدام الآثار لكنها ناعمة الملمس براقة منها ماجاء في موسوعة الفراعنة : " الحريم:

كانت الزوجة – الوحيدة بالطبع – (٣) وخدمها يتمتعون بأماكن خاصة بهم داخل مساكن أثرياء القوم ، ولكن لايعني ذلك أنه وجد في مصر القديمة مثل ذلك النوع من الحريم التركي أو خدور النساء حيث كانت النساء تعيش في نوع من العزلة والإقصاء ؛ فكانت السيدات النبيلات في الدولة الحديثة يقمن حول الآلهة بتكوين مايعرف بفرق الكورال من الموسيقيات والمغنيات يمكن أن نطلق عليهن اسم " الحريم" على وجه التقريب .

وخلال نفس العصر وجد نوع من المؤسسات التي تضم عدداً ضخماً من الإناث (وهي تعد مرادف لعبارة " مكان مسور بالسياج" أي مكان يحتجز فيه البعض) ، وكانت دور الحريم هذه تدار لصالح الملكات اللاتي كن يحضرن للإقامة فيها .. ولقد عثرنا على عدة أماكن تعد كمقر " لحريم الملك " بكل من طيبة ومنف وأبو

---

(١) فلسفة وتاريخ القانون المصري من شروق العصر الفرعوني إلى غروب العصر الروماني، د. محمود السقا نشر النهضة العربية القاهرة ، ١٩٩٢، ص ١٨-١٩.

(٢) فكرة القومية العربية ، صالح بن عبدا لله العبود ، ص ٢٨٩.

(٣) هكذا موجود في النص .

غراب(١) . وكانت هذه المقار تتمتع كذلك بأملاك عقارية وبدخل بعض الضرائب .. وكان يقوم بإدارة هذه الأعمال والإشراف عليها جهاز ضخم من الموظفين الرجال (مثل : المدير والقائمقام ، والكتبة والمحصلين والوكلاء التجاريين وجنود الأمن) وليس هناك مايشير إلى وجود ما يعرفون بالخصيان في هذه الأماكن"(٢) .

يعني أن مايسمونه سيدات المجتمع النبيلات همهن الموسيقى والغناء والرقص ومايجر إليه وأن هناك أماكن تجمعات نسائية عادية لها إدارات رجالية تجبي الرسوم من المستفيدين وتجبي الضرائب أيضاً، ثم إن هذه الإدارة الرجالية ليسوا من المخصيين بل إن دواعي ورايات البغاء مشرعة وأن هذا من عادات أجدادهم منذ القدم وهو ماتنادي به جاهلية القرن العشرين فإن التفت إلى التاريخ وجدته يحاكي الواقع فلا يملك كثير من الناس مع ضعف الوازع الديني وحمى الشهوات إلا الإستجابة لمثل هذا النداء الشيطاني وتزيينه .

وإغراءات الفحشاء تأخذ صوراً وأشكالاً ، ومن زوايا مختلفة من ذلك قول أحدهم : " وقد نظن أن النفور من مضاجعة المحارم شعور غريزي ولكن الواقع غير ذلك لأن الشققة – نوع من القردة – وغيرها من الرئيسات لاتنفر من ذلك الفعل كما أنه يوجد مع الأسف عند بني الإنسان ، والواقع أنه لولا وجوده لما كانت هناك قواعد مقررة ضده وللزواج من المحارم بعض الأضرار البيولوجية لأنه قد يؤدي إلى ظهور العيوب الوراثية المتنحية ولو أن الفكرة الشائعة بين الناس عن هذه المسألة ليست صحيحة كل الصحة والدليل أن الشققة لم تنقرض تماماً . والواقع أن ثقافتنا ذاتها هي التي تعلمنا وتلقننا بكل دقة أن ننبذ بقوة وعنف فكرة الإتصال الجنسي بالمحارم.والظاهر أيضاً أن ذلك التحريم (والتابو) هو أحد

---

(١) طيبة ومنف وأبوغراب مواقع أثرية في جنوب مصر .

(٢) موسوعة الفراعنة ، باسكال فيرنوس وجان يويوت ، ص ١٣٠–١٣١.

الإبتكارات الإجتماعية الأساسية التي ابتكرها الإنسان "(١) ، وهذا الكلام يسنده مؤلفه على نبش الآثار .

وغالباً مايكون الإهتمام والتركيز على الآثار ذات الصلة بالتدين الوثني كالمعابد والقبور والأصنام " وكل قبر أو منزل أو معبد هي مصادر تمدنا بالعديد من الدلائل على نواحي نشاط المجتمع الذي تنتمي إليه هذه المصادر"(٢) .

ويتفق الآثاريون تقريباً" على أن المعابد هي الأمينة على الثقافة والحافظة لها وأنها مراكز إشعاعها"(٣) .

" ولم تقتصر عناية الخلف بآثار السلف على التحف المنقولة أو الكنوز من الذهب والفضة بل امتدت إلى العمائر القديمة على مختلف أنواعها من دينية ومدنية وعسكرية وحظيت المباني الدينية بأكبر نصيب من الصيانة والحفظ ، ومن ثم كان معظم ماوصلنا من آثار معمارية قديمة عبارة عن مبان دينية من معابد أو قبور"(٤).

فالقبور وماتحويه بعضها من دلائل أنها أوثان معبودة ، أو المعابد ومافيها من أوثان ، والمعابد الفرعونية واليونانية والرومانية الموجودة في مصر وغيرها ، وكذلك مايوجد في بلاد الرافدين من معبودات سواء في مقابر أو معابد أو ميادين إنما هي مجال خصب ورحب لعلم الآثار وهي المستودع والحافظ الأمين للثقافة والعقيدة الوثنية الجاهلية ، وهي مركز إشعاع لتلك الوثنية والقيم الأخلاقية الجاهلية "وإذا كانت أغلب المعتقدات الدينية القديمة قد اندثرت فإن التعبير المادي عنها في شكل معابد ومذابح وتماثيل للآلهة قد يبقى بل قد يمدنا هذا التعبير المادي بمعلومات يمكن عن طريقها الإستنتاج إلى أي مدى كانت مثل هذه المعتقدات تحت إشراف كهنة محترفين "(٥) "فعالم الآثار إنما يهتم بالأشياء وبالطرق التي كانت

---

(١) ماوراء التاريخ ، وليم هاولز ، ص ٣١٧.
(٢) الرومان ، ص ٢٧.
(٣) تاريخ مصر القديمة ، نيقولا جريمال ، ص ٤١٩.
(٤) مدخل إلى الآثار الإسلامية ، ص ٩.
(٥) الرومان ، ص ٢٧.

تستعمل بها لإمكان إعادة بناء وسائل الحياة التي كان يحياها أجدادنا في الماضي"(١) .

ويتركز الربط بين الآثار وترجمة استخداماتها على الآثاري " فإن وصفه لعمليات استخلاص الآثار وترميمها وإعادتها إلى حالتها الأصلية ثم الربط بينها وبين أصحابها الأقدمين وبعث الماضي حياً أمام أعيننا في غاية الروعة والبراعة"(٢).

فإبراز هذه الآثار إنما هو إبراز للقيم والشعائر المصاحبة لها والتي عادة ماتكون وثنية وجاهلية إذ أنه " من خلال البحث في فنون تلك الحضارات لابد من الإشارة إلى الظروف الإجتماعية التي سادت تلك المراحل مع التأكيد على مقومات الإنسجام بين ظروف ذلك المجتمع وتقاليده والمخلفات الفنية التي تعود إليه"(٣)، وعليه فلابد من " تحليل النصب المعمارية والمنحوتات البارزة والمصورات"(٤) .

فإظهارها يكون بإبرازها وتحليلها وتركيب القصص وفلسفتها ، واستنطاقها إنما هو إظهار لما فيها من شعائر ونظم ، وإحياء لها ونشر بين المسلمين فيكون دعوة صريحة إلى الوثنية والجاهلية بين المسلمين وفي بلدانهم .

وتبدأ الدعوة إلى الوثنية الجاهلية فهذا أثرى أسمه موريس يقول : "نحن ثمرة كيان جماعى ينطق فينا ، لندع تراث الأسلاف يستمر فينا ، ولنجعل من أنفسنا أبناء نشيطين وصادقين ملتحمين مع أجدادنا كيما نشكل قوماً واحداً مدى العصور"(٥) .

---

(١) رجال الآثار ، روبرت ، ج . بريدوود ، ص ٧.

(٢) أعمال الحفر الأثري، ليونارد وولي ضابط الاستخبارات البريطانية ، ص ٧.

(٣) تاريخ الفن القديم ، شمس الدين فارس ، د. سليمان عيسى الخطاط ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، دار المعرفة ، العراق ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠م ، ص ٣.

(٤) المصدر السابق ، نفس الصحفة .

(٥) الملل المعاصرة في الدين اليهودي ، د. اسماعيل راجي الفاروقي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، طبع دار التضامن القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م ص ١١١.

ثم بتسمية العقيدة الوثنية باسم البلد وإعطائها جنسية ووطنية سكان الدولة مثل قولهم : " كان الفنان المصري مكرساً لخدمة الدولة المصرية والعقيدة المصرية ... وعندما كان يقوم الفنان برسم أو تصوير شكل الجسم البشري فإنه لايرسمه أو يصوره حسبما يبدو له لحظة عابرة خاطفة بل كان يقوم بتضمين الرسم أو الصورة كل المعالم الأساسية الهامة ... الخ"(١) .

فبدل لفظ العقيدة الجاهلية أو الوثنية أو الفرعونية أتى بلفظ مشترك بين الفرعوني وغيره من أهل مصر من مسلمين ونصارى ووثنيين ويهود وخلافهم ألا وهو لفظ" العقيدة المصرية " فسحب المعنى بسرعة هائلة شملت الزمن الجاهلي والإسلامي على المصريين ، وفي هذا المثال فإن القارىء العادي المصري في كثير من الأحيان سيعتز بهذا الميراث ويفخر به ولو كان مسلماً وقل مثل ذلك في أقطار إسلامية أخرى .

وتم نشر ونصب التماثيل في الميادين العامة(٢) وبهذا يظهر أن الغرض منه تغيير عقائد المسلمين العدائية تجاه هذه الأصنام إلى الرضى عنها بله التعصب لها وتقديسها والدفاع عنها .

فعند الذهاب إلى بعض عواصم العالم الإسلامي تجد التماثيل منتشرة في الميادين وأماكن تجمع الناس مثل محطات القطارات وبعض الدوائر الحكومية والجامعات على أوضاع وهيئات تبعث في نفس الرائي إعطائها درجات من الإجلال والتعظيم وتؤيد بمثل هذا المقال عن قبطان : " نفذ مافي سفينته من الماء الحلو فأخذ يلح في طلبه ثم تبين له أن الماء الحلو تحته وهو لايدري بعد أن قطعت سفينته المحيط ودخلت في مصب أحد الأنهار ، ويشبه حالنا في مصر بحال ذلك القبطان " الماء الحلو في ثقافتنا ؛ في بعض هذه الهياكل والمعابد التي نستطيع أن

---

(١) فن الرسم عند القدماء المصريين ، وليم هـ . بيك ، ترجمة مختار السويفي ، مراجعة د. أحمد قدري ، مطبعة هيئة الآثار بالقاهرة ، ص ٤٥ .

(٢) انظر موسوعة الفراعنة ، باسكال فيرونس ، جان يويوت ، ص ١٢٠ . ٧

نشاهدها فنرى كيف صنع أجدادنا من هذه الأرض وبهذه الأدوات ... ونستطيع أن نخرج منها ماء حلواً لالنشرب منه فقط وإنما نشرب منه ونوزع منه على العالم"(١). فالماء الحلو نفذ من سفينته أي لم يجد في الإسلام بغيته وكفايته ، بل هو في نظره ماء مر مالح وهو يبحث عن الماء الحلو الذي كان تحت سفينته وهو لايعلم والماء الحلو هنا هو الحضارة الجاهلية الوثنية الفرعونية يريد أن يعب منها ويتشبع ثقافة وأدباً وأخلاقاً واعتقاداً ويطمح أن يسقي غيره من أقطار العالم بعد أن يروي بلده من هذه الوثنية الجاهلية ويستبشر وهو يرى " عودة التاريخ الفرعوني فجأة ودبيب الحياة فيه وتحرك الحضارة المصرية وسيرها على الأقدام"(٢) .

ومعلوم مافيها من الكفر الصراح والمعادات للإسلام ، ونبش هذه الآثار الوثنية وأمثالها من الوثنيات الأخرى الدوارس في بلاد الإسلام شبيه بفعلة عمرو بن لحي الخزاعي الذي جمع الأصنام واستورد بعضها ونبش بعضاً آخر إذ أن فعل عمرو بن لحي جاء بقلة من التماثيل ونصبها ودعا الناس لعبادتها(٣) وحاول جمع أناس متعادين عليها.

ونباشو تلك الأصنام والوثنيات يريدون هدم الإسلام بمجموعة كبيرة جداً من التماثيل متنوعة ، تنسج حولها القصص والأساطير الموحية بعظمتها وقدرتها التي من صدقها دل على سذاجته ومن لم يصدقها قد تؤدي ببعضهم إلى نبذ الدين كلياً.

ودراسة الآثار ومعرفة نظم أهلها له تأثير في النفوس وتغيير للتدين لدى كثير ممن يحتكون بها وليس هذا بدعاً بل له سوابق " وذو النون المصري كان أول من تكلم في مراتب الأولياء ودرجات الأبدال ويرجح المؤرخون أنه نقل سلم الولاية من الأحوال والمقامات عن النظم الوثنية الفرعونية التي كانت جارية على

(١) حصوننا مهددة من داخلها ، ص ٥٩ ، نقله عن أحد الكتاب .
(٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، عن نفس الكاتب .
(٣) انظر : فتح الباري ٥٣٦/٨ ، وسبق الكلام عن عمرو في فصل السنة .

تقسيم مناصب الكهنوت إلى مراتب ودرجات وقد أحاط ذو النون بهذه الأنظمة إحاطة شاملة لطول اطلاعه على آثار الفراعنة وتدقيقه في رموزها وكتاباتها"(١).

والآثار السابقة المملوءة بالشرك والوثنية تصور الحياة اليومية في رحابها بواسطة علم الآثار وإن مضى عليها ثلاثة آلاف عام أو أربعة آلاف عام أو غير ذلك مما ينقل المسلمين إلى معايشة أولئك(٢) وأهم الآثار المعمارية اليونانية وأكثرها هي المعابد وهي لاتخلو أبداً من التماثيل ولإظهار فخامتها وتبين مدى تعظيمها يعمد إلى تضخيمها(٣) .

ويبتهج الآثاريون كثيراً كما مر بـ " عودة التاريخ الفرعوني فجأة ودبيب الحياة فيه وتحرك الحضارة المصرية وسيرها على الأقدام "(٤) ، وهناك دعوات شبه صريحة إلى التجانس بين المسلمين وبين تلك الحضارات الوثنية في المعتقدات والأفكار ، ويتم ذلك " بالبحث عن موضع الإتصال بين مصر القديمة ومصر الحديثة – مثلاً – في ميادين الأدب وكتب العقائد وطقوس العبادة ، ولقد فتح الغربيون أمامنا الباب واسعاً فمنذ كشف (شامبليون) عن سر الهيروغليفية حين حل طلاسم رموز حجر رشيد لم تنِ البعثات الغربية في أوربا وأمريكا عن البحث والتنقيب في الآثار المصرية وبعث ماتنطق به أحجارها الصامتة وماتنطوي عليه أوراق البردى القديمة"(٥) .

فالمقصود ربط المسلمين بأمجاد الأحجار الصامتة بجميع الروابط الممكنة وبيان أهميتها.

---

(١) الصوفية في نظر الإسلام ، سميح عاطف الزين ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، ودار الكتاب المصري ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ص ١٠٨.

(٢) انظر : الآثار الغارقة ، روبرت سلفر برج ، ص ٦.

(٣) انظر : اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري ، د. لطفي عبدالوهاب يحيى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ٢٧٣، ٢٧٧.

(٤) حصوننا مهددة من داخلها ، ص ٥٩.

(٥) الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ٢/١٤٩–١٥٠.

"ونؤكد بالتالي إلى جانب اللغة والمعتقدات والأفكار قوة الرباط الذي يربط الإنسان العربي في العصر الحاضر مع حضارة المشرق العربي القديم ونبرهن بما لايدع مجالاً للشك أنه الوريث الشرعي لهذه الحضارة"(١) .

ولكي يتسنى التأثير من شتى النواحي " يبحث عالم الآثار ليعرف كيف يبني الناس بيوتهم والأطعمة التي يأكلونها والأسلحة التي يستعملونها وكيف كانوا يلبسون وكيف كانوا يعبدون آلهتهم"(٢) مع ومايصاحب ذلك من تمجيد للتماثيل ورفع لشأنها وقدرها ومن ذلك :

"التماثيل العملاقة" :

تعمل نتائج هذا الكم الهائل من المنشآت الضخمة على تجسيم ألوهية الفرعون وهذا ماتبينه لنا الأهرام العجيبة للملكين خوفو وخفرع ، كما أن صناعة التماثيل الملكية التي يبلغ الواحد منها عشرة بل عشرين متراً أو المنحوتة من الجرانيت أو من الحجر الرملي قد بلغت أوجها في خلال حكم الملك امنحتب الثالث ورمسيس الثاني ولكونها تتناسب في حجمها مع المعابد الإلهية أو الملكية المتسعة ، وبإقامتها في الأماكن المكشوفة بالساحات المقدسة فإنها كانت تقوم بدور الأقنومات الخاصة بالفرعون كي يتعبدها الشعب وكانت توضحها تلك الأوصاف التالية (ملك الملوك) و(شمس الملوك) و(عاهل القطرين) وكذلك من تحبه تلك الآلهة أو غيرها .

ومن أكثر التماثيل العملاقة إثارة للإعجاب والإنبهار يمكننا أن نذكر تمثالا (ممنون Memnon) في طيبة والتماثيل (الأصغر حجماً) والخاصة بالملك امنحتب الثالث بالأقصر وكذا تمثال الملك رمسيس الثاني الذي نقل من منف ونصب في ميدان محطة مصر بالقاهرة .

(١) تاريخ بلادنا الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام ٥٣٩ق . م (أي قبل الميلاد) ص١٢.

(٢) الآثار الغارقة ، وبرت سلفر برج ، ص ٨-٩.

ومما يثير الإعجاب كذلك تلك التماثيل الملقاة والمحطمة بمنف وبمعبد الرمسيوم بالأقصر وهناك قطعتان أعيد استخدامها في تانيس تعدان من أضخم التماثيل حجماً (٢٧متر) .

ولاشك أن التماثيل المنحوتة في صخور الجبل في معبدي أبوسنبل تعد من النماذج الرائعة لهذا النمط من التماثيل الخارقة في مقاييسها"(١) .

وتسليط الأضواء على المعبودات والتماثيل والصور وسبك القصص المعظمة لها وذكر أمجادها ونسبة التأثير لها بين الناس على حسب تنوعها سواء في مجال الزرع أو النسل أو النصر أو الثروة أو الحب أو الخمر أو غير ذلك مما تطفح به الأسواق من كتب في هذا الخصوص مثل كتاب : الديانة الفرعونية : أفكار المصريين القدماء عن الحياة الأخرى ، السير ولس بدج ترجمة يوسف سامي اليوسف .

واستخدم علم الآثار لإثبات نظرية التطور ، وفي ذلك إنكار لتوحيد الربوبية إذ فيه إنكار وجحد أفعال الله وأن غيره هو الذي فعل الأفعال التي لايفعلها إلا هو كالخلق، وللآثاريين آراء وأقوال منها : إن علم الآثار يكشف كيفية التطور الإنساني(٢) .

"وفي أفريقيا التي لاتزال حتى الآن منطقة بكراً بالنسبة لعالم آثار ماقبل التاريخ وجدت بقايا لما قبل الإنسان وهي بالغة القدم لدرجة توحي بأنه ربما كان صحيحاً جداً التقدير الثاقب لداروين بأن إفريقيا ربما كانت المهد الأول للجنس البشري"(٣) وتقديره الثاقب وإنما هو ثاقب للحقائق ومفسد لها .

---

(١) موسوعة الفراعنة ، باشكال فيرنوس ، جان يويوت ، ص ١١٧-١٢٠.

(٢) انظر : الموسوعة الأثرية العالمية ، إشراف ليونارد كوتريل ، تأليف ٤٨ من علماء الآثار ، ص ٤١.

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٩.

"وأثبت الجيولوجيون أن مدة ظهور الإنسان العامل وتطوره بالمقارنة إلى عمر الأرض هي كيوم بالنسبة إلى ألف سنة ، وعلى هذا الأساس حاول علماء الآثار في القرنين التاسع عشر والعشرين أن يرسموا صورة لتطور الإنسان في مدة قصيرة نسبياً من الوحشية إلى المدنية"(١) ، وليس خفياً أن من أسباب التنقيب عن الآثار عند الأثاريين هو معرفة خط سير التطور البشري(٢) بل " إن كثيراً من علماء اليوم المتخصصين في الآثار وفي طبقات الأرض وتكوينها وفي السلالات البشرية وفي الجغرافيا البشرية وتوزيع السكان يكرسون حياتهم لإعادة تكوين تاريخ العالم . إنهم يعملون دون انقطاع في تصنيف أخبار حياة الإنسان على سطح كوكبنا الأرضي ، ويعمل هؤلاء الدارسون والمخبريون العلميون على تجلية الغموض عن أسرار الماضي بدلائل ومفاتيح من ذلك الماضي ، ويضمون مفاتيحها بعضها إلى بعض في مجهود كي يقفوا على تتابع الحوادث واحدة في إثر أخرى فيعرفوا كيف ارتقى الإنسان"(٣) .

فهم بهذا قرروا قضية تطور الخلق وحكموا فيها أولاً ثم ها هم يبحثون عن الأدلة فيموهون ويلوون تارة وينكرون تارة أخرى مما يجدون من الآثار حسب مايناسب إثبات القضية عندهم .

وبقراءة كتب الآثار القديمة تجد فيها مسايرة لنظرية التطور الحيوي والعقدي والمعشي والأخلاقي وتطور الأدوات والتطور الإجتماعي والثقافي ، فالتطور الحيوي أي تطور الإنسان نفسه باعتباره كائناً حياً وأنه مر بمراحل متعددة من الأطوار والتقلبات متأثراً بالبيئة وغيرها ، وآخر مراحل تطوره هو الإنسان الحديث الذي نتج من شبيه القرد الذي نتج من القرد على حد كذبهم ، أيضاً تطور من ناحية سكنه وعمله فبدأ بالكهوف ثم الأكواخ ثم البيوت ، وتطور عمله

---

(١) الموسوعة الأثرية العالمية ، اشراف ليونارد كوتريل ، ص ٢٨.
(٢) انظر : الرائد في فن التنقيب عن الآثار ، ص ٧٨.
(٣) الكربون المشع وغيره ، ص ٦.

من الصيد إلى الرعي إلى الزراعة ، ثم بدأ يخزن الفائض عن حاجته ، ثم تعامل مع الآخرين بالبيع والشراء ثم الحروب بينه وبين بني جنسه ، وكذلك في الزرع والصيد والبناء والبيع والشراء ، والحروب طور أدواته التي كان يستعملها .

كذلك اللباس كان عارياً ثم بدأ بالستر شيئاً فشيئاً بالورق ثم بالجلود ثم بالنسيج ، وكذلك الأخلاق بعد أن كان مثل الحيوان أصبح له نظم وأعراف وتقاليد وعادات وهذه بدورها وبمجموعها أدت إلى تطور التدين الذي اخترعه وبدأ بعبادة أشياء كثيرة ثم تطور إلى التثنية ثم إلى التوحيد على حد كذبهم وافترائهم وخلطوا بين مايمكن أن يقبل التطور ومالايمكن أن يقبله وجعلوا مايمكن دليلاً على مالايمكن .

وحيث أن هذه التطورات تحتاج إلى سند من أدلة تؤيدها اتخذ أصحابها لها نوعين من الأدلة :

الأولى : البحث في الأمم والشعوب المتخلفة الموجودة في هذا العصر في الأدغال والأحراش المنقطعة عن الناس فإذا توصلوا إلى دليل ، ولو كان صغيراً - لأحد أجزاء التطور سحب حكمة على بقية الناس وبقية مجالات التطور المفترى بغض النظر عما يقبل التطور ومالايقبله .

الثاني : وهو المرتع الخصب والمجال الرحب للدجل والكذب والإفتراء ألا وهو مجال الآثار وخاصة الموغلة في القدم منها(١) .

وهذا نموذج من الإشارة إلى التطور سواء تطور الإنسان أو تطور المجتمعات: " ولعلنا لانبالغ إذا قلنا أن علم الآثار أوثق وسيلة لجمع مصادر التاريخ الأصلية التي لايمكن أن يتطرق الشك إلى أصالتها والإعتماد عليها ومع قصر عمر

---

(١) انظر في ذلك كمثال الكتب التالية : نشوء الحضارات القديمة ، بورهارد برينتيس ، وماوراء التاريخ ، وليم هاويلز ، العصور القديمة ، جايمس هنري براستد فويب دوزدقربان وتاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور ، د. عيد مرعي ، وطرق البحث العلمي في التاريخ والآثار ، طه باقرو عبدالعزيز حميد الباب الرابع وغير ذلك كثير .

هذا العلم فإنه لايقل في أهمية منجزاته واكتشافاته العلمية عن العلوم الأخرى فقد استطاعت معاول المنقبين أن تكشف عن حضارات وأقوام قديمة لم يكن يعرف عنها شيء حتى أسمائها فاتسعت بذلك آفاق المعرفة البشرية عن ماضي الإنسان وتطوره في سلم الحضارة منذ فجر حياته في الأطوار الهمجية في عصور ماقبل التاريخ التي شغلت زهاء ٩٩٪ من حياته على هذه الأرض وكيف تدرجت المجتمعات البشرية في تطورها الحضاري إلى أن تحققت تلك الظاهرة العجيبة في ظهور أولى الحضارات الناضجة في أرجاء الوطن العربي وفي مقدتها حضارتا وادي الرافدين ووادي النيل قبل أكثر من خمسة آلاف عام كما أن علم الآثار أماط اللثام عن حضارات وثقافات أخرى لاحقة ، الأمر الذي وضع في متناول أيدى الباحثين في تاريخ الحضارات المادية الأولى الغزيرة لدرس تطور الإنسان ومحاولة الكشف عن القوانين التي تحكم ذلك التطور وتسيير المجتمعات البشرية في تطورها فظهرت دراسات جديدة عن الحضارات هي الدراسات المقارنة مما مكن الباحثين في فلسفة التاريخ من إقامة دراساتهم المقارنة على أسس معتمدة"(١) .

"وهناك أمثلة كثيرة على الإكتشافات الأثرية سواء كانت من العصور التاريخية أم عصور ماقبل التاريخ ومعظمها كان للصدفة أثر بارز في معرفته والكشف عنه ، ولعل أبرز الأمثلة عن عصور ماقبل التاريخ الإكتشافات الحديثة للبقايا العظمية لفصائل وأجناس وأنواع بشرية لم تكن معروفة سابقاً وقد مد بعضها في عمر ظهور الإنسان والشبيه بالإنسان إلى عدة مئات ألوف من السنين مثل اكتشاف بقايا جنس الإنسان الذي أطلق عليه (Homohadils) وعثر على بقاياه في أولدافيا (في كينيا في عام ١٩٥٩م من جانب " ليكى " وقدر عمره بزهاء المليون والنصف عام) كما عثر على نماذج أخرى للأجناس البشرية القديمة في عدة أجزاء من العالم القديم مما زاد في كثرة أنواع تلك الأجناس وترتب عليه استنتاجات

(١) طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار ، ص ١٣٣-١٣٤.

بيولوجية مهمة في تطور الإنسان البيولوجي وظهور الإنسان الحديث"(١) .

"إن مانعرفه عن آلات العصر الحجري القديم الأدني يفوق بكثير جداً مانعرفه عن الأقوام الذين صنعوا تلك الآلات ، فحفريات الإنسان البكر نادرة للغاية ولايزال هناك كثير من النقاط الغامضة عن الطريق الذي سلكته الإنسانية في تطورها في عصر البليستوسين بل وأيضاً عن الأسلاف الحقيقيين الذين انحدرنا نحن منهم ..."(٢) .

وأخذ التطور أحقاباً من الزمن عندهم " فلم يتمكن الإنسان من المشي والتفكير واستخدام الآلات إلا لأن بليوناً من السنين أو مايقرب منها قد مهدت له سبيل ذلك وقد ساعد هذا التطور على تعقد الكائنات الحية البسيطة كما ساعد فيما بعد الفقاريات الدنيا على تكون مختلف الأبنية كالعينين والمخ والهيكل العظمي التي استطاعت في النهاية أن تتطور في الحيوانات العليا إلى الدرجة التي تستلزمها الحياة البشرية "(٣) .

لكن واقعهم المتهافت يرد عليه ابتداء من قولهم : " أما بخصوص بقية العالم القديم فلا يوجد أي شيء على الإطلاق يتعلق بالأصول القديمة للسلالات الحديثة، ولذا فليس أمامنا لملء هذا الفراغ إلا التخمين والتفكير النظري"(٤) .

ومن أنواع الإنسان التي جرى تطور – على حد زعمهم الباطل – فيما بينها مما يذكرونه على خلاف بينهم :

١- إنسان جنوب افريقيا .

٢- إنسان جاوه .

٣- إنسان كهوف بكين أو إنسان الصين .

---

(١) طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار ، ص ٦٨-٦٩.

(٢) ماوراء التاريخ ، وليم هاويلز ، ص ١١٤.

(٣) المصدر السابق ص ٢٧.

(٤) المصدر السابق ، ص ١٣٨.

٤- إنسان روديسيا .

٥- إنسان صولو .

٦- إنسان بلتداون .

٧- إنسان النياندر أو نياندر تال .

٨- إنسان نبراسكا .

٩- الإنسان الحديث أو الإنسان العاقل وأن أول ظهوره في أوربا(١) وهذا يعني أن التطور في أوربا أسبق .

وأصل فكرة التطور تؤدي في الأساس إلى إنكار الخالق " إن الأديان القديمة والحديثة وإن اختلفت في كثير من الأمور فهي متفقة على وجود خالق لهذا الكون وقد استقرت هذه الحقيقة في نفوس الناس حتى لم يكن ليخطر في بال أحد أن يدعي غير ذلك ولكن الذي حدث هو أنْ أصاب بعض العلماء نكسة فراحوا ينكرون وجود الخالق ولكي يفسروا وجود هذا الكون اخترعوا " نظرية التطور"(٢) .

معنى التطور المقصود : " إنه يعني ارتقاء الحياة من جهاز عضوي ذي خلية واحدة إلى أعلى درجات الإرتقاء وهو بالتالي : التغير الذي طرأ على الإنسان نتيجة حلقات من التغيرات العضوية خلال ملايين السنين"(٣) وذلك أنه " حينما خرجت الكائنات الحية من الماء لتعيش فوق اليابسة انقلبت زعانفها أرجلاً وخياشيمها رئات وفلوسها جلداً"(٤) .

"ويبدو تناقض الآراء بهذا الشأن واضحاً من مطالعة كتاب : الأساس الحيوي لحرية الإنسان للعالم دوبز هنسكي حيث يقول : (لقد ثبت بمالايدع

---

(١) انظر ماوراء التاريخ ، وليم هاويلز ، ص ١١٤-١٣١.

(٢) خلق لاتطور ، فريق من العلماء ، ترجمة د. احسان حقي ، ص ٦-٧ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٣.

(٤) خلق لاتطور ، ص ١٣.

مجالاً للشك حتى العشر الأخير من القرن التاسع عشر بأن التطور أمر واقع) ولكنه بعد صحيفتين من هذا القول يرجع ليقول : (مما لاشك فيه أن المظاهر التاريخية المتممة لحلقات التطور مازالت غير معروفة تماماً ... ولانستطيع أن نرى الأسباب التي قررت تطور النوع الإنساني إلا من خلال ضباب) فهو من جهة يؤكد بأن التطور أمر واقع ومن جهة أخرى يعترف بأن المظاهر التي قررت حلقات هذا التطور غير معروفة تماماً بل إنه يراها من خلال ضباب ... وهل يرى المرء شيئاً ثابتاً من خلال ضباب ؟ ! "(١) .

والواقع أن نظرية التطور سلكت سبلاً لاقناع الناس منها الآثار والحفريات، ومنها تزييف الصور .

وهذا رد للبروفسور الأمريكي دوان ت . كيش :

"دعوني أورد هنا بعض الإقتباسات والاستشهادات من زعماء نظرية التطور : اعترف جارلس دارون أنه : حسب نظرية التطور لابد من وجود أعداد كبيرة جداً من الأشكال الإنتقالية فلم لانجدها في طبقات الأرض ؟ إن الحلقات الوسطى بين الأحياء الموجودة حالياً وبين الأحياء المنقرضة يجب أن تكون هائلة إلى درجة لايصدقها العقل .

وقال البروفسور جورج كايلورد سمبسون من جامعة هارفارد : (إن الفجوات والمراتب والفئات للأحياء المعروفة موجودة على الدوام وواسعة جداً)..

وصرح البروفسور أي . ح. هـ كورنر ، من جامعة كمبرج : (انني لا أزال أعتقد – وبشكل حيادي – أن سجل المتحجرات للنبات هو في صالح فكرة الخلق الخاص) .

وليس هناك إثبات ولو في نوع واحد فقط يرينا أن نوعاً من الأحياء تبدل وتحول إلى نوع آخر ، وكما لاحظ البروفسور كولد سمث من جامعة كاليفورنيا:

---

(١) خلق لاتطور ، ص ١٧.

(إن من المستحسن أن نتذكر جيداً أنه مامن أحد نجح على الإطلاق أن يقدم لنا نوعاً ، تغير وتحول من نوع آخر نتيجة لتراكمات التغيرات الطفيفة).

لو كان التطور صحيحاً فلماذا لانرى حالياً الأحياء المتدرجة عن طريق التطور ؟ ألم يكن ضروريا ظهور أنواع جديدة وأعضاء جديدة وتراكيب جديدة في بنية الأحياء حالياً؟ .

من المؤكد أن عمليات التطور لو كانت قد حدثت في الماضي فعلاً فإن من الضروري دوام عملها اليوم أيضاً ... أما التسلسل المزعوم للحصان فهو وليد خيال وليس وليد دليل من المتحجرات إن المتحجرات العائدة لهذه السلسلة لم يعثر عليها في الفترات والأحقاب التي كانت تستوجبها نظرية التطور كما أن الأنواع الرئيسية منها ظهرت فجأة ودون أية حالات انتقالية ...

وقد أورد دارون الزرافة كمثال واضح على الإنتخاب الطبيعي فقد افترض أنه نتيجة لقحط شامل فقد تعذر الحصول على الأوراق الخضراء إلا من قمم الأشجار لذا فإن الزرافات من ذوات الأعناق القصيرة ماتت وانقرضت بينما عاشت الزرافات ذوات الأعناق الطويلة .

ومع ذلك فلم يثبت في أي سجل من سجلات المتحجرات ولا في أي مكان في الدنيا أن زرافة ذات عنق قصير قد وجدت أصلاً أو أنها عاشت في هذه الأرض على الإطلاق وإلا فماذا حدث للزرافات الشابة من ذوات الأعناق القصيرة.

لم يستطيع دارون أن يدرك أن الخصائص الجسدية للنسل وللذرية تتقرر ويجرى برمجتها بعوامل جزئيات D.N.A لناقلات الوراثة أو المواد الوراثية للوالدين وليس عن طريق مد العنق أو تحريك أو تدريب أي عضو آخر في الجسم(١) .

---

(١) يراجع عن موضوع الوراثة والجينات والكروموزومات ، كتاب: الهندسة الوراثية وتكوين الأجنة الحقيقية والمستقبل ، تأليف ، د. صالح عبدالعزيز كريم ، دار المجتمع، جدة .

إن غلاف مجلة العلم بتاريخ ٩ كانون الأول سنة ١٩٦٦ يرينا صورة متحجرة خفاش قيل ان تاريخها يعود إلى ماقبل ٥٠ مليون سنة وقد ذكر أنها أقدم متحجزة خفاش ومع ذلك فهي تبدو مثل الخفاش الحالي تماماً ودون أي فرق ...

إذن لماذا لانرى أية علامة أو بينة على أي تطور أو تغير بعد ٥٠ مليون سنة؟ ! .

وأحسب أن من المستحسن الآن إلقاء نظرة على الشواهد التي قدمها علماء المتحجرات في محاولة إعادة بناء نظرية تطور الإنسان ...

بالنسبة لإنسان جاوا فقد استدل عليه عند العثور على عظمة فخذ مع قحف وثلاثة أضراس وقد اكتشف هذه العظام ضمن مسافة ٥٠ قدم وفي فترة امتدت سنة كاملة وقد كتم الدكتور ديبوا (مكتشف هذه العظام) مدة ثلاثين عاماً حقيقة هامة هي أنه وجد بالقرب من هذه العظام وفي نفس المستوى من الطبقة الأرضية جماجم بشرية اعتيادية .

إذن فالإنسان الإعتيادي كان موجوداً عندما كان يعيش مخلوق [جاوا] ومن المحتمل أن عظم الفخذ كان يعود لإنسان أما الجمجمة فلإحدى القرود الضخمة .

وقبيل وفاته وبعد أن تغلب ديبوا على جميع شكوكه السابقة التي لازمته في حياته المبكرة غير رأيه وقرر أن إنسان جاوا ربما كان قرد غابون وليس مخلوقاً شبيهاً للإنسان على الإطلاق .

ثم هناك ماأطلق التطوريون عليهما اسم " الحلقتان المفقودتان المذهلتان" وهما إنسان نبراسكا وإنسان بلتداون .

وفي المحاكمة المشهورة التي عقدت في (دايتون– تنيسي) حول مسألة التطور قُدّم (إنسان نبراسكا) من قبل أبرز العلماء من أنصار نظرية التطور كشاهد وكدليل على صحة نظرية التطور .

وقد تهكموا وسخروا وضحكوا على "وليم جينز" عندما اعترض على ضآلة الشاهد والبرهان ، كان الشاهد الوحيد عبارة عن سن واحدة اعتبرت أنها تعود إلى إنسان ماقبل التاريخ والذي عاش – فيما يعتقدون – قبل مليون سنة ، على أية حال فبعد مرور عدة سنوات وبعد اكتشاف متحجرات أخرى تبين أن إنسان نبراسكا لم يكن إلا خنزيراً ... واعتقد أن هذه هي المرة الأولى التي قلب فيها الخنزير قرداً وذلك بفضل التطوريين!! .

في سنة ١٩١٢م قدم " جارلس داوصن" إنسان بلتداون" ، كان ماقدمه عبارة عن قطعة من فك وضرسين وجزءاً من جمجمة واعتبرت هذه القطع العظمية من قبل الإخصائيين والعلماء دليلاً وشاهداً على مخلوق بين الإنسان والقرد عاش قبل نصف مليون سنة .

ولكن في سنة ١٩٥٣م أميط اللثام عن هذه المهزلة فقد ظهر أن الجمجمة تعود إلى قرد معاصر وأن الضرسين زرعتا قصداً كما صبغت العظام صناعياً بقصد تمويه وخداع الجمهور وقد أظهرت السهولة العجيبة التي تم بها خداع أكبر علماء العالم بهذه الحيلة على مدى قوة تأثير الأفكار المسبقة والقناعات المسبقة الموجودة بين علماء التطور"(١) .

---

(١) في نظرية التطور: هل تعرضت لغسيل الدماغ ؟ البروفسور دوان ت . كيش ، ترجمة أورخان محمد علي ، دار الصحوة للنشر القاهرة ، مصر ، ص ٣٠-٣٩ ، وقد أورد القصة وليم هاويلز في كتابه ماوراء التاريخ فقال :
"ومن الطبيعي جداً أن يعتبر العلماء " الأجزاء الحفرية " أشياء ثمينة للغاية وأنه لايمكن بالتالي اخضاع مكوناتها للإختبارات والفحوص القاسية وعلى ذلك فحين أراد الدكتور أو كلي من المتحف البريطاني قسم التاريخ الطبيعي أن يفحص في عام ١٩٥٠ مادة الفلورين الموجودة في فك بلتدون ليحسب مقدار عمره نزع قدراً ضئيلاً جداً منها بواسطة مثقب الاسنان ، وقد زاد ذلك الفحص الجزئي الناقص من غموض المسألة إذ ثبت منه أن تلك البقايا حديثة نسبياً في العمر وأصبحت المشكلة في النهاية لاتطاق بالنسبة للدكتور فاينر والاستاذ لجرو كلارك وهما من اكسفورد واستبد بهما الشك المتزايد فاقدما في عام ١٩٥٣ على اختبار تلك الخدعة الموقرة وفحصها لأول مرة على أنها تضليل وتمويه متعمدان وفي نوفمبر من السنة==

وإذا كانت هذه الخدعة قد انطلت على علماء مختصين فغيرهم كثير من باب أولى ستنطلي عليه هذه الخدعة وإذا كانوا قد ضحكوا على بني جنسهم وهم الذين لهم من الأطماع مالهم في المسلمين وفي بلادهم فنحن لسنا بأكرم عندهم من بني جنسهم فمن باب أولى أن يضحكوا علينا خاصة وأنهم يرومون إفساد إسلامنا وأخلاقنا ﴿وودوا لو تكفرون﴾(١) .

والعلم التجريبي يمنع التطور ، ومهما اختلفت ثقافات الناس إلا أنه يمكن أن يتعلموا خلال جيل واحد بمعنى آخر لو اختير من كل بلدان العالم المتحضر منها والمتخلف الشمال منها والجنوب الشرق منها والغرب الأبيض منها والأسود ومابين كل ذلك ثم شربوا من ثقافة واحدة لانتج ذلك مثلما يشرب مجتمع واحد من ثقافة واحدة فقابلية التعلم واحدة في السابق من البشر واللاحق .

و" يسير العلم في طريقه إلى اكتشاف كنه أسرار إحدى أعجب المواد الوراثية وهذه المادة توضح إلى حد ما الأسباب التي تجعل الإنتقال والإصطفاء الطبيعي وغيرها من العوامل التي يقدمها دعاة التطور غير قادرة على تكييف شكل مخلوق جديد يولد من مخلوق موجود في الحياة بغير شكل والديه .

إن العلماء يفهمون الآن بشكل أفضل الآلية ذات الدقة اللامتناهية التي تسهر بلا توقف على تطبيق قانون الوراثة القاضي بألا ينتج كل جنس إلا مثل جنسه ، وقد اتجهت أبحاثهم إلى المادة المعروفة برمز(ADN) الذي يعنى الحمض الريبي النووي فاكتشفوا أن هذا الحمض هو الذي يحمل القانون الوراثي للكائنات الحية.

وهذه المادة تعمل كمنظم مجهري يتمتع بذاكرة ويختزن عدداً كبيراً من

== نفسها أمكنها أن يعلنا أن الفك، رغم كل مظهره القديم ورغم أسنانه " الآدمية " المتآكلة-كان من العظام الحديثة وأن أسنانه بردت بيدآدمية وأن من الواضح أنه كان مجردقطعة من فك بغام صغير أجرى عليها كثيرمن التعديل والتزييف"ص ١٣٦.

(١) سورة الممتحنة آية ٢.

التصاميم ويخرجها في الوقت المناسب لبناء خلايا كل هياكل النباتات والحيوانات وهذه المادة تركيب كيماوي تصنع منه خلايا الإرث ، وقد كتب العالم (بلان) بهذا الصدد مايلي :

(إن مادتك الحمضية الشخصية موزعة خلال جسمك في نحو ٦٠,٠٠٠ مليار جزئية وهذا العدد هو التقريبي الوسطي للخلايا الحية التي يتألف منها جسم الإنسان البالغ .. والشيء المحير هو أن هذا الجزء بسيط جداً وهو عبارة عن خطين ملتف أحدهما على الآخر بشكل لولبي ومكونين من ذرات مرصوفة بشكل زنجير بمسافات متساوية تربطها أربطة مقرضة .

وهذا الشكل الخيطي لهذا الجزيء عقلاني وهو شبيه بشريط الآلـه المسـجلة إذ أنه يختزن كمية كبيرة من المعلومات اللازمة طول الحيـاة وأشـرطة (A D N) هـي من السكر والفوسفات والأربطة المعترضة هي من مركبات الآزوت .. وإن الأوجه المختلفة التي تتعاقب على أشرطة (A D N) هـي الـتي تتحكـم بـالظروف الـتي تنمـي الجسـم مثلها في ذلـك كمثـل الضغـط البسـيط علـى شـريط المسـجلة المغناطيسي استجابة للصوت الصادر إليه ، ويقول الدكتور بيدل : لو أردنـا أن نعـبر بالألفـاظ عن أوامر (A D N) المسجلة في خلية إنسانية واحدة لملأنا موسوعة ذات ألف مجلد.

ومادام الـ (A D N) داخل النواة فإنه يظل يعطي الأوامر التي تسبب النمو و الهضم وخفقان القلب والأفكار والإحساس منفذاً بذلك البرامج الكامنـة فيـه منـذ أقدم العصور ولايحدث أي تغيير في هذه البرامج إلا إذا حـدث هـذا التغيـير نتيجـة إشعاع أو حادث خارجي أثر في الخلية) ...

وقد كتبت مجلة " العلوم الأمريكيـة " في عددهـا الصـادر في (آب) اغسـت ١٩٦٣/تقول بهذا الصدد مايلي :

(إذا كان هذا القانون في الواقـع عالمياً كمـا يبـدو ذلـك مـن هـذه النتـائج وغيرها يجب أن نستنتج من ذلك بأنه ظـل ثابتـاً ومسـتقراً خـلال أطـول فـترة مـن فترات التطور العضوي أو بمعنى آخر أنه لم يخضع للتغيير قط) .

أما عن نوع الاختلاف الذي تسمح به مادة (A D N) داخـل الأنـواع فـإن مجلة العلوم السنوية لسنة ١٩٦٦ تقول :

لقد قرر علماء الوراثة بأن الصفات الإرثية للأنواع إنما تقوم علـى الأسـس الأزوتية لجزيء (A D N) ... ويحمل المورث مالايقل عن ألف وحدة قادرة على أن

تشكل مادة خيطية طويلة ، والموروثات موصوفة على طول الكروموزوم ، وخلية الإنسان تحتوي على عشرات آلاف المورثات مجتمعة في ٢٣زوجاً من الكروموزوم.

وهذه العشرات من الآلاف من المورثات تحوي كل واحدة منها مالايقل عن ألف وحدة تستطيع أن تحدث مالا يحصى من التغييرات داخل النوع الواحد وهذا الأمر يفسر لنا سبب عدم وجود شخصين متشابهين تمام المشابهة في عالم الإنسان . .

إن التركيب الكيماوي لمادة (A D N) الموجودة في كل الأجسام الحية يساعدنا على فهم ظاهرة أخرى كثيراً مايعمد إليها علماء التطور لأثبات التطور وهي تشابه هياكل بعض الأجسام فقد دل علم التشريح المقابل على تشابه أشكال كثير من المخلوقات الحية فالضب له عضوان أماميان والطيور لها جناحان والقردة العليا لها ذرعان وهكذا الإنسان وإن مقارنة الهياكل العظمية تثبت تشابه البنية وقد استدل علماء التطور من هذا – أيضاً – على أن نوعاً من المخلوقات انبثق من نوع آخر بفضل التطور.

بينما قد دلت دراسة جزئيات الـ (A D N) على أن كل المخلوقات الحية تتركب بصورة رئيسية من عناصر كيماوية واحدة وإليكم ماقاله الاستاذ " بلات" بهذا الصدد:

(إن جزئيات الـ (A D N) تتألف من مركب كيماوي واحد ولها مظهر واحد وحجم واحد في الإنسان والكلب والذبابة وعفن الخبز وورقة العشب وهي مع ذلك منسقة بحيث تجعل كل حي يختلف عن غيره ... فالكلاب تختلف عن الأسماك والطيور ، وعفن الخبز يختلف عن أشجار التفاح ، والفيلة تختلف عن البعوض) ....

إن الهوة التي تفصل الإنسان عن الحيوان عميقة جداً ولاسيما من الناحية العقلية فالإنسان وحده من دون سائر المخلوقات يستطيع أن ينمي معلوماته أما الحيوانات فإنها تستيطع أن تتعلم بعض الأشياء ولكنها لاتستطيع أن تتخطى حداً معلوماً فالطيور تستطيع أن تصنع الأعشاش ، والنحل تصنع الخلايا ، والكاستور يبني السدود ولكن كل هذه الحيوانات لاتستطيع أن تدخل أي تحسين على صنعها ولايوجد حيوان استطاع أن يغير معلومات أجداده بل هذا من إمتياز الإنسان وحده ..

إن دماغ الإنسان يختلف عن أدمغة بقية الحيوانات وهو يشكل حدثاً جدياً في الحياة، وكل الأجناس البشرية تتمتع بهذه الميزه ... فأقوام استراليا البدائيين يستطيعون أن يتثقفوا في بحر جيل واحد وهذا يدل على أن الإنسان سواء أكان شرقياً أم غربياً متمدناً أم بدائياً ؛ يتمتع بالقدرات العليا ذاتها وهذا ما أقره العلم ، فالهوة إذن سحيقة بين الإنسان والحيوان ...

وقد أشار العالم بالكيمياء الحيوية " ازاك ازيموف" إلى إمكانات الدماغ الإنساني في مقال كتبه في عدد ٩ تشرين الأول أكتوبر ١٩٦٦ من مجلة نيويورك تايمز بما يلي :

(لقد قرر العلماء بأن الدماغ الإنساني يستوعب في بحر الحياة حتى مليون مليار بحث وأن الدماغ يحوي عشر مليارات خلية سنجابية أو خلية عصبية) فما هي إمكانات كل خلية عصبية ؟ يقول أزيموف :

(إن إنساناً سليماً وفي عمر ناضج ويتمتع بذكاء عادي يمتلك أكثر من عشرين مليون جزيء من (A D N) في كل خلية عصبية .. فمن البدهي إذن أن تؤلف الـ (A D N) نظاماً قابلاً للحفظ قادراً على اختزان كل المعلومات والذكريات التي يود الإنسان حفظها ؛ لابل هو قادر على اختزان مليار مرة مما يحتاج إلى اختزانه الآن ، إن هذه القدرة العظيمة على التذكر وعلى التصنيف وعلى استعمال

المعلومات هي قدرة تفوق كثيراً حاجة الإنسان الذي تدوم حياته ٧٠ سنة أو أكثر بقليل وهذا يوحي بأن الخالق خلق الإنسان وأعطاه هذا الدماغ لكي يعيش حياة أبدية وأما الحيوانات فليس لها هذه القدرة لأنها خلقت لنشاط محدود وحياة محدودة) .

وبالتالي فالهوة سحيقة جداً بين الإنسان وبين الحيوان فلو كانت النظرية التطورية صادقة لما كانت هذه الهوة .

يقول علماء التطور بوجود مراحل للذكاء ولكننا لانعلم بوجود ذلك قط ويزعم هؤلاء العلماء بأن الإنسان المعروف باسم " إنسان ماقبل التاريخ" والذي قد انقرض – كان يمثل الحلقة الوسطى فلماذا عاشت الحيوانات الدنيا مثل القردة بينما انقرض إنسان ماقبل التاريخ المفروض فيه أن يكون أرقى من القردة؟ فهل وجد قط إنسان مثل هذا ؟ ! "(١) .

والتطوريون يلوون أعناق الأدلة الآثارية وغيرها ، ومالايتفق إطلاقاً من الأدلة يهملونه.

" يقول البروفسور جون ، ن ، مور...: (في سنة ١٩٦٧ قامت في لندن جمعية الجيولوجيين بالتعاون مع اتحاد الأبحاث البالونتولوجية(٢) بنشر كتاب بثمنمائة صفحة اشترك في تأليفه مائة وعشرون من رجال العلم المتخصصين وقد قام هؤلاء العلماء بدراسة وتدقيق المتحجرات الحيوانية والنباتية وصنفوها ضمن ٢٥٠٠ مجموعة والنتيجة التي توصل إليها هذا الكتاب بعد رسم ٧١ شكلاً توضيحاً كانت مايلي :

أن كل مجموعة من الحيوانات أو النباتات تملك تاريخاً خاصاً بها).

---

(١) خلق لاتطور ، تأليف فريق من العلماء ، ترجمة د. احسان حقي ، ص ٨٥-٩٢.

(٢) علم البالونتولوجيا هو علم المتحجرات أي هو العلم الذي يبحث في اشكال الحياة في العصور الجيولوجية السابقة كما تمثلها المتحجرات الحيوانية والنباتية ، كتاب في نظرية التطور ، هل تعرضت لغسيل الدماغ البروفسور دوان . ت . كيش ، ص ١٣، هامش ١.

والغريب أن التطوريين يتعمدون عدم الإشارة إلى الحشرات عند شرح نظرية التطور ويتهربون من ذلك مع أن الحشرات تؤلف ٨٠٪ من أنواع الحيوانات والسبب بكل بساطة أن جميع هذه الحشرات بقيت دون أي تغيير يذكر منذ وجودها على الأرض قبل ٣٥٠ مليون سنة ...

وقد جاء في التقرير الذي نشرته دائرة الحشرات في وزارة الزراعة في الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٣١.

(أن أقدم الحشرات المعروفة تشبه الحشرات الموجودة حالياً شبهاً تاماً إلى درجة أن علم البالنثولوجيا لايعتبر هنا ذو فائدة كبيرة) .

وبما أنها لاتشكل أدلة في صف نظرية التطور بل ضدها لذا فليس من المستحب أبداً التطرق إليها إذ ليس المهم عندهم إظهار الحقائق كما هي بل الانتصار للنظرية بأي ثمن كان"(١) .

ولايفوت أن أختم هذا الكلام بالاستدلال بقول الله عز وجل : ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون﴾(٤) .

وقوله سبحانه : ﴿ والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ماتركبون﴾(٥) .

وقوله سبحانه وتعالى:﴿وأنه خلق الزوجين الذكروالأنثى،من نطفة إذا تمنى﴾(٦).

---

(١) في نظرية التطور : هل تعرضت لغسيل الدماغ ، البروفسور دوان ت . كيش ، من مقدمة المترجم ، ص ١١-١٤.
(٢) سورة النور ، آية ٤٥.
(٣) سورة الفرقان ، آية ٢.
(٤) سورة يس ، آية ٣٦.
(٥) سورة الزخرف ، آية ١٢.
(٦) سورة النجم ، الآيات ٤٥-٤٦.

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وا لله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً﴾(١) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾(٢) .

وقال سبحانه وتعالى ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض ومابينهما في ستة أيام ومامسنا من لغوب﴾(٣) .

وقال سبحانه وتعالى ﴿ ياأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام مانشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفي ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج. ذلك بأن ا لله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير. وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن ا لله يبعث من في القبور﴾(٤) .

ورد الإنسان إلى أرذل العمر مسألة مهمة إذ أنها تنقض التطور من قواعده وتخرق سقفه وتخر عليه والرد إلى أرذل العمر يتكرر ويشاهد باستمرار بين الناس والحيوان أيضاً فهو عكس التطور والارتقاء .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض ومابث فيهما من دابة﴾(٥) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أولم يروا أن ا لله الذي خلق السموات والأرض

---

(١) سورة فاطر ، آية ١١.
(٢) سورة الذاريات ، آية ٤٩.
(٣) سورة ق ، آية ٣٨.
(٤) سورة الحج الآيات ٥-٧.
(٥) سورة الشورى ، آية ٢٩.

ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير﴾(١) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ هذا خلق ا لله فأروني ماذا خلق الذين من دونه﴾(٢) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط﴾(٣) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ذلكم ا لله ربكم خالق كل شيء لاإله إلا هو﴾(٤).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾(٥) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ذلكم ا لله ربكم لاإله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه﴾(٦) .

ومما رأيته مناسباً من الردود هذا الرد :" إن علم (البيولوجيا) ليس علماً عن جوهر الحياة ، إنما هو علم يتعلق بظواهر الحياة ، بالحياة كموضوع ، كمنتج..

إن قصور علم البيولوجيا عن تفسير الحياة لايمكن المرور عليه في صمت وأود أن أشير هنا إلى أن الأمر لم يكن مفاجأة بالنسبة لي .

في سنة ١٩٥٠ ، وضع " أندريه جورج " سؤالاً واحداً لعلماء البيولوجيا والأطباء ، وعلماء الطبيعة هو : ماهي الحياة؟ وكانت جميع الإجابات التي تلقاها حذرة وغير محددة ، ولنأخذ في مايلي إجابة كل من " بييرلاباان" و"جان روستاند" كنموذجين نمطيين : (يظل السر كاملاً ، فنقص معلوماتنا تجعل

---

(١) سورة الأحقاف ، آية ٣٣.
(٢) سورة لقمان ، آية ١١.
(٣) سورة يونس ، آية ٤.
(٤) سورة غافر ، آية ٦٢.
(٥) سورة الطور ، آية ٣٥.
(٦) سورة الأنعام ، آية ١٠٢.

كل تفسير للحياة أقل وضوحاً من معرفتنا الغريزية بها) .

(حتى الآن لانعرف على وجه التحديد ماهية الحياة ، نحن لانستطيع حتى أن نقدم تعريفاً كاملاً دقيقاً لظاهرة الحياة).

نظراً لقدرة الكائن الحي على تجنب التحلل السريع إلى حالة الاتساق الخامد اكتنفته الأسرار ، حتى أن الناس منذ أقدم العصور كانوا يعتقدون بأن قوة خفية غير مادية خارقة للطبيعة (مقارنة بالروح) تعمل بداخل الكائن الحي ، فكيف يحارب الكائن الحي ضد انهياره؟ .. كل عملية ، أو حدث أو نمو في العالم ، كل ما يحدث في الطبيعة يعني في الوقت نفسه زيادة في قصور الطاقة .. أما الكائن الحي، فإنه قادر على استبقاء هذه العملية بمعنى الاستمرار في البقاء من خلال الأخذ المستمر من سلب (القصور في الطاقة) من الخارج .. لذلك ، يمكن القول بأن الكائن الحي يتغذي على سلب." الانتروبي " .

وقد قال كلاماً من هذا القبيل عالم الحفريات الفرنسي " تيلهارد دي شاردان" : (على الرغم من كل العوائق يستمر المنحنى من الجزئيات الكبيرة تجاه الكائنات الحية متعددة الخلايا دون توقف ، وهذا واحد فقط من المنحنيات التي تنبثق عليه الحرية ، والتنظيمات الذاتية ، والوعي .. ومن ثم ، فالسؤال هو : هل هناك ثمة علاقة بين هذه الحركة الغامضة للعالم تجاه حالات أكثر تعقيداً وتجاه الداخل ، وبين الحركة الأخرى (التي درسناها وألفناها جيداً) والتي تجر العالم نفسه تجاه حالات خارجية وأكثر بساطة ؟ ... ولعل السر الجوهري للكون يكمن في هذا السؤال) .

(إن القدرة التلقائية للخلايا على خلق الأعضاء والسلوك الإجتماعي لبعض الحشرات ، من بين الحقائق الأساسية التي تعلمناها خلال الملاحظة . ولا نجد لها تفسيراً في ضوء فهمنا الحالي) .

كتب " كارل جاسبرز " في مؤلفه " علم النفس المرضي "عن خاصية عكس المذكورة آنفاً عن الكائن الحي ، فقال : (تظهر الحقائق النفسية كأنها جديدة وبشكل يستعصي على الفهم ، إنها تأتي واحدة تلو الأخرى ، وليست واحدة متولدة من الأخرى ، فمراحل النمو النفسي للحياة السوية ، شأنها في ذلك شأن غير السوية ، تعطي هذا التتابع الذي يستعصي على الفهم ، ومن ثم فإن قطاعاً طويلاً في الحياة النفسية لايمكن فهمه حتى على وجه التقريب ، إن الحقائق النفسية لايمكن دراستها من الخارج ، كما أن الحقائق الطبيعية لايمكن دراستها من الداخل)...

وقال كل من " لويس دي بروجلي " العالم الطبيعي الفرنسي و"نوبل لوريت " في سنة ١٩٢٩(إننا لانستطيع أن نفسر الحياة من خلال معرفتنا الراهنة لعلمي الكيمياء والطبيعة) .

وأكد عالم الأحياء السويسري " جاينو" بأن هناك فرقاً جوهرياً بين العلاقات (الكيمو- طبيعية) وبين الحياة ، قال : (على علماء الطبيعة أن يدركوا ، أننا نحن علماء الحياة قد اجتهدنا في تفسير الحياة بصيغ طبيعية كيميائية ، ولكننا ووجهنا بشيء يستعصي على التفسير ، إنها الحياة ، لقد أوجدت الحياة شكلاً منظماً ، ليس مرة واحدة فحسب ، وإنما ملايين المرات خلال بلايين السنين ، إننا نواجه قدرة على البناء لايمكن تفسيرها بواسطة علم الطبيعة ولاعلم الكيمياء).

أما " أندرية لوف " عالم الأحياء الفرنسي الحاصل على جائزة نوبل سنة ١٩٦٥، والمشهور بأعماله في الآليات الجينية للفيروسات والبكتيريا ، فقد قال: (يمكن تعريف الحياة باعتبارها كيفية ، أو مظهراً ، أو حالة كائن حي ، والكائن الحي نظام مستقل يتكون من أبنية ووظائف يعتمد بعضها على بعض وهي قادرة على التوالد ... وقد قيل دائماً إن الفيروس هو الرابطة بين المواد العضوية والمادة الحية ، وفي الحقيقة ، لاوجود للمادة الحية، فالخلية تتكون من عناصر : البروتين ،

والإنزيم ، والحامض النووي ، وهذه العناصر ليست عناصر حية ، الكائن العضوي هو الحي ، وهذا الكائن العضوي ، هو أكثر من مجموع أجزائه ، لقد نجحنا في تخليق مركب من أحماض نووية فيروسية ، وهذا في حد ذاته لايعطينا الحق أن نتحدث عن تركيبة حياة لأنه في جميع هذه التجارب أُعير إلى الفيروس عنصر، وهو عنصر جيني خاص بعملية التنوية ... وأحياناً تنبثق الحياة تلقائياً من حيث لانحتسب ... من السهل علينا إنتاج بعض أجزاء البروتين أو الحامض النووي ، ولكن حتى الآن لم يصبح من الممكن بعد تخليق كائنٍ حي ... توليد بكتيريا واحدة – إن هذا لم يصبح بعد في إمكاننا الوصول إليه) ....

ويشك " اليكسي كاريل " حتى في قدرة الإنسان على الفهم الكامل للحياة بداخل الخلية ، فيقول :

(إن الأساليب التي تستخدمها الأعضاء في بناء نفسها غريبة على العقل البشري .. أكوام من المادة تنبثق من خلية واحدة مفردة ، كأن بيتاً بأكمله يبني من طوبة سحرية ، طوبة تقوم تلقائياً بتوليد وحدات أخرى من الطوب ... وتنمو الأعضاء بطريقة تذكرنا بما تفعله الجنيات في قصص الأطفال .. إن عقولنا تتوه تماماً في العالم الداخلى للأعضاء) ...

إن الحياة معجزة أكثر منها ظاهرة ، انظر على سبيل المثال إلى عين الإنسان مستقرة في تجويف ممتلىء بالدهون ، محمية بجفن من أعلى وجفن من أسفل وبها رموش وحواجب ، وغشاء مخاطي ، وملتحمة مكسوة بغشاء مخاطي ، إن حركة العين في كل اتجاه ممكنة بواسطة عضلات متحركة ، اثنان منها مستقيمان واثنان منحرفان ، ويسهل الحركة جهاز دمعي يتكون من غدة دمعية وكيس دمعي وقناة دمعية ، وهذه تحفظ العين رطبة وتحميها من التلوث ، وتتألف مقلة العين من ثلاث طبقات : الأولى طبقة مكتزة غير شفافة وهي تتحور إلى قرنيه شفافة في مقدمة مقلة العين ، والثانية شبكة من الأوعية الدموية تلي بياض العين ، يتدفق فيها الدم لتغذية

العين ، ولكي تؤدي العين وظيفتها توجد طبقة هي أهم جزء في العين ، إنها الشبكية حيث توجد الخلايا البصرية – على شكل عصيات ومخروطيات – موصولة بخلايا ثنائية القطب وألياف يشكل مجموعها العصب البصري ، وتمتلىء مقلة العين من الداخل بسائل مائي مرن شفاف . أما العدسة البلورية ، فملتصقة بقزحية العين ومتصلة بجسم هدبي في الجزء الأمامي ، وعندما تمر أشعة الضوء خلال القرنية تعدل مسارها لتيسير البأورة في خلفية العين ، حيث تتكون هنالك صورة مقلوبة تنتقل إلى المركز البصري في المخ . وتستقبل كل عين الصورة من زاوية مختلفة ، ويستقبل العصب البصري النبضات العصبية من كلا العينين فيحملها إلى وصلات الدماغ الأوسط على جانبي المخ ، ثم ترحل على ألياف تمتد إلى الفص القفوي حيث ترى النبضات ، والدموع ذات أهمية كبرى في تأدية العين لوظيفتها ، تفرزها الغدة الدمعية لتحافظ على القرنية مبللة ، ومن بين العناصر التي تتألف منها الدموع مادة تسمى " ليسوزيم" وهي مادة مضادة للبكتيريا تحمي العين من الملوثات ، ويتحكم في تدفق الدموع العصب السابع في القحف وهو العصب الوجهي، والدموع ، كمبيد للبكتيريا ، أكثر فاعلية من أي منتج كيميائي ، وهي مادة قادرة على تدمير مائة نوع مختلف من البكتريا ، وتبقى هذه القدرة حتى بعد تخفيفها ستمائة مرة .

وبالمثل ، للكبد عدة وظائف مختلفة ، فهو كغدة ، يفرز السائل المراري الذي يساعد في هضم الطعام ، إن الكبد مصنع كيميائي لايجاريه أي مصنع آخر ، إنه يستطيع أن يعدل أي مادة كيميائية ، وهو عضو ذو قوة هائلة في إزالة السموم، حيث يحلل كثيراً من الجزئيات السامة ويجعلها غير ضارة ، وهو مستودع دماء ، ومخزن لبعض الفتيامينات ، والمواد الكربوهيدراتية المهضومة على هيئة جيلوكوجين ، يطلقه الكبد ليحافظ على مستوى السكر في الدم ، والكبد معمل لصناعة الإنزيمات ، والكوليستيرول والبروتين وفيتامين " أ" وعناصر تختير الدم ،

وعناصر أخرى كثيرة ، وتحت ظروف معينة يستطيع الكبد أن يستعيد وظيفته" الجنينية " لإنتاج خلايا الدم الحمراء .

إن دماءنا تنقل عناصر الغذاء إلى الأجزاء المختلفة في الجسم ، وتحمل الأوكسجين من الرئتين إلى الخلايا ، وتحمل إلى الخارج ثاني أوكسيد الكربون من ثلاثين تريليون خلية بجسم الإنسان ، علاوة على ذلك ، ينقل الدم الهرمون ، والأجسام المضادة التي تشكل دفاعاتنا الداخلية ، ويؤثر الدم أيضاً في تنظيم حرارة الجسم ، أما كرات الدم البيضاء فإنها تحطم البكتيريا وتبتلعها وتهضمها ، وتفعل الشيء نفسه بالنسبة لجميع الأجسام الغريبة الأخرى غير البكتيرية التي تهاجم الجسم .

يتكون الدماغ من المخ الذي ينقسم إلى نصفين : المهاد ، مشتملاً على النخاع المستطيل وجسر من الألياف العصبية تصل فيما بين نصفي الدماغ ؛ والدماغ الأوسط مشتملاً على المخيخ والحبل الشوكي ، ويتحصن الدماغ بثلاث طبقات : طبقة جافة وطبقة لينة والنسيج الضام ، وتتكون كتلة الدماغ من مواد بيضاء رمادية ، ويحتوي النسيج الرمادي على الخلايا العصبية ، والأنسجة البيضاء هي المحطة النهائية ، ويشكل النخاغ المستطيل مركز استقبال وترحيل ردود الأفعال ويرتبط مع مراكز المخ العليا بواسطة جسر من الألياف العصبية ، ويعني المخيخ بالتوازن ، والتآزر العضلي ، وتنفيذ الحركات الدقيقة ، أما مركز البصر وهو المعروف باسم (الفص القفوي) فإنه يقع في مؤخرة الدماغ ، أما المناطق الخاصة بالسمع والشم ، فتقع في الفصل الصدغي على جانبي الرأس ، إن أبرز شيء ملفت للنظر في الدماغ هو كتلة المخ، لحاؤها الخارجي هو سحاء المخ الذي يتكون من طبقة رمادية من الخلايا العصبية ، أسفلها نسيج أبيض ، وفي قاعدته مركز إضافي صغير من مادة رمادية يطلق عليها " العقد القاعدية " وليس من اللازم أن تكون " المادة الرمادية أرقى من البيضاء ولاالعكس صحيحاً ، إنها معنية بتوزيع

النبضات عبر اقتران الكروموزومات المختارة ، بينما المادة البيضاء تعنى بنقل النبضات عبر الألياف العصبية ، وهما معاً تساعدان على نشوء الوظائف النفسية الرئيسية والإنعكاسات الشرطية ، ويبلغ متوسط وزن الدماغ حوالي ١٣٠٠إلى ١٤٥٠ جراماً ، ويحتوي على ١٤-١٥ بليون خلية .

وتملك الحيوانات أجهزة عادة ماتكون أقوى وأكمل من الأدوات التي في الإنسان ، وهناك أمثلة كثيرة على ذلك : أضواء بعض الحيوانات ، وقيثارة الجراد، وصنوج صرار الليل ، ومجموعة كبيرة من المصائد والشباك والفخاخ والأصماغ وغيرها ... وقد ألف " أندرية تتري " كتاباً كاملاً في هذا الموضوع ، هو : " الأدوات عند الكائنات الحية" ، وفي هذا دليل على أن التطور لايتقدم بطريقة عمياء أو آلية كما أعتقد " داروين " إنما التطور يتبع مبدأ النفعية ، الإتجاه نحو ماهو نافع للكائن ، وفي هذا إشارة إلى فكرة الخلق التي لايمكن وجودها في المادة .

لقد وجد لدى الحية ذات الأجراس قدرة على الإحساس بالأشعة فوق الحمراء ، وقد أثبت العلماء في جامعة كولورادو بالولايات المتحدة وجود هذا المكشاف على رأس الحية ، وأنه يتكون من أعصاب رفيعة جداً ذات خلايا خاصة تتغير عندما يلمع الضوء عليها ، وقد أوضحت التجارب أن رد الفعل عند الحية يحدث في ٣٥ ميللي من الثانية بعد ظهور الأشعة ، وهذا رقم قياسي في زمن رد الفعل لأي نظام بيولوجي معروف حتى الآن .

ولدى سمك القرش هوائي كهربائي فوق أنوفها يساعدها على اكتشاف الطعام المختبىء في الرمال بقاع البحر ، وترسل جميع الكائنات الحية في البحر موجات كهربية ضعيفة يستطيع القرش التقاطها بواسطة هذا الهوائي الحساس .

أما الدكتور " الكسندر جوربوفسكي " وهو عضو بأكاديمية العلوم السوفيتية ، فقد عاد يتبنى الفكرة القديمة التي دعمها " أينشتين" مع آخرين والتي

تذهب إلى أن هناك بعض السمات الملغزة في تركيب الكون والمادة ، وسأقتبس في مايلي بعض الشواهد الهامة من الكتاب :

آلاف كثيرة من النمل الأبيض تتعاون في بناء جبل من النمل(١) ، وعندما يكتمل ، إذا به بناء بالغ التعقيد فيه مساحة كبيرة من الأنفاق ، وفيه مخازن للأخشاب ، وحرجات للبيض ... إلخ .

وقد أجرى الاختبار التالي : قُسّم جبل النمل إلى قسمين منفصلين تماماً ، بينما كان لايزال في مراحله الأولى من البناء ، وبرغم ذلك استمر البناء بنجاح ، فأقيمت كل الممرات والأنفاق والمخازن في كل قسم منهما بالطريقة نفسها تماماً بل أكثر من هذا أنشئت بينهما وصلات مشتركة .

وقد نظن أن كل نملة كانت على علم كامل بعمل جارتها في القسم الآخر، لأنهما عملا تماماً بالأسلوب نفسه ، ولكن الواضح لنا أنها لم تكن تعلم شيئاً عن عمل جارتها ، لأنه لم يكن هناك اتصال بينهما ، فدعنا نحاول تفسير هذه الظاهرة..

من الواضح أن كل نملة مفردة ليس لديها معلومات عن التصميم الكلي لجبل النمل ، وإنما تعرف كل نملة فقط جزءاً من العملية الكاملة التي تساهم فيها ، وعلى ذلك ، قد نستنتج أن النمل في مجموعه فقط لديه المعلومات الكاملة بمعنى آخر أن الأفراد كأعضاء في مجموعة يملكون " معرفة عظيمة " أما باعتبارهم أفراداً، فإنهم لايملكون شيئاً ..

ساد اعتقاد لفترة طويلة من الزمن بأن أسراب الطيور المهاجرة في طريقها إلى المناطق الدافئة تقودها الطيور الأكبر سناً والأكثر خبرة ، ولكن الحقائق لم تؤكد

---

(١) جبل النمل يبنيه النمل بأجسامه فهو نفسه لبنات البناء ، وفي هذا تزداد حيرة العقل وتجلي المعجزة (المترجم).

هذا الإعتقاد ، فقد وجد البروفسور" جامتو هيروسوكي" ، وهو عالم طيور ياباني أن السرب من الطيور ليس فيه طائر يقوده ، وإذا حدث أن طائراً وجد في المقدمة، فإنه ليس بالضرورة قائد السرب ، بل نرى أحياناً في المقدمة طائراً صغيراً ... ، والظاهر أن مثل هذا الطائر لايعرف الطريق التقليدي ولايستطيع توجيه الطيور الأخرى التي تعرف طريقها جيداً .

ويمضي "جوربوفسكي" قائلاً :

من الحقائق المعروفة من وجهة النظر البيولوجية أن العلاقة بين المواليد الذكور والإناث متساوية فإذا اختلت هذه العلاقة السوية تظهر تلقائياً عملية لإعادة التوازن من جديد.

فإذا نقص عدد الإناث في مجتمع ، فإن عدداً أكبر من الإناث يولد ، وإذا كان لدينا عدد أقل من الذكور ، فإن عدد المواليد الذكور سيزيد بالتالي ... وهكذا تستمر العملية حتى يستعاد التوازن ...

ومن البين أن الكائن الحي الفرد مستقل ولايمكنه أن يؤثر على جنس مواليده ، بمعنى آخر ، إننا – مرة أخرى – أمام ظاهرة ذات قوانين خاصة بها ... نحن مرة أخرى نواجه بتأثير يأتي من خارج كل كائن حي مفرد...

هذه الظاهرة مألوفة للجنس البشري ، ويسميها علماء السكان " ظاهرة سنوات الحرب" حيث يقتل أثناء الحروب رجال كثيرون ، ولكن سرعان ماتزيد نسبة المواليد الذكور حتى يستعاد التوازن .

هذه الأمثلة السابقة أخذت من أول كتاب دراسي في علم الأحياء هذه المعجزات الحقيقية في الطبيعة يفسرها الدين باعتبارها أفعالاً لله سبحانه وتعالى ، ويمكن إختصار جميع التفسيرات العلمية في هذا المجال بأنها معجزات خلقت بذاتها– أليست هذه خرافة غزت عقل الإنسان ؟ أن تطلب من شخص ما أن يتقبل عقله أن شيئاً على درجة من الكمال والتعقيد كعين الإنسان أو عقله قد

وجد بمحض الصدفة ، يشبه أن تطلب من شخص أن يقبل بأن الأساطير الإغريقية حقائق واقعة .

ماذا إذن عن " المادة ذاتية التنظيم " و" الخلق الذاتي " لجميع تلك الأنظمة شديدة التعقيد ، التي يمتليء بها العالم الحي ؟ دعنا ننظر في " التنظيم الذاتي " أو" الخلق بالصدفة " لجزيء واحد من البروتين ، وهو المادة الأساسية لجميع الكائنات الحية المعروفة لنا .

لقد حاول " تشارلز يوجين جاي" عالم الطبيعة السويسري أن يقوم بحساب احتمالية الخلق بالصدفة لجزيء واحد من البروتين ، ومن المعروف أن جزيء البروتين يتكون من أربعة عناصر مختلفة على الأقل ، ولكي يبسط الحساب افترض "جاي" أن الجزيء البروتيني مكون فقط من عنصرين فحسب من ٢٠٠٠ ذرة بوزن ذري (١٠) وبعدم تناظر للجزيء من (٠,٩) ، بهذه الشروط المبسطة قدر "جاي" احتمال خلق البروتين " بالصدفة " يبلغ (٢,٠٢×١٠−٢٣١) ، فإذا أخذنا هذه النتيجة في الإعتبار في إطار عمر حجم كوكبنا الأرضي ، فإن خلق مثل هذا الجزء قد يستغرق ١٠٢٤٣ بليون سنة تحت ظروف ٥١٠١٤ اهتزازة في الثانية ، وتبعاً لذلك ، لايوجد إمكانية أن الحياة قد نشأت بالصدفة خلال ٤,٥ بليون سنة التي يفترض أنها عمر الأرض .

وقد أعاد هذا الحساب " مانفريد إيجن" من " معهد ماكس بلانك لكيمياء الطبيعة الحيوية " في جوتنجن بألمانيا والحاصل على جائزة نوبل في الكيماء عام ١٩٦٨، فإثبت أن جميع المياه على كوكبنا ليست كافية لكي تنتج بطريقة الصدفة جزيئاً بروتينياً واحداً ، حتى لو كان الكون كله مليئاً بمواد كيميائية تتحد بعضها مع بعض بصفة دائمة ، فإن البلايين العشرة من السنين منذ نشأة الكون لم تكن كافية لإنتاج أي نوع من البروتين ، في مواجهة هذه الحقيقة ، صاغ " يوجين " هذه الفرضية : التطور قبل الحياة ويعني (الحياة قبل الحياة) كما يطلق على هذه النظرية،

نسب " يوجين" إلى الحامض النووي قدرة على الحياة وهو بهذا ينسب إلى المادة مبدأ التنظيم والإختيار والتكيف مرة واحدة ، وهو مبدأ لايدخل في تعريف المادة على الإطلاق ...

وقال العالم الروسي " بلانديـن" لو أن مليون معمل على الأرض عملت لبضعة ملايين من السنين في تركيب العناصر الكيمائية ، فإن احتمال خلق حياة في أنبوبة اختبار ستكون شيئاً نادراً ، وطبقاً لحساب " هولدن" فإن الفرصة هي (١إلى ١٠ ١٣١) .

هذا هو الأمر بالنسبة للتنظيم الذاتي لجزيء من البروتين الذي إذا قورن بكائن حي ، فإنه يشبه طوبه إذا قورنت بمبنى كامل .

إن العلم – وخاصة بيولوجيا الجزئيات – قد استطاع أن يضيق الثغرة الهائلة بين الحياة والمادة الميتة ، ولكن بقيت الثغرة الصغيرة مستحيلة العبور ، ولاشك أن الاستخفاف بهذه الثغرة يعتبر خطأ علمياً ، ومع ذلك ، فهذا هو الموقف الرسمي للمادية .

فكيف يمكن تفسير التباين الظاهري التالي : إذا وجدنا في اكتشاف أثري حجرين موضوعين في نظام معين أو قطعا لغرض ما، فإننا جميعاً نستنتج بالتأكيد أن هذا من عمل إنسان في الزمان القديم ، فإذا وجدنا بالقرب من الحجر جمجمة بشرية أكثر كمالاً وأكثر تعقيداً من الحجر بدرجة لاتقارن ، فإن بعضاً منا لن يفكر في أنها من صنع الله ، بل ينظرون إلى هذه الجمجمة الكاملة أو الهيكل الكامل كأنهما قد نشآ بذاتهما أو بالصدفة – هكذا بدون فعل الله الخالق البارىء المصور، أليس في إنكار الإنسان لله هوى بين؟" (١) .

---

(١) الإسلام بين الشرق والغرب ، ٦٦-٧٨بتصرف .

علم الآثار يستغل لترويج العلمنة والإلحاد :

العلمنة والإلحاد بمعنى إلغاء ومحاربة الدين والتدين أيا كان من الحياة لكن ذلك لاينادى به دفعة واحدة ولايمكن أن يتحقق أيضاً دفعة واحدة .

لكن باسقاط قيمة الدين والتدين وتمكن ذلك عند الناس مع مرور الوقت وبالتدريج سينتهى إلى الإلحاد .

ولكثير من القائمين على الآثار طرق شتى للوصول إلى ذلك الهدف منها .

١- أن الآثار تبحث عن تطور البشر كمجموعات وسلالات وأصول وأجناس وتطور البشر من ناحية حيوية " بيولوجية" أي أصل الإنسان وأنه نشأ من حيوان أقل إلى أن ينزل في دركات الإنحاط ويوصف أنه من جرثومة إلى آخر مايقولون مما يعنى إنكار الخالق سبحانه وتعالى وبسط هذا في غير هذا الموضع .

كذلك البحث عن تطور البشر كحضارات نشأت في أزمنة متعاصرة أو متفاوتة وأخذت بعض حضارات الأمم من بعضها الآخر ولايألو الأوربيون جهداً لإثبات تفوقهم الحضاري الجاهلي قبل حضارة الإسلام وبعدها في العصر الحديث .

ومن خلال التنقيب والبحث في آثار الحضارات يظهرون بتحاليل تقوي مالديهم من أفكار مسبقة ومن ذلك : الإستدلال من الآثار تخميناً بالعلاقة الطردية بين سلطة الدين التى يمثلها الكهنة وسلطة المادة التي يمثلها الملك أو رئيس القبيلة وأنه كلما وجدت سلطة دينية حصل تردي وتخلف حضاري وكلما ابتعدت السلطة الدينة كلما أمكن التقدم والإزدهار وأنه متى ماتسلمت السلطة الدينية سدة الحكم فهو بداية سقوط الدولة وتدهورها واضطرابها(١) وهذا الاستنتاج مأخوذ عند الغربيين من المقارنة بين حكومات عصور أوربا المظلمة التي يقودها الباباوات وبين حكومات أوربا الحديثة التي نحي فيها سلطان الكنيسة الكهنوتى

---

(١) انظر نشوء الحضارات القديمة ، بورهاريرينتيس ، ص ١٤٣.

الوثني وتولى القيادة حكم علماني مما يعني عند دارسي الآثار والمطلعين عليه أن الحكم متى ماكان مربوطاً بالدين فإنه لن تقوم لدولة تفعل ذلك قائمة ولن تستطيع أن ترقى في سلم الحضارة بل إن ذلك الإرتباط سيكون سبب نكستها وذلها وترديها إقتصادياً وصناعياً وستزداد فقراً وحاجة وتخلفاً في شتى مجالات الحياة .

لكن إن صح هذا في كثير من تجارب الحضارات والديانات إلا انه لايستمر فيها هذا من جهة فلايشكل قاعدة .

ومن جهة أخرى فإن الحضارة الإسلامية وماوصلت إليه من رقي في البناء والصناعة والحرف والزراعة والري والجسور والهندسة وعلم الميكانيكا والطب والتخطيط وغير ذلك قد تم مع ارتباط سياسة الدولة بالدين في عصور الإسلام كعصر الخلفاء الراشدين وعصر بني أمية والعصر العباسي فهي مختلفة عن بقية الحضارات الجاهلية الوثنية والسبب في ذلك أن العلوم التجريبية جميعها وماتحمله من نواميس وقواعد قد صنعها وخلقها من أنزل الدين الإسلامي على عباده فهو سبحانه وتعالى الذي شرعها جميعاً وهو خالق العقل ومنزل الوحي ولاتعارض بين النقل الصحيح والعقل الصريح .

فما يصح على الحضارات الوثنية الجاهلية وأديانها في مثل هذه الأمور لايمكن أن يقاس عليها الحضارة الإسلامية والدين الإسلامي إذ أن كثيراً من الديانات الوثنية ضد العلم والعلماء لأنه يقوض سلطانها لكن العلم لايقوض سلطان الإسلام بل إن الإسلام يشد أزر العلم وكثيراً مايشير الإسلام في الكتاب العزيز وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى حقائق علمية .

٢- كذلك ترسخ العلمنة والإلحاد بطريقة ماكرة وهي :

أنه يوجد بقايا ورواسب في الجاهليات من وحي الرسل السابقين مثل قصة الطوفان وأصل الخلق ونحو ذلك .

فيؤخذ هذا التوافق الموجود في ثنايا الجاهليات المختلفة مع مايوجد من أساطير وخرافات أيضاً متكررة فيها على أن الجميع خرافات وأساطير وليس لها أصل صحيح ، وبطبيعة الحال العقل لايقبل الأساطير ولا الخرافات كصراع الآلهة الذي يذكر كثيراً عن كثير من الحضارات الجاهلية .

فإن العقل لايمكن أن يقبل بذلك قال الله تعالى ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾(١) وقال سبحانه وتعالى .

﴿ مااتخذ الله من ولد وماكان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون ﴾ (٢) .

وكمثال على استخدام بقايا وحي الرسالات على خرافة الأديان مايأتي :

" أما في المجال الديني فيبدو التأثير – أي الرافدي (٣) – واضحاً في كثير من الأفكار والمعتقدات التي لازالت تعيش بين ظهرانينا فالتصور الرافدي أن الماء هو أصل الخلق دخل مثلاً في قصة الخلق في سفر التكوين وأن الكوارث والأمراض ليست إلا عقوبة إلهية وأن على الإنسان أن يتحمل الألم والعذاب بصبر لها مايقابلها في التصورات الدينية الرافدية"(٤) .

فمعنى كلامه : أن التصور الرافدي هو أن الماء هو أصل الخلق ، وأن التوارة أخذت ذلك من ديانات الرافدين يعنى في الأسر البابلي الذي تعرض له اليهود إذ يقول الدكتور آرثر روبن أستاذ علم الإجتماع بالجامعة العبرية بالقدس: "إن علماء الكتاب المقدس كلهم مجمعون على أن العهد القديم (التوارة) جرى وضعه خلال وبعد النفي إلى بابل"(٥) وهو يتكلم عن ذلك علىأساس أنها

---

(١) سورة الانبياء آية ٢٢.
(٢) سورة المؤمنون آية ٩١.
(٣) الكاتب يتكلم عن حضارة وادي الرافدين منذ اقدم العصور حتى ٥٣٩ق.م .
(٤) تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام ٥٣٩ق . م ص ١١-١٢.
(٥) الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي د. عبدالعظيم المطعني، دار الوفا، المنصورة، مصر ١٤٠٧هـ ص٥٥ .

إعتقادات من إنتاج بلاد الرافدين فإذا ربطت ذلك بقوله تعالى ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾(١) ستلحظ أنه يشير إلى خرافة الإسلام أيضاً وأن الإسلام أخذ من اليهود لكن ذلك بطريقة ذكية خفية وأن الأديان جميعها متساوية بوجود الخرافات والأساطير ولامانع من أن تتساوى جميعاً بنبذها وإقصائها ولم يلتفت إلى مافي الأديان من بقية الرسالات .

٣- كذلك من طرق الدعوة إلى العلمنة والإلحاد بين المسلمين أيضاً :

أن التماثيل التي تستخرج من الآثار والصور تحاط بتحليلات واستنتاجات من التقديس والعبادة مع بيان سبب ذلك وبناءه على اعتقادات شخصية وأوهام وتخيلات وجدت في مخيلة أصحاب تلك الحضارات الوثنية القديمة ويسندون آراءهم تلك بتصاوير يستشف منها تقديس بعض الناس للوكهم أو لكهنتهم وطلب النصر منهم أوالماء أو إنبات الزرع أو طلب النسل مع مايصاحب ذلك من صور تفسر بأنها تقديم قرابين للآلهة .

ولايشك كثير من القراء بأن ذلك محض استغلال مبني على خرافات لكن كثير من المسلمين يجد أوضاعاً مشابهة في محيطة في بلاد المسلمين وذلك حيث يوجد الصوفية والشيعة فإن لهم قبوراً ولهم أولياء سواء أحياء أو أموات يعاملهم مريدوهم وأتباعهم كما هو الحال في معتقدات الوثنيات الجاهلية القديمة بل إنه في الصوفية والشيعة أشد وأقوى وأوضح وهما أي التصوف والتشيع بوضعهما الوثني محسوبان على الإسلام فإذا قدما للناس على أنهما الإسلام واستقر في نفوس كثير من المسلمين ذلك فما الفرق بين التصوف والتشيع بهذه الحالة وبين الوثنيات الجاهلية القديمة التي لقن قارؤها بواسطة علم الآثار بأن ذلك محض خرافات

---

(١) سورة الأنبياء آية ٣٠ .

وأوهام فيكون الناتج أن الإسلام المستقى من التصوف والتشيع مماثل لتلك الوثنيات الخرافية وعليه فيحكم على الجميع بالتخريف وأنهما يستحقان النبذ والترك على السواء علماً أن بلاد المسلمين إلا القليل منها إن سلمت من التشيع لم تسلم من التصوف .

أخبار ومعلومات من الآثار تخالف صريح القرآن من ذلك قول بعضهم :

" وقد اتجه (اخناتون) نحو التوحيد في العبادة وآمن با لله أحد لاشريك له تمثله في قرص الشمس (اتون) الذي يرسل أشعته الذهبية على كل مافي الكون ، حاملة الحياة والنور والضياء .

وهو أول من نطق بالشهادة ، وأول من آمن بوحدانية ا لله تبارك وتعالى وكان يردد وهو يتعبد (أحد أحد لاشريك له) قضى إخناتون معظم أيام حكمه في محاربه (آمون) إله الدولة القديم ، وفي القضاء على نفوذه وعلى سلطة الكهنة وفي التبشير بالدعوة للدين الجديد .

لقد كان هذا الدين الجديد مظهراً لاتساع أفق الفكر عند المصريين كما كان أول دعوة للتوحيد عرفها التاريخ"(١).

واخناتون هذا هو أحد ملوك مصر في زمن الفراعنة ولد ١٣٨٨ق.م وتوفي وهو في الثلاثين من عمره ١٣٥٨ق.م وحكم سبعة عشر عاماً(٢) .

وانظر إلى الجرأة عند قوله:"وهو أول من نطق بالشهادة وأول من آمن بوحدانية ا لله " ثم إن في كون هذ التوحيد مظهراً لاتساع الفكر عند المصريين إشارة إلى أن الدين عند بلوغه التوحيد هو قمة الإرتقاء والتطور في التدين بفعل الإنسان الذاتي وهو يخدم هذه النظرية والتي ترى أن الإنسان كان يعبد كل شيء ثم اقتصر

---

(١) تاريخ العمارة والفنون في العصور الاولى ، توفيق أحمد عبدالجواد ، دار وهدان للطباعة والنشر الطبعة الثانية ١٩٧١م ص ١٢/١، وانظر معجم المصطلحات الآثرية ، ص ٢٥، مادة اخناتون .

(٢) انظر تاريخ العمارة والفنون في العصور الاولى ، ص ٩٩، ١٠٣.

على أشياء ذات نفوذ ثم بعد ذلك يصل إلى التوحيد فالمسألة عنده تطور : وثنية ثم شرك ثم توحيد .

وأين هذا من قوله تعالى : ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾(١) .

وأين هذا من آدم عليه السلام أبوالبشر وعشرة قرون من ذريته كلهم على التوحيد(٢) قال سبحانه وتعالى عن آدم عليه السلام : ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾(٣) وأين هذا من نوح عليه السلام ومن آمن معه وهو الذي دعا قومه لتوحيد ا لله قال تعالى : ﴿ إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم . قال ياقوم إني لكم نذير مبين. أن اعبدوا ا لله واتقوه وأطيعون﴾(٤) .

كذلك مما يغيره الآثاريون ماورد في كتاب ا لله سبحانه وتعالى عن ثمود قوم صالح عليه السلام وأنهم ينحتون من الجبال بيوتاً قال ا لله عز وجل : ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال ياقوم اعبدوا ا لله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة ا لله لكم آية فذروها تأكل في أرض ا لله ولاتمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم . واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء ا لله ولاتعثوا في الأرض مفسدين﴾(٤) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿كذبت ثمود المرسلين . إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون . إني لكم رسول أمين . فاتقوا ا لله وأطيعون . وماأسألكم عليه من أجر إن

---

(١) سورة فاطر آية ٢٤.
(٢) انظر مختصر سيرة الرسول صلى ا لله عليه وسلم ، ص ٥.
(٣) سورة البقرة آية ٣٧.
(٤) سورة نوح الآيات ١-٣.
(٥) سورة الأعراف الآيات ٧٣-٧٤.

أجري إلا على رب العالمين . أتتركون في ماههنا آمنين . في جنات وعيون . وزروع ونخل طلعها هضيم . وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين . فاتقوا ا لله وأطيعون. ولاتطيعوا أمر المسرفين﴾(١) .

وورد في تفسير ذلك من اتخاذ القصور في السهول والبيوت في الجبال :

"اتخذوا القصور في سهول الأرض للصيف ونقبوا في الجبال للشتاء"(٢) مع وضوح الآية في هذا المعنى وأن البيوت ليست قبوراً لكن الآثاريين يطمسون الحق ويعارضون القرآن ويقولون إن مدائن صالح التي في الجبال ليست إلا مقابر كانت تستعمل للدفن وينفون أنها كانت مساكن(٣) .

ويلحق بذلك اتخاذ الآثار دليلاً ومسوغاً لأمور مخالفة لآداب الإسلام وقواعده " ومن أعجب مايلجأ إليه دعاة الإختلاط في بعض دعاياتهم أنهم يعارضون الإسلام بماجري عليه العرف عند بعض البائدين كالفراعنة أو بمذاهب بعض الدراسات الإجتماعية والنفسية الحديثة ومعارضة الإسلام بهذه أو بتلك لاتصدر إلا من جاحد با لله ورسالاته وكتبه ... وقد قطع الإسلام مابين إبراهيم عليه الصلاة والسلام وبين أبيه وقطع مابين نوح عليه السلام وبين ابنه وبين لوط عليه السلام وبين زوجته فكيف لايقطع الإسلام مابيننا وبين الكفار من – وأمثالهم– الفراعنة وا لله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون﴾(٤)"(٥) .

كذلك ممايعارض به القرآن من الآثار الطوفان وأنه محض خرافة وجدت في التوراة نقلاً عن حضارات وخرافات وادي الرافدين أو تهوينة والإقلال من شأنه ،

(١) سورة الشعراء الآيات ١٤١-١٥١.
(٢) زاد المسير في علم التفسير ١٥٣/٣.
(٣) انظر : علم الآثار جمال عبدالهادي ، ص ٦١، وأنظر : المعلم الأثرية في البلاد والعربية ١٥٢/٢ .
(٤) سورة التوبة آية ٢٣.
(٥) حصوننا مهددة من داخلها . ص ٨٦.

وأشد منه اتخاذ الآثار دليلاً للتطور ونفياً وإنكاراً أن ا لله هو الخالق مع ضعف الإستدلال وسفاهته ويمكن تبين الغطرسة والكبر والبهتان والجحود من " التباين الظاهري التالي : إذا وجدنا في اكتشاف أثري حجرين موضوعين في نظام معين أو قطعا لغرض مافإننا جميعاً نستنتج بالتأكيد أن هذا من عمل إنسان في الزمان القديم فإذا وجدنا بالقرب من الحجر جمجمة بشرية أكثر كمالاً وأكثر تعقيداً من الحجر بدرجة لاتقارن فإن بعضاً منا لن يفكر في أنها من صنع ا لله بل ينظرون إلى هذه الجمجمة الكاملة أو الهيكل الكامل كأنهما نشآ بذاتهما أو بالصدفة هكذا بدون فعل ا لله الخالق البارىء المصور أليس في إنكار الإنسان لله هوى بين"(١) .

ومعارضة القرآن يراد بها إنكاره وتكذيبه وا لله سبحانه وتعالى هو الذي تكفل بحفظه قال ا لله تعالى : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾(٢) .

وقد تحدى الجن والإنس أن يأتوا ولو بسورة من مثله حتى ولو اجتمعوا فلن يأتوا بمثله أبداً.

وإن طالب الحق النزيه المتجرد ولو كان من أي ملة ليجد فيه دلائل الصدق وصحة النسبة إلى ا لله تعالى ومن الدلائل تلك الآيات الدالة على دقائق علوم لم تكن معروفة من قبل نزوله عند البشر ولم تنقلها كتب الأقدمين .

بل إن بعضها لم يعرف إلا في هذا العصر الحديث عند تقدم العلم والوصول إلى دقائق الأشياء عن طريق المناظير ومقاييس الأشعة مما لم يكن موجودا من قيل من تلك الأجهزة .

ومن العلوم التى تضمنها القرآن الكريم مايأتي :

---

(١) الإسلام بين الشرق والغرب ، علي عزت بيجوفيتش ، ص ٧٨.

(٢) سورة الحجر آية ٩.

١- اطوار الجنين الآدمي في بطن أمه :

قال : " البروفيسور كيت ل . بور أحد كبار العلماء في العالم في مجال التشريح وعلم الأجنة طلب منه أن يكون مستشاراً علمياً لإبداء رأيه من الجانب العلمي حول بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بمجال تخصصه .

هذا الاستاذ مؤلف لكتاب (The Developing Human) (أطوار خلق الانسان) وهذا الكتاب مترجم بثمان لغات ...

وعندما طلبنا(١) منه أن يبدي رأيه فيما سمع من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية إندهش وأعلن دهشته هذه ، كيف يكون لمحمد صلى ا لله عليه وسلم قبل ١٤٠٠عام أن يصف الجنين وأطواره هذا الوصف الدقيق الذي لم يتمكن العلماء من معرفته إلا منذ ثلاثين عاما؟ وسرعان ماتحولت دهشته إلى إعجاب بهذا البيان وهذا الهدى فتبنى هذه الآراء في المجامع العلمية وقدم محاضرة بعنوان مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة ... وتحدث الدكتور مور فقال : لقد أسعدني جداً أن اشارك في توضيح هذه الآيات والأحاديث التى تتحدث عن الخلق في القرآن الكريم والحديث الشريف ، ويتضح لي أن هذه الأدلة حتماً جاءت لمحمد من عند ا لله لأن كل هذه المعلومات لم تكتشف إلا حديثاً وبعد قرون عدة وهذا يثبت لي أن محمداً رسول ا لله ..

وأخيراً قدم كيت مور ثلاث حلقات في التلفزيون الكندى عن التوافق بين ماذكره القرآن قبل ١٤٠٠ عام وماكشف عنه العلم في هذا الزمان .

وعلى أثر ذلك وجه له هذا السؤال : يا أستاذ مور معنى ذلك أنك تؤمن بأن القرآن كلام ا لله ؟

فأجاب : لم أجد صعوبة في قبول هذا ...

يقول البروفيسور كيت مور في كتابه تحت عنوان : العصور الوسطى : كان تقدم العلوم في العصور الوسطى بطيئاً ولم نعلم عن علم الأجنة إلا الشيء القليل ،

(١) هذا الكلام مؤلف الكتاب الذي نقلت منه النص

وفي القرآن الكريم الكتاب المقدس لدى المسلمين ورد أن الإنسان يخلق من مزيج من الإفرازات من الذكر والأنثى وقد وردت عدة إشارات بأن الإنسان يخلق من نطفة من المني وبين أيضاً أن النطفة الناتجة تستقر في المرأة كبذرة بعد ستة أيام ، والمعروف أن البييضه الملقحة بعد أن تكون قد بدأت في الإنقسام تبدأ في النمو بعد ستة أيام من الاخصاب ويقول القرآن الكريم : إن النطفة (المني) تتطور لتصبح قطعة من دم جامد (علقة) وأن البييضة الملقحة بعد أن تكون قد بدأت بالإنقسام أو أن البييضة التى بدأت بالإنقسام أو الحمل المجهض تلقائياً يمكن أن تشبه العلقة ويمكن رؤية مظهر الجنين في تلك المرحلة يشبه العلقة ..

ويكون مظهر الجنين في هذه المرحلة يشبه شيئاً ممضوغاً كاللبان ... وكأن فيها آثار الأسنان التي مضغتها ...

لقد كشفت الدراسات المكثفة للقرآن والحديث خلال السنوات الأربعة الأخيرة جهاز تصنيف الأجنة البشرية الذي يعتبر مدهشاً حيث أنه سجل في القرن السابع بعد الميلاد فيما يتعلق بما هو معلوم من تاريخ علم الأجنة لم يكن يعرف شيء عن تطور وتصنيف الأجنة البشرية حتى حلول القرن العشرين ولهذا السبب فإن أوصاف الأجنة البشرية في القرآن الكريم لايمكن بناؤها على المعرفة العلمية للقرن السابع(١) .

الاستنتاج الوحيد المعقول هو أن هذه الأوصاف قد أوحيت إلى محمد صلى الله عليه وسلم من الله إذ ما كان له أن يعرف مثل هذه التفاصيل لأنه كان أمياً ولهذا لم يكن قد نال تدريباً علمياً"(٢) .

---

(١) يقصد القرن الميلادي السابع الذي بعث فيه محمد صلى الله عليه وسلم .

(٢) إنه الحق : معجزة العصر تتجلى في محاورة علمية مع ١٤ من رواد العلوم المعاصرة في شتى الآفاق ، طبع بمطابع رابطة العالم الاسلامي في مكة المكرمة ص : ٤-١٩.

وانظر إلى قول الله تعالى : ﴿ياأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة..الآية﴾(١) .

٢- وهن بيت العنكبوت :-

حيث "أن بعض العناكب تنسج خيوطاً دقيقة جداً إذ أنها تنسج بيتها من خيوط ، كل خيط منها مؤلف من أربعة خيوط أدق منه، وكل واحد من هذه الخيوط الأربعة مؤلف من ألف خيط ، وكل واحد من الألف يخرج من قناة خاصة في جسم العنكبوت ... وذكر بعض العلماء الألمان الباحثين في هذا الميدان أنه إذا ضم أربعة بلايين خيط إلى بعضها لم تكن أغلظ من شعرة واحدة من شعر لحيته مع العلم أن متوسط قطر شعرة اللحية لا يتجاوز ٠,١ مليمتر .. وهكذا تتجمع الخيوط لتنشأ مسكناً ومصيدة للعنكبوت ... يقول الله تعالى : ﴿وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾(٢) وقد توصل البحث العلمي من تحليل وتجزئة حقيقة وهن بيت العنكبوت كما أسلفنا فقد جاوزت خيوط العنكبوت الحد المعروف في الدقة وتناهت في التجزئة "(٣) وغير ذلك كثير.

ومن جهة أخرى: استخدمت الآثار قسراً ولياً لإثبات نظرية التطور بأنواعه التي يزعمون كالبيولوجي – أي تطور الكائن الحي من حيوان لآخر – أو تطوره الإجتماعي والذي يجعلون الدين أحد أجزائه – أو تطوره الحضاري من نشوء

---

(١) سورة الحج آية ٥.

(٢) سورة العنكبوت آية ٤١ .

(٣) العلوم الطبيعية في القرآن، يوسف مروة،دار ومكتبة الهلال، منشورات مروة العلمية،بيروت، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ-١٩٦٨م ص٢٠٩-٢١٠بتصرف يسير.

الحضارات بدءاً بالتجمعات ثم الإمارات ثم الممالك وهم بذلك يجعلون الحياة كلها تطور وهذا مستند على نظرية لداروِن لم يقم عليها دليل بل قام الدليل القاطع ضدها لكن الهوى يعمي ويصم فاعتبرت حقيقة علمية تدرس في الجامعات وينشأ عليها الأجيال لويت أعناق الأدلة الآثارية لإقناع الناس بأن نظرية التطور حقيقة .

أخذوا من الآثار أدلة غير صحيحة أو نسبوها إليها وأغفلوا : البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير فكيف بسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج أفلا يدل ذلك على العلي الكبير لقد عميت أبصارهم وبصائرهم وختم على قلوبهم كثير منهم عن مثل قوله تعالى ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت﴾(١)

وعن مثل قوله تعالى : ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل لايوقنون﴾(٢)

يقول أحد علماء الغرب تثبت العلوم بكل وضوح أن هذا الكون لايمكن أن يكون أبدياً ، ولاتقتصر ماقدمته العلوم على إثبات أن لهذا الكون بداية فقد أثبتت فوق ذلك أنه بدأ دفعه وأحدة... واليوم لابد لمن يؤمن بنتائج العلوم أن يؤمن بالخالق أيضاً ليس من المعقول أن يكون هناك خلق بدون خالق هو الله"(٣).

---

(١) سورة الغاشية الآيات ١٧-٢٠ .

(٢) سورة الطور الآيتان ٣٥-٣٦ .

(٣) وجود الله ، عقائد الإسلام ، د. يوسف القرضاوي مكتبة وهبة عابدين القاهرة ، مصر ، الطبعة الثالث / ١٤١٠ - ١٩٩٠ ص٨٧ .

وأشير إلى حقائق علمية أخرى ورد ذكرها في القرآن الكريم مثل :

١- كون الجبال أوتاداً يعني أن لها جذوراً في الأرض . قال تعالى :﴿والجبال أوتاداً﴾(١) .

٢- ظلمات البحر . قال تعالى ﴿ أو كظلمات في بحر لجي ﴾(٢) .

٣- نقص الأكسجين في طبقات الجو فينقص كلما زاد الارتفاع. قال تعالى ﴿ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجاً ﴾(٣) .

٤- الاحساس وأن مراكزه في الجلد والأعصاب. قال تعالى :﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ﴾(٤) .

ويمكن زيادة الإطلاع عليها بتوسع وغيرها في مظانها من كتب الإعجاز العلمي في القرآن .

قال ا لله تعالى : ﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾(٥) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾(٦) .

أيضاً من طرق إظهار الشرك : البحث عن الآثار لمعرفة تاريخ الفن :

فيظهرون الشرك بقصد معرفة تاريخ الرسم والتصوير والنحت بمعنى معرفة تاريخ الأصنام والمعبودات من دون ا لله فأصحاب هذا الشأن يقولون:"نواحي الفن الثلاث الرئيسية وهي البناء والنحت والرسم"(٧) وإن كان الفن يشمل الرسم

---

(١) سورة عم آية ٧ .
(٢) سورة النور آية ٤٠ .
(٣) سورة الانعام آية ١٢٥ .
(٤) سورة النساء آية ٥٦ .
(٥) سورة ص آية ٨٨.
(٦) سورة فصلت آية ٥٣.
(٧) الفن في العراق القديم ، انطون مورتكات ترجمة د. عيسى سلمان وسليم طه التكريتي ، الجمهورية العراقية ، وزارة الإعلام ، مديرية الثقافة ، سلسلة الكتب الفنية ، مطبعة الأديب البغدادية ، ص ١١، من مقدمة المترجمين .

ونحت التماثيل والصور وفن العمارة والفنون التشكيلية والتطبيقية والصناعية لكنه على الأخص فن الموسيقى والرقص والتصوير والنحت والتماثيل(١) .

وعن قوة العلاقة بين النحت والرسم والتصوير وبين الإعتقاد يقولون:

"كان الفنان المصري القديم مكرساً لخدمة الدولة المصرية والعقيدة المصرية وكان مدرباً على إنتاج نوع من الفن هو بطبيعته سرمدي وخالد ولايتعلق بزمن وفي جميع النقوش وأعمال الزخرفة التي أبدعها هذا الفنان على جدران المقابر والمعابد ، كان من الضروري أن يتجاوز الفنان التعبير عن اللحظة العابرة أو الخاطفة ويسمو فوقها ، وعندما كان يقوم الفنان برسم أو تصوير شكل الجسم البشري فإنه لايرسمه أويصوره حسبما يبدو له في لحظة عابرة خاطفة بل كان يقوم بتضمين الرسم أو الصورة كل المعالم الأساسية الهامة التي يعبر بها عن ماهية الجسم البشري وجوهره"(٢) .

ولمزيد بيان ارتباط النحت والتصوير بالقلب ومايعتقد وأن النحت والتصوير يمس شغاف القلب ويستهويه وأن ذلك وسيلة الوثنية في الإنتشار ودابتها الذلول فإنه قد : " انبعث فن النحت أساساً بمصر القديمة وتواكب ازدهاره مع استطالة نفوذ العقيدة الدينية خاصة وإذا مااستثنينا اليهودية والإسلام نجد النحت يخدم العقيدة الدينية ويساندها .

والحق إزدهر فن نحت التماثيل والنقوش منذ أخذت العقيدة البوذية تنتشر في الهند وفي غيرها من بلاد جنوب شرقي آسيا والشرق الأقصى ، ووجدت العبقرية الهندية مجالاً رحيباً لتوكيد مواهبها الفنية الفذة في نحت تماثيل البوذا

---

(١) انظر تاريخ الفن عند العرب والمسلمين ، انور الرفاعي، دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ -١٩٧٧م ، ص ٣. وانظر : التراث الفني وطرق عرضه ، وزارة الشئون الثقافية ، تونس ، ندوة حول هذا الموضوع ، دراسات ملتقى خميس ترنان ، منشورات الحياة الثقافية ١٩٧٨م ، ص ٧-١٠.

(٢) فن الرسم عند قدماء المصريين ، وليم . هـ . بيك ، ص ٤٥.

أومريديه وفي نقش الأساطير على جدران الهياكل والمعابد ... ويبتدىء في الرسم عمق الشعور الديني وفرط حاسيته"(١) .

ولبيان إنعكاس العقيدة في الفن غير ماسبق سأذكر بعض المذاهب الفنية ودلالتها:

١- الرومانتيكية : مذهب من مذاهب الرسم والتصوير جاءت " ثورة على الفن الكلاسيكي وعلى الأصول والتقاليد الفنية المفروضة على الفنان .

فلاتعرف الرومانتيكية القواعد المحفوظة أو الأساليب الموروثة أو المشاعر الملقنة وإنما هي تعبر عن إنطلاق وجدان الفنان وتدفق خياله للتعبير عن الإنفعالات النفسية والعاطفية من خلال تعبير فني إنساني .

وقد اعتمد الفن الرومانتكي منذ البداية على المبالغة في تصوير المشاهد فالحركات تكون أشد عنفاً والألوان أزهى دائماً من الواقع والأبطال أعظم بطولة، الأشرار أشد شراسة وفتكاً والنساء أروع فتنة"(١) .

٢- التعبيرية : " تصدر عن إنفعال باطن يطغى على الوجدان فينعكس على اللوحة دون التقيد بالطبيعة أو المنظورات الواقعية .

وقد نشأت في ألمانيا حيث الأساطير الحافلة بحكايات الجن والعفاريت والغيلان المخيفة ... ومن هذه المدرسة (بول كليه) السويسري الذي تميزت أعماله بشرود الخيال والتغلغل في عالم الأشباح والشياطين "(٢) .

٣- التكعيبية: " هي تصوير عالم جديد خارج من إحساس الفنان يعبر عنه بالأجسام المكعبة والإسطوانية والمخروطية . ويتحول كل شيء إلى أشكال هندسية"(٣) .

٤- الدادية : " ويهدف الداديون إلى مهاجمة القيم وتخريب الجماليات ومعادات الذين يحترمون الفن والجمال والإبداع .. كما يهدفون إلى السخرية من الفن ذاته وعرض كل ماهو قبيح وغريب وعابث وغير معقول وتقول فلسفتهم : لابد من

---

(٣) البوذية ، فؤاد محمد شبل ، ص ٢٢٢-٢٢٣.
(١) الفن الإسلامي إلتزام وإبداع ، ص ١٠٦.
(٢) المصدر السابق ، ص ١١٠،١١١.
(٣) الفن الإسلامي ،ص ١١١.

خلق فن يناقض الفن .. وأصبح شعارهم : كل شيء يساوي لاشيء إذن: فاللاشيء هو كل شيء .. ولها مظاهرها الجنونية من معارض عجيبة وحفلات رقص شاذة وأمسيات شعر لامعقول حافل بألوان البلاهة المصطنعة"(١) .

٥- السريالية :

" إن السريالية في الفن – في رأى هذه المدرسة – إتجاه إلى تحرير الإنسان من عبوديته ومن سيطرة العالم الخارجي بل وتحريره من العقد ومن الكبت الجنسي فالواقع الدفين في أعماق الفنان هو الذي يحرك يده لكي ينتج معبراً عن رغباته وأحلامه وآماله وقد يظهر هذا التعبير في صورة أساطير خيالية خرافية تكون في بعض الأحيان كالطلاسم التي يستعصي على المشاهد فهمها"(٢) .

وقد (قال مايكل لايرس) وهو سريالى معروف : "إنني لم أعد أؤمن بشيء حتى بالألوهية ولاأؤمن بعالم آخر" (٣) .

فهذه الأنواع من أنواع الفن تجسد عقائد القائمين عليها وقد نشأت جميعها في بلاد الغرب وانتقلت إلى بلاد المسلمين(٤) .

والمطالبة بإرجاع الفن إلى الآثار معلنة باسم الفن لربط الناس ولفت نظرهم إلى الآثار والإستلهام منها لتنعكس العقائد الوثنية المستلهمة من الآثار وتنتشر بين المسلمين ومن المعلوم أن جماهير الناس تدفع الفنانين لمواصلة عملهم وذلك بإظهار رضاهم عن عمل الفنانين أو بسكوتهم عن إنكاره ممايوحي أن الفنانين بعملهم هذا يمثلون موافقة جماهير الناس من ذلك :

"رابطة الفنانين المصريين:

---

(١) المصدر السابق ، ص ١١٥.
(٢) الفن الإسلامي ، ص ١١٧.
(٣) الإسلام بين الشرق والغرب علي عزت بيجوفيتش ، ص ١٤٥.
(٤) انظر الفن الإسلامي ، ص ١٠٦-١١٧.

تشكلت أيضاً في بداية الثلاثينيات من الفنانين : إبراهيم جابر ، أحمد عثمان، سعيد الصدر ، عزت مصطفى ، عبدالعزيز فهيم ، لمناهضة الإتجاهات الإستعمارية في الفن بالعودة إلى الجذور العريقة وتعني به الفن المصري القديم"(١).

فهذه دعوة إلى الإهتداء بالجاهلية لمناهضة الإتجاهات الإستعمارية فتكون فراراً من الرمضاء إلى النار.

والتصوير ونحت التماثيل مدعاة إلى الشرك والوثنية قامت ابتداء بتقديس الصور(٢) .

والبحث عنها والتنقيب يراد به إحياءها ومحاكاتها واستنطاقها " ومهما يكن من أمر التحولات الطارئة على العالم في مجال الفنون التشكيلية في هذا العصر المتغير فإنه لاينبغي لنا أن نتنكر لفنوننا أو نهمل تراثنا الذي ينبغي أن يسري في دمائنا مسرى العقيدة ... ومن أجل هذا كان تركيزنا بخاصة على الحضارات الفنية المصرية والقبطية والإسلامية ... باعتبار أن هذه الحضارات هي محور الجمال الفني الذي قام على ثرى أرض مصر الخالدة"(٣) ومن أين لها الخلود .

ومايذكر من فنون في النحت والتصوير والعمارة ترجع أصوله عندهم إلى" فنون العالم القديم ولابد أن يكون مدينا بالكثير للفنون التي سبقته ، ولما كان مهد الفنون آسية الغربية التي شهدت إزدهار أكثر الحضارات أهمية فقد جنى من تراثها ولكن اختار منها "(٤) وكثيراً مايذكرون أن الحضارة والعمارة الإسلامية

---

(١) التراث المفقود ، نبيل فرج الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠، ص ١١٤.

(٢) انظر : جمالية الرسم الإسلامي ، ألكسندر باب دوبولو ، ترجمة علي اللواتي ، نشر مؤسسات عبدا لله بن عبدا لله، تونس ، ص ١١. وانظر الفنون الجميلة في العصور الإسلامية ، ص١١٥.

(٣) التذوق وتاريخ الفن ، محمود النبوي الشال ومحمد حلمي شاكر وزينب محمد علي ، دار العالم العربي للطباعة، القاهرة، مصر، طبعة ٨٢/٨٣، ص ٤-٥.

(٤) الفنون الجميلة في العصور الإسلامية ، ص ٦.

قد اقتبست أو سرقت من العمارة الإغريقية واليونانية والفارسية وغير ذلك وسيجد القارىء عن ذلك كثيراً من ذلك ، عن المساجد وأعمدتها حتى المسجد الحرام بمكة وعن القصور والقلاع وقناطر الري ويفوت عليهم أن كثيراً من الصناع دخل في الإسلام .

وينسبون آثاراً محرمة من تصاوير لأشخاص ونحوها للمسلمين وأنها إنتاج إسلامي ومن ذلك قصير عمرة الذي ينسب إلى عهد الدولة الأموية وهو قصر فيه تصاوير لزعماء وقادة كقيصر وكسرى وملك إسبانيا وملك الحبشة وتصاوير فيها شراب ورقص ونحو ذلك ويلصقون ذلك بالمسلمين فما يمكن أن يكون مباحاً من الزخارف يتهم المسلمون بسرقته من غيرهم من الأمم وماكان في بلاد المسلمين أو صنع فيها وهو مخالف للإسلام ينسب إلى الإسلام وإن لم يصنعه المسلمون مع العلم أنه إذا كان المصنوع مخالفاً للإسلام وصنعه مسلم فإنه لايصطبغ ذلك العمل بصبغة الإسلام بل هو مخالف للإسلام .

المبحث الثاني
زعزعة الولاء والبراء لدى المسلمين

زعزعة الولاء والبراء لدى المسلمين :

المسلمون في بلدانهم بمجموعهم لابد أنهم شاهدوا مخلفات الأمم الجاهلية في أماكن متفرقة من بلدان المسلمين لكنها لاتلفت أنظارهم بإجلال وتعظيم وليس لها في قلوبهم مكانة وليس في قلوبهم محبة لها .

لكن بعد نبش تلك الآثار وتمجيدها وأنها أساس الحضارات العالمية ومركز الفخر والعظمة تغيرت قلوب بعض المسلمين فاهتمت بها وراحت تعدد أمجادها وتذكر سيرها وهو مايقصده دهاقنة الكفر من نبشها ، ولقد فاحت بعض العبارات والتصريحات مصرحة حيناً وملمحة حيناً آخر أن الهدف هو صرف ولاء المسلم إلى تلك الوثنيات بدلاً من أن ينصرف إلى الإسلام والمسلمين فيكون حبه للآثار ولمن يشتركون معه بكونها أصلاً تاريخياً لهم جميعاً فيوالى النصراني والملحد من بلاده الذي يمجد تلك الوثنيات باعتبار أنه يشترك معه فيها بأنها آثارهم جميعاً .

وقد كان زعزعة الولاء من كونه للإسلام والمسلمين إلى تلك الوثنيات المحلية في كل بلد هدفاً ثم أصبح حقيقة واقعية .

فهي هدف يوم قال أحدهم : "إننا في كل بلد إسلامي دخلناه نبشنا الأرض لنستخرج حضارات ماقبل الإسلام. ولسنا نطمع بطبيعة الحال أن يرتد المسلم إلى عقائد ماقبل الإسلام ولكن يكفينا تذبذب ولائه بين الإسلام وبين تلك الحضارات"(١) .

ولاشك أن العاطفة والولاء عند المسلم كلما اتجه للوطن يضعف بناء المجتمع المسلم وأن ضعف المجتمع المسلم إنتصار حاسم لقوى أوربا(٢).

ويعنى باتجاه عاطفة وولاء المسلم للوطن أي لمجده الغابر قبل الإسلام وما به الإعتزاز الضارب في القدم المبني على الآثار ، وقراءة الكتاب توضح ذلك .

---

(١) انظر : واقعنا المعاصر ، ص ٢٠٢، نقلاً من Neareastculture and society, Edited by T. cuyier Young

(٢) انظر : وجهة الإسلام ، جب ، ص ٣٩.

وإيثار الحضارات الوثنية من فرعونية وآشورية وكلدانية وطورانية وفينيقية وهندوكية وتقديمها على الإسلام والتفاخر بها وتعظيمها ومحبتها وبناء الروابط بموجبها كل فيما يخصه منها هذا هو صرف الولاء لها والبراء من أجلها فلاتكون الهيمنة في قلوب المسلمين للإسلام بقدر ماهي لذلك التاريخ الوثني الجاهلي وأمجاده المزعومة الذي ترجم إلى محبة الوطن والتمجيد للوطن ولأجل الوطن " وكان من النتائج العجيبة لتأثير مدنية الغرب أنه غذت هذه النزعات – أي الوطنية – بمابعثت من مدنيات قديمة كانت مزدهرة من قبل في البلاد التى احتلتها شعوب الإسلام .

وإن طيف الحضارة الحيثية يبعث افتتاناً قوياً في بعض الزعماء الأتراك وشجع كشف مقبرة "توت عنخ آمون" بعض الدوائر الأوربية في مصر على إحياء "الحضارة الفرعونية" وهي حركة لم تمت بعد .

وحدثت مثل هذه النتائج أيضاً في أندونيسيا بسبب العثور على الحضارة الهندوكية الجاوية .

وربما تحدث الحضارة السومرية أو البابلية تأثيراً كهذا في العراق كما فعل ذلك – لاريب – العثور على الحضارات الفارسية القديمة في فارس"(١) وقل مثل ذلك عن سوريا وغيرها من بلدان المسلمين لكن قد تحقق ذلك فعلاً الآن .

وا لله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون ا لله أنداداً يحبونهم كحب ا لله والذين آمنوا أشد حباً لله﴾(٢) .

"يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا وماهم في الدار الآخرة حيث جعلوا له أنداداً أي أمثالاً ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه وهو ا لله لاإله إلا هو"(٣)

---

(١) وجهة الإسلام ، جب ، ص ٢٢٢.
(٢) سورة البقرة آية ١٠٩.
(٣) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) ٢٠٢/١.

فذكر أن من الناس من يتخذ من دون ا لله أنداداً بمعنى نظـراء ومثـلاء يسـاويهم في ا لله بالمحبة والتعظيم ، ومن كانت هذه حاله بعد إقامة الحجة وبيان التوحيد علم أنه معاند لله مشاق له معرض عن تدبر آياته والتفكر في مخلوقاته فليس لـه أدنـى عـذر في ذلك ، بل قد حقت عليه كلمة العذاب ، لكن المؤمنين يحبون ا لله حباً أشـد مـن حب أهل الأنداد لأندادهم لأنهم أخلصوا محبتهـم لله وأهـل الأنـداد أشـركوا بهـا غيرها .

ولأن المؤمنين أحبوا من يسـتحق المحبـة علـى الحقيقـة الـذي محبتـه هـي عـين صلاح العبد وسعادته وفوزه .

والمشركون أحبوا من لايسـتحق مـن الحـب شيئاً ومحبتـه عـين شـقاء العبـد وفساده وتشتت أمره(١) .

وماحال معظمي الآثار الوثنية معها إلا كحال المشـركين مـع أوثـانهم فكـل منها له مكانة وتقديس وتعظيم في قلوب كل منهم ومع كونها جميعاً في صف أعداء ا لله إلا أنهم صرفوا ولاءهم لها مع أن حقها أن تعتزل وتحطـم وتطمـس جميعـاً قـال تعالى عن إبراهيم عليه السلام كقدوة للمسلمين في التعامل مـع الآثـار الوثنيـة مـن تماثيل ونحوها : ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا بـه عـالمين . إذ قـال لأبيـه وقومه ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عـابدين . قـال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين . قالوا أجئتنا بـالحق أم أنـت مـن اللاعبـين. قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشـاهدين وتا لله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين﴾(٢) وقال سبحانه وتعالى : ﴿أفرأيتم ماكنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقدمون . فإنهم عدو لي إلا رب العالمين﴾(٣) .

---

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن (تفسير ابن سعدي) ١/ ١٩٥-١٩٦.
(٢) سورة الأنبياء الآيات : ٥٢-٥٧.
(٣) سورة الشعراء الآيات : ٧٥-٧٧.

أما الكفار فإنهم يريدون للمسلمين الكفر ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ود كثير من أهل الكتاب لويردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق﴾(١) .

فإذا كان ود الكفار أن نرجع إلى الكفر فهذا شأنهم لكن إن نحن استجبنا لهم فنكون قد مددنا جسر المودة فيما بيننا وبينهم ، هذا " ويحذر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك الكفار من أهل الكتاب ويعلمهم بعدواتهم لهم في الباطن والظاهر وماهم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين "(٢) فعلى المؤمنين أن يعادوهم ويحذورا أحابيلهم وخدعهم ، ومن أهم مايقومون به الآن نبش الوثنيات ورفع رايتها وإعزازها باسم البحث العلمي ومعرفة سير الحضارات فكيف يرضى المسلمون بهذه الأوثان تغرس في ميادين البلاد الإسلامية ويكون لها من المجد والتكريم مالاتستحق أدنى جزء منه، وهي المعبودة من دون الله وهي جرثومة الشرك ودابته الذلول .

وقال سبحانه وتعالى ﴿ لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء﴾(٣) .

"نهى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين وأن يتخذوهم أولياء يسرون إليهم بالمودة من دون المؤمنين ثم توعد على ذلك فقال : ﴿ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء﴾ أي ومن يرتكب نهي الله في هذا فقد برىء من الله كما قال تعالى : ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة... إلى أن قال : ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل﴾(٤) وقال تعالى: ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم

(١) سورة البقرة آية ١٠٩.
(٢) تفسير القرآن العظيم ١٥٣/١.
(٣) سورة آل عمران آية ٢٨.
(٤) سورة الممتحنة آية ١.

أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾(١)وقال سبحانه وتعالى بعد ذكر موالاة المؤمنين من المهاجرين والأنصار والأعراب ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾(٢)(٣) .

فهذا نهي من الله وتحذير للمؤمنين أن يتخذوا الكافرين السابقين واللاحقين أولياء من دون المؤمنين ، وأن حال المؤمنين موالاة ومحبة السابق من المؤمنين مهما تقادم بهم الزمن كما قال تعالى : ﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾(٤) .

فكذلك المعاداة بين المؤمنين والكفار خطها ضارب في القدم بأي اتجاه فهي عداوة بين المؤمنين والكافرين سواء كان الكفار معاصرين أم من الغابرين أم من الذين سيكونون.

والموالاة للمؤمنين وفيما بينهم للسابقين منهم واللاحقين والمعاصرين فما بال المسلمين يوالون الوثنية والوثنين المتمثلة بالآثار من الصور والتماثيل وأصحابها الأقدمين ليس من حجة ولاسند إلا أن البلد واحد وقد قطع الله مابين نوح عليه السلام وابنه ومابين إبراهيم عليه السلام وأبيه وقد قتل أبوعبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه والده في غزوة بدر(٥) حيث كان والده في صف الكفار .

قال سبحانه وتعالى : ﴿لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولوكانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار

---

(١) سورة المائدة آية ٥١.
(٢) سورة الأنفال آية ٧٣.
(٣) تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٥٧.
(٤) سورة الحشر آية ١٠.
(٥) سير اعلام النبلاء ١/ ٨.

خالدين فيها رضي ا لله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب ا لله ألا إن حزب ا لله هم المفلحون﴾(١) .

فقوله سبحانه وتعالى : ﴿لاتجد قوماً يؤمنون با لله واليوم الآخر يوادون من حاد ا لله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾. معناه: " أي لايجتمع هذا وهذا فلايكون العبد مؤمناً بـا لله واليوم الآخر حقيقة إلا كان عاملاً على مقتضى إيمانه ولوازمه من محبة من قام بالإيمان وموالاته ومن بغض من لم يقم به ومعاداته ولو كان أقرب الناس إليه .

وهذا هو الإيمان على الحقيقة الذي وجدت ثمرته والمقصود منه ...

وأما من يزعم أنه يؤمن با لله واليوم الآخر وهو مع ذلك مواد لأعداء ا لله محب لمن نبذ الإيمان وراء ظهره فإن هذا إيمان زعمي لاحقيقة له فإن كل أمر لابد له من برهان تصدقه فمجرد الدعوى لاتفيد شيئاً ولايصدق صاحبها"(٢) .

وحال الآثاريين أنهم يدعون المسلمين إلى موالاة الطغاة والكافرين الأقدمين ومحبتهم ومحبة بقاياهم بحجة أنهم في أرضنا، وهم البعداء عنا ديناً ونسباً فكيف يتم هذا والمؤمن لايكون مؤمناً إذا كان يود ويحب من حاد ا لله ورسوله ولو كان ذلك المحاد لله ولرسوله من آبائه أو أبنائه أو إخوانه أو عشيرته؟ !!.

وقال تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾(٣) .

فيبين ا لله عز وجل أن فريقاً من الذين أوتوا الكتاب همهم أن يردوا المسلمين بعد الإيمان إلى الكفر .

وإن من أيسر السبل لذلك هو تزيين الأوثان والربط بينها وبين المسلمين بجسر من المحبة والمودة والموالاة تتغلغل في القلوب حتى إن المسلمين ليدافعون عن

---

(١) سورة المجادلة ، آية ٢٢.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي) ٧/٣٢٢-٣٢٣.
(٣) سورة آل عمران آية ١٠٠.

جراثيم الوثنية من التماثيل والصوروبحافظون عليها بعد أن أمروا بطمسها ومعاداتها واعتزالها والتبرؤ منها وبعد أن كان هذا حالهم معها، وأن من يفعل ذلك فلايغيبن عنه قول ا لله سبحانه وتعالى:﴿بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً.الذين يتخذون الكافرين أولياءمن دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً﴾(١) .

فمن أظهر الإسلام وهو محب للكفار وموالياً لهم وناصراً لهم مع تركه لموالاة المؤمنين فهذا مستمسك بأوثق أسباب النفاق فهو في بؤرة النفاق ومن كان كذلك فإن ا لله عز وجل يبشره بأقبح بشارة وأسوأها وهذه البشارة هي : أن له العذاب الأليم .

ومن كانت هذه صفاته وحاله فما مقصوده من ذلك ؟

هل يريد من الكافرين ويبتغي عندهم العزة كلا لن يجدها فإن العزة لله جميعاً وقد جعل ا لله العزة له سبحانه وتعالى ولرسله ولعباده المؤمنين قال تعالى : ﴿و لله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون ﴾(٢) .

وإن نبش الآثار وإظهارها ليطلب به الآثاريون ومن سايرهم العزة والمجد والتقدم ويطلبونها من مزابل الوثنية : أصنام وصور ، ومن القائمين عليها من كهان ونحوهم وإن محبتها ومودتها والإعتزاز بها والإفتخار بمآثرها أيا كانت لهي من الشرك والكفر بمكان ، وأن ذلك جسر من الموالاة والمحبة يراد للمسلمين أن يقيموه بينهم وبين الوثنية الجاهلية القديمة بقصد أن يتخذوا الكافرين وأوثانهم أولياء يعتزون بهم ويفاخرون ، وفي هذه الآية الترهيب العظيم من موالاة الكافرين وترك موالاة المؤمنين وأن الإيمان يقتضي محبة المؤمنين وموالاتهم وبغض الكافرين وعداوتهم(٣) .

---

(١) سورة النساء ، آية ١٣٨-١٣٩.
(٢) سورة المنافقون آية ٨.
(٣) انظر تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي) ١٩٧/٢.

وقد قال الله تعالى : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده﴾(١) .

فقوله سبحانه وتعالى : ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة ﴾كقوله تعالى : ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً﴾(٢) .

فأمر سبحانه أن نتأسى بإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ومن معه من المرسلين في قولهم لقومهم ﴿إنا برآءوا منكم ومما تعبدون من دون الله ﴾ وإذا كان هذا واجباً على المسلم وأن يقول هذا لقومه الذين هو بين أظهرهم فكونه واجباً مع الكفار الأبعدين أبين وأبين وإذا كان كذلك فهو أوجب مع الكفار الغابرين الذين ماتوا مع أدوات كفرهم من الأوثان من التماثيل والصور وغيرها .

وفي قوله تعالى : ﴿إنا برآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله﴾ تقديم البراءة من المشركين العابدين غير الله على البراءة من الأوثان المعبودة من دون الله لأن الأول أهم من الثاني فإنه قد يتبرأ من الأوثان ولايتبرأ ممن عبدها فلايكون آتياً بالواجب عليه وأما إذا تبرأ من المشركين فإن هذا يستلزم البراءة من معبوداتهم وهذا كقوله تعالى : ﴿ وأعتزلكم وماتدعون من دون الله﴾(٣) فقدم اعتزالهم على اعتزال معبوداتهم وكذا قوله تعالى : ﴿ فلما اعتزلهم ومايعبدون من دون الله﴾(٤) وكقوله تعالى : ﴿وإذ اعتزلتموهم ومايعبدون إلا الله﴾(٥) فإن في ذلك التقديم فتح باب إلى عداوة أعداء الله فكم من إنسان لايقع منه الشرك ولكنه لايعادي أهل الشرك فلايكون مسلماً بذلك .

---

(١) سورة الممتحنة آية ٤ .
(٢) سورة النحل آية ١٢٣ .
(٣) سورة مريم آية ٤٨ .
(٤) سورة مريم آية ٤٩ .
(٥) سورة الكهف آية ١٦ .

ثم قال سبحانه وتعالى : ﴿ كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا با لله وحده﴾(١) فقوله "بدا" أي ظهر وبان ، وقدم العداوة على البغضاء لأن العداوة للأوثان وعابديها والداعين لها بشتى الوسائل أهم من البغضاء وإن كانت مطلوبة لأن الإنسان قد يبغض المشركين ولايعاديهم فلايكون آتيا بالواجب عليه حتى تحصل منه العداوة والبغضاء ولابد أيضاً أن تكون العداوة والبغضاء باديتين ظاهرتين بينتين .

ولما كانت البغضاء متعلقة بالقلب فإنها لاتنفع حتى تظهر آثارها وتتبين علامتها ولاتكون كذلك حتى تقترن بالعداوة والمقاطعة فحينئذ تكون العداوة والبغضاء ظاهرتين .

وأما إذا وجدت الموالاة والمواصلة والبحث عن مواضع الإتفاق واتخاذها نبراساً وقدوة ومرتكزاً للإفتخار ونواة للمجد فإن ذلك يدل على المحبة لها وذلك على حساب دين الإسلام(٢) .

كذلك التشبه بأزياء الجاهلية المقتبسة من الآثار والتشبه بالعادات والهيئات يفضي ويورث نوع مودة ومحبة وموالاة في الباطن كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة حتى إن الرجلين إذا كانا من بلد واحد ثم اجتمعا في دار غربة كان بينهما من المودة والائتلاف أمر عظيم وإن كانا في بلدهما لم يكونا متعارفين أو حتى كانا متهاجرين أحياناً، بل لو اجتمع رجلان في سفر أو بلد غريب فكانت بينهما مشابهة في العمامة أو الثياب أو الشعر ونحو ذلك لكان بينهما من الائتلاف أكثر مما بين غيرهما ممن لايعرفونهما

---

(١) سورة الممتحنة آية ٤ .

(٢) وانظر مجموعة التوحيد ١/٣٣٤-٣٣٥.

فإذا كانت المشابهة في أمور دنيوية تورث المحبة والموالاة فكيف بالمشابهة في أمور دينية أو أخلاقية أو موافقة في العادات والهيئات فإفضاؤها إلى نوع من الموالاة أكثر وأشد(١) .

والغرض من معاداة الكفار من قبل المسلم هو أن تبقى شخصية المسلم واضحة قوية متميزة بارزة المعالم ترى دلائل الإسلام ظاهرة فيها وفي كل حركة من حركاتها(٢) .

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ١/٤٨٠-٤٩٠ وهو كتاب كله مهم في هذا الباب . وانظر مجموعة التوحيد ١/٣٤٠ .

(٢) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، محماس بن عبدا لله بن محمد الجلعود ، الطبعة الأولى/ ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م ، ص ٤٦.

المبحث الثالث

الدعوة إلى القوميات والعنصريات

الدعوة إلى القوميات والعنصريات :

الإنسان بطبعه وغريزته يلتفت إلى الماضي ويعتز به فإن لم يكن آخذاً بالشرع بإخلاص ، واتباع ، فمن الممكن أن الماضي يغذي العقول بما يضرها ولقد أدرك كثير من الساسة فعل الآثار في ترسيخ الوطنية وجعلها جامعة يلتقى عليها وحولها أبناء الوطن على تعدد واختلاف نحلهم وأفكارهم وعقائدهم وهذا مفسد للإسلام" وعلى سبيل المثال :

فإن هتلر وموسوليني كل منهما فهم جيداً مدى اجتذاب الماضي للمواطنين وعهدوا إلى مجموعات ممن أسموهم علماء ودارسين لاستخراج دعاوى باطلة وبراقة حول منجزات مجيدة للألمان القدماء والرومانيين"(١) .

ثم نقل ذلك إلى المسلمين ونشر بينهم وكثر دعاة القومية والعنصرية الوطنية يركزون على الآثار الجاهلية كقوله بعضهم :" إن أول مانحتاج إليه في تحقيق النهضة التي نصبو إليها هو الإلتفات إلى تاريخنا وتراثنا..

نريد أن نلتفت إليه ونتفهمه لنكتشف فيه جذور شخصيتنا فننفض عنها غبار الزمن ونرعاها ، وسر عبقريتنا فنستلهما ونفجر كوامن طاقاتها ، وعناصر رسالتنا إلى هذا العالم المضطرب فننشرها...

أما إذا لم يكن بد من الإستشهاد بأوربا فلنذكر أنها لم تنهض نهضتها العظيمة الحاضرة إلا بالرجوع إلى تراثها في حضارة الإغريق والرومان وآباء الكنيسة في القرون الوسطى ثم بالبناء الذكي على ماوضع أولئك من قيم وتقاليد وفلسفات مازالت هي المنهل الذي تستقي منه وتستلهمه"(٢) .

"فمن حق المصريين ومن الواجب عليهم أن يستثيروا دفائن الفراعنة جميعاً وأن يربطوا حاضرهم وماضيهم رباطاً ظاهراً لكل عين ، وإنهم إذاً ليضيفون إلى

---

(١) رجال الآثار ، روبرت . ج ، بريدوود ، ص ١٠.

(٢) فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام ، ص ٢٨٨-٢٨٩.

قوتهم قوة وليضاعفون مجدهم أضعافاً وليزدادون لذلك بالحياة استمتاعاً لها وتذوقاً.."(١) ثم بين أن ذلك يتم بالبحث عن موضع الإتصال بين مصر القديمة ومصر الحديثة في ميادين الأدب وكتب العقائد وطقوس العبادة...

"لقد نهضت إبلا من رقادها المديد لتقول كلمتها وتبوح لنا بأسرارها المذهلة وعلى الرغم من أن ماكشف – حتى الآن – من مكنوناتها هو جزء فقط مما ينتظر القيام به في السنوات القادمة فإن ماعرفناه كبير وكبير جداً وهذا مادعانا إلى كتابة صفحات هذا الكتاب من منطلق شمولي مبسط عساه يجد صداه لدى القارىء العربي المتعطش إلى معرفة تاريخه القديم وجذوره القومية ... خاصة وأن في اكتشافاتنا الآثارية المتلاحقة مايدعو إلى الإعتزاز بتراثنا الحضاري واستلهام الماضي من أجل الحاضر والمستقبل المشرق"(٢) .

"إن الشعور القومي ظاهرة راسخة سائدة في أي بلد إسلامي وهو يحمل معه رائحة دخيلة ، وكان الشعور الإسلامي ينزع على الدوام إلى هدم الفوارق الجنسية حتى أنه ليصعب التصديق أن هذه الفوارق ستسهل الآن إقامتها من جديد .

ولكن هناك شرذمة من المفكرين في بعض البلاد استهواهم التعصب الجنسي وهذا أيضاً أقوى مايكون في تركيا حيث نجد أن فكرة الجامعة التركية التي قبل الحرب قويت أثناء الحرب وكانت سبباً في كثير من الحركات التالية في الحكومة الجمهورية.

ولبلاد المغرب – كما أبان الاستاذ ماسينون – زعماؤها الذين يريدون سيادة الجنس البربري ، وليست حركة الجامعة العربية في غرب آسيا برئية من مثل هذه العناصر براءة تامة وكان من النتائج العجيبة لتأثير مدنية الغرب أنها غذت هذه النزعات بما بعثت من مدنيات قديمة كانت مزدهرة من قبل في البلاد التي احتلتها شعوب الإسلام .

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، ١٤٩/٢.
(٢) إمبراطورية إبلا ، ص ٧.

وإن طيف الحضارة الحيثية يبعث افتتاناً قوياً في بعض الزعماء الأتراك وشجع كشف "مقبرة توت عنخ آمون" بعض الدوائر الأدبية في مصر على إحياء "الحضارة الفرعونية" وهي حركة لم تمت بعد ، وحدث مثل هذه النتائج أيضاً .

في أندونيسيا بسبب العثور على الحضارة الهندوكية – الجاوية .

وربما تحدث الحضارة السومرية أو البابلية تأثيراً كهذا في العراق كما فعل ذلك – لاريب – العثور على الحضارات الفارسية القديمة في فارس غير أنه لايحتمل على الأقل – أن يكون " لهذه الأطياف " في معظم شعوب العالم الإسلامي أثر يقارن بالأثر الذي أحدثه إحياء التراث الإغريقي في اليونان أوائل القرن الماضي...رغم أنها ربما تكون في المستقبل عنصراً مغذياً للحياة القومية"(١) .

والتاريخ بامتداد جذوره في عمق الزمن مهم لتغذية القوميات "فنشأت القومية اليونانية على أساس تذكير التاريخ ...

نشأت الفكرة القومية البلغارية على أساس إحياء اللغة البلغارية والتذكير بالتاريخ البلغاري ...

وأما عند الأتراك فالأمور كانت أكثر تعقيداً من جميع النماذج التي ذكرناها آنفاً لأن الشعب التركي كان العنصر الحاكم في دولة إسلامية كبيرة تجمع بين السلطنة والخلافة فالشعور القومي ظل تابعاً للشعور الديني مدة طويلة وذلك أوجد بعض الحالات الخاصة التي حملت القوم على معالجة الأمور بأساليب ووسائل خاصة وكان أهم هذه الوسائل إصلاح اللغة والأدب بنظرات قومية بحتة ، وإعادة النظر في مباحث التاريخ على أساس تبعيدها من النظرات الدينية وإيجاد تاريخ تركي جديد يثير في النفوس حس الغرور والمباهاة بأمجاد الأجداد"(٢) ويمكن أن

---

(١) وجهة الإسلام ، جب ، ص ٢٢٢-٢٢٣.

(٢) فكرة القومية العربية ، ص ٣١-٣٢.

يفعل بالعرب مثل ذلك التشتيت فيمكن " إثارة روح الوطنية في نفوس العرب بمناشدتهم أن يذكروا أمجادهم الغابرة وأن يثوروا على الأتراك فيطردونهم من على الأرض العربية"(١) .

وهذا بالتالي يفتت أقطار المسلمين لأنها قبل ذلك متحدة متماسكة فعدم وجود التمييز العنصري بين المسلمين هو أحد أبرز الإنجازات الأخلاقية للإسلام(٢) وهذا مالايريده الإفرنج إذ يقول أحد ساسة الغرب " أهدافنا الرئيسية : تفتيت الوحدة الإسلامية ودحر الامبراطورية العثمانية وتدميرها"(٣) .

" وبذلت بريطانيا ومثيلاتها من دول استعمارية كثيراً في بث أفكار الفرقة والتناحر بين العرب وبين أنفسهم وقد كانوا بالأمس حلفاء فإذا هم دعاة إلى الوثنية الجاهلية باسم الإهتمام بالآثار وتعظيمها وبعث التراث ، وعن طريق المستشرقين وعلماء الآثار المبشرين وغيرهم تحشد الجهود لبعث الدوارس الجاهلية ونبش القبور وحفر المدافن تنقيباً عن الفوارق في العادات واللغات والأوطان والأجناس بغية تعميق الإحساس وتضخيمه بالفوارق الشخصية حتى يطغى هذا الإحساس إلى حد التفريق بين المتماثلات والتسوية بين المختلفات من غير اعتدال"(٤) والآثار هي الأداة الفعالة في " إثارة روح الوطنية في نفوس العرب بمناشدتهم أن يذكروا أمجادهم الغابرة"(٥) .

"وتاريخ بلاد الشرق الأدنى والأوسط يسير في ثلاث دوائر متحدة المركز

---

(١) فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام ، ص ١٢٠.

(٢) لورنس العرب على خطى هرتزل " تقارير لورنس السرية" ، ص ١٠١من تقارير لورنس . وانظر وجهة الإسلام ، جب ، ص ١٠-١٥وهو مهم.

(٣) لورنس العرب على خطى هرتزل " تقارير لورنس السرية " ، ص ٧٠.

(٤) فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام ، ص ١٣٧-١٣٨.

(٥) المصدر السابق ، ص ١٢٠.

هي : الإسلامية والعربية والقومية(١) ولاتزال مسألة أي من هذه تقدم أنسب الهياكل لفهم الماضي هي موضوع جدل ، لقد كان الهيكل العام تقليداً إسلامياً أو بعبارة أخرى أن الإسلام كان يبحث كوحدة تعتبر فيه مختلف بلاد الشرق الأوسط مجرد أجزاء ، ولكن منذ أن ظهرت القومية في الشرق الأوسط أصبح الإتجاه العام نحو نقل التأكيد من الوحدة الدينية إلى الوحدة السياسية ومن المعالجة المرتكزة على شئون البعث والقيامة إلى التركيز على الأمور الدنيوية والقومية ، وأول مابدأ هذا في تركيا ، حيث رسم بعد ثورة ١٩١٨ خط يفصل بين التاريخ القومي التركي وبين التاريخ الإسلامي ثم امتد إلى بلاد أخرى أي إلى إيران ومصر وسوريا ولبنان، وعندما حصلت هذه الدول على استقلالها ، وكما كان الحال في أجزاء أخرى من آسيا فإن التفسير القومي للتاريخ شجعته وغذته الحكومات إبتداء من مصطفى كمال في تركيا .

وكانت هذه الحكومات تؤمل أن تبني بهذا العمل شعوراً بالتماسك والصلابة القومية وقد سنت في سوريا ولبنان مراسيم حكومية نصت بوضوح على أن الغرض من التاريخ هو تقوية العواطف القومية والوطنية في قلوب الناس وكانت نتيجة هذا الدافع القومي الجديد هو عدم الإقتصار على العهود الإسلامية وحدها وقد التفت الأتراك في بحث الإلهام القومي إلى تاريخ الشعوب التركية في بلادهم الأصلية في أواسط وشرق آسيا وقام بعض المؤرخين المصريين بمثل ماقام به الأتراك فأخذوا يبحثون عن جذور الشعب المصري قبل الإسلام في مصر الفرعونية وأثار بعض العراقيين الماضي الآشوري ، وتتبع اللبنانيون تاريخهم وأرجعوه إلى الفينيقيين أما المؤرخون الإيرانيون فقد نددوا بجهل الملالي وخرافاتهم واتهموا

---

(١) الدائرة الإسلامية تشمل جميع المسلمين والدائرة العربية تعنى العرب فقط على تنوع دياناتهم ويخرج بقية اخوانهم من المسلمين الأتراك والأفغان والهنود وغير ذلك والدائرة القومية أي الوطنية المحلية فكل دولة منفكة عن غيرها وتجمع شعبها على اختلاف نحله على محبة ترابه وتستخدم الآثار وسيلة لذلك .

العرب بتدمير الحضارة الساسانية الرائعة"(١) .

" ولقد أجفل المبشرون لما سمعوا النداء الوطني (مصر للمصريين) فقالوا إن هذا يعني (مصر للمسلمين)(٢) . ولذلك رجا المبشر صموئيل زويمر في ذلك الحين من بريطانية أن تبدل سياستها تبديلاً أساسياً في وقت قريب وأن تعلن حياداً تاماً يشعر مصر بقوة بريطانية وبنعمها ومعنى ذلك عند زويمر بلاريب (فتح مصر للتبشير بالقوة). ولماخاب المبشرون في وقف تيار القومية الصحيحة(٣) عمدوا في كل بلد إلى أقلية غير مسلمة في الأكثر وحاولوا أن يضموا إليها نفراً بارزاً من المسلمين كما اتفق لهم في مصر فقط ليلفقوا لأهل كل قطر مسلم قومية وهمية جديدة . لقد ارادوا أن يبعثوا (الفرعونية) من خلال حجارة الأهرام في مصر ، والفينيقية من خرائب الساحل الممتد من يافا إلى اللاذقية على الشاطيء الشرقي للبحر الأبيض المتوسط ثم إنهم لفقوا في العراق دعوة أشورية"(٤) .

وذلك أنه قد " كان للإنجليز من وراء كل ذلك هدف واحد وهو إضعاف العصبية الدينية وتقطيع أوصال المسلمين في مستعمراتهم حتى يستطيعوا أن يواجهوهم واحداً واحداً فالمصريون أحفاد الفراعنة واللبانيون أحفاد الفينيقيين والعراقيون أحفاد البابليين والآشوريين"(٥) وهلم جرا بقية شعوب المسلمين وآثار بلدانهم وانتسابهم لها واعتزازهم بها" ولاريب في أن المشاعر الوطنية كانت الدافع الأساسي للدراسة المكثفة للماضي غير أن الخطوات الحاسمة في

---

(١) الاتجاهات العامة في الابحاث التاريخية ، جفري باراكلو، ص ٢٢٠-٢٢١.

(٢) قبل أن ينتشر مفهوم الوطنية .

(٣) ليس في القوميات ا لحديثة قومية صحيحة ومبنى القومية على رابطة إما لغوية أو ترابية أو عنصرية أو دينية ولايصح منها إلا ما كان رابطته دين الإسلام .

(٤) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، لبنان الطبعة الخامسة ١٩٧٣م ، ص ١٧٤.

(٥) الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ، محمد محمد حسين ، دار الرسالة مكة الطبعة التاسعة ١٤١٢هـ-١٩٩٢م ، ١/ ١١١.

التقدم لم تصبح ممكنة إلا عندما رافقت القومية"(١) ويلاحظ من هذا النص أن المشاعر الوطنية هي السبب والدافع لنبش الماضي ، والواقع أن فكرة الوطنية تُغذى بالآثار ويشير المؤلف جفري باراكلو إلى أن الأبحاث والكتابات التاريخية كانت " أسلوباً عرفياً مقبولاً في معالجة التاريخ الآسيوي والإفريقي وكان عموماً يركز على الفترة الإستعمارية أو على الماضي البعيد اللتين كان يراهما الفترتين الوحيدتين اللتين لهما أهمية عامة"(٢) والفترة الاستعمارية والماضي البعيد هما سيطرة الغرب على الشرق فالفترة الاستعمارية في هذا العصر، والماضي البعيد قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولبيان ذلك فإنهم يقولون : " ومع هذا فإن شمال إفريقية بارتباطه التاريخي الطويل مع المناطق الأخرى المحاذية للبحر الأبيض المتوسط كان له تاريخ يختلف عن تاريخ إفريقية جنوب الصحراء الكبرى إذ أنه أصبح تحت تأثير وضمن الحدود السياسية لروما ثم للإسلام"(٣) فهو يرى أن الشمال الإفريقي جزء من بلاده سابقاً وقل مثل ذلك عن بلاد الشام.

ولذلك لايتم التاريخ ولايكمل لبلاد الشرق الأوسط عند الغرب ومن سايرهم " إذا لم تذكر المستوطنات المتعاقبة التي أقامها الإغريق والرومان الذين كان يفترض بهم القيام بمهمة تأسيس العلاقات الأولى بين الشرق والغرب"(٤) .

ولابد أن يعلم أنه " من الجدير بالذكر بأن الامبراطورية الرومانية شملت في طياتها كل مايعرف الآن بعالمنا العربي من حدود إيران شرقاً حتى موريتانيا غرباً ومن آسيا الصغرى شمالاً حتى أسوان جنوباً ووحدت بين شعوب هذه المنطقة العريقة من ناحية ثم ربطت بينها وبين النصف الجنوبي من القارة الأوربية برباط سياسي وحضاري متين استمر مايقرب من سبعة قرون من الزمان"(٥) .

(١) الاتجاهات العامة في الابحاث التاريخية، جفري باراكلوا ، ص ٢٤٦.
(٢) الاتجاهات العامة في الابحاث التاريخية، باراكلو، ص ٢٤٥.
(٣) الاتجاهات العامة في الابحاث التاريخية، باراكلوا ، ص ١٨٨.
(٤) الحضارة العربية ، جاك ريسلر تعريب د. خليل أحمد ، ص ٢٦-٢٧.
(٥) تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري ، ص ٥.

وبعض الآثار في مصر يلقي الضوء على الحضارة الرومانية " إن هذه الوثائق والآثار لاتلقي الضوء على مصر فحسب بل إن بعضها يلقي الضوءعلى الإمبراطورية بكل عصورها وفتراتها وبفضل المصادر القديمة أمكن للمؤرخين الأوربيين من عمل الكثيرمن الدراسات التاريخية والحضارية عن الإمبراطورية الرومانية"(١) .

والسبب كما يقول كرومر في كتابه مصر الجديدة أنقله من كتاب الاتجاهات الوطنية : " يجب ألا ننسى أنه لسد النقص الناتج عن عدم الإشتراك في الجنس والعقيدة واللغة والعادات والتفكير التي تكون الروابط الأساسية للإتحاد بين الحاكم والمحكوم يجب علينا أن نحاول إبتداع مثل هذه الروابط بين الإنجليزى والمصري واصطناعها حسب ماتقضي به الظروف..."(٢)" ويقصد به طبع العرب والمسلمين والشرقيين عامة بطابع الحضارة الغربية والثقافة الغربية ممايساعد على إيجاد روابط من الود والتفاهم بين الحمار وراكبه وهي روابط تفيد الراكب دائماً ولاتفيد الحمار"(٣) .

وبناء عليه فإن مجموعة من المؤرخين والمستشرقين اهتموا واعتنقوا فكرة أن العصر الذهبي للحضارة الأسيوية كان في الماضي البعيد(٤) .

وبناء عليه حُللت الآثار واستنطقت وأُظهرت أمجادها وسُجل ذلك ونُشر "ولاريب في أن كثيراً من هذه الكتابات في الفترة الأولى بالغت في إطراء الماضي كما أنها استهدفت إعادة الحقائق المعروفة تبعاً للمشاعر القومية ولذلك لم تقدم أية مساهمة جديدة للمعرفة القائمة على الحقائق"(٥) .

وبذلك ساهمت الآثار بشكل كبير على إظهار فوارق جاهلية بين المسلمين وإبعادهم عن الإسلام بتبنيها حيث كانت البذور المهمة للعصبيات الوطنية المبنية على الوثنية لكل بلد تقريباً وأصبحت أداة ربط بين المسلمين والغرب وا لله أعلم وصلى ا لله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه .

---

(١) تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري ، ص ١٦.
(٢) الاتجاهات الوطنية ٢/ ٤٢٦.
(٣) حصوننا مهددة من داخلها ، محمد محمد حسين ، ص ١١٥.
(٤) الإتجاهات العامة في الابحاث التاريخية جفري باراكلو، ص ٢٤٦.
(٥) المصدر السابق ، ص ٢١٣.

الخـــاتمة

اتضح من التعريف للمشاهد والآثار مدى الإرتباط الوثيق بينهما وعليه فإن نبش الآثار إنما هو إحياء للمشاهد وخاصة ماكان من الآثـار على شـكل صـور أو تماثيل .

علماً أنها وغيرها من الآثار لاتخلو من نبش أو استحداث آثار فكرية لترجمة الآثار وتحليلها مما ينتج عنه نشر أفكار وثنية بين المسلمين الذين كان شـغلهم الأول محاربة الشرك والمشركين .

كما أن تعظيم المشـاهد والآثـار والإهتمـام بذلـك يولـد في القلـوب محبتهـا وموالاتها وهذا عكس المطلوب من المسلم تماماً .

واتضح من الإهتمام بالصور في قوم أنها أدت بهم إلى الشـرك علـى تـدرج إذ أن محبتهم لصور صالحيهم نمت في قلوبهم إلى أن غلوا فيهم وعبدوهـم مـن دون ا لله بعد أن كانت محبتهم لصور صالحيهم في بداية الأمر في نظرهـم معينـاً لهـم علـى عبادة ا لله ولما كان نصب صورهم لتذكرهم وتذكر أعمالهم إبتداعاً في الديـن أدى بهـم إلى نقيـض مـاأرادوا بأن جعلوهـم شـركاء لله في عبـادتهم – تعـالى ا لله عـن الشرك علواً كبيراً – فيمكـن أن تفعـل الآثـار بالمسـلمين مثـل ذلـك وتقودهـم إلى الشرك با لله .

أما اليهود وهم الذين يزعمون أنهـم أهـل توحيـد ويزعـم لهـم ذلـك بعـض علماء الأديان فإنهم أشركوا في توحيد الربوبيـة وفي توحيـد الألوهيـة ففـي توحيـد الربوبية كان من شركهم أنهـم جعلـوا ربهـم خاصـاً لهـم مـن دون النـاس وجعلـوا لغيرهم رباً أو أرباباً أخرى .

أما شركهم في توحيد الألوهية فلأنهم جعلوا لحاخاماتهم حق الطاعة المطلقة في تنفيذ الأوامر واجتناب النواهي فالحكم على هذه الحالة ليس لله مـع ماصـاحب ذلك من تقديسهم لبعض القبور والمشاهد ودعائها من دون ا لله .

فذلك التعظيم والتقديس للحاخامات ولبعض قبور اليهود أدى بهم إلى الشرك .

أما النصارى فإن الشرك عندهم لايحتاج إلى بيان ولا إلى برهان لكثرته وإنتشاره حيث لاتخلو كنيسة من تمثال أو صليب أو صورة تعظم وتقدس وحيث أن كثيراً من الكنائس لاتخلو من قبر أو قبور .

فالمشاهد والآثار قدست عند النصارى وأوقعهم ذلك التعظيم والتقديس للصور والتماثيل والقبور في حضيض الوثنية وحمأة الشرك ومثل ذلك يقال عن العقائد الشركية عند الهندوس كثرة وتنوعاً في الأصنام المعظمة المعبودة من دون الله وكذلك فعل تعظيم الآثار المتمثلة بالنار عند الفرس .

ولما كان من سنن الله أن لايجتمع في قلب العبد محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم مع محبة أعدائه .

فإن من يتشيع أو يتصوف من المسلمين غالباً مايقع في حمأة الشرك وبؤرة الوثنية حيث تعظيم مشاهد وآثار أولياء التشيع والتصوف كل ذلك يؤدي إلى الحج إلى قبورهم ودعائها من دون الله والطواف حولها وتقديم النذور والذبائح لها وسؤالها مالايقدر عليه إلا الله وهذا موقع في شرك الألوهية بدعائها ذلك وفي شرك الربوبية باعتقاد تأثيرها وقد خاطب الله الكافرين في كتابه الكريم بأن يعتبروا من مصارع الكافرين السابقين وأن سنة الله لاتحابي أحداً أبداً وأن من عمل مثل أولئك المعذبين فهو مستحق للتعذيب مثلهم وقد تكرر تعذيب الكافرين المكذبين للرسل في الدنيا وتكررت آثار ذلك .

وأوضح الرسول صلى الله عليه وسلم كيفية التعامل مع تلك الآثار بتنوعها وأنها لاتقصد أصلاً وأن منها مايكون التعامل معه بالطمس والإتلاف كالتماثيل والصور ومنها التسوية والهدم كبيوت الأصنام وأضرحة الموتى وماشرف من القبور ومنها التجنب كالآثار التى يصعب إتلافها .

ثم إحاطة الرسول صلى ا لله عليه وسلم التوحيد بسياج من النواهي من أن يقترب الشرك كالنهي عن إتخاذ القبور أعياداً أو النهى عن اتخاذ الصور والتماثيل ونهيه في ذلك، ومعلوم قوله سبحانه وتعالى ﴿تلك حدود ا لله فلاتقربوها﴾(١) .

وقوله صلى ا لله عليه وسلم "... فإذا نهيتكم عن شيء فإجتنبوه وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ماإستطعتم"(٢) ولا يتصور الإمتثال في اجتناب المنهي عنه حتى يترك جميعه فلو اجتنب بعضه لم يكن ممتثلاً ، والنهي يقتضي الأمر فلايكون متمثلاً لمقتضى النهي حتى لايفعل واحداً من أحاد مايتناوله النهي (٣).

وقد التزم الصحابة الكرام رضي ا لله عنهم أجمعين بضوابط الأمر والنهي الشرعية عامة وفي مايخص الآثار والمشاهد خاصة بل إن حرصهم في الإخلاص لله وفي الإتباع وترك الإبتداع في الآثار والمشاهد كان دقيقاً وقوياً جداً وكان يذكر بعضهم في ذلك بعضاً، فهم الذين امتثلوا قوله سبحانه وتعالى ﴿فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم . وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾(٤) خير امتثال وأحسنه .

ومن المعلوم أن الصور والتماثيل جرثومة الشرك ونواته الأولى وأنها تشبه بل هي أخطر من جرثومة الأيدز – مرض نقص المناعة – قد لاتظهر أعراضها لكنها لاتترك ناحية من الجسم إلا تمكنت منه ثم تقضي عليه مرة واحدة ولايمكن الخلاص منها إلا إذا أمكن إجتنابها واجتثاثها فجرثومة الشرك مصيبة تلحق بأصل الإسلام .

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٧.

(٢) رواه البخاري ، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة باب الإقتداء بسنة رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم ، ٢٦٤/١٣ ، ورواه مسلم بنحوه كتاب الحج باب فرض الحج مرة في العمر ١٠٨/٩.

(٣) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢٧٦/١٣.

(٤) سورة الزخرف الآيتان ٤٣-٤٤.

وأن نشر الصور والتماثيل ونبش الآثار واستخراج معبودات الجاهلية ومعرفة شعائرهم وأخلاقهم وعاداتهم ونشر ذلك مشوب بالإعجاب بين الناس ودعوتهم إلى الإطلاع عليه هو نشر الوثنية بعينه وإحياء للجاهلية.

وأن الآثار في البلاد الإسلامية متغايرة فكل بلد له آثاره التي تختلف عن آثار البلد الآخر وأن افتخار كل بلد بآثاره وتمجيدها والعناية بها يؤدي إلى صرف الولاء لها وإلى محبتها حتى وهي أحد عناصر الوثنية وأركانها وهذا ينافي الإيمان.

وأن الآثار ونبشها من بلدان المسلمين أحد الطرق الرئيسة عند الغرب لتفريق المسلمين وتشتيتهم وإضعافهم ذلك أنه يصرفهم عن صراط الله المستقيم ويجعلهم متبعين للسبل متفرقين . قال سبحانه وتعالى : ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾(١) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ﴾(٢) .

فنجد سبيل الفرعونية وسبيل البابلية وسبيل الفينيقية وسبيل الأشورية وسبيل الهندوكية وما أكثرها وقد غذيت القوميات الوطنية المتعددة بها .

ثم إن الآثار استخدمت لتوهين أنفس المسلمين وتحطيم معنوياتهم وتعويدهم على الهوان والمذلة وزرع قابلية الإسترقاق والخضوع لعدوهم وذلك بخداعهم أنهم كعرب كانت بلادهم محكومة من قبل أسلاف الغرب وأن ذلك لاغضاضة فيه بل هو شرف ومزية، وأغفلوا غالباً أن كثيراً من المحكومين أيام الفتوحات الإسلامية في الخلافة الراشدة كانوا كثيراً مايسلمون أنفسهم بل ويتمنون دخول جيوش المسلمين ليتخلصوا من نير الظلم والإستعباد سواء من قبل حكامهم الرومانيين أو الفرس .

---

(١) سورة الأنعام آية ١٥٣.

(٢) سورة النساء آية ١١٥.

ثـم إن الآثـار الوثنيـة استخدمت نبراسـاً ومعلمـاً ومرجعـاً للفـن والأدب والأخلاق بل والعقائد والشعائر والعادات والتقاليد .

واستخدمت دليلاً وسنداً معارضاً ومخالفاً للقرآن الكريم والسنة المطهـرة في ذلك .

واستخدمت الآثار سلاحاً فعالاً لصد الناس عن ديـن ا لله وخاصـة الغربيـين الذين يأتون لديار المسلمين فيجدون معالم الوثنية منتشرة هنا وهناك في وسط البلـد مثلاً وفي أطرافها وخاصة إذا شاهد معها عباد القبور ، فلايشك أن المسـلمين علـى هذه الحال بأنهم وثنيون بل هم في وسط الوثنية، بل إنهم يحمونها ويدافعون عنها .

ثم إن الآثار استخدمت داعياً إلى الإلحاد بين المسلمين من جهتين :

الجهة الأولى : بإعتبار أن الشعائر والعبادات والعـادات مـاهي إلا خرافـات وأساطير وأوهام تأخذها أمة عن أمة أخرى سـبقتها وتزيـد عليهـا أحيانـاً أو تنقـص منهـا كالبابليـة والأشـورية والفينيقيـة والفرعونيـة ثـم ربطـوا الديـانتين المسـيحية واليهودية بتلك الحضارات وخرافاتها ومعقتداتها وجعلوا آية ذلك أن بعض أو كل تلك الأساطير والخرافات والإعتقادات والقيم التي عنـد اليهـود أو عنـد النصـارى إنما هي مقتبسة من تلك الحضارات السابقة لها المشار إليها .

ثم بعد ذلك زعموا أن الإسلام – وحاشاه ذلك – مقتبس منهما فيحسـب أن جميع الأديان خرافة والصحيح إن دل هذا التوافق على شيء ولو كـان قليـلاً في الديانات إنما هو دليل على بعض آثـار النبـوة في الأمـم قـال ا لله سـبحانه وتعـالى : ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا ا لله واجتنبوا الطاغوت﴾(١) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾(٢) .

---

(١) سورة النحل آية ٣٦.

(٢) سورة فاطر آية ٢٤.

ثم جعل الخاتمة للقرآن الكريم المنزل على سيد المرسلين وخاتم النبيين عبدا لله ورسوله محمد بن عبدا لله صلى ا لله عليه وسلم قال ا لله عز وجل : ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه﴾(١) مع مافي القرآن من دحض لكل فرية وبهتان من أن يكون إقتباساً مماسبق من الأديان والخرافات والأساطير فإن بين دفتي القرآن علوماً مادية بحتة لم توجد في كتب قبله فيما أعلم ولا في حضارة سبقته ومن تلك الحقائق والعلوم .

١- أطوار الجنين في بطن أمه .
٢- كون الجبال أوتاداً يعني أن لها جذوراً في الأرض .
٣- ظلمات البحر .
٤- نقص الأكسجين في طبقات الجو فينقص بقدر الإرتفاع .
٥- الإحساس ومراكزه في الجلد والأعصاب.
٦- وهن بيت العنكبوت وغير ذلك كثير .

إن علم الآثار استخدم استخداماً صحيحاً في علوم شتى من علوم المادة فقد عرفت كواكب كثيرة بآثارها لابذواتها والذرة مع أنها لم تر إلا ظلها أو خيالها بعد تكبيره وتضخيمه، لكن أغفل أو طمس أو حرف كل مايتعلق بتوحيد ا لله سبحانه وتعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته فيها .

فمثلاً كما مر عندما يجد المنقبون تمثالين مدفونين في التراب وبجوارهما بقية من عظام إنسان أو حتى حيوان نجد أن الآثاريين على البداهة يوجبون أن هناك شخصاً نحت التمثالين وأبدعهما وقد كان صخرة صماء لكنهم لايولون العظام الموجودة بجوار التمثالين أدنى اهتمام من حيث من أوجدهما ؟ من ربهما ؟ بل حتى صخرة التمثال قبل أن تكون تمثالاً من أوجدها هل خلق كل منهما من غير شيء أم أن كل منهما خلق نفسه ؟ إن الذي خلقهما وخلق الخلق ﴿هو ا لله الخالق الباري المصور له الأسماء الحسنى يسبح له مافي السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾(٤) وصلى ا لله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

---

(١) سورة المائدة آية ٤٨.
(٢) سروة الحشر آية ٢٤ .

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- آثار بلاد الرافدين من العصر الحجرى القديم حتى الغزو الفارسى ، تأليف سيتون لويد ، ترجمة محمد طلب تقديم سلطان محيسن ، دار دمشق ، مطبعة الشام سوريا ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م .

٣- الآثار الشرقية لحضارات كلدية وآثور وبابل وفارس وسورية وفينيقية واليهودية وقرطاجة وقبرص ، تأليف : أرنست بايلون، ترجمة : مارون عيسى الخورى، دار جروس برس وحكمت شريف، طرابلس، لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٧م .

٤- الآثار الغارقة ، تأليف : روبرت سلفر برج ، ترجمة د/ محمد الشحات، نشر مؤسسة سجل العرب، القاهرة ، مصر/ ١٩٦٥م .

٥- آثار مصر القديمة في كتابات الرحالة العرب والأجانب ، تأليف : جيلاس عباس ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة - مصر - الطبعة الأولى/ ١٤١٢هـ -١٩٩٢م .

٦- الآثار النبوية ، تأليف : أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور ت ١٣٤٨.

٧- آراء بعض المستشرقين حول التراث العربى والرد عليها، بحث ضمن مجموعة بحوث في كتاب أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - مكتب التربية لدول الخليج العربى - الرياض/ ١٤٠٥- تأليف د. محمد السويسي.

٨- أبحاث في الفكر اليهودى ، تأليف : حسن ظاظا، دار القيم دمشق ، دار العلوم والثقافة، بيروت، الطبعة الأولى/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٩- أبوحامد الغزالى والتصوف، تـأليف : عبدالرحمن دمشقية ، دار الرياض ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ .

١٠- الإتجاهات العامة في الأبحاث التاريخية ،تـأليف : جفري باراكلو، ترجمة د. صالح أحمد العلى ، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى/ ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

١١- الأتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، تأليف : د. محمد محمد حسين، دار الرسالة ، مكة المكرمة ، الطبعة التاسعة/ ١٤٠٣هـ -١٩٩٢م .

١٢ الاثنولوجيا والفولكلور ، تأليف : إيكه هو لتكرانس ، ترجمة : محمد الجوهري ، حسن الشامي ، دار المعارف بمصر، دار المجمع العلمي، جده ، الطبعة الثانية/١٩٧٣م.

١٣- أجدادنا في ثرى بيت المقدس ، تأليف : كامل جميل العسلى ، مؤسسة آل البيت طبع عمال المطابع التعاونية، الاردن/ ١٤٠٢هـ ١٩٨١م .

١٤- أحكام الجنائز وبدعها ، تأليف : محمد ناصر الدين الألبانى ، مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الأولى للطبعة الجديدة/ ١٤١٢هـ -١٩٩٢م .

١٥- أخطار التبشير في ديار المسلمين ، تأليف : محمد بن عبدالرحمن عوض ، دار الأنصار، القاهرة - مصر رقم الإيداع ١٩٨٠/٢٠٩٢م .

١٦- أخلاق اليهود وأثرها في حياتهم المعاصرة، تأليف : وفاصادق . دار الفرقان - عمان، الأردن الطبعة الأولى / ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .

١٧- الأدب اليوناني القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الإجتماعى ، تأليف : علي عبدالواحد وافي دار نهضة مصر ، القاهرة ، مصر .

١٨- أديان ماقبل التاريخ ، تأليف : اندرية لوروا - غوران، ترجمة : سعاد حرب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت الطبعة الأولى / ١٤١٠هـ -١٩٩٠م .

١٩- أديان الهند الكبرى ، سلسلة : مقارنة الأديان، تأليف : أحمد شلبى ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة - مصر - الطبعة التاسعة / ١٩٩٠م .

٢٠- أساليب الاقناع وغسيل الدماغ ، تأليف جي . إي . بروان ، ترجمة عبداللطيف الخياط، دار الهدى ، الرياض ، الطبعة الثانية / ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .

٢١- الإستشراق بين الموضوعية والإفتعالية - تأليف : قاسم السامرائي دار الرفاعى للنشر - الرياض - السعودية، الطبعة الأولى/ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٢٢- الإستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، تأليف : مصطفى نصر المسلاتي ، دار اقرأ طرابلس ، ليبيا ، الطبعة الأولى/ ١٣٩٦هـ / ١٩٨٦م.

٢٣- الإستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية . تأليف : إبراهيم خليل أحمد. الناشر مكتبة الوعى العربى ، القاهرة - مصر -١٣٩٣.

٢٤- الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، تأليف : محمود حمدي زقزوق ، دار المنار، القاهرة الطبعة الثانية/ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

٢٥- الإستشراق والمستشرقون ماهم وماعليهم ، تأليف : مصطفى السباعي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق الطبعة الثانية/ ١٣٩٩هـ .

٢٦- إسرائيل والتلمود دراسة تحليلية، تأليف : إبراهيم خليل أحمد، الناشر مكتبة الوعى العربى/ ١٩٦٧م .

٢٧- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، تأليف : علي عبدالواحد وافي ، دار نهضة مصر للطبع ، القاهرة – مصر .

٢٨- الإسلام بين الشرق والغرب تأليف : علي عزت بيجوفيتش رئيس جمهورية البوسنة والهرسك ترجمة محمد يوسف عدس – نشر مجلة النور الكويتية – الكويت، ومؤسسة فاريا – المانيا طبع وتوزيع مؤسسة العلم الحديث – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .

٢٩- الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمى ، تأليف : د . عبدالعظيم المطعني دار الوفا ، المنصورة/ مصر ١٤٠٧هـ .

٣٠- الإسلام والأديان دراسة مقارنة ، تأليف : د. مصطفى حلمى دار الدعوة . الاسكندرية . مصر الطبعة الأولى ١٤١١هـ .

٣١- الأصول التاريخية لنشأة الدراما في الأدب العربي، تأليف : سعد الدين حسن دغمان بحث ماجستير ، جامعة بيروت طبع ١٩٧٣م .

٣٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف : محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي .

٣٣- أطماع اليهود وأسفارهم ، تأليف : فؤاد حسين مزنر، دار الكتب الثقافية، بيروت لبنان / ١٤٠٩هـ –١٩٨٩م .

٣٤- أعمال الحفر الأثرى ، تأليف : ليوناردوولى . ترجمة . د. حسن الباشا ، الناشر دار النهضة العربية .

٣٥- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تأليف : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية تعليق محمد الأنور. أحمد البلتاجى . نشر دار التراث العربى، القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م .

٣٦- أفيقوا أيها المسلمون وأنظروا ماذا يراد بكم،تأليف : أحمد الشريف - مكتة الصحابة - جدة - مكتبة التابعين، القاهرة .

٣٧- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، تأليف: شيخ الإسلام : أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية ، تحقيق ناصر عبدالكريم العقل، الناشر مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية/ ١٤١١هـ -١٩٩١م .

٣٨- أقدم الحضارات في الشرق الأدنى، تأليف : جيمس ميلارت، ترجمة: محمد طلب، الناشر دار دمشق - دمشق سوريا ، طبعة أولى / ١٩٩٠م .

٣٩- الألوهية في العقائد الشعبية على ضوء الكتاب والسنة ، تأليف : عبدالسلام البسيوني ، دار الإيمان، الإسكندرية، الطبعة الأولى .

٤٠- الإمام زيد بن علي المفترى عليه ، تأليف : شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب ، المكتبة الفيصلية، مكة / ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

٤١- إمبراطورية إبلا ، تأليف : على القيم، الأبجدية للنشر ، مكتبة الأسد ، دمشق ، سوريا، الطبعة الأولى / ١٩٨٩م .

٤٢- الأنثروبولوجيا السياسية ، تأليف : جورج بالانديه ، ترجمة علي المصري - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى/ ١٤١٠هـ ١٩٩٠م .

٤٣- الأنثروبولوجيا والفكر الإسلامي ، تأليف : زكي محمد إسماعيل شركة مكتبات عكاظ للنشر، جدة الطبعة الأولى / ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م .

٤٤- إنه الحق ، معجزة العصر : تتجلى في محاورة علمية مع ١٤ من رواد العلوم المعاصرة في شتى الآفاق ، طبع بمطابع رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

٤٥- الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ، تأليف : عبدالوهاب الشعراني تحقيق : طه عبدالباقي سرور ، محمد عبدالشافي ، مكتبة المعارف، بيروت/ ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .

٤٦- إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، تأليف : أحمد بن محمد بن عجيبة الحسنى ، مراجعة ، محمد أحمد حسب الله، دار المعارف، القاهرة - مصر .

٤٧- بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار، تأليف : السيد عبدالعزيز سالم، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، الطبعة الأولى / ١٤١١هـ -١٩٩١م .

٤٨- البداية والنهاية ، تأليف الحافظ بن كثير الدمشقي ت سنة٧٧٤هـ ، مكتبة المعارف، بيروت ، الطبعة الثانية/ ١٩٧٤م .

٤٩- بذل المجهود في افحام اليهود ، تأليف : الحكيم السمو أل بن يحيى بن عباس المغربى ت ٥٧٠هـ قدم له وخرج نصوصه وعلق عليه: عبدالوهاب أبوطويلة، دار القلم ..دمشق . والدار الشامية، بيروت الطبعة الأولى / ١٤١٠هـ .

٥٠- بلاد الشام في عصور ماقبل التاريخ؛ الصيادون الأوائل، تأليف : د. سلطان محيسن، الأبجدية للبشر، دمشق، سوريا . مكتبة الأسد، الطبعة الأولى /١٩٨٩م .

٥١- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار ، تأليف : عبدالرحمن بن ناصر السعدى (١٣٠٧-١٣٧٦هـ) نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ، الطبعة سنة ١٤٠٥هـ .

٥٢- تاج العروس من جواهر القاموس ، تأليف : محمد مرتضى الزبيدي ، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان .

٥٣- تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى، تـأليف : د. أحمد علي الناصري ، دار النهضة العربية – القاهرة، الطبعة الثانية /١٩٩١م.

٥٤- تاريخ بلاد الرافدين منـذ أقـدم العصـور حتـى عـام ٤٣٩ق . م، / تـأليف: د. عيد مرعى ، الأبجدية للنشـر، مكتبـة الأسـد ، دمشـق – سـوريا الطبعـة الأولى/ ١٩٩١م .

٥٥- التـاريخ بـين الحقيقـة والتضليـل، تـأليف : جمـال عبدالهـادي ، وفـاء محمـد رفعت، علي أحمد لبن . دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، دار الوفـاء بالمنصورة .

٥٦- تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، تأليف : أبوزيـد شـلبي الناشـر مكتبة وهبه، القاهرة مصر ، الطبعة الثالثة، ١٣٨٣هـ -١٩٦٤م .

٥٧- تاريخ حضارة وادى الرافدين الجزء الأول في ضوء مشاريع الرى الزراعيـة المكتشفات الآثارية والمصادر التاريخية ، تأليف : أحمد سوسة .

٥٨- التاريخ العربي القديم ، تأليف : ويتلف وفرتـز هومـل وى . رودوكـاكيس وأدولف جرومان، ترجمـة : فـؤاد حسـنين علـي ، وزارة التربيـة والتعليـم ، قسـم الترجمة، إدارة الثقافة العامة ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، مصر .

٥٩- تاريخ علم الآثار ، تأليف : جورج ضو ، ترجمة بهيـج شـعبان ، منشـورات عويدات ، بيروت، باريس، الطبعة الثالثة .

٦٠- تاريخ العمارة والفنون في العصور الأولى ، تأليف توفيق أحمـد عبدالجـواد ، دار وهدان للطباعة والنشر، الطبعة الثانية/ ١٩٧١م .

٦١- تاريخ الفن عند العـرب والمسـلمين ، تـأليف : أنـور الرفـاعى دار الفكـر ، الطبعة الثانية/ ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

٦٢- تاريخ الفن القديم ، تأليف : شمس الدين فارس ، د. سليمان عيسى الخطاط ، وزارة التعليم العالى والبحث العلمي، دار المعرفة ، العراق ، الطبعة الأولى/ ١٩٨٠م .

٦٣- تاريخ مصر القديمة ، تأليف : نيقولا جريمال ، ترجمة ماهر جويجاتي ، دار الفكر، القاهرة، الطبعة الثانية .

٦٤- تاريخ اليونان ، الجزء الأول ، تأليف : محمد كامل عياد، دار الفكر ، دمشق ، سوريا، تصوير ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م عن طبعة ١٩٨١م .

٦٥- التبرك أنواعه وأحكامه ، تأليف : ناصر بن عبدالرحمن بن محمد الجديع ، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الثانية/ ١٤١٣هـ -١٩٩٣م .

٦٦- التبشير والإستعمار في البلاد العربية، تأليف : مصطفى خالدي وعمرو فروخ – المكتبة العصرية – بيروت – لبنان – الطبعة الخامسة/ ١٩٧٣م.

٦٧- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، تأليف : محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية/١٣٩٢هـ .

٦٨- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى، تأليف : محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري (١٢٨٣-١٣٥٣) هـ، راجعه: عبدالرحمن محمد عثمان، نشر محمد عبدالمحسن الكيتى – المكتبة السلفية بالمدينة . مطبعةالفجالة . القاهرة مصر، الطبعة الثانية/ ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤.

٦٩- تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، تأليف : أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى، عالم الكتب، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٧٠- التذوق وتاريخ الفن ، تأليف : محمود النبوى الشال ومحمد حلمى شاكر وزينب محمد علي، دار العالم العربى للطباعة، القاهرة، مصر، طبعة ٨٣/٨٢.

٧١- التراث الفنى وطرق عرضه ، وزارة الشئون الثقافية ، تونس ، ندوة حول هذا الموضوع دراسات ملتقى خميس ترنان، منشورات الحياة الثقافية/ ١٩٧٨م .

٧٢- التراث المعماري الإسلامي في مصر، تأليف : صالح لمعي مصطفى .

٧٣- التراث المفقود ، تأليف : نبيل فرج ، الهيئة المصرية العامة للكتاب / ١٩٩٠.

٧٤- التصوف بين الحق والخلق ، تأليف : محمد فهر شقفة ، الدار السلفية، الكويت ، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .

٧٥- التصوير الإسلامي ، نشأته وموقف الإسلام منه وأصوله ومدارسه تأليف : أبوالحمد محمود فرغلي ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ، الطبعة الأولى/ ١٤١١هـ -١٩٩١م .

٧٦- التعرف لمذهب التصوف، تأليف : أبي بكر محمد بن إسحاق الكلاباذى ، ت ٣٨٠هـ وتعليق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط١ سنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

٧٧- التعريفات ، تأليف : أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٧١م .

٧٨- التعليق المفيد في تحقيق فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، تأليف عبدالرحمن حسن آل الشيخ ت ١٢٨٥هـ ، تحقيق وتعليق أشرف بن عبدالمقصود ، مؤسسة قرطبة - القاهرة - مصر ،الطبعة الأولى / ١٤١٢هـ .

٧٩- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، تأليف : فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازى دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان، الطبعة الأولى / ١٤١١هـ –١٩٩٠م .

٨٠- تفسير المراغى ، تأليف : أحمد مصطفى المراغى ، دار الفكر، الطبعة الثالثة/ ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م .

٨١- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، تأليف : وهبة الزحيلي ، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان ، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى/ ١٤١١هـ-١٩٩١م .

٨٢- تفسير النهر الماد من البحر المحيط، تأليف : محمد بن يوسف الشهير بابن حيان الأندلسي الغرناطي ٦٥٤-٧٥٤هـ دار الفكر . الطبعة الثانية/ ١٤٠٣هـ.

٨٣- تقريب التهذيب ، تأليف : ابن حجر العسقلاني ، تحقيق : عبدالوهاب عبداللطيف.دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الناشر المكتبة العلمية، المدينة ، السعودية .

٨٤- تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ، تأليف : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة.

٨٥- تلخيص كتاب الإستغاثة المعروف بالرد على البكري، تأليف : شيخ الإسلام أحمد ابن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية وبهامشه كتاب الرد على الأخنائي لابن تيمية أيضاً المطبعة السلفية ، بمصر / ١٣٤٦ هـ .

٨٦- التلمود تاريخه وتعاليمه ، تأليف : ظفر الإسلام خان ، دار النفائس، بيروت، الطبعة السادسة / ١٤٠٥.

٨٧- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تأليف : الحافظ يوسف المزي ، راجعه سهيل زكار تحقيق أحمد علي عبيد وحسن أحمد أغا طبع دار الفكر ، بيروت لبنان، المكتبة التجارية ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .

٨٨- توحيد الألوهية والفرق الضالة فيه (الشيعة الصوفية الباطنية) تأليف :سارة بنت فراج بن علي العقلا، كلية التربية للبنات، مكة المكرمة، رسالة دكتوراه مطبوعة على الآلة الكاتبة /١٤١٣هـ -١٩٩٣م .

٨٩- التوراة بين الوثنية والتوحيد، تأليف : سهيل ديب، دار النفائس . بيروت . لبنان . الطبعة الثانية/ ١٤٠٥هـ .

٩٠- التوراة تاريخها وغاياتها ترجمة وتعليق: سهيل ديب ، دار النفائس، بيروت الطبعة السادسة / ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٩١- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ، تأليف : عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، مكتبة المعارف، الرياض / ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م .

٩٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تأليف : عبدالرحمن بن ناصر السعدي (١٣٠٧-١٣٧٦هـ)، حققه محمد زهري النجار ، طبع ونشر : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ، السعودية/١٤٠٤هـ .

٩٣- ثقافة أوغاريت ، تأليف إ.ش. شيفمان ، ترجمة: حسان اسحاق ، الأبجدية للنشر، مكتبة الأسد، دمشق - سوريا ، الطبعة الأولى / ١٩٨٨م .

٩٤- الجامع الأموى ، تأليف : علي الطنطاوي- مطابع دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الثانية /١٣٨٠هـ .

٩٥- جامع البيان عن تأويل القرآن (تفسير الطبرى ، تأليف : محمد بن جرير الطبرى) شركة مكتبة ومطبعة البابلى الحلبي . القاهرة . الطبعة الثانية / ١٣٨٨هـ .

٩٦- الجامع الصحيح (صحيح البخاري) للامام أبي عبدا لله محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم البخاري الجعفى (١٩٤هـ -٢٥٦هـ) ضمن فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدا لله محمد بن إسماعيل البخاري . تأليف : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني . المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة . مصر، الطبعة الثانية (١٤٠٠هـ) .

٩٧- الجامع الصحيح (صحيح مسلم) للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى (٢٠٦-٢٦١) ضمن شرح صحيح مسلم لأبي زكريا يحى بن شرف النووى، حققه جماعة من العلماء، دار العلم . بيروت . لبنان، الطبعة الأولى/ ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م .

٩٨- جامع كرامات الأولياء ، تأليف : يوسف بن إسماعيل النبهاني ، تحقيق إبراهيم عطوه عوض، دار الفكر، بيروت ، لبنان/ ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

٩٩- جذور الفكر الصهيونى، تأليف : داود عبدالعفو سنقرط ، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة الاولى / ١٤٠٣هـ .

١٠٠- جمالية الرسم الإسلامي ، تأليف : الكسندر بابادوبولو ، ترجمة علي اللواتي، نشر مؤسسات عبدا لله بن عبدا لله ، تونس .

١٠١-جنايات بني إسرائيل علي الدين والمجتمع . تأليف : محمد ندا ، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى/ ١٤٠٤هـ .

١٠٢-الجواب الباهر في زوار المقابر ، تأليف : شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية (٦٦١-٧٢٨)هـ تحقيق سليمان بن عبدالرحمن الصنيع وشاركه عبدالرحمن ابن يحيى اليماني ، نشره قصي محب الدين الخطيب ، طبع : المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ، الطبعة الرابعة/ ١٤٠١هـ .

١٠٣- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، تأليف : أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني تحقيق: علي بن حسن بن ناصر ، عبدالعزيز إبراهيم العسكر، حمدان بن محمد الحمدان ، دار العاصمة - الرياض - النشرة الأولى/ ١٤١٤هـ .

١٠٤-حاشية كتاب التوحيد . تأليف : عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمى النجدى الحنبلى الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ .

١٠٥- الحداثة في ميزان الإسلام ، تأليف : عوض بن محمد القرني ، هجر للطباعة، الطبعة الأولى/ ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م .

١٠٦- حصوننا مهددة من داخلها ، تأليف : محمد محمد حسين، دار الرسالة ، مكة ، الطبعة الثانية عشرة/ ١٤١٣هـ -١٩٩٣م .

١٠٧-الحضارة العربية ، تأليف : جاك ريسلر، تعريب خليل، أحمد خليل منشورات عويدات، بيروت ، باريس - الطبعة الأولى/ ١٩٩٣م .

١٠٨- الحضارة المصرية القديمة الجزء الثاني ضمن سلسلة مصر والشرق الأدنى القديم تأليف : ، محمد بيومى مهران ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، مصر ، الطبعة الرابعة / ١٤٠٩.

١٠٩- حكم التصوير في الإسلام تأليف : ، الأمين الحاج محمد أحمد ، مكتبة دار المطبوعات الحديثة ، جدة الطبعة الأولى / ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م .

١١٠- الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبى صلى ا الله عليه وسلم "بعثت بين يدى الساعة" .للإمام زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب (٧٣٦-٧٩٥) تحقيق وتخريج: عبدالقادر الأرناؤوط، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى / ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .

١١١- حوار مع الصوفية ، تأليف : أبوبكر العراقي مكتبة دار العاصمة ، الرياض، الطبعة الأولى /١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

١١٢- خلق لاتطور ، تأليف : مجموعة من علماء الغرب ، ترجمة د. إحسان حقي، دار النفائس ببيروت ، لبنان،الطبعة الرابعة /١٤٠٦هـ -١٩٨٦م .

١١٣- الخميني والوجه الآخر في ضوء الكتاب والسنة ، تأليف : زيد العيص ، دار اليقين، المنصورة ، مصر الطبعة الأولى /١٤١٣هـ -١٩٩٣م .

١١٤- دائرة المعارف الحديثة ، تأليف : أحمد عطية الله ، مكتبة الانجلو المصرية،الطبعة الثانية /١٩٧٥م .

١١٥- دائرة معارف القرن العشرين ، تأليف : محمد فريد وجدى، دار الفكر ، بيروت -الشركة اللبنانية للموسوعات العالمية ، بيروت ، لبنان .

١١٦- دراسات إسلامية .الملل والنحل : الأديان ، إعداد عمر فاروق عبدالله مذكرة مكتوبة بخط اليد .

١١٧- دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، تأليف : سعود بن عبدالعزيز الخلف ، مكتبة العلوم والحكم،المدينة ، السعودية ، الطبعة الأولى /١٤١٤هـ .

١١٨- دراسات في تاريخ الشرق القديم ، تأليف : أحمد فخري ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية /٩٩٠م .

١١٩- دراسات في تاريخ العرب القديم : تأليف : د. محمد بيومى مهران ،لمطابع الأهلية للأدفست،الرياض /١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

١٢٠- دراسات في الفنون والعمارة العربية الإسلامية ، تأليف : محمود وصفى محمد ، دار الإصلاح الدمام السعودية .

١٢١- دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية ، تأليف : هيو.ج رجمة محمود زايد . دار العلم للملايين،بيروت /١٩٦٣م .

١٢٢- دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين "الشيعة والخوارج" تأليف : أحمد محمد أحمد جلي ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ، ط٢، سنة ١٤٠٨هـ .

١٢٣- دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني ، قرية ترمسعيا ، منظمة التحرير الفلسطينية وجمعية الهلال الأحمر الفلسطيني في الكويت، سلسلة كتب فلسطينية -٤٥ - آب (اغسطس) ١٩٧٣م .

١٢٤-الدليل الموجز لأهم الآثار الإسلامية والقبطية في القاهرة ، تأليف : د. ابومحمد محمود فرغلي ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

١٢٥- الديانات والعقائد في مختلف العصور ، تأليف : أحمد عبدالغفور عطار ، مكة ، الطبعة الأولى/ ١٤٠١هـ .

١٢٦- الديانة الفرعونية ، تأليف : السيرولس بدج ترجمة : يوسف سامي اليوسف ، دار منارات ، عمان ، الاردن ، الطبعة الأولى .

١٢٧- الرائد في التنقيب عن الآثار .تأليف : د. فوزى عبدالرحمن الفخراني، منشورات جامعة قاريونس، بنغازى، الطبعة الثانية / ١٩٩٣م .

١٢٨- رجال الآثار ، تأليف : د. روبرت ، ج بريدوود ، ترجمة كمال الملاخ ، دار الفكر العربي مطبعة المدني ، القاهرة ١٩٧٠م .

١٢٩- الرد على الرافضة، للإمام المقدسي المتوفي سنة ٨٨٨هـ تحقيق أحمد حجازي السقا ، المكتب الثقافي القاهرة- مصر ، الطبعة الأولى بمصر/ ١٩٨٩م .

١٣٠- رسائل الغزالي ، تأليف : أبوحامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تقديم رياض مصطفى العبد الله .

١٣١- رسالة في الرد على الرافضة ، تأليف : محمد بن عبدالوهاب، تحقيق : ناصر بن سعد الرشيد ، دار طيبة الرياض .

١٣٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تأليف : شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ت سنة ١٢٧٠هـ . إدارة الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان الطبعة الرابعة / ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.

١٣٣- الرومان - دراسات في تاريخ الحضارات القديمة، تأليف : د. حسين الشيخ ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية - مصر / ١٩٩٠م .

١٣٤- زاد المسير في علم التفسير ، تأليف : أبوالفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزى القرضى البغدادي، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن بن عبدا لله ، تخريج السعيد بن بسيونى زغلول ،دار الفكر . بيروت . لبنان الطبعة الأولى/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

١٣٥- زاد المعاد في هدى خير العباد ، تأليف : شمس الدين بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ) تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ،بيروت، لبنان، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة الثانية/ ١٤٠١هـ -١٩٨١م .

١٣٦- زبدة التفاسير من فتح القدير ، تأليف : محمد سليمان عبدا لله الأشقر ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

١٣٧- سنن ابن ماجة . تأليف : الحافظ أبوعبدا لله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة، تحقيق محمد مصطفى الأعظمى، شركة الطباعة العربية السعودية. الرياض . الطبعة الأولى / ١٤٠٣هـ / ١٩١٣م .

١٣٨- سنن أبي داود ، تعليق : عزت عبيد الدعاس ، دار الحديث ، حمص ، سوريا، الطبعة الأولى / ١٣٨٩هـ -١٩٦٩م .

١٣٩- سنن النسائي (المجتبى) ، لأحمد بن شعيب بن علي النسائي ، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي ، وحاشية الإمام السندي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان .

١٤٠- سير أعلام النبلاء . تأليف : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، أشرف على التحقيق شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة/ ١٤١٠هـ -١٩٩٠م .

١٤١- سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي، تأليف : عبدالرحمن عيسوى ، منشأة المعارف، الأسكندرية ، مصر / ١٩٨٢.

١٤٢- الشباب المسلم والحضارة الغربية ، تأليف : حسن حسن سليمان ، دار الشروق ، جدة/ ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م .

١٤٣- الشخصية الإسرائيلية ، تأليف : حسن ظاظا، دار القلم ، دمشق، الطبعة الثانية/ ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

١٤٤- الشخصية اليهودية من خلال القرآن، تأليف : صلاح عبدالفتاح الخالدي، دار القلم ، دمشق سوريا ، الطبعة الأولى/ ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م .

١٤٥- شرح السنة ، تأليف : أبومحمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (٤٣٦- ٥١٦هـ)، تحقيق : زهير الشاويش وشعيب الأرناؤط ، المكتب الإسلامي ، بيروت، دمشق ، الطبعة الثانية/ ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

١٤٦- شرح صحيح مسلم ، تأليف : محيي الدين أبى زكريا يحى بن شرف النووى الشافعي ٦٣١-٦٧٦هـ راجعه، خليل الميس دار القلم، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى / ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

١٤٧- شرح فصوص الحكم ، تأليف : داود محمد القيصري ويسمى أيضاً مطلع خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم ، تولى طبعه ميرزا محمد ملك لكتاب شيرازي ١٣٠٠هـ بومبى .

١٤٨- شرح فصوص الحكم من كلام محي الدين ابن عربى تحقيق محمود محمود الغراب ، مطبعة زيد بن ثابت ، سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

١٤٩- شرح نهج البلاغة، تأليف : عبدالحميد بن أبي الحديد المدائني تحقيق لجنة احياء الذخائر، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان .

١٥٠- الشرك الجاهلي وآلهة العرب المعبودة قبل الإسلام، تأليف : يحيى شامي ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، لبنان، الطبعة الأولى /١٩٨٦م .

١٥١- شمال الحجاز (الجزء الأول الآثار)، تأليف : حمود بن ضاوي القثامي، نشر دار البيان العربي، جدة طبعة ثانية / ١٤٠٤هـ .

١٥٢- الشيعة قادمون ، تأليف : جمال بدوي، القاهرة ، الطبعة الأولى/ ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٥٣- الشيعة وأهل البيت، تأليف : إحسان إلهى ظهير، إدارة ترجمان القرآن ، لاهور باكستان ، ط٣، سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

١٥٤- الشيعة والتصحيح ، الصراع بين الشيعة والتشيع تأليف : د/ موسى الموسوى الطبعة عام ١٤٠٨هـ-١٩٨٨.

١٥٥- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تأليف : إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ط٢،١٣٩٩هـ.

١٥٦- الصحافة والأقلام المسمومة، تأليف:أنور الجندي- دار الاعتصام،القاهرة.

١٥٧- صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، منشورات المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ودمشق ، سوريا ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م .

١٥٨- الصوفية في نظر الإسلام ، تأليف : سميح عاطف الزين ، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، ودار الكتاب المصرى - القاهرة الطبعة الثانية .

١٥٩- الطبقات الكبرى المساة لواقح الأنوار في طبقات الأخبار ، تأليف : عبدالوهاب بن أحمد المعروف بالشعرانى ، دار العلم للجميع .

١٦٠- طرق البحث العلمى في التاريخ والآثار ، تأليف : طه باقر ود. عبدالعزيز حميد ، وزارة التعليم العالى والبحث العلمى ، العراق الطبعة الأولى / ١٤٠٠هـ .

١٦١- عبادة الأوثان ، تأليف : عكاشة عبدالمنان الطيبي مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة.

١٦٢- العثمانيون في التاريخ والحضارة ، تأليف : د. محمد حرب ، دار القلم، دمشق ، سوريا ، الطبعة الأولى / ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

١٦٣- العرب في العصور القديمة ، تأليف : لطفى عبدالوهاب يحى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، الطبعة الثانية / ١٩٧٩م .

١٦٤- العراق القديم تأليف : جورج . ر ، ترجمة حسين علوان حسين .

١٦٥- العصور القديمة ، تأليف : جايمس هنري براستد ، ترجمة . داود قربان ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان/ ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١٦٦- العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، تأليف : محمد طاهر التنير ومحمد المجذوب - دار الشواف - الرياض / ١٩٩٢م .

١٦٧- العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، تأليف : محمد طاهر التنير، تعليق محمد إبراهيم الشيباني، مكتبة إبن تيمية الكويت . الطبعة الأولى / ١٤٠٨هـ -١٩٨٧م .

١٦٨- عقيدة الألوهية عند اليهود في ضوء الإسلام ، تأليف : أميمة بنت أحمد بن شاهين الجلاهمة، الدمام / ١٤١٢هـ -١٩٩٢م .

١٦٩- علم الآثار ، تأليف : د. جمال عبدالهادي ، د. وفاء محمد رفعت ، دار الشروق ، جدة .

١٧٠- علم الفولكلور دراسة في الأنثروبولوجيا الثقافية ، تأليف : محمد الجوهرى، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية / ١٩٧٧م .

١٧١- العلوم الطبيعية في القرآن ، تأليف : يوسف مروة ، منشورات مروة العلمية، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ،لبنان ، الطبعة الأولى /١٣٨٧هـ- ١٩٦٨م.

١٧٢- غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام، تأليف : فتحي محمد الزغبي، دار المعارف القاهرة ، مصر الطبعة الأولى / ١٤٠٩هـ -١٩٨٨م.

١٧٢م- فتح الباري شرح صحيح البخاري : انظر : الجامع الصحيح ،رقم:٩٦ .

١٧٣- فتح البيان في مقاصد القرآن ، تأليف : صديق حسن خان ، ت ١٣٠٧هـ الناشر، أم القرى للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر .

١٧٤- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، تأليف : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبى واولاده بمصر الطبعة الثانية / ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م .

١٧٥- الفرق بين الفرق ، تأليف : عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الاسفرائيني التميمي المتوفى عام ٤٢٩هـ ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

١٧٦- فرق الشيعة ، للحسن بن موسى النوبختي وسعد بن عبدا لله القمى تحقيق د/ عبدالمنعم الحفنى دار الرشاد ، القاهرة مصر ، ط١ سنة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

١٧٧- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ، تأليف : غالب بن علي عواجي، مكتبة أضواء المنار ، المدينة ، السعودية ، الطبعة الأولى/ ١٤١٤هـ -١٩٩٣م .

١٧٨- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تأليف : على بن أحمد بن حزم الظاهرى ، ت ٤٥٦هـ المطبعة الأدبية بمصر، الطبعة الأولى سنة ١٣٦٧هـ.

١٧٩- فضح التلمود تعاليم الحاخاميين السرية ، تأليف : الأب آي . بي . برانايتس، اعداد زهدي الفاتح ، دار النفائس ، بيروت الطبعة الثالثة / ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.

١٨٠- فقة التصوف لإبن تيمية تهذيب وتعليق زهير شفيق الكبى، دار الفكر العربى بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣م .

١٨١- الفكر الصوفى في ضوء الكتاب والسنة . تأليف : عبدالرحمن عبدالخالق ، مكتبة إبن تيمية، الكويت، الطبعة الثانية .

١٨٢- فكرة القومية العربيــة على ضـوء الإسـلام ، تـأليف : صـالح بـن عبـدا لله العبود ، دار طيبة ، الرياض الطبعة الأولى .

١٨٣- فلسفة فــن التصويـر الإسـلامي ، تـأليف : وفـاء إبراهيـم - مطـابع الهيئـة المصرية للكتاب .

١٨٤- فلسفة وتايخ القـانون المصـرى مـن شـروق العصـر الفرعونـى إلى غـروب العصـر الرومـانى ، تـأليف : د. محمـود السـقا، نشـر دار النهضـة العربيـة، القاهرة/١٩٩٢.

١٨٥- الفن الإسلامي إلتزام وابتداع ، تأليف : صالح أحمــد الشـامي، دار القلـم، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى / ١٤٠١هـ / ١٩٩٠م .

١٨٦-فن الرسم عند القدماء المصريين ، تـأليف : وليـم هــ . بيـك، ترجمـة مختـار السويفى ، مراجعة د. أحمد قدرى مطبعة هيئة الآثار بالقاهرة .

١٨٧- الفـن في العـراق القديـم ، تأليف : أنطـون مورتكـات، ترجمـة د. عيســى سلمان وسليم طه التكريتي، الجمهورية العراقيـة ، وزارة الاعـلام ، مديريـة الثقافة ، سلسلة الكتب الفنية، مطبعة الأديب البغدادية .

١٨٨- الفنون الجميلة في العصور الإسلامية - تأليف : عمر رضا كحالـة المطبعـة التعاونية بدمشق ١٣٩٢هـ .

١٨٩- الفولكلور في العهد القديم (التوراة) ، تأليف : جيمس فريزر، ترجمة: نبيلة إبراهيم، دار المعارف ، الطبعة الثانية .

١٩٠- في تاريخ الشرق الأدنى القديم مصر . سورية القديمة ، تأليف : أحمد أمـين سليم . دار النهضة العربية ، بيروت . لبنان/ ١٩٨٩م .

١٩١- في التفسير الإسلامي للتاريخ ، تأليف : نعمان عبدالرزاق السامرائي ، مكتبة المنار، الزرقاء الاردن، الطبعة الأولى / ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م .

١٩٢- في ظلال القرآن . تأليف : سيد قطب، دار الشروق بيروت، القاهرة، الطبعة الشرعية العاشرة : ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م .

١٩٣- في الفكر الديني الجاهلي قبل الإسلام ، تأليف : محمد إبراهيم الفيومي ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر / ١٩٧٩م .

١٩٤- في نظرية التطور : هل تعرضت لغسيل الدماغ؟ تأليف : البروفسور دوان ت . كيش ، ترجمة أورخان محمد علي ، دار الصحوة للنشر، القاهرة ، مصر .

١٩٥- القافلة ، قصة الشرق الأوسط - تأليف : كارلتون كون، ترجمة: دجالى - دار الثقافة - بيروت .

١٩٦- القاموس المحيط ، تأليف : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر.

١٩٧- القرابين البشرية والذبائح التلمودية عند الوثنيين واليهود ، تأليف : فتحى محمد الزغبى، مطابع غباش بطنطا . مصر . الطبعة الأولى / ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٩٨- قطر ماضيها وحاضرها ، تأليف : مصطفى مراد الدباغ، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى جمادى الأولى ١٣٨١هـ /تشرين الثاني ١٩٦١م.

١٩٩- القول المفيد على كتاب التوحيد شرح محمد بن صالح العثيمين دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى / ١٤١٥هـ .

٢٠٠- قوى الشر المتحالفة ، الإستشراق - التبشير - الاستعمار وموقفها من الإسلام والمسلمين ، تأليف : محمد محمد الدهان دار الوفاء ، المنصورة ، القاهرة ، الطبعة الثانية / ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م .

٢٠١- القيم والعادات الإجتماعية ، تأليف : فوزية دياب، دار الكاتب العربي، القاهرة.

٢٠٢- الكتاب المقدس والمكتشفات الآثارية الحديثة ، تأليف : كاثلين م . كنيون، تعريب شوقي شعث وسليم زيد، دار الجليل دمشق ، الطبعة الأولى / ١٩٩٠م .

٢٠٣- الكربون المشع وغيره من أساليب تاريخ الماضي، تأليف : لين وجراى بول ترجمة زكريا البرادعى ، دار النشر للجامعات المصرية ، القاهرة .

٢٠٤- كشف الأسرار ، تأليف : روح الله خميني، تقديم: محمد أحمد الخطيب ، دار عمار للنشر عمان ، الاردن ، الطبعة الثانية / ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .

٢٠٥- الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ، تأليف : محمود عبدالرؤف القاسم، توزيع دار الصحابة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى / ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .

٢٠٦- الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة يوسف نصر الله، دار القلم . دمشق . دار العلوم . بيروت طبعة دار القلم الأولى / ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.

٢٠٧- لسان العرب ، تأليف : جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر، بيروت ، لبنان .

٢٠٨- لورنس العرب على خطى هرتزل - تقارير لورنس السرية ، تأليف : زهدي الفاتح-دار النفاعى - بيروت ، لبنان الطبعة الرابعة / ١٤١١هـ .

٢٠٩- ماذا خسر العالم بانحاط المسلمين ، تأليف : أبوالحسن علي الحسين الندوي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة / ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

٢١٠- ماوراء التاريخ ، تأليف : وليام هاولز، ترجمة . د. أحمد أبوزيد . دار النهضة العربية. بيروت . لبنان / ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

٢١١- مجلة المختار . عدد مايو سنة ١٩٥٨. مقال الفاتيكان : المدينة القديمة بقلم دونالتر كارلوسى بيتى.

٢١٢- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم . العاصمي النجدى الحنبلى وساعده ابنه محمد، مطابع دار العربية ، بيروت ، لبنان، تطوير الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ .

٢١٣- مجموع فتاوى ومقاولات متنوعة ، تأليف : سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدا لله بن عبدالرحمن بن باز طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الإدارة العامة للطبع - الرياض . الطبعة الأولى / ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م .

٢١٤- مجموعة التوحيد، تحقيق بشير محمد عيون ، مراجعة عبدالقادر الأرناؤوط، الناشر مكتبة دار البيان، دمشق . سوريا ، التوزيع مكتبة المؤيد الطائف، /١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م .

٢١٥- محاضرات في النصرانية تأليف : ، محمد أبوزهرة ، دار الفكر العربي، القاهرة . بمصر.

٢١٦- مخاطر الوجود اليهودي على الأمة الإسلامية ، تأليف : د/ محمد عثمان شبير ، دار النفائس، عمان الأردن - الطبعة الأولى/١٤١٢هـ -١٩٩٢م.

٢١٧- مختصر التحفة الإثنى عشرية ، تأليف : شاه عبدالعزيز غلام حكيم الدهلوي، ترجمة غلام محمد بن محيى الدين بن عمر الأسلمي، اختصره محمود شكري الألوسي مكتبة ايشيق ، دار الشفقة ، استانبول ، تركيا/ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٢١٨- مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم . تأليف : محمد بن عبدالوهاب، دار القلم، بيروت .

٢١٩- المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، تأليف : محمد محمود الصواف، دار الاعتصام - القاهرة - توزيع دار الإصلاح . الدمام - الطبعة الثالثة /١٣٧٩هـ .

٢٢٠- مدخل إلى الآثار الإسلامية ، تأليف : حسن الباشا ، دار الاتحاد العربي ، نشر دار النهضة العربية/ ١٩٧٩م .

٢٢١- مدخل إلى علم الآثار ، تأليف : السير ليوناردوولي، ترجمة د. حسن الباشا، مراجعة عبدالمنعم أبوبكر ، الادارة العامة للثقافة بوزارة التربية والتعليم بمصر ، سلسلة الألف كتاب (٩٤) .

٢٢٢- المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم . تأليف : محمد علي البار ، دار القلم دمشق ، الدار الشامية بيروت ، الطبعة الأولى / ١٤١٠هـ - ١٩٩٠.

٢٢٣- مذكرات السلطان عبدالحميد . ترجمة محمد حرب . دار القلم، دمشق . الطبعة الثالثة/ ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .

٢٢٤- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، الجزء الأول ، تأليف : سعاد ماهر محمد ، مطابع الاهرام/١٩٧١م.

٢٢٥- مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة ، تأليف :د. ناصر بن عبدا لله بن علي القفارى، دار طيبة للنشر ، الرياض ، ط٢، سنة ١٤١٣هـ .

٢٢٦- المستشرقون، تأليف : نجيب العقيقى دار المعارف : القاهرة -مصر - الطبعة الرابعة.

٢٢٧- مستشرقون ، سياسيون - جامعيون - مجمعيون ، تأليف : نذير حمدان ، مكتبة الصديق ، الطائف ، السعودية الطبعة الأولى / ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٢٢٨- المستشرقون والتراث ، تأليف : د. عبدالعظيم الديب ، مكتبة ابن تيمية، المحرق البحرين ، الطبعة الأولى/ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٢٢٩-المستشرقون ومشكلات الحضارة، تأليف : عفاف صبرة ، دار النهضة العربية /١٩٨٥.

٢٣٠- المستشرقون ومن تابعهم وموقفهم من ثبات الشريعة وشمولها ، تأليف : عابد بن محمد السفياني دار المنارة، جدة الطبعة الثانية/ ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

٢٣١- المسند للإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ)دار المعارف ، مصر /١٣٦٨هـ -١٩٤٩م .

٢٣٢- المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام، تأليف : د/ محمد وصيفى . دار الفضيلة.

٢٣٣- المسيحية ضمن سلسلة : مقارنة الأديان ، تأليف : د. أحمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، الطبعة الثامنة/ ١٩٨٤م .

٢٣٤- المسيحية تأليف : ، شارل جنيبر ، المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت، لبنان.

٢٣٥- مصادر دراسة الفولكلور العربي ، قائمة ببليوجرافية مشروحة ، اشراف محمد الجوهري ، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى / ١٩٧٨م.

٢٣٦- مصر القديمة، تأليف : جان فيركوتير . ترجمة ماهر جويجاتي - دار الفكر للدراسات القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٩٣م .

٢٣٧- المصنف في الأحاديث والآثار ، تأليف : عبدا لله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي، تحقيق سعيد محمد اللحام ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م .

٢٣٨- المعالم الأثرية في البلاد العربية (الجمهورية العراقية - الجمهورية اليمنية) جامعة الدول العربية - الإدارة الثقافية، مطابع مدكور بالقاهرة ، ١٩٧١م.

٢٣٩- معالم حضارات الشرق الأولى القديمة ، تأليف : د. محمد أبوالمحاسن عصفور ، دار النهضة العربية، بيروت ، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٩م .

٢٤٠- معجم البلدان ، تأليف : ياقوت بن عبدا لله الحموي ، ت ٦٢٦هـ ، تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندى ، دار المكتبة العلمية، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى /١٤١٠هـ-١٩٩٠م .

٢٤١- معجم المصطلحات الأثرية ، تأليف : محمد كمال صدقي ، كلية الأداب قسم الآثار والمتاحف ، جامعة الملك سعود، مطابع جامعة الملك سعود. الرياض طبعة أولى/ ١٤٠٨هـ .

٢٤٢- المغني والشرح الكبير على متن المقنع في فقة الإمام أحمد بن حنبل للإمامين: موفق الدين وشمس الدين إبن قدامة ، دار الفكر، الطبعة الأولى /١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

٢٤٣- المفردات في غريب القرآن ، تأليف : الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ت ٥٠٢ تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ، بيروت، لبنان.

٢٤٤-المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، تأليف : جواد علي، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، مكتبة النهضة ، بغداد ، العراق الطبعة الأولى / ١٩٦٨م.

٢٤٥- مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية ، إدارة الآثار والمتاحف وزارةالمعارف ، المملكة العربية السعودية /١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

٢٤٦- الملل المعاصرة في الدين اليهودى ، د. تأليف : إسماعيل راجى الفاروق، مكتبة وهبة القاهرة ، مصر طبع دار التضامن، القاهرة . الطبعة الثانية / ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م .

٢٤٧- الملل والنحل ، تأليف : محمد بن عبدالكريم بن أحمد الشهرستاني (٤٧٩-٥٤٨) تحقيق محمد سيد كيلانى ، شركة مكتبة ومطبعة البابى الحلبى بمصر /١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .

٢٤٨- مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، مكتب التربية العربي لدول الخليج - مجموعة مقالات - الجزء الثانى . مقال بعنوان الحياة الاجتماعية الإسلامية كما صورها بعض المستشرقين .تأليف : د. عبدالوهاب أبوحديبة .

٢٤٩- منعطف المخيلة البشرية، تأليف : صموئيل هنري هووك . ترجمة : صبحي حديدي ، دار الحوار ، اللاذقية ، سوريا، الطبعة الأولى / ١٩٨٣م .

٢٥٠- منهاج السنة النبوية ، تأليف : أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، تحقيق د. محمد رشاد سالم ، الناشر مكتبة إبن تيمية القاهرة بمصر ، الطبعة الثانية / ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م .

٢٥١- منهج المسعودى في بحث العقائد والفرق الدينية ، تأليف : هادي حسين حمود، الناشر دار القادسية للطباعة، طبع في مطبعة عصام ، بغداد ، الطبعة الأولى حزيران سنة ١٩٨٤م .

٢٥٢- المهرجان الوطنى الثانى للتراث والثقافة. وثائق صحفية بالحرس الوطنى ، الرياض الطبعة الأولى / ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٢٥٣- الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية ، تأليف : محماس بن عبدا لله بن محمد الجلعود الطبعة الأولى / ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

٢٥٤- المؤتمر السادس للآثار في البلاد العربية طرابلس ، ليبيا ١٨- ١٩٧١/٩/٢٧م ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

٢٥٥- الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ، تأليف : ناصر بن عبدا لله القفاري وناصر بن عبدالكريم العقل، دار الصميعي ، الرياض ، الطبعة الأولى /١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

٢٥٦- الموسوعة الأثرية العلمية ، اشراف ليونارد كوتريل تأليف ٤٨عالماً أثرياً ، ترجمة د. محمد عبدالقادر محمد ود. زكي اسكندر ، الهيئة المصرية للكتاب /١٩٧٧.

٢٥٧- موسوعة الفراعنة ، تأليف : باسكال فيرنوس ، جامعة يويوت. ترجمة د. محمود ماهر طه - دار الفكر للدراسات - القاهرة مصر - الطبعة الأولى / ١٩٩١م .

٢٥٨- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، الطبعة الثانية ،/ ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

٢٥٨- موطأ الإمام مالك ، رواية يحيى بن يحيى الليثي ، اعداد : أحمد راتب عرموش ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ-١٩٧١م، الطبعة التاسعة/ ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

٢٦٠- الميزان في مقارنة الأديان حقائق ووثائق . تأليف : محمد عزت الطهطاوي. دار القلم ، دمشق ،سوريا، الدار الشامية . بيروت، لبنان، الطبعة الأولى /١٤١٣هـ-١٩٩٣م .

٢٦١- النبوات ، تأليف : أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ت ٧٢٨، دار الفكر .

٢٦٢- نشوء الحضارات القديمة ، تأليف : بودهاردبرينتيس، ترجمة جبرائيل يوسف كباس، الأبجدية للنشر ، مطابع ألف باء الأديب ، دمشق ، سوريا، الطبعة الأولى/١٩٨٩م .

٢٦٣- النصرانية من التوحيد إلى التثليث . تأليف : د. محمد أحمد الحاج، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، الدار الشامية بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، /١٤١٣هـ-١٩٩٢م .

٢٦٤- نصوص الشرق الأدنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم ، تأليف : جيمس برتشارد - تعريب عبدالمجيد زايد - الناشر هيئة الآثار المصرية .

٢٦٥- نظم الدر في تناسب الآيات والسور ، تأليف : برهان الدين أبوالحسن إبراهيم بن عمر اليقاعى ، ت ٨٨٥هـ ، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة - مصر الطبعة الثانية/ ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

٢٦٦- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تأليف : شمس الدين محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: د. أحمد حجازى السقا . المكتبة القيمة مدينة ناصر. مصر، الطبعة الرابعة/ ١٤٠٧هـ .

٢٦٧- هذه هي الصوفية ، تأليف : عبدالرحمن الوكيل . مكتبة أسامة ، الرياض .

٢٦٨- الهندسة الوراثية وتكوين الأجنة الحقيقية والمستقبل، تأليف ، د. صالح عبدالعزيز كريم ، دار المجتمع جدة .
٢٦٩- واقعنا المعاصر ، تأليف : محمد قطب ، مؤسسة المدينة للصحافة ، جدة ، الطبعة الثانية/ ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
٢٧٠- وجاء دور المجوس ، تأليف : عبدا لله محمد الغريب ط ٦ سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
٢٧١- وجهة الإسلام : نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي تأليف : هـ . أ. ر . جب، : ماسينون ، ج كامبغماير ، ك . ك . برج، لفتانت كولرنل فرار ، أشرف على تحريره جب - ترجمة محمد عبدالهادي أبوريدة الطبعة الأولى/ ١٣٥٣هـ- ١٩٣٤م المطبعة الإسلامية - القاهرة - مصر .
٢٧٢- وجود ا لله ، عقائد الإسلام (١) ، تأليف : د. يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة عابدين ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الثالثة/ ١٤١٠هـ -١٩٩٠م .
٢٧٣- اليهود ، تأليف : زهذي الفاتح ، الطبعة الثانية/ ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م .
٢٧٤- اليهود تاريخ وعقيدة ،تأليف : كامل سعفان دار الإعتصام. الطبعة الثانية.
٢٧٥- اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، تأليف : غوستاف لوبون، ترجمة : عادل زعيتر، الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه/ ١٩٧٠م .
٢٧٦- اليهود في القرآن ، تأليف : عفيف عبدالفتاح طبارة . دار العلم للملايين بيروت لبنان . الطبعة الخامسة/ ١٩٧٧م .
٢٧٧- اليهود في القرآن والسنة بعض من خلائقهم ، تأليف : محمد أديب الصالح، دار الهدى، الرياض، الطبعة الأولى/ ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
٢٧٨- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر ، تأليف : عبدالوهاب الشعراني، دار الفكر.
٢٧٩- اليونان مقدمة في التاريخ الحضارى ، تأليف : د. لطفي عبدالوهاب يحيى - دار النهضة العربية ، بيروت/ ١٩٧٩م .

الفهارس

فهرس الآيات

ثانياً : فهرس الأحاديث والآثار

الحديث أو الأثر — الصفحة

(أ)

الحديث أو الأثر	الصفحة
لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المختفي والمختفية	١٩٠
لعن الله اليهود والنصارى	١٨٠،١٤
لعنة الله على اليهود والنصارى	١٨٠،٣٥
اللهم لاتجعل قبري وثناً يعبد	١٨٠
(م)	
ماأسكر كثيره فقليله وحرام	١٣
ماتركت استلام هذين الركنيين	٢٠٣
ماكنت لأصلي بأرض خسف الله بها	٢١٦
مرحباً بك يابن أخي ، سل	١٦٥
من أحدث في أمرنا هذا	١٠٨
من أكبر الكبائر شتم الرجل والديه	١٢
من أين أقبلت ؟ فقلت : من الطور	٢١٢
من تشبه بقوم فهو منهم	١٨٦
من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء	١٦٨
من سره أن يلقى الله غداً مسلماً	١٧٠
من سن في الإسلام سنة حسنة	١٧٤
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد	١٤٧،١٠٨
من قال لا إله إلا الله	١٠٣
من مات لايشرك بالله شيئاً	١٠٣
(ن)	
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر	١٤
(هـ)	
هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية	١٨٦

الحديث أو الأثر	الصفحة

المحتويات